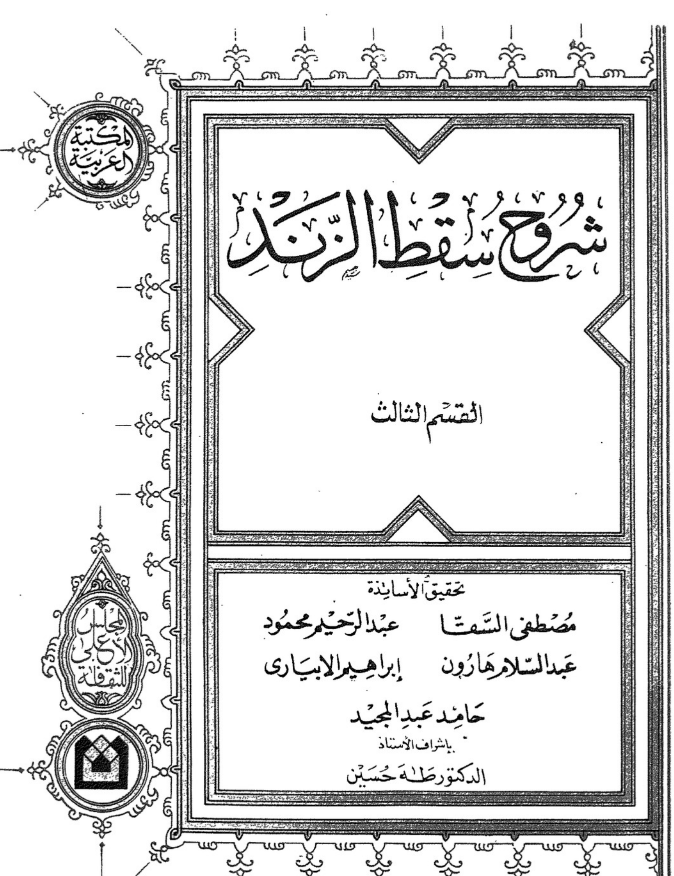


شروح سقط الزند

القسم الثالث

تحقيق الأساتذة

مصطفى السقا — عبد الرحيم محمود

عبد السلام هارون — إبراهيم الابيارى

حامد عبد المجيد

بإشراف الأستاذ

الدكتور طه حسين

مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب

المجلس الأعلى للثقافة

المكتبة العربية

شروح سقط الزند

القسم الثالث

تحقيق الأساتذة

مصطفى السقا   عبد الرحيم محمود

عبد السلام هارون   إبراهيم الإبياري

حامد عبد المجيد

بإشراف الأستاذ

الدكتور طه حسين



طبعة ثالثة
مصورة عن نسخة دار الكتب
سنة ٣٦٤١ هـ ـ ١٩٤٥ م



لأبى زكريا يحيى بن على بن محمد بن الحسن التبريزى (٤٢١ — ٥٠٢)
وأبى محمـد عبد الله بن محمـد بن السـيد البطليوسى (٤٤٤ — ٥٢١)
وأبى الفضـل قاسم بن حسين بن محمـد الخوارزمى (٥٥٥ — ٦١٧)

[القسـم الثـالث]

[القصيدة الثانية والأربعون][1]

وقال يرثى أبا إبراهيم العلوى، ويخاطب أولاده، من الطويل الأول والقافية متواتر:

١ ﴿بَنِي الحَسَبِ الوَضَّاحِ وَالشَّرَفِ الجَمِّ لِسَانِيَ إِنْ لَمْ أَرْثِ وَالِدَكُمْ خَصْمِي﴾

التبريزى : الجم : الكثير .

الخوارزمى : قال ابن السكيت : الحسب والكرم يكونان فى الرجل وإن لم يكن له آباءٌ أشراف، والشرف والمجد لا يكونان إلا بالآباء . وأما المصراع الثانى فمعناه : إن لم أندُبْ والدكم فلسانى يفعل بى [فعل][2] الأعداء، ويجْرحنى بالشتم والهجاء.

٢ ﴿شَكَوْتُ مِنَ الأَيَّامِ تَبْدِيلَ غَادِرٍ بِوَافٍ وَنَقْلًا مِنْ سُرُورٍ إِلَى هَمِّ﴾

التبريزى : ... ...

الخوارزمى : أبدله بخوفه أمنًا، وبدّله مثلَه .

٣ ﴿وَحَالًا كَرِيشِ النَّسْرِ بَيْنَا رَأَيْتَهُ جَنَاحًا لِشَهْمٍ آضَ رِيشًا عَلَى سَهْمِ﴾

التبريزى : حالًا، منسوق على قوله «شكوت من الأيام تبديل غادر» . والمراد أنّ أحوال الدهر تختلف كاختلاف ريش النَّسْر؛ لأنه يكون مرة ريشا لطائر شهم الفؤاد، أى حديده، ثم يصير ريشًا على سهم .

---

(١) هذه القصيدة لم يوردها البطليوسى . وعند الخوارزمى : «وقال أيضا فى الطويل الأول والقافية من المتواتر، يرثى أبا إبراهيم العلوى ويخاطب أولاده، وكان صديقا له» .

(٢) هذه التكملة من النسخة المطبوعة من شرح الخوارزمى .

الخــــوارزمى : قوله «حالًا» معطوف على «تبديل غادر» . «بينا» منصوب على الظرف . وأصله «بين» ، أشبعوا النصب فيه، فتولّدت منه ألف . وكذلك «بينما» أصله « بين » ، فزيدت عليه « ما » . وكل واحد منهما يضاف إلى الجملة الاسمية والفعلية، وهاهنا قد أضيف إلى الفعلية، ويجاب بإذ و إذا . وكان الأصمعى لا يستفصح إلّا طَرْحَهما فى جوابهما . وأنشد :

و بينـا نحن نَرْقُبُـهُ أتانا مُعَـلِّقَ وَفْضَـةٍ وزِنَادَ راعِى(١)

والعامل فيه «آضَ» . ومعنى « بينا » فى بيت أبى العلاء : صار ريشًا على سهم بين أوقات رؤيتك إيّاه جناحًا لنَسْر . عنى بـ«سَهم» نسرًا سريعَ المرور . وفى أساس البلاغة : «فرسٌ شهمٌ، أى سريع نشيط» . يريد: ريشُ النسر يُرَى وهو له جناحٌ، ثم لا يمضى على ذلك زمان حتى يعود بسهم ريشا . يقــول : وشكوت حالًا تَقَلْقَلُ ولا تستقر، وتختلف كاختـلاف ريش النسر، فى أن يكون مرة ريشا لطائر شهم الفؤاد، ثم فى ساعة يصير ريشا على سهم ، وهى أبدا إلى شرٍّ .

٤ (وَلَا مِثْلَ فِقْدَانِ الشَّرِيفِ مُحَمَّدٍ رَزِيَّةَ خَطْبٍ أَوْ جِنَايَةَ ذِى جُرْمِ)

التــبريزى : أى ولا أشكو مثلَ فقدانه جنايةً أو رزيّة . يصف عِظَم مُصابه.

الخــــوارزمى : «رزيّة خطب» منصوب على أنه مفعول فعلٍ مضمر، وهو شكوت . يريد: ولا شكوتُ رزية . و«مثلَ فقدان الشريف» منصوب على الحال عن «رزية خطب» . ويحتمل أن يكون «مثل فقدان الشريف» مفعولَ شكوت، و«رزيّة خَطْبٍ» منصوب على أنه عطف بيان لقوله «مثل فقدان الشريف محمد»(٢) . ونظيره بيت السقط :

(١) انظر الأزمنة والأمكنة للمرزوقى (١ : ٢٥٢) . (٢) فى الأصل : «مفعول» صوابه فى المطبوعة .

* أبى السبعةِ الشُّهْبِ التى قِيل إنها * (١)

يقول: شكوت فيما مضى من الأيام كلَّ بلية، ولم أشك مثل فقدان الشريف رزية.

٥ (فيا دافنيه فى الثرى إنّ لَحْدَهُ مقَرُّ الثريّا فادفنوه على عِلْمِ)

التبريزى : ... ...

الخوارزمى : «الثرى» مع «الثريا» تجنيس.

٦ (ويا حاملى أعْوادِه إنّ فوقها سَماوِيَّ سِرٍّ فاتّقوا كوكبَ الرَّجْم)

التبريزى : معناه أنّ فوق نَعْشه سرًّا من أسرار الله عظيما، فليحذَر حمَالو نَعْشِه أن يكون اطّلاعُهم على ذلك السرّ، فيرجموا بالكواكب، كما يُرْجَم الشيطان إذا استرق السمع.

الخوارزمى : كل اسم فى آخره ألفٌ ممدودٌ وهو منصرف، ففى نِسْبته وجهان: أحدهما القلب، والثانى تَبْقيَتُه على حاله، وهو الأحسن.

٧ (وما نَعْشُهُ إلّا كنَعْشٍ وَجَدتَهُ أبًا لِبناتٍ لا يَخَفْنَ مِنَ اليُتْمِ)

التبريزى : المعنى ما نَعْشُه إلّا كنعش الذى تُنْسَب إليه بناتُ نعش، وهى كواكب فى صُورة النعش. وبناتُه لا يَخفن من اليُتْم. والنعش فى كلام العرب: سريرٌ كان يُحْمَل عليه الميت والملِك إذا اعتلّ. وإنما كان يُحمل عليه الملوك ليشتغلوا عما بهم من العِلَل (٢)، وينظرو إلى الأشجار والزهر. قال النابغة:

ألم أُقْسِمْ عليكَ لَتُخْبِرَنِّى أمحمولٌ على النَّعْشِ الهُمَامُ

(١) البيت ٢٣ من هذه القصيدة.

(٢) حـ : «عما يهمهم من العلل».

وقال أيضًا :

ألم تَرَ خيرَ الناسِ أصبح نَعْشُه ... عَلَى فِتيةٍ قد جاوزَ الحيَّ سائرا (١)
ونحن لديه نسألُ اللهَ خُلْدَه ... يُبَقَّى لنا مَلْكًا وللأرض عامرا (٢)

الخوارزمي : بناتُ نعش فى «إليك تناهى» (٣) . يقول: ما السرير الذى حُمل عليه هذا الميت فى العلوّ والارتفاع إلا كنعشٍ من بنات نعش .

٨ (فَوَيْحَ المَنَايَا لَمْ يُبَقِّينَ غَايَةً ... طَلَعْنَ الثَّنَايَا واطَّلَعْنَ عَلَى النَّجْمِ) (٤)

التبريزى : أى تصل المنايا إلى كل موضع، فلا يخلو منها مكان .

الخوارزمى : «المنايا» مع «الثنايا»، و«طلعن» مع «اطّلعن» تجنيس .

٩ (أَعَاذِلَ إنْ صَمَّ القَنَا عَنْ نَعِيِّهِ ... فَوَا حَسَدَا مِنْ بَعْدِهِ لِلْقَنَا الصُّمِّ)

التبريزى : المعنى أن القنا توصف بالصَّمَم، فإنْ صمّتْ عن نَعِيِّ هذا الميت ولم تسمع به، فهى محسودة على ذلك .

الخوارزمى : الرماح توصف بالصَّمَم على إرادة الاكتناز والصلابة ؛ يقال : قناة صَمّاء، أى صُلْبة مكتنزة . فأوهَمَ بالصَّمَم هاهنا معنى الصمم عن السماع (٥) .

١٠ (بَكَى السَّيْفُ حَتَّى أَخْضَلَ الدَّمْعُ جَفْنَهُ (٦) عَلَى فَارِسٍ يُرْوِيهِ مِنْ فَارِسِ الدَّهْمِ)

التبريزى : الدَّهْم : الجيش العظيم .

(١) انظر ديوان النابغة ص ٣٩ من مجموع خمسة دواوين العرب .
(٢) فى الديوان : «يرد لنا ملكا» . (٣) انظر البيت ٣٥ من القصيدة ٨ ص ٣٧٥ .
(٤) حـ من التبريزى : «إلى النجم» . (٥) فى الأصل : «على السماع» .
(٦) التبريزى : «أخضل بالدمع جفنه» .

الخــــوارزمى : جاء فى عَدَدٍ دَهم، كغمام دَهْمٍ؛ وهــو من الدُّهمة . وهــذا كقولهم : « جاءوا كالليل »، ومن ثَمّ قيل للجماعة العظمى « السواد » . شبِّهت بسواد الليل . يقول : بكى السيف على المرثىّ حتى أروى بدمعه يابسَ القِراب، كما كان المـرثىّ يُرْوِيه بالدم أيامَ الحِرَاب[1] . وحَسُن إثبـات الدموع والإخضال للسَّيف، لأن السيف يُشَبَّه بالمـاء . واقترانُ البكاءِ والدمعِ بالجفن إيهام .

١١ (تَلَذُّ الْعَوالِى والظُّبَى فِى بَنَانِهِ لِقَاءَ الرَّزَايَامِنْ فُلُولٍ وَمِنْ حَطْمِ)

التــــبريزى : معناه أن السيوف تَلَذُّ أن تَنْفَلَّ[2] إذا حارب، لأنهـا تنفلُّ بيده وضَرْبته . وكذلك الرماح يصير لها شرف إذا حطَمها بالطعن .

الخــــوارزمى : لَذِذْتُ الشيءَ ولَذِذْتُ به والتذذتُ به والتذذته . «من فلول» بيان للرزايا .

١٢ (وَبِاللهِ رَبِّى[3] ما تَقَــلَّدَ صَــارِمًا لَهُ مُشْبِهٌ فِى يَوْمِ حَرْبٍ وَلَاسِلْمِ)

التــــبريزى : ســـيأتى :

الخــــوارزمى : الرواية « بالله » بالباء الموحدة . اليمين التى يهذى بها الشُّعراء فى أشعارهم — على ماذكَره بعضُ الأئمّة — من قبيلِ يمين اللَّغو؛ وهذا لأن يمين اللَّغو أن يجرىَ على لسانك : لا والله ، و بلى والله ، من غير أن تنــوِىَ إقداما على أمر، أو إحجاماً عنه . وهذا مذهب الشافعيّ رحمه الله . وروت عائشة رضى الله عنها عن النبىّ عليه السلام، أنه فسر يمين اللّغو بنحو ماذكرنا . وأمّا تفسيرها عند علمائنا رحمهم الله، فهو أن يحلفَ الرجلُ على الكذبِ وهو يرى أنّه صادق، ثم يظهر أنه كاذب .

---

(١) الحراب : مصدر حارب ، كالمحاربة . (٢) يقال : فله وفلله ، إذا ثلمه ، فتفلل وانفل .

(٣) أ من التبريزى : « فوالله ربى » .

١٣ (وَلَا صَاحَ بِالْخَيْلِ اقْدُمِى فِى عَجَاجَةٍ إِذَا قِيلَ حِيدِى قَالَ فِى ضَنْكِهَا أُمِّى)

التبريزى : هو من أَمَّ يَؤُمّ ، إذا قصد . يقول : كان الفارسُ إذا جَبُن وزَجَرَ فرسَه عن التقدُّم ، قال هذا المرثىُّ لفرسه أُمِّى العدوّ ، أى اقصِديه .

الخوارزمى : الضمير فى «صاح» لـ«مشبه» وفى «قال» للمرثىّ .

١٤ (وَلَا صَرَّفَ الخَطِّىَّ مِثْلَ يَمِينِهِ يَمِينٌ وَإِنْ كَانَتْ مُعَاوِدَةَ النُّعْمِ)

التبريزى : النُّعم : التنعُّم ، وقد يكون من الإنعام . والخَطِّىّ : منسوب إلى الخَطّ ، وهو سيفُ عُمَان . وحكى ابن دَرَسْتَوَيْهِ فى شرح الفصيح أنّه يجوز « خِطِّىّ » بكسر الخاء . والمعروف الفتح .

الخوارزمى : الضمير فى « يمينه » للمرثى .

١٥ (وَلَا أَمْسَكَتْ يُسْرَى عِنَانًا لِغَارَةٍ كَيُسْرَاهُ وَالفُرْسَانُ طَائِشَةُ العَزْمِ)

التبريزى : سيأتى .

الخوارزمى : سمِّى العِنانُ عِنانا ، لأنّ كل واحدٍ من طاقَيْه يُعانّ الآخر ، أى يعارضه .

١٦ (فَيَا قَلْبُ لَا تُلْحِقْ بِشُكْلِ مُحَمَّدٍ سِوَاهُ لِيَبْقَى شُكْلُهُ بَيِّنَ الوَسْمِ)(١)

التبريزى : أى يا قلب لا تحزن على غيره ، ولا تَقْرِن بحُزنه حزنَ سواه . والوَسْم : العلامة .

الخوارزمى : سيأتى .

---

(١) فى حـ من التبريزى والديوان المخطوط والخوارزمى : « الرسم » بالراء . وشرح التبريزى والخوارزمى لا يؤيد هذه الرواية .

١٧ (فإنّى رأيتُ الحزنَ للحزنِ ماحيًا كما خُطَّ فى القِرطاسِ رَسْمٌ على رَسْمِ)

التبريزى : أى لا تُحزِنَّا بحُزنٍ جديد ؛ فإنا نُؤثِر أن يبقى معنا الحزن الأول عليه ؛ لأن الحزنَ الثانىَ يجوز أن يَقْدَح فى الحزن الأول، كما أنّ الرسم إذا خُطّ فى قرطاسٍ على رَسْمٍ قبله فلا بد من تغير يقع فى الأول .(١)

الخوارزمى : الوَسْم فى الجلد، والوَشْم فى اليد، وهما على خلاف بيت الحماسة :

* فلم يُنْسِنِى أوْفَى المصيباتُ بعْـدَه *(٢)

١٨ (كريمٌ حليمُ الجَفْنِ والنفسِ لا يَرَى إذا هُوَ أغْفَى ما يَرَى النّاسُ فى الحُلْمِ)

التبريزى : معناه أنّ الإنسان ربّما احتلم بامرأةٍ فى النَّوم وهى لا تَحِلّ له إذا كان يقظان. والشعراء يُكثِرون من ذلك و يدَّعون فيه دَعاوَى باطلة . فيقول : إنّ هذا المرثىّ لا تحلمُ عينُه بامرأة فى النوم وهى لا تَحِلّ له إذا كان يقظانَ .

الخوارزمى : يقول : كان لا يَرَى من أضغاث الأحلام ما يراه غيرُه . وهذا لأن كل نفس تُكاشَف من عالَم الغيب بمثل ما كانت فى اليقظة هُمومُها إليه مصروفة . ومنه بيت السقط :

* مَضَى طاهرَ الجُثْمانِ والنَّفْس والكرَى *(٣)

و«الحليم» مع «الحُلْم» تجنيس .

---

(١) هذه الكلمة وسابقتها فى ى فقط .

(٢) صدر بيت لهشام بن عقبة العدوى أخى ذى الرمة ، يرثى به أوفى بن دلهم . وعجزه كما فى الحماسة ٣٦٩ بن :

* ولكن نكء القرح بالقرح أوجع *

(٣) البيت ٥ من القصيدة ٤١ ص ٩٠٩ .

١٩ (فَتًى عَشِقَتْهُ البَابِلِيَّةُ حِقْبَةً فَلَمْ يَشْفِهَا مِنْهُ بِرَشْفٍ وَلَا لَثْمِ)

التبريزى : البابلية : الخمرة المنسوبة إلى بابل . أى كانت تُؤْثِر أن يشربها هذا المذكور ، فلم يَشْفِها بالرَّشف الذى هو شُرْبٌ ، ولا باللَّثْم الذى هو أقل من الرَّشف ؛ لأن الرشف يُرْوِى العطشانَ ، واللثم إنما هو تقبيل . ومن أمثالهم : «العَبُّ أَرْوَى ، والرَّشْفُ أَشْرَب»[1] .

الخوارزمى : بابل : موضع بالعراق إليه يُنسب الخمر . ومن أشعار السقط :

ومن بعض جاراتِ العراقَيْنِ بابلٌ ... وعانةُ والصهباءُ عندهما جَمُّ
ألم تَرَ أنَّ الأوَّلِينَ إليهما[2] ... نَمَوْا حَسَبَ الخمرِ الذى رَفَعَ النظْمُ

وإنما ينسب إليه الخمر لأنه به يكثر الأعنابُ والخمور .

٢٠ (كَأَنَّ حَبَابَ الكَأْسِ وَهْىَ حَبِيبَةٌ إِلَى الشَّرْبِ مَا يَنْفِى الحُبَابَ مِنَ السُّمِّ)

التبريزى : أى كان من شدّة كراهيته للخمر يُبْغِض حَبَابَها الذى يصفه الناس ، فكأنه عنده سمُّ حُبَاب ، أى حَيّة . قال ابن أبى ربيعة :

وخفّض عَنِّى الصّوتُ أقبلْتُ مِشْيةَ الْ ... حُبَابِ ورُكْنِى خِيفةَ القومِ أَزْوَرُ

الخوارزمى : طفَا الحَبابُ على الشراب . والحُبَاب ، بالضم ، هو الحيّة .

---

(١) تطابق هذه الرواية رواية العسكرى فى جمهرة الأمثال ١٠٨ — ١٠٩ . ويروى « الرشف أنقع » كما نبه عليه العسكرى ، وهى رواية الميدانى فى الأمثال (١ : ٢٦٦) . ويروى فى صدر المثل «الجرع أروى» كما فى الميدانى (١ : ١٤٧) . قال الميدانى : «يضرب لمن يقع فى غنيمة فيؤمر بالمبادرة والاقتطاع لما قدر عليه قبل أن يأتيه من ينازعه . وقيل معناه أن الاقتصاد فى المعيشة أبلغ وأدوم من الإسراف فيها» وقال العسكرى : «معناه أن الرفق مع طلب الحاجة أجلب لها وأسهل للوصول إليها» .

(٢) البيتان الرابع والخامس من القصيدة ٥٧ .

٢١ (تَسُورُ إليْهِ الرَّاحُ ثُمَّ تَهابُهُ   كأنَّ الحُمَيَّا لَوْعَةٌ فى ابنَةِ الكَرْمِ)

التبريزى : يعنى أن الراح كانت تَهُمّ أن تسور إليه، إرادة منها أن تصل إلى فيه، ثم تهابه فترجع . وحُمَيَّاها : سَوْرَتها التى تظهر فيها عند المزج. هكذا ذكَره.

الخوارزمى : فى أساس البلاغة : « قَرَعَتْه حُمَيَّا الكأس، أى سورته » . يقول : مرّةً كانت الخمر إلى المرثىّ تشتاق، فتظهر الحَبَب، وأُخرى تهاب فتطمئن.

٢٢ (دَعَا حَلَبًا أُختَ الغَرِيَّيْنِ مَصرَعٌ   بِسِيفِ قُوَيْقٍ لِلْمَكارِمِ والحَزْمِ)

التبريزى : قبر علىّ بن أبى طالب عليه السلام فى الغَرِيَّيْن. وقد صيّر حلبَ أُخت الغريّين بسبب أنّه دُفِن فيها هـذا السيد . والسِّيف، أصله ساحلُ البحر، واستُعير لقُوَيْقٍ هاهنا ، وهو من صغار الأنهار ، إلا أنه عَظُم قَدْرُه بكونه قريبا منه .

الخوارزمى : حلب، فى «ابق فى نعمة»(١) . الغريّان : قبرا مالك وعقيل نديمى جَذِيمَة الأبرش؛ سُمِّيا بذلك لأن النعمان بنَ المُنْذِر كان يُغرِّيهما بدم مَنْ يقتله يوم بُؤسه . السِّيف، فى «لعل نواها»(٢). يقول : لمَّا دُفِن المرثىّ بشاطئ قُوَيْق دُعِى حَلَبُ أُختَ الغَرِيَّيْن، لانطواء كلٍّ واحدة منهما على سيّد عظيم الشأن . وهذا لأن قبر علىّ بن أبى طالب — رضى الله عنه — بالغريّين . وجعل شاطئ النهر كساحل البحر لكون المرثىّ فيه .

٢٣ (أبِى السَّبْعَةِ الشُّهْبِ التى قِيلَ إنها   مُنَفِّذَةُ الأقْدَارِ فى العُرْبِ والعُجْمِ)

التبريزى : السبعة، هى زُحَلُ، والمُشْتَرِى، والمِرِّيخ، والشمس، والزُّهَرَة، وعُطَارِد ، والقمر . وأصحاب اللغـة لا يقـولون إلا الزُّهَرة، بفتح الهـاء . وقد جاءَ فى الشعر الذى ليس بقديم الزُّهْرة، بتسكين الهـاء . قال الراجز :

(١) البيت ٢٤ من القصيدة ٤ ص ٢٣٥ . (٢) البيت ٢١ من القصيدة ٤٠ ص ٩٠٢ .

تلك الرزايا عَظُمت وجَلَّتِ ووكَّلتْ عَينى بعين الزَّهرةِ
* وبالسِّماكَيْنِ وبالمجَرَّةِ *

الخوارزمى : جعل أولاده السبعة بمنزلة الشُّهْب السبعة ، وهى القمر ، وعُطَارد ، والزُّهَرة ، والشَّمس ، والمِرِّيخ ، والمُشْتَرِى ، وزُحَل . وقوله : « أبى السَّبعة » بدل من قوله « للمكارم والحزْم » . ومما يُقارب هذا الإبدالَ قولُه :

نَضَّر اللهُ أَعْظُمًا دَفَنوها بِسِجِسْتانَ طَلْحةَ الطَّلَحاتِ (١)

على رواية من رواه بالنصب . و«الشهب» ، مجرور على أنه عطف بيانٍ من « السبعة » .

٢٤ (وَإِنْ كُنتُ مَا سَمَّيتُهُم فَنَبَاهَةٌ (٢) كَفَتْنِي فِيهِمْ أَنْ أُعَرِّفَهُمْ بِاسْمِ)

التبريزى : أى اشتهار هؤلاء الأولاد يُغْنى عن التسمية ؛ لأن الاسم إنما يُراد به تعريف الشخص ، وشخوص هؤلاء أعلام مشهورة .

الخوارزمى : التنكير فى قوله « فنباهة » للتعظيم والتفخيم ؛ كأنه قال : فنباهة وأيّة نباهة .

٢٥ (فَيَامَعْشَرَ الْبِيضِ الْيَمَانِيَةِ اسْأَلِى بَنِيهِ طَعَامًا إِنْ سَغِبْتِ إِلَى اللَّحْمِ)

التبريزى : أراد بالبيض اليمانية السيوفَ . يعنى أن أولاده شُجْعان يشهدون الحروب ، فإن سَغِبْتِ إلى اللحم فسَلِيهم يُزيلوا سَغَبَك .

الخوارزمى : عَنَى بمعشر البِيض جماعةَ السيوف . لمّا جعل السيوف كالعقلاء حيث أمرهم بأن يسألوا بَنِيه اللحمَ إن قَرِمُوا إليه ، أطلق عليهم لفظَ « المعشر » الذى لا يُطلق إلا على العقلاء .

(١) البيت فى خزانة الأدب (٣ : ٣٩٢) . (٢) الخوارزمى والتنوير : « فإن » .

٢٦ ﴿فَكُلُّ وَلِيدٍ مِنْهُمُ وَمُجَرَّبٍ　　لَنَا خَلَفٌ مِنْ ذَلِكَ السَّيِّدِ الصَّتْمِ﴾

التبريزى : يقال : سيِّد صَتْمٌ ، أى شديد جَلْدٌ . ويقال : هو من الكمال . قال زُهَيْر :

فكُلًّا أراهم أصبحوا يَعْقِلونَه　　عُلالَةَ أَلْفٍ بعد أَلْفٍ مُصَتَّمِ

أى تامّ كامل .

الخوارزمى : كَنَى بالمجرِّب عن الشيخ . عَنَى بالصَّتْم الكاملَ فى المكارم . ومثله ما أنشد ابنُ الأعرابىّ :

ومنتظَرى صَتْمًا فقال رأيتُه　　نحيفًا وقد أجزِى عن الرَّجُلِ الصَّتْمِ(١)

يقال : شىء صَتْمٌ ، أى تام مُحْكَم . ومنه أَلْفٌ مُصَتَّمٌ ، أى مكمَّل .

٢٧ ﴿مَغَافِرُهُمْ تِيجَانُهُمْ وَحُبَاهُمُ　　حَمَائِلُهُمْ والفَرْعُ يُنْمَى إلى الجِذْمِ﴾

التبريزى : مَغَافر : جمع مِغْفَر ، وهى شىء يُتَّخَذ من الزَّرَد يكون على رأس الفارس . والناس يقولون : العمائم تيجانُ العرب ، فجعل المغافرَ تيجان هؤلاء؛ لأن العمائم إنما تكون فى السلم ، وهؤلاء أصحابُ حروب و وقائع . وحمائلُ السَّيف : ما يُحْمَلُ به . والمراد أنّ هؤلاء يحتَبُون بحمائل السيوف ، أى يشدّون بها رُكَبهم إلى ظهورهم . والحِبوة(٢) : أن يجلس الرجل على رِجليه ، و يشدّ إزارَه برُكْبَتَيه . وكانوا يستدلّون بذلك على ما عند الرجل من حِلْم وخِفّة ؛ فيقال : « ما حَلَّ حُبوتَه عند الأمر » إذا حَلُمَ فلم يَخِفّ . و إذا وُصِف الرجال بالجهل قيل « نَقَضوا حُبَاهم » ؛ قال الشاعر :

و إذا الخَنَا نقَضَ الحُبَا فى مجلس　　ورأيتَ أهلَ الطَّيش قاموا فاقعُدِ

(١) البيت فى اللسان (صتم) .　　(٢) الحبوة ، بتثليث الحاء .

وقال جرير :

قُتِل الزُّبَيْرُ وأنت عاقدُ حُبوةٍ تبًّا لحُبوتك التي لم تُحْلَلِ[(١)]

الخوارزمى : المغافر : جمع مِغْفَر ، وهو زَرَدٌ على قدْر الرأس ، يُلْبَس تحت القَلَنْسُوة ؛ من الغَفْر وهو التغطية . الجِذْم ، بالكسر : أصلُ الشيء ، كأنه جُذِم عنه ذلك الشيء .

٢٨ (مَنَاجِيدُ لَبَّاسُونَ كُلَّ مُفَاضَةٍ كَأَنَّ غَدِيرًا فَاضَ مِنْهَا عَلَى الجِسْمِ)

التبريزى : مناجيد : جمع مِنجاد ، وهو مِفْعالٌ من النَّجدة . يقال : أنجد بنو فلان بنى فلان على عدوّهم ، إذا نصروهم عليهم . قال الشاعر[(٢)] :

مَنَاجيدُ وَصّالون فى الرَّوْع خَطْوَهم بكلِّ رقيقِ الشَّفْرَتَيْنِ يمانِ[(٣)]

ومُفاضة : درعٌ واسعة . والدروع تُشَبَّه بالغدير والنِّهْى والأَضَاة .

الخوارزمى : المَناجيد ، هم الشجعان ، كأنه جمع مِنْجاد ، من النَّجْدة وهى الشجاعة . المُفاضة ، هى الدرع السابغة ؛ سمِّيت بذلك لأن الدرع تشبَّه بالماء المفاض . والمصراع الثانى يدلّ على صحة هذا الاشتقاق ، وكذلك بيت السقط :

يقول إذا ما رَملةٌ أُلْقِيتْ بها جهولُ أُناسٍ جاء رَملٌ بأوشالِ[(٤)]

٢٩ (كَأَنَّهُمُ فِيهَا أُسُودُ خَفِيَّةٍ وَلٰكِنْ عَلَى أَكْتَادِهَا حُلَلُ الرَّقْمِ)

التبريزى : خفيّة : موضع تنسب إليه الأُسْد ؛ قال ربيعة بن مَقْروم الضّبِّىّ :

---

(١) فى الديوان ٤٤٥ : « قبحا لحبوتك » .

(٢) هو وداك بن ثميل المازنى ، كما فى الحماسة ٥٦ — ٥٧ بن .

(٣) رواية الحماسة : « مقاديم وصالون » .

(٤) البيت ١٩ من القصيدة ٨١ .

فإنّ المُوعِدىَّ يرون دُونِى أُسودَ خَفِيَّةَ الغُلْبَ الرِّقَابَا (١)

والأكتاد ، واحدها كَتَد وكَتِد ، وهو مجتمع الكتفين . والمراد أنّ هؤلاء أُسود إلا أنهم يلبَسون حُلَلًا تُتَّخذ من الزَّرَد، فتُشْبِه سُلوخ الأراقم . قال الشاعر :

وعَلَىَّ سابغةٌ كأنّ قَتِيرَها بُرْدُ كَسَانِيهِ الشُّجاعُ الأرقَمُ (٢)

والرُّقْم: جمع أرْقَم من الحيّات. وأصله أن يكون صفة، لجُمِع كما جُمِع الأحمر والأصفر . وذكر سيبويه أنه يغلِب عليه الصَّرْفُ لأنه اسم، ولا يمنعه ذلك من أن يجمع جمع الأرقم إذا كان صفةً؛ لأن أفعَل إذا كان صفةً جُمع على فُعْل، وإذا كان اسمًا جُمِــع على أفَاعِل، نحو أفْكَل وأفاكل . وقد قالوا أرْقَم وأَرَاقِم ورُقْم . فأراقم على أنه اسمٌ، ورُقْمٌ على أنه صفة .

الخـــوارزمى : خفيّة : مَأْسَدة ؛ سُمِّيت بذلك لخفَائها عن النواظر ، بما فيها من الشجر الملتفّ ؛ ولذلك سمِّيت غابةً من الغَيْبة . الرُّقْم : جمعُ أَرْقَم ، وهو الحيّة على ظهرها رَقْمٌ، أى نقش .

٣٠(كُمَاةٌ إذَا الأَعْرَافُ كَانَتْ أَعِنَّةً فَمُغْنِيهِم حُسْنُ الثَّبَاتِ عَنِ الحَزْمِ) (٣)

التـــبريزى : الكُماة: جمع كَمِىّ، وهو فَعِيلٌ فى معنى مفعول؛ يقال كَمَى الرجلُ نفسَه يَكْمِيها، إذا واراها بالسلاح. والعبارة تختلف فيه، وربما قالوا الكَمِىّ: الحديد النفس؛ لأن الذى يلبَس السلاحَ إنما يحمله على ذلك حِدّة نفسه . وقال فى موضع آخر : إن أهلَ اللغة تسامحوا فى العبارة عن أن الكُمَاة جمع كَمِىٍّ. والصواب أن يكون

---

(١) البيت من أبيات فى الحماسة ٢٧٢ — ٢٧٣

(٢) انظر ما سبق فى ص ٣٠٦ . والبيت لمحمد بن عبد الملك، كما فى نهاية الأرب (٦ : ٢٤٥).

(٣) حـ : «فيغنيهم» .

كُماة جمع كامٍ، فيكون كقاضٍ وقُضاة، ورامٍ ورُماة، لأنه يقال: كَمَى نفسَه فهو كامٍ، أى سَتَر نفسه فهو ساتر. والأعراف: جمع عُرْف الفرس. أى إذا خاف الفارس أنْ يقع فأمسك بعُرْف فَرَسه، فهؤلاء يُغْنِيهم فُروسيَّتهم وثَبَاتُهم على ظهور الخيل عن أن يحزموا سُروجها.

الخوارزمى: الكُماة: جمع كَمِىّ، وهو الذى كَمَى بالسلاح نفسه، أى سترها. فصل بين المبتدأ وهو قوله «فمُغْنِيهم» وبين صلته التى هى بمنزلة الجزء منه، وهو قوله «عن الحزم» بالخبر، وهو «حسن الثبات». ونظير هذا قد مضى فى «يرومك»(1). يقول: إذا اشتدت الحربُ حتى لفظ اللُّجُمَ من رءوس الخيل كثرةُ الكرِّ والفرِّ، وقطع الحُزُمَ عن أوساطها شدّة العَدْو والرَّكْض، أغنَى بنى المَرْئىّ أعرافُ الخيل عن اللِّجام، وحُسْنُ ثَبَاتهم على ظهورها عن السُّرُج والحزام. وهذا يُلاحِظ معنى قول أبى الطيِّب:

فكأنَّها نُتِجتْ قِياما تحتَهم — وكأنهم وُلِدُوا على صَهَواتِها

وعلى عكس هذا قولُ جرير:

لم يركبوا الخيلَ إلا بعد ما هَرِموا — فهم ثِقالٌ على أكتافها مِيلُ

٣١ ﴿يُطِيلُونَ أَرْوَاقَ الجِيادِ وَطَالَمَا(٢) — ثَنَوْهُنَّ عُضْباً غَيْرَ رُوقٍ وَلَا جُمِّ﴾

التبريزى: أرواق الجياد، أراد بها الرماح؛ لأن العرب يقولون إنّ الرماح للخيل قُرون. وكذلك قالوا: فَرَسٌ جَمّاء، أى لا رمحَ مع فارسها. وفارسٌ أجَمّ: لا رُمْحَ معه. شبّهوه بالكَبْش الأجَمّ. قال عنترة:

ألم تَعْلَمْ لَحَاكَ الله أنّى — أَجَمُّ إذا لَقِيتُ ذَوِى الرِّماحِ

(١) انظر البيت ٥١ من القصيدة ١٥ ص ٥٠٤. (٢) أ من التبريزى: «وربما».

قال بعض العرب لبنيه : « أَطيلوا الرِّماحَ فإنها قُرون الخيل ، وأجيدوا القوافى فإنّها حَوافر الشِّعْر » . وقالوا : خيلٌ جُمٌّ ، أى لا رماحَ مع فرسانها . قال الأعشى :

مَتَى تَدْعُهُمْ لِلِقــاء الصَّبَا ... ح تَأْتِكَ خيلٌ لَهُمْ غيرُ جُمْ (١)

والأعضب : المكسور القَرْن . قال :

إن السـيوف غُـدُوَّها ورَوَاحَها ... تركتْ هَوَازِنَ مثلَ قَرْنِ الأَعْضَبِ (٢)

والمراد أنهم يَحْطِمون الرماح فى الحرب ، فتعود خيلُهم ليست بالجُمِّ ولا بالرُّوق ؛ لأنّ الرُّوق التى معها رِماح ، والجُمّ التى لا رِماح معها ، فقد حصلت هذه الخيلُ بَيْنَ بينَ .

الخــوارزمى : أرواق الجياد ، هى الرماح . قال بعض العرب لبنيه : « أطيلُوا الرِّماح فإنّها قُرون الخيل » . وفى كلام بُجَيْر : « هذه يَرْبُوع ، قُرونها بين آذان الخيل » . العُضْب : جمع أَعْضَب وعَضْباء ، وهو المكسور القرن . وأصل التركيب هو القطع والكسر . الرُّوق فى اللغة ، هى الطِّوال الأسنان . وعَنَى بها الطوالَ القُرون . وكأنّ أبا العلاء نظر فيــه إلى المشتقّ منه ، وهو الرَّوْق بمعنى القــرن . يقول : هؤلاء يحطِمون الرماح فى الأعداء ، فتعود عن الحــرب خيلُهم وهى لا طويلةٌ قرونُهــا ، أى رماحها ، ولا قفيدة رأسا .

٣٢ ﴿إذَا مَلأَتْهُنَّ الْقَنَا جَبْرِيَّةً ... وَغَيْظًا فَأَوْقَعْنَ الْحَفِيظَةَ بِالْجُمْ﴾

التــبريزى : معناه أنّ الخيــل إذا طُعِنتْ ظهرتْ فيها جَبَرِيّة ، أى كِبْرٌ . والحفيظة : الغضب . والمراد أنّها تغضب على الجُمّ فتكسِرها بالأَزْم ، أى العض ، وأنهن يَلُكْنَ الشَّكِيم .

(١) فى الديوان ٣٢ : « للقاء الحروب » . (٢) البيت للأخطل ، انظر ديوانه ص ٢٨ والخزانة (٢ : ٣٧٢) . وفى حـ و ى : « كانة » وفى أ : « كانة » مع كتابة « هوازن » فوقها .

الخــــوارزى : يقال: فيه جَبَرِيّة، أى كِبْرٌ وتجبُّر. الخيلُ إذا شَهِدتِ الحروبَ وعاينتْ وقعَ السـيوف ومشاجرةَ الرِّماح، تَداخَلَها كِبْرٌ ونَخْوة، وطاوعها اجتهادٌ فى الإقدام والمُطاردة، يُغْنِى الضعيفُ منها غَناء القوىّ، وتَسُدّ الأُنثى مَسَدَّ الذكر.

وعليه بيت السقط :

مُضَمَّرةٌ كأنَّ الجُـرَ منهـا إذا ما آنستْ فَزَعا حِصَانُ (١)

قوله «فأوقعن» جائز (٢) أن يكون جواب «إذا»، ويكون الفاء زيادة، وهذا على مذهب أبى الحسن الأخفش، وأن يكون الجواب محذوفا، وهذا قول عامة البصريين.

ونحوه فى احتمال الوجهين قول عمرو بن مَعْدِيكِرب (٣) :

لَمّـا رأيتُ الخيلَ زُورًا كأنَّها جَدَاوِلُ زَرْعٍ خُلِّيَتْ فاسْبَطَرَّتِ
فجاشت إلىَّ النَّفْسُ أوّلَ مَرةٍ فرُدَّتْ على مكروهها فاسْتَقَرَّتِ

وقوله تعالى : ﴿حَتَّى إِذَا جَاءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا﴾. ومن البعيد أن يكون قوله «يُطيلون أرواقَ الجياد» فى مقام الجزاء. فى أمثلة النحويين : «غَضَبَ الخيلِ على اللُّجُم». وفى كلام أبى النَّضر العُتْبى : «ممن يَعْـذِمون على الزُّبَر، ويَدخُلون ولو خَرْتَ الإبَر (٤)». قوله : يعذمون، يعنى يعضُّون.

(١) البيت ٤٠ من القصيدة ٣ ص ٢٠٢.

(٢) فى الأصل : «جاز».

(٣) وكذا جاءت النسـبة فى الحماسـة ص ٧٣ بن. لكن نسب فى الأصمعيات ١٧ إلى دريد بن الصمة. والرواية فيهما «ولما» بدون خرم. وفى الأصمعيات «رهوا» بدل «زورا» وفيهما : «أرسلت فاسبطرت».

(٤) الزبر : جمـع زبرة بالضم، وهى القطعة مـن الحـديد. وخرت الإبرة، بضم الخاء وفتحها : ثقبهـا.

٣٣ (وَرَفَتْنَ مَجْدُولَ الشَّكِيمِ كَأَنَّمَا أَشَرْنَ إِلَى ذَاوٍ من النَّبْتِ بِالْأَزْمِ)

التبريزى : معناه أنّ الخيل إذا غَضِبَتْ لم تَجِدْ ما تَصُول عليه إلا الشكائم، فهى ترفتها كالعِظام الرُّفات . والمجدول : المحكم الفَتْل . والذاوى من النبت : الذى قد بدأ فى اليُبْس . فهذه الخيلُ لقوتها ترفت الحديد، كأنه نبت ذاوٍ .

الخوارزمى : المجدول، هو المحكم. أزَمَ الفرسُ على فأس اللجام: عضّ عليه وأمسكه ؛ ومنه قيل للحِمْيَةِ الأَزْمُ[(1)] . وهــذا البيت والذى قبله قد جرى عليهما ماء الفصاحة .

٣٤ (فَوَارِسُ حَرْبٍ يُصْبِحُ الْمِسْكُ مَازِجًا بِهِ الرَّكْضُ نَقْعًا فى أُنُوفِهِمُ الشُّمِّ)

التبريزى : الشُّمُّ : جمع أَشَمّ، والشَّمَم محمود فى الأنف . والمراد أنهم مع شُغْلهم بالحرب لا يشغَلهم ذلك عن استعمال الطِّيب .

الخوارزمى : الضمير فى « به » للمسك . الرَّكضُ، مرفوع على أنه فاعل «مازجا» . وقوله «نقعا» منصوب على أنه مفعوله . يريد أنهم ملوك شجعاء . و«المسك» مع «الشّم» إيهام . وفى تركيب هذا البيت قلق واضطراب .

٣٥ (فَهَذَا وَقَدْ كَانَ الشَّرِيفُ أَبُوهُمُ أَمِيرَ الْمَعَالِى فَارِسَ النَّثْرِ وَالنَّظْمِ)

التبريزى : ... ...

الخوارزمى : قوله « فهــذا » إذا وقع مثل هــذا الموقع وقع مستفْصَحا . يقول : هم ملوك الأنام، وأبوهم كان ملك الكلام .

---

(1) فى الأصل : «للحية الآزم» محرفتان . وانظر أساس البلاغة (أزم) وفيه : « وتقول العرب أصل كل داء البردة، وأصل كل دواء الأزم ... ويقال للحتمى الآزم» .

٣٦ ﴿إذَا قِيلَ نُسْكٌ فَالخَلِيلُ بْنُ آزَرٍ   وَإنْ قِيلَ فَهْمٌ فَالخَلِيل أخُو الفَهْمِ﴾(١)

التبريزى : الخليل بن آزر : إبراهيم عليه الصلاة والسلام . والخليل أخو الفهم، يعنى الخليلَ بن أحمد الفُرْهُودِىّ(٢) .

الخوارزمى : الخليل بن آزر ، هو إبراهيم صلوات الله عليه وسلامه . والخليل أخو فهم، هو الخليل بن أحمد رحمه الله، وهو صاحب العروض، وعلّامة البَصْرة، وكفاك دليلا على مهارته فى علم الأدب، لا سيما فى صنعة الإعراب، أنه كان أُستاذ سيبويه. وكان شاعرا لطيفا فَطِنًا. «فهم» المذكور فى القافية، هو ابن غَنْم بن دَوْس من الأَزْد . يقال أخَا قريش، أى ياواحدًا منهم .

٣٧ ﴿أقَامَتْ بُيُوتُ الشِّعْرِ تُحْكِمُ بَعْدَهُ   بِنَاءَ المَرَاثِى وَهْىَ صُورٌ إلى الهَدْمِ﴾

التبريزى : صُورٌ: جمع أَصْوَر. ويقال: رجل أصور إلى كذا، أى مائل إليه.

الخوارزمى : هو أصور إلى كذا، إذا مال عنقه ووجهه إليه، وجمعه صُورٌ. وبيوت الشعر وأبياته بمعنًى . وهذا البيت ناظر فى قوله :

فهذا وقد كان الشريف أبوهم * ... ... (البيت)

يريد أن الشعر إنما تخلّف عن أميره ليرثيه، ويُقيم رسم تعزيته عدّة أيام ثم يتبعه .

٣٨ ﴿نَعَيْنَاهُ حَتَّى لِلْغَزَالَةِ والسُّهَا   فَكُلٌّ تَمَنَّى لَوْفَدَاهُ مِنَ الحَتْمِ﴾

التبريزى : الغزالة : الشمس. يقال: إنما سميت بذلك لأنها تطلُع فى غَزالة النَّهار، أى فى أوله. قال الراجز :

---

(١) فى الخوارزمى : «أخو فهم» .

(٢) يقال الخليل الفرهودى، بضم الفاء والهاء، نسبة إلى فرهود : حى من يحمد، وهم بطن من الأزد يقال لهم الفراهيد، ويقال الفراهيدى نسبة إلى الأخير .

قالت له واضطجعتْ ألا فتًى[1] يسوق بالقوم غزَالاتِ الضُّحَى

وقال ذو الرُّمَّة :

فأشرفْتُ الغزالةَ رأسَ حَوْضَى لِأَنْظُرَهم فما أَغْنَى قِبَالَا[2]

والحَتْمُ : القَدَر المحتوم به ، أى الذى قد حكم بكونه . والشمس : النيِّر الأعظم . والسُّها : نجمٌ خَفِيٌّ . ومن أمثالهم : « أريها السُّهَا وتُرِيني القمر » ، أى أُريها ماخَفِى ، وتريني ما ظهر . قال الشاعر :

شكونا إليه خراب السَّوادِ[3] فحرّم فينا لُحُومَ البَقَرْ

كما قيل فى مَثَلٍ قد مضى أُرِيها السها وتُرِينى القَمَرْ

قال : و إنما سميت الشمس غزالة لأنها تمدّ حِبالها ، فكأنها غزل لها . قال أبو العلاء فيما قد قرأت عليه من كتابه المعروف بلزوم ما لا يلزم :

الغَزْلُ والرَّدنُ للغَوَانى خُلْقَانِ عُدًّا مِنَ الجَزَالَه[4]

الشمس غَزَّالةٌ ولكن خُفِّفتِ الزاىُ فى الغَزَالَه

الخوارزمى : سيأتى .

٣٩ (وَمَا كُلْفَةُ الْبَدْرِ الْمُنِيرِ قَدِيمَةً وَلَكِنَّهَا فِى وَجْهِهِ أَثَرُ اللَّدْمِ)

التبريزى : اللَّدْم : ضربُ المرأةِ وجهَها باليد . ويقال : لدمه بالحجر، إذا ضربه به . قال ابن مُقْبِل :

(١) فى اللسان (غزل) : * دعت سليمى دعوة هل من فتى *

(٢) فى الأصل : «فأشرقت» تصحيف صوابه من الديوان ٤٣١ . الغزالة ، بالنصب ، يقول أشرفت على رأس حوضى فى ساعة الغزالة . وحوضى : ماء لبنى طهمان ، ويقال حوضاء أيضا بالمد . أنظرهم : أرقبهم . وفى الديوان : «أراقبهم» .

(٣) انظر معجم البلدان فى رسم (السواد) . وقد سبق فى ص ٥٣٦ : « خراف العراق » وهو محرف . (٤) كذا جاءت الرواية هنا . وفى لزوم مالا يلزم : « شيئان عدا » .

وللفُؤاد وجيبٌ تحت أَبْهَرِهِ ... لَدْمَ الغُلامِ وراءَ الغَيبِ بالحَجَرِ

وكُلفة البدر : السواد الذى فيه .

الخوارزمى : كانت العرب إذا مات منهم مَنْ له قَدْرٌ رَكِب راكبٌ فرسا وجعل يَسير فى الناس وهو يقول : نَعَاءِ فلانًا؛ أى انْعَه وأظهر خبر وفاته . وهى على الكسر مبنيّة، مثل نَزَالِ وتَرَاكِ . الغزالة، هى الشمس؛ سميت بذلك لأنها تمدّ حبالًا فكأنها غزلٌ لها . ومن أبيات لزوم ما لا يلزم :

الغَزلُ والرُّدن للغَوانى ... خُلْقانِ عُدًّا من الجَزالَهْ[1]
والشمس غَزَّالةٌ ولكن ... خُفِّفتِ الزاىُ فى الغَزَالَهْ

هذا حتمٌ : مقضىٌّ . لَدَمتِ النائحةُ صدرَها وعَضُدَيْها ؛ وأما اللَّطْم فهو الضرب على الوجه ببسطِ الكف ، ولكمه بجمع كفه .

٤٠ (فيا مُزمعَ التَّوديعِ إنْ تُمسِ نائيًا ... فإنّكَ دانٍ فِى التَّخيُّلِ والوَهْمِ)

التبريزى : المزمع : العازم على الشىء .

الخوارزمى : أزمع الأمرَ وأزمع عليه، إذا ثبت عزمُه على إمضائه .

٤١ (كأنّكَ لَمْ تُجْوِرْ قَناةً ولَمْ تُجِرْ ... فَتاةً ولَمْ تُجْبِرْ أميرًا عَلَى حُكْمِ)

التبريزى : تُجْوِرْ ، من قولهم : أجورتُ القناةَ ، إذا طعنتَ بها الفارسَ وتركتها فيه، كأنك أردت أن يجرّها . قال الحادرة الذّبيانىّ :

ونُقِيمُ فى دارِ الحِفاظ بيوتَنا ... زمنًا ويَظْعَنُ غيرُنا لِلأَمْرَعِ[2]

(١) كذا . وانظر التنبيه الأخير من الصفحة السابقة .

(٢) انظر المفضليات (١ : ٤٣) طبع المعارف . يروى : «للأَمرع» بفتح الراء، أى بالموضع الأكثر مراعة وخصبا . وبضم الراء، جمع مرع، وهو الكلأ الخصب.

ونَقِي بصالح مَا لِنـا أحسابَنا ونُجِرُّ في الهَيجَا الرِّماحَ ونَدَّعى[1]

ونُجِرْ فتاةً، أى نُجيرها من ظالم . وتجبر أميرا، أى تكرهه على ما تريد .

الخــوارزمى : ســيأتى .

٤٢ (ووَجهَكَ لَمْ يُسفِرْ ونَارَكَ لَمْ تُنِرْ ورُمحَكَ لم يَعتِرْ وكَفَّكَ لَمْ تَهِمِ)

التــبريزى : أى كأنّ وجهك لم يُضِئْ في الحرب وعند السؤال، ونارك لم تُنِرْ للضِّيفان، وكأنّ كفّك بالعطاء لم تَهِمِ كما يَهمِى المطر . ولم يعتر، من قولهم: عتر الرمح، إذا اهتزّ . ويحتمل معنًى آخر، وهو أن يكون من عتره، إذا ذَبحه، أى كأنّك لم تطعن به فارسًا فتذبحه .

الخــوارزمى : أجرّه الرمحَ، إذا طعنه وتركه فيه يجره . قال :

* ونُجِــرُّ فى الهيجا الرماحَ وَنَدَّعِى *

وقال : * أُجِــرُّهُ الرُّمْحَ ولا تَهـالَهْ[2] *

عَتَر الرمحُ، أى اضطرب وتراجع فى اهتزازه . وسيف باتر، ورمح عاتر . يقول : كأن وجهك ما يضىء فى القتال، ولم يتهلّل عند السؤال . وهذا لأن الجبان يكفهرّ وجهُه عنــد محاربة العدى، والبخيل يكلح وقت بَذْل الندى . وكلا البيتين مشتملٌ على تسجيع مليح . «ونُجِير» مع قوله «نُجِرّ» تجنيس مذيل . ومع قوله « تجبر » أيضا تجنيس . و«قناة» مع «فتاة» تجنيس الخط .

---

(١) ويروى : «بآمن مالنا» بفتح الميم، أوثقه فى نفوسنا ؛ وبكسر الميم : ما قد أمن لنفاسته أن ينحر .

(٢) أنشــده فى اللسان (هول) وقال فى « تهاله » : « فتح اللام لسكون الهاء وسكون الألف قبلها . واختاروا الفتحة لأنها من جنس الألف التى قبلها ، فلما تحركت اللام لم يلتق ساكنان فتحذف الألف لالتقائهما » . وقبله :

٤٣ ﴿ تَقَرَّبَ[1] جبريلُ بروحِكَ صاعِدًا   إلى العَرْشِ يُهْدِيها لِجَدِّكَ والأُمّ ﴾

التبريزى : ... ...

الخوارزمى : أهدى له وإليه هدية . عَنَى بالجدّ محمدا صلى الله عليه وسلم ، وبالأمّ فاطمة رضوانُ الله عليها .

٤٤ ﴿ فَدُونَكَ مَخْتُومَ الرحيقِ فإنَّما   لِتَشْرَبَ مِنهُ كانَ يُحْفَظُ بالخَتْمِ ﴾

التبريزى : الرَّحيق : قيل هو العَتِيق من الخمر، وقيل هو الصافى .

الخوارزمى : تقديم قوله «لتشرب» على قوله «كان يحفظ بالختم» مليح .

٤٥ ﴿ ولا تَنْسَنِي في الحَشْرِ والحَوْضُ حَوْلَهُ   عصائبُ شَتّى بَيْنَ غُرٍّ إلى بُهْمِ ﴾

التبريزى : هذا مبنى على قول النبي صلى الله عليه وسلم فى الخبر فى أمّته : « انّهم يحشرون غُرًّا محجَّلين » لأجل الطهارة التى كانوا يتطهَّرون بها فى الدار العاجلة، وأنّ غيرَهم من الأمم بُهْمٌ، لا غُرَرَ لهم ولا حُجول[2] .

الخوارزمى : هذا مبنى على قوله عليه السلام فى أمته : « يحشرون غُرًّا محجَّلين من آثار الوضوء، وسائر الأمم يُحْشرون بُهْمًا» .

٤٦ ﴿ لَعَلَّكَ في يومِ القيامَةِ ذاكِرِي   فَتَسْأَلَ رَبِّي أنْ يُخَفِّفَ مِنْ إثْمِي ﴾

التبريزى : ... ...

الخوارزمى : هذا البيتُ يشهد لقائله بصفَاءِ الاعتقاد، وحسن الإيمان .

---

(١) الخوارزمى : « يقرب » .

(٢) أ من التبريزى : «ولا جبب» .

[القصيدة الثالثة والأربعون]

وقال أيضًا يرثى فقيها حنفيًا، من الخفيف الأول، والقافية متواتر [١] :

١ ﴿غَيْرُ مُجْدٍ فى مِلَّتِى وَاعْتِقَادِى   نَوْحُ بَاكٍ ولا تَرَنُّمُ شَادِى﴾

التـبريزى : مُجْدٍ : مُفعِل، مِن أجدى يجدى، فى معنى أغْنَى يُغْنِى . والمعنى أنّ الميّت إذا بُكِى عليه فذلك لاينفعه ولا ينفع باكيه، فكذلك الغناءُ ليس هو بشىء، وإذا نُظِر فى العاجلة وسُرعة زَوالها عُلِم أنّها كالخيال .

البطليـوسى : سـيأتى .

الخـوارزمى : سـيأتى .

٢ ﴿وَشَبِيهٌ صَـوْتُ النَّعِىِّ إذَا قِيـ   ـسَ بِصَوْتِ البَشِيرِ فى كُلِّ نَادِى﴾ [٢]

التـبريزى : النَّعِىّ : نعِىُّ الإنسان الذى يَنعاه . وأهل اللغة يَحكونه بالتشديد ويُنكِرون سكون العين، والقياس يُوجِب أنّهما جائزان . فالنعْىُ : مصدر، والنعِىُّ، بالتشديد، يجوز أن يكون مصدرا على فعيل، ويجوز أن يكون جاء فيه لغتان : ناعٍ ونعِىّ، كما قالوا عالم وعليم . قال الشاعر [٣] :

[٤] خيـلانِ من قَومِى ومن أعدائهمْ   خَفَضُـوا أسِنَّتَهـم فـكُلٌّ ناعِى

(١) فى أ من البطليوسى : «وقال يرثى الفقيه الحنفى أبا حمزة» . وفى حـ : «وقال أيضا من سقط الزند يرثى أبا حمزة الحنفى» . وعند الخوارزمى : «شرح الدالية . وقال أيضا فى الخفيف الأول والقافية من المتواتر يرثى فقيها حنفيا» .

(٢) من هذا البيت إلى البيت السادس ساقط من أ من التبريزى متنه وشرحه . والأبيات من الثالث والعشرين إلى آخر القصيدة وردت بدون شرح . (٣) هو الأجدع الهمدانى، كما فى اللسان (نعى) .

(٤) يقال : أنعى عليه ونعى عليه شيئا قبيحا، إذا قال تشنيعا عليه .

ويجوز أن يكون قولهم : جاءَ نعِيُّ فلان، أى الحديث الذى يُرفَع فيه ذِكره . يقال نَعَى فلانٌ أحاديثَ فلانٍ، إذا أظهرها . قال النابغة الذُّبيانى :

فَعَمَّا قَليـــلٍ ثم جاء نعِيُّـــهُ   فباتَ ندِىُّ القوم وهو ينوحُ

البطليـــوسى : المجْـدِى : النافع المغْنى . يقال : ما أجْدَى ولا أغْنَى ، بمعنًى واحد . والترنُّم : الغِناء . والشادى : المتغنِّى المطْرِب . والنعِىُّ، يكون مصدرا من نَعَى ينعَى، كالصهيل والشَّهيق، ويكون المنعِىَّ المبكِىَّ عليه ، ويكون الناعى الباكىَ، ويكونُ اسما للجميع، بمنزلة العبيد والكَليب . والنادى والندِىُّ : المجلس .

الخـــوارزمى : يروى : « إذا قيست » يقول : لا ينفع فى هذه الدنيا البكاء ولا الغناء، ولا الحَزن ولا السُّرور .

٣(أَبَكَتْ تِلْكُمُ الحَمَامَةُ أَمْ غَـ نَّـ تْ على فَرْعِ غُصْنِها المَيَّادِ)

التـــبريزى : المعنى أنّ الحمامة إنّمـا يُسمع لها صوتٌ، فيجعلُها قومٌ مغنِّيةً ، فيقولون : لا أفعل ذلك ما ناحَ الحمام . قال الشاعر[1] :

وأرَّقَـــنِى بالرَّىِّ نَـــوحُ حمـامة   فنُحْتُ وذو الشجوِ الغريبُ[2] ينوحُ
وناحَتْ وفَـرْخاها بحيثُ تراهمـا   ومِن دُون أفـراخِى مَهامِهُ فِيـحُ

فِيح : جمع أفْيح وفَيحاء، وهو الواسع . قال الشّاعر[3] :

وهَيّجَـــنِى صـــوتُ قُمْـــرِيّةٍ   هَتُــوفِ العشِىِّ طَروبِ الضُّحـا
مطـــوَّقةٍ لَبِســـتْ حُـــلّةً   بدعـــوةِ نُـــوحٍ لهـا إذ دَعا

(١) هو عوف بن محلم الشيبانى .
(٢) فى ى من التبريزى : «وذو الشجو القديم» . وفى الأمالى (١ : ١٣٠) : «وذو الشجو الحزين» .
(٣) هو جهم بن خلف . وانظر أبياتا من القصيدة فى الحيوان (٣ : ١٩٩) .

البطليوسى : لمّا ذكر أنّ النّوح والترنّم سواء فى حكم الاعتبار والقياس ، أتبَع ذلك بذكر صوت الحمام؛ لأنّ العربَ تجعلُه مرّة غناءً ومرة نَوْحا. فمّن جعله غناءً تَوبةُ بن الحُمَيِّر فى قوله (١) :

حَمامةَ بطنِ الوادِيَيْنِ ترنّمى سَقاكِ من الغُرِّ الغَوادِى مَطيرُها
أبِينى لَنا لا زال رِيشُك ناعمًا ولا زلْتِ فى خَضْراءَ غَضٍّ نَضيرُها

وممّن جعلَه نوحًا عوفُ بن محلِّم الشيبانىُّ فى قوله :

وأرّقَنى بالرّىّ نَوحُ حمامةٍ فنُحْتُ وذو الشّجوِ الغريبُ يَنوحُ

وقال آخر (٢) :

ألا قاتَلَ اللهُ الحمامةَ غُدْوةً على الأيكِ ماذا هيّجتْ حِينَ غنّتِ

وفَرع الغُصن : أعلاه . والمَيّاد : المنعطف .

الخوارزمى : الحمامة تُجعلُ تارة نائحة، وأخرى مغنّية . قال :

وأرّقَنِى بالرّىّ نَوحُ حمامةٍ فنُحْتُ وذُو الشّجوِ الغريبُ ينوحُ
فنَاحَتْ وفرخاها بحيثُ تراهما ومِن دون أفراخِى مَهامِهُ فِيحُ

وقال :

وهيّجَنِى صوتُ قُمْرِيّةٍ هَتُوفِ العَشىِّ طروبِ الضُّحَا
مطوّقةٍ كُميتَتْ حُلّةً بدَعوة نُوحٍ لها إذْ دعا

يقول: لا أدرى أنّ تلك الحمامةَ تبكِى أم تغنِّى، وأىَّ الصوتينِ تَعنِى؛ ولا أبحثُ عن ذلك لاستواءِ الأمرَينِ لدىّ، واتّحاد المعنَيينِ إلىّ .

(١) انظر الأمالى (١ : ١٣١) .
(٢) انظر الأمالى (١ : ١٣١) .

٤ (صَاحِ هَذِى قُبُورُنا تَمْلأُ الرُّحْـ بَ فَأَيْنَ القُبُورُ مِنْ عَهْدِ عَادِ)

التبريزى : المراد أن العالَمَ قديم العهد ؛ فقبور الأوائل تندرس ، وقبور المتأخِّرين تُعرف ، وكل ذلك إلى اندراس .

البطليوسى : سيأتى .

الخوارزمى : آنزل فى الرُّحب والسَّعة .

٥ (خَفِّفِ الوَطْءَ مَا أَظُنُّ أَدِيمَ الْـ أَرْضِ إلّا مِنْ هَذِهِ الأَجْسَادِ)

التبريزى : أديم الأرض : ظاهرها ، وقد استُعير الأديمُ للسّماء ؛ قال خداش ابن زُهير :

عَلى مثلِ قَيسٍ تُخمِشُ الأرْضُ وجهَها وتُلقِى السَّماءُ جِلدَها بالكواكبِ

فجعل للسماء جِلْدًا ، كما جعَل للأرض أديما . وقال هِميان بن قُحافة يصف الإبـل :

فَصبّحَتْ جابِيةً صُهارِجَا (١) تَخالُهُ جِـلْدَ السَّماءِ خَارِجا

البطليوسى : الرُّحب فى الأصل : مصدرٌ من قولهم : رحُب الشىء رحابةً ورُحْبا ، إذا اتّسع ، فهو رحيب ، ثم يسمى المكان المتّسع رُحباً ، كما يسمّى بالمصادر . و يوصف بها فى نحو قولهم : رجل عَدل و رِضًا . وأما الرَّحب ، بفتح الراء فصفة محضة ، وليس بمصدرٍ . وأديم كلّ شىءٍ : جِلدُه ؛ فسمّى وجهَ الأرض أديمًا على التمثيل ، كما قال الأعشى :

يَوْمًا تراها كشِبْهِ أرديةِ الْـ خِمْسِ و يومًا أديمُها نَغِلا (٢)

(١) الجابية : الحوض الضخم . والصهارج : المطلى بالصاروج . والبيت فى اللسان (صهرج) .

(٢) الخمس ، بالكسر : ضرب من برود اليمن . والبيت فى الديوان ١٥٥ واللسان (خمس) . وأديمها ، تقرأ بالرفع بجعل «نغلا» فعلا ، و بالنصب بجعل «نغلا» فعلا أو وصفا . و روى أبو عبيدة : « أ.دية القصب » .

وخصّ أديمَ الأرض، وإن كان الأبلغ فى المعنى الذى أراده أن يقول: ما أظن الأرضَ، من حيث كان الوطء على وجه الأرض، وكذلك دفنُ الموتى .

الخوارزمى : سيأتى .

٦ ﴿وَقَبِيحٌ بِنَا وَإِنْ قَدُمَ الْعَهْـ ـدُ هَوَانُ الآبَاءِ وَالأَجْدَادِ﴾

التبريزى : ... ...

البطليوسى : ... ...

الخوارزمى : أديم الأرض : ظاهرها . والبيت الثانى تقريرٌ للبيت المتقدم .

٧ ﴿سِرْ إِنِ ٱسْطَعْتَ فِى الْهَوَاءِ رُوَيْدًا لَا ٱخْتِيَالًا عَلَى رُفَاتِ الْعِبَادِ﴾(1)

التبريزى : آسطاع يَسْطِيع، بمعنى آستطاع يستطيع . وقالوا : هو بمعنى أطاع يطيع وأدخلوا السين فيه عوضا مما دخله من الأعتلال . فإذا كان بمعنى أطاع فألفه ألف قطع، تقول أَسطاع يُسْطيع بضم الياء . وإذا كان بمعنى آستطاع فألفه ألف وصل، تقول آسطاع يَسْطيع . وهذا أمرٌ للإنسان بحفظ السَّلَف، فإن آستطاع أن يمشىَ فى الهواء فليفعلْ؛ فإنه إذا وطئ الأرضَ إنّما يطأ ترابا متكوّنا من أجساد . والرُّفات : ما بَلِىَ من العظام .

البطليوسى : رُوَيدًا : كلمة معناها الترفق والترسل، وهى عند البصريِّين تصغير « إرواد » على جهة الترخيم . والفراء يراها تصغير « رُود » غيرَ مرخّمة، وحجّته قولُ الشاعر :

يكاد لا يَثلِم البطحاءَ وطْأتُه كأنّه ثَمِلٌ يمشى على رُودِ

والأختيال: التّبختر . والرُّفات : ما تكسر من كل شىء فيه صلابة كالعظْم وشبهه .

(1) الخوارزمى : « على رقاب العباد » .

الخوارزمى : تقول: آستطاع يَستطيع، ثم يقال: آسطاع يَسطيع، فيحذفون التاء لكونها مستثقلة مع الطاء. وقد يقال: أسطاع يُسطيع، يراد أطاع يطيع، فيزاد فيه السين. وقول أبى العلاء من الأوّل. الرِّقاب: جمع رقَبة، ويروى: «رفات» بالفاء والتاء.

٨ (رُبَّ لَحْدٍ قَدْ صَارَ لَحْدًا مِرَارًا ضَاحِكٍ مِنْ تَزَاحُمِ الأَضْدَادِ)

٩ (وَدَفِينٍ عَلَى بَقَايَا دَفِينٍ فِى طَوِيلِ(١) الأَزْمَانِ وَالآبَادِ)

التبريزى : جمع أَبد، وهو الدّهر.

البطليوسى : اللَّحد : القبْر إذا أُميلَ بالميّت إلى أحد شقّيه، فإنْ دُفن فى وسطه من غير آنحرافٍ إلى أحد الشقين فهو الضَّريح. والآباد: الأزمنة، واحدها أَبَد. والوجه أن تُجعل الآبادُ هاهنا الدُّهورَ؛ لأنه قد ذكر الأزمان، وإذا أمكن أن يكون لكل واحدٍ من اللفظين معنى كان أولَى. والفرق بين الزمن والدهر، أنّ الزّمن مدّة الأشياءِ المتحرّكة، والدّهرَ مدّةُ الأشياءِ الساكنة؛ ويقال: الزّمن مُدّة الأشياء المحسوسة، والدّهر مدّة الأشياء المعقولة. وأما فى اللغة العربية فالغالب عليهما أن يُستعمَلا بمعنى واحد. وقد فرّقوا بينهما فى مواضعَ ليس هذا موضعَ ذكرها.

الخوارزمى : الفورى: حكى قُطرب أن ابن عبّاس كان يقول: (فَضَحِكَتْ): فعجِبَتْ من فزَع إبراهيم. وينشد:

* ضحِكت مَيّة إذْ هازلتُها *

أى عجِبَتْ. الآباد: جمع أبَد، وهو الدهر. يقول: ذلك اللّحد يتعجب من اجتماع الأخيارِ والأشرارِ فيه. والبيت الثانى تقريرٌ للبيت المتقدم.

(١) البطليوسى: «طوال».

١٠ (فَاسْأَلِ الفَرْقَدَيْنِ عَمَّنْ أَحَسَّا ‏ ‏ ‏ ‏ مِنْ قَبِيلٍ وَآنَسَا مِنْ بِلَادِ)

١١ (كَمْ أَقَامَا عَلَى زَوَالِ نَهَارٍ(١) ‏ ‏ ‏ ‏ وَأَنَارَا لِمُدْلِجٍ فِي سَوَادِ)

التبريزى : فى سوادٍ : فى ليل . والإدلاج لا يكون إلّا فى اللّيل . وقوله : «كم أقاما» يريد الفرقدين .

البطليوسى : آنَسا : أبْصَرا . والمُدْلِج : الذى يَسير الليلَ كله . وخص الفرقدين بالذِّكر، وقد كان يمكنه ذِكْرُ غيرِهما، اتِّباعاً لمذاهب العرب ؛ لأنهم كانوا يصفُون الفرقدين بطُول الصحبة ودَوام الأُلفة . وقد أكثروا من ذلك حتى صار عندهم كالمثل . قال عمرو بن مَعدِيكَرِب :

وكلُّ أخٍ مُفارِقُهُ أخوهُ ‏ ‏ ‏ ‏ لَعَمْرُ أبيكَ إلّا الفَرْقَدانِ

ألا تَرى كيف خصهما بالاستثناء ، وهو قد شاهَدَ من حالِ غيرهما مثلَ الذى شاهَدَ من حالها . وقال آخر(٢) :

وهل حُدِّثْتَ عن أخَوَيْنِ داما ‏ ‏ ‏ ‏ على الأيّامِ إلا ابْنَيْ شَمَامِ

وإلّا الفرقَدينِ وآلَ نَعْشٍ ‏ ‏ ‏ ‏ خَوالِدَ ما تحَدَّثُ بانْهِدامِ

الخوارزمى : خصّ الفرقدين لـما مرّ فى : «علاني»(٣) .

١٢ (تَعَبٌ كُلُّهَا الحَيَاةُ فَمَا أَعْـ ‏ ‏ ‏ ‏ ـجَبُ إلَّا مِنْ رَاغِبٍ فِي ازْدِيَادِ)

التبريزى : تقديره : الحياة كلها تعب . فـ«الحياة» مبتدأ أوّل ، و «كلّها» مبتدأ ثان ، و «تعب» خبر المبتدأ الثانى ، والمبتدأ الثانى وخبره خبر عن المبتدأ الأوّل ، وتكون الجملة التى هى خبر قد تقدّمت على المبتدأ .

البطليوسى : ... ...

(١) البطليوسى : «ضياء نهار» . (٢) هو لبيد ، كما فى اللسان (شمم) . وانظر ديوانه ص ١٣٥ طبع فينا ١٨٨٠ . (٣) انظر البيت ١١ من القصيدة ١٤ ص ٣٤٢ .

الخــوارزمى : «الحياة» مرتفع بالابتداء، و«تعب» خبره . قوله : «كلها»، مرفوع على البدل من الضمير المستكنّ فى «تعب» . ونظير هذا البدل : الكتاب قوىٌّ كلُّه . ومما يُنْسَب إلى جار الله[1] :

يا حبَّـذا الدُّنيا وطيبُ نَسيمِها لودامَتِ الدُّنيـا لقائِلِ حَبَّـذا

قالوا أذَى هــذِى الحيـاةُ وكُلُّهمْ لَهِــجٌ بأن يبقى لهم هــذا الأذَى

١٣﴿ إنَّ حُزْنًا فى سَاعَةِ الفَوْتِ[2] أضْعَا فُ سُرُورٍ فى سَاعَةِ المِيلَادِ ﴾[3]

التــبريزى : أى سرور الميلاد لا يَفِى بحُزن الموت .

البطليــوسى : القياس فى «الميلاد» أن يكون اسما ٱستُعمِل استعمالَ المصادر ؛ لأنّ مفعالًا ليس من أمثلة المصادر المشهورة . ومثله الميثاق، فى نحو قوله تعالى: ﴿ يَنْقُضُونَ عَهْـدَ اللهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ ﴾ . والمصدر الصحيح الوِلادة والمولِد، وكذلك الإيثاق .

الخــوارزمى : ويروى : «فى ساعة الموت» .

١٤﴿ خُلِقَ النَّاسُ لِلْبَقَاءِ فَضَلَّتْ أُمَّـةٌ يَحْسَـبُونَهـمْ لِلنَّفَـادِ ﴾

التــبريزى : معناه أنّ أصحاب الشَّرع مُجمِعونَ على أن بعــد الدنيا آخرةً تبقى فيها النُّفوس، إما فى خير و إما فى شرّ . وقد حُكِىَ عن أفلاطونَ الحكيم أن النفس الخيِّرة تكون مُبَقّاةً فى الآخرة، وأنّ النَّفْس المسيئةَ ليس لها بعد الموت بقاء . ورُوِى عن أرسطاطاليس أنّه كان يدَّعى بقاء النفس الطاهرة والخبيثة .

البطليــوسى : ســيأتى .

الخــوارزمى : ســيأتى .

---

(١) البيتان التاليان ليسا فى ديوانه المخطوط . (٢) أ من البطليوسى، و ى من التبريزى والتنوير والديوان المخطوط : «الموت» بالميم . (٣) حـ من التبريزى : «الفوت» .

١٥ (إنَّمَا يُنْقَلُونَ مِنْ دَارِ أَعْمَا ... لٍ إِلَى دَارِ شِقْوَةٍ أَوْ رَشَادِ)

التبريزى : ... ...

البطليوسى : النَّفاد : الهلاك . وهذا منظوم من قول عمر بن عبد العزيز : «أيُّها النّاس ، إنّما خُلِقتم للأبد ، وإنّما تُنقَلون من دار إلى دار» . وكان أفلاطونُ يرى أنّ النّفسَ الخيِّرة باقيةٌ بعد الموت ، وأنّ النّفس الشِّرّيرةَ لا بقاءَ لها . وكان أرسطوطاليس مبرِّزُ اليونانيين، يرى أنّ للنُّفوس بعد الموت ثلاثَ مراتب ، فمنها ما يبقى سعيدا منعَّما، ومنها ما يبقَى شقيا معذبا، ومنها ما يَنحلُّ بانحلالِ جسمه. وقد حُكِيَ نحوُ ذلك عن أفلاطون، وهو عندى أشبهُ بمذهبه، وهو الذى حكاه الفارابىّ.

وقد اتَّفقت الشّرائعُ كلُّها على بقاء النُّفوس كلِّها خيِّرِها وشِرِّيرِها، وهو الصحيح الذى تدلُّ عليه البراهين، وما عدا ذلك فباطلٌ عند التحصيل .

الخوارزمى : كلاهما من كلام علىّ رضى الله عنه : « أيها النـاس، إنما خُلِقنا للبقاء لا للفَناء، وكلكم من دار إلى دار تُنقَلون، فتزوّدوا لِمَا أنتم صائرون إليه، خالدون فيه» . هذان البيتان شاهدا عدلٍ على تمسك قائلهما بعُرَى الإيمان .

١٦ (ضَجْعَةُ الْمَوْتِ رَقْدَةٌ يَسْتَرِيحُ الْـ ... ـجِسْمُ فِيهَا وَالْعَيْشُ مِثْلُ السُّهَادِ)

التبريزى : ... ...

البطليوسى : شبه أبو العلاء الحياةَ بحال اليقَظة ، وحالَ الموتِ بحال النَّوم ، وهو خلافُ قولِه صلى الله عليه وسلم : «النَّاس نيامٌ فإذا ماتُوا انتَبهوا » . وسنتكلَّم على هذا إذا انتهينا إلى قوله :

وبينَ الرَّدى والنومِ قُربَى ونِسبةٌ ... وشتَّانَ بُرْءٌ للنفوس وإعلالُ (١)

(١) البيت ٩ من القصيدة ٧٢ .

والضَّجعة، بفتح الضاد : المرّة الواحدة مِن الاضطجاع . والضِّجعة ، بكسر الضاد، هيئة الأضطجاع. ونُصْبَته .·وقد رُوِى بيت آمرئ القيس بالوجهين، وهو :

فباتَ عَـلَى خـدًّ أحمَّ ومَنْكِبٍ وضِجْعته مثـل الأسـيرِ المُكَرْدِسِ [1]

الخـــوارزمى : فى هذا البيت تفضيلُ الموت على الحياة .

١٧ ﴿أَبَنَاتِ الهَدِيلِ أَسْعِدْنَ أَوْ عِدْ نَ قَلِيـلَ العَـزَاءِ بِالإِسْـعَادِ﴾

التـــبريزى : ... ...

البطليـــوسى : ســـيأتى .

الخـــوارزمى : الهديل : الذّكر من الحمام . قال :

* ونوحُ الحمامةِ تدعُو هَدِيلا * [2]

عن الغورى . هدل الحمامُ هديلًا . وبناتُ الهديلِ : هى الحمام .

١٨ ﴿إِيـــهِ لله دَرُّكُنَّ فَأَنْتُنَّ اللَّوَاتِى يُحْسِنَّ [3] حِفْظَ الوِدَادِ﴾

التـــبريزى : إيه، كلمةٌ تُقال للإنسان إذا استُزِيد من حديثه، تنوَّن ولا تنوَّن. وعندهم أنّها فى التنوين نكرة، وفى الطَّرح معرفة . قال ذو الرّمة :

وقَفْنَا فقُلْنا إيهٍ عن أمِّ سالمٍ * ومـا بالُ تكليم الديار البَـلاقعِ [4]

نسب الحمامَ إلى حِفْظ الوداد، لأن أصحابَ الرواية يحكون أن الهـديلَ فرخٌ من أفـراخ الحمـام هلك على عهـد نُوح ، فالحمام تبكى عليه إلى اليـوم . وكذلك قال نُصَيب :

---

(١) البيت فى اللسان (كردس) وليس فى قصيدته التى على هـذا الروى فى ديوانه . والمكردس : الموثق بالوثاق . (٢) عجز بيت من أبيات سيبويه الخمسين التى لم يعرف لها قائل . ونقل العينى نسبته إلى العباس بن مرداس . انظر الخزانة (١ : ٥٧٣ — ٥٧٥) . وصدره :

* يذكرنيك حنين العجول *

(٣) الخوارزمى والتنوير والديوان المخطوط : « تحسن » . (٤) انظر ديوانه ص ٣٥٦ .

فقلتُ أتبكى ذاتُ طَوقٍ تذَكَّرَتْ هَديلًا وقــد أَوْدَى وما كانَ تُبَّعُ

البطليـــوسى : بناتُ الهديل : الحمام . والهَديل : فرخٌ تزعم العرب أنه كان فى عهد نوح ، فصاده جارحٌ من جوارح الطَّير ، فالحمامُ تَبكى عليه إلى يوم القيامة ؛ ولذلك قال :

... ... فأنتُنَّ * اللَّواتى يُحسِنَّ حِفْظَ الوِداد

وفى هذا المعنى قال الكميتُ لقُضاعةَ حين تَيَمَّنَتْ :

وما مَنْ تَهتِفينَ به لِنصرٍ بأقربَ جابةً لكِ مِن هَديلِ (١)

والهديل أيضًا : صوتُ الحمام ، يقال : هدَل يَهدِل هديلًا ، وهدَرَ يهدِر هديرًا .

والهديل أيضًا : فرخ الحمام ، أىَّ فرخ كان . قال جِرانُ العَوْد :

كأنَّ الهديلَ الظَّالعَ الرِّجلِ وَسْطَها مِنَ البَــغْيِ شِرِّيبٌ بغَــزَّةَ مُتْرَفُ (٢)

ويروى « يغرد » . والإسعاد : المساعدة والموافقة . وإيه : كلمةٌ معناها الاستزادة مبنية على الكسر ، فإذا نُونت كانت نكرة ، وإذا لم تنوَّن كانت معرفة .

الخـــوارزمى : ســـيأتى .

١٩ (مَا نَسِيتُنَّ هَالِكًا فى الأَوَانِ الْـ ـخَالِ أَوْدَى مِنْ قَبْلِ هُلْكِ إِيَادِ)

التـــبريزى : حُذفت الياءُ من « الخال » وهى لغةٌ عند القرّاء ، وضرورةٌ عند سيبويه . ومن ذلك قولُ حسّان :

نَشدْتُ بنى النَّجَّارِ أَفعــالَ والدى إذا العانِ لم يُوجَدْ له من يُوارِعُهْ (٣)

العانِ : الأسير ، حذف منه الياء . ويوارعه ، أى يراجعه كلامًا .

---

(١) جابة ، أى إجابة . (٢) فى الأصل : « بعزة » . وفى الديوان ١٣ : « يغرد مترف » وفسره بقوله « مترف : منعم » . والمتزف : الذى أنزفت الخمر عقله .

(٣) فى اللسان (ورع) : « ويروى : يوازعه » . حـ ، ى : « يوازعه » .

البطليوسى : يعنى بالهالك الهديلَ الذى قدّمنا ذكره . والهالِ : الماضى، وحذف منه الياءُ اكتفاءً بالكسرة منها ، وهو جارٍ عند سيبويه مجرى الضّرورة ، والفرّاء يراها لغة . ومثله قولُ الأعشى :

وأخو الغَوانِ مَتَى يشأْ يصرِمْنَـهُ ويَكُـنَّ أعداءً بُعَيْدَ وِدادِ (1)

والأَوان : الزَّمان، وجمعه آونة . وقد حُكى «إوان» بكسر الهمزة . وأودَى : هلَك . وإياد : قبيلة .

الخوارزمى : عنى بقوله «هالكًا» الهديل، وهو فرخ كان على عهد نوح، فصاده جارحٌ مِن جَوارح الطير . وقيل : كان فى عهد نوح فمات ضَيْعة وعَطَشا ، ذكره الغورى . قال نُصيب :

فقلتُ أتَبكى ذاتُ طوقٍ تذكَّرَتْ هَدِيلًا وقد أودَى وما كانَ تُبَّعُ

الهال، هوالهالى، وإنّما حذف الياء فى مثل هذا المقام تشبيهًا لها بالياء الساقطة لدخول التنوين، كقوله ماضٍ، أنشد سيبويه لخُفاف بن نُدْبة :

* كنَوَاحِ ريشِ حمامةٍ نجديّةٍ * (2)

وأنشد أيضًا :

* دَوامِى الأيدِ يخبِطْنَ السَّرِيحا * (3)

إياد : حىٌّ . قال :

* من إيادِ بن نِزار بن معَدّ *

(1) الإنصاف ١٦٩ ، ٢٢٢ ، وسيبويه (١ : ١٠) . ورواية الديوان ٩٨ :

وأخو النساء متى يشأ يصرمنه ويكن أعداء بعيد وداد

(2) صدر بيت . وعجزه ، كما فى كتاب سيبويه (١ : ٩) :

* ومسحت باللثتين عصف الإثمد *

(3) من بيت لخفاف ، وصدره كما فى كتاب سيبويه (١ : ٩) :

* فطرت بمنصلى فى يعملات *

والسريح : جلود أو خرق تشدّ على أخفاف الإبل . يصف الإبل بأنها قد حفيت لإدمان السير، ودميت أخفافها فشدّ عليها السريح فهى تخبطه .

٢٠ (بَيْدَ أَنِّى لَا أَرْتَضِى مَا فَعَلْتُنَّ وَأَطْوَاقُكُنَّ فى الأَجْيَادِ)

التبريزى : بَيْدَ، فى معنى «غير». وربَّما قالوا : هى فى معنى «مِن أجل». وفى حديث النبى صلى الله عليه وسلم : «أنا أفصح العرب بيدَ أنّى من قُريش، واستُرضِعْت فى سَعدِ بنِ بكر» أى من أجل أنّى . قال الراجز :

عَمْدًا فعلتُ ذاكِ بيدَ أنِّى إخالُ إنْ هَلَكْتُ لم تُرِنِّى[1]

البطليوسى : بَيْدَ، كلمةٌ مبنيّة على الفتح، يراد بها معنى «غير» ، هذا قول الكسائىّ . وقال الأموىّ : هى بمعنى « على » . وقيل : بمعنى « من أجل » . قال صلى الله عليه وآله وسلم : «أنا أفصح العربِ بَيْدَ أنّى من قريش، واستُرضِعت فى سعد بن بكر» . وقال الراجز :

عَمْدًا فعلتُ ذاكِ بيدَ أنِّى إخالُ إنْ هَلَكْتُ لم تُرِنِّى

والأجياد : الأعناق .

الخوارزمى : هو كثير المال بيد أنّه بخيل .

٢١ (فَتَسَلَّبْنَ وَاسْتَعِرْنَ جَمِيعًا مِنْ قَمِيصِ الدُّجَى ثِيَابَ حِدَادِ)

التبريزى : يقال : تسلَّبتِ النّائحةُ أو الثّاكل، إذا نزعتْ ثيابَها ولبستْ ثيابًا سودًا . ويقال إن السِّلاب ثوب من جُلود، قال لَبيد :

وأبِّنَا مُلاعِبَ الرِّماحِ[2] فى السُّلُبِ السُّودِ وفى الأمْسَاحِ

(١) البيت فى اللسان مادة (بيد) لرجل يخاطب امرأة . ورن وأرن : صاح .

(٢) قبله كما فى اللسان (أبن) :

* قوما تجوبان مع الأنواح *

وفى مادة (نوح) : * قوما تنوحان مع الأنواح *

وانظر اللسان مادتى (سلب ، ومسح) .

السُّلب : جمع سِلاب . والأمساح : جمع مِسْح . والمعنى أنّه أمرهنّ بأن يلبَسْنَ لباسَ الحُزْن ، ويضَعْنَ الأطواقَ عن أعناقهنّ ، وهن لا يصلنَ إلى ذلك .

البطليوسى : يجوز أن يريد بقوله «تسلّبن» تجرّدن من ملَبَسكن الذى تلبَسْنه ، ويجوز أن يريد البَسْن السِّلاب ، وهو مَلبَسٌ أسودُ يُلبَس عند الحزن ، يقال سَلَّبَت المرأةُ على زَوجها وتسلّبت ، قال عنترة :

وقد كنتُ أخشَى أن أموتَ ولم تقُمْ قرائبُ عمرٍو وسْطَ نَوْحٍ مسلّب

وأنشد أبو زيد فى نوادره :

هل تخمِشَنْ إبلِى علىّ وجُوهها أو تَعْصِبَنّ[1] رءُوسَها بسِلابِ

والدُّجَى : جمع دُجْية ، وهى الظُّلمة . والحِداد نحو السِّلاب ، ويكون مصدَرا واسما .

الخوارزمى : لبِسَت الثّكلَى السِّلاب ، وهو الحِداد . وتسلّبتْ على ميّتها .

٢٢ (ثُمَّ غَرِّدْنَ فى المآتِمِ وَانْدُبْـنَ بِشَجْوٍ مَعَ الغَوَانِى الْحِرَادِ)

التبريزى : التغريد : ترديدُ الصّوت . والمآتم : جمع مأتَم ، وهو مُجْمَعُ النّساء فى نِياحةٍ أو غيرِها . وقيل : إن المأتم قد يُستعمل فى الرِّجال ، وذلك قليل جدا . فأمّا المأتم فى معنى النساء ، وإن لم يكنّ فى حزْنٍ ، فمنه قولُ الشاعر[2] :

رمَتْه أَناةٌ مِن رَبيعة عامرٍ رَقُود الضحى فى مَأْتَمٍ أىِّ مَأتَمِ

البطليوسى : المآتم : جمع مأتم ، وهنّ النساءُ يجتمِعْن فى الخير والشرّ ، وربّما قيل لجماعة الرِّجال ، قال الراجز :

* كما تَرَى حَوْلَ الأميرِ المأْتَما[3] *

(١) فى نوادر أبى زيد ص ٢ : «أم تعصبن» .

(٢) فى اللسان (أتم ، أنى) نسب البيت لأبى حية النميرى . والأناة : المرأة الحليمة البطيئة القيام .

(٣) صدره كما فى اللسان (أتم) : * حتى تراهن لديه قيما *

والنَّدْب : البكاء على الميّت ، وكذلك النـدبة . والشَّجو : الحـزن . والغواني : جمع غانية ، وهى التى غَنِيتْ بجمالها عن الزينة ، وقيـل : هى التى غنِيَتْ فى بيت أبويْهَا ، أى بقيت . والخِراد : جمع خَريدةٍ ، وهى الشديدة الحَياء .

الخـــوارزمى : الخِراد ، فيما أظن : جمع خَرُود . يقال جارية خَرُود . ونحوها لِقاحٌ فى جمع لَقوح ، وقلاص فى جمع قَلوص . قال المبرِّد : إنمـا جُمِـع قلوصٌ على قِلاص لأنّه فى الأصل نعت . وهذا نص منه على أن فعولا إذا كان صفة فإنه على فِعالٍ يجمع .

٢٣ ﴿قَصَدَ الدَّهْرُ مِنْ أَبِي حَمْزَةَ الأَ وَّابِ مَوْلَى حِجًا وخِدْنَ اقْتِصَادِ﴾

التـــبريزى : الأوّاب : الذى يسبح الله نهارَه إلى الليل . والاقتصاد : أن يكون الإنسانُ غيرَ مسرفٍ فى الأشـيـاء . واشتقاق حمـزة من قولهم : حَمَزَ قلبَـه الوجْدُ ، إذا قبَضَه وأحْرقه . قال الشّماخ :

فلمّـا شراها[1] فاضَتِ العَـيْنُ عَبْرَةً وفى الصَّدرِ حَزّازٌ من الوَجْدِ حامِزُ

وذكر بعضُ أهلِ اللُّغـة أنّ ولدَ الأسدِ يقال له حمـزة . وليس ذلك بمعروف . والحديث الذى ذكره آبن قتيبة معروف ، وهو أن أنَس بنَ مالكٍ قال : « كَنّانى رسول الله صلى الله عليه وسلم ببقلةٍ كنتُ أجْتَنِيها» . وكان يكنى أبا حمزة .

البطليـــوسى : الأوّاب : الراجع إلى الله تعالى المُعْرِض عن الدنيا، وهو مشتقٌّ من آب يؤوب ، إذا رجَع ، وبُنِيَ على فعّال للمبالغة . والمولَى هاهنا : الصاحب . والحِجا : العقْل. فأهل البصرة يكتُبونه بالألف، والكوفيُّون يكتبونه بالياء . والخِدن والخَدين : الصديق . والاقتصاد : القَصْد فى الأمور وتركُ الغلو فيها .

(١) شراها : باعها . يريد قوسا . وانظر الديوان ص ٤٩ .

الخـــوارزى : « من » فى قوله « من أبى حمزة » للتجريد . و « قَصَد » مع « الاقتصاد » تجنيس .

٢٤ (وَفَقِيهًا أَفْـكَارُهُ شِـدْنَ لِلنُّعْـ ـمَانِ مَا لَمْ يَشِـدْهُ شِـعْرُ زِيَادِ)

التـــبريزى : المعـنى أنّ أبا حنيفة ٱسمه النُّعمان ، وكان هـذا المرثىُّ يتفقّه لأبى حنيفة . وزياد ، هو نابغة بنى ذُبيان ، وكان مَدّاحا للنُّعمان بن المنذر، فكأن هذا المرثىّ كان يُؤجَر به النعمان الذى هو أبو حنيفة ، والنعمان بن المنذر لا يؤجر بمدائح زِياد .

البطليـــوسى : يَعنِى بالنُّعمان أبا حنيفة . وكان المرثى بهـذه القصيدة يتفقّه على مذهب أبى حَنيفة ، ويحتجّ له على المـالكية والشّافعية . ويعنى بزِيادٍ النّابغةَ الذُّبيانِىّ ، وكان يمدح النعمانَ بنَ المنذر . فأراد أن هذا المرثى شاد للنُّعمان الذى هو أبوحنيفة، من الذكر والشرف ، بلُطف أفكاره ، ما لم يَشِدْهُ النّابغةُ للنعمان ، الذى هو ابن المنذر، بحُسن أشعاره . ومَدَح النّابغة ثلاثةَ ملوكٍ، كلّ واحد منهم يسمى النعمان : أحدهم النعمان بن المنذر اللخمىّ ، الذى يقول فيه :

فتـلك تُبْلِغُـنِى النُّعمانَ إنّ لـه فضلا على النّاس فى الأدْنَى وفى البَعَدِ

والثانى النعمان بن الحارث الغسّانى، وهو الذى رثاه بالقصيدة التى يقول فيها :

يَسِـير بهـا النُّعمانُ تَغْـلِى قُدورهُ تَجِيش بأسـباب المنـايا المراجلُ

والثالث النعمان بن الجُلَاح، وهو الذى يقول فيه :

يقـودُهمُ النُّعمانُ منـه بمُحْصَفٍ وكيـدٍ يَغُـمُّ الخارجىَّ مُنَـاجِدِ (١)

الخـــوارزى : النُّعمان، هو الإمام أبوحنيفة رحمه الله: «زياد» فى « أفوق البدر يوضع » (٢) . يُريد مالم يَبْنه شعرُ النّابغة للنُّعمان بن المنذر .

(١) بمحصف ، أى برأى محكم . والخارجى : الذى خرج بنفسه لا أول له . ومناجد : مقاتل .
(٢) القصيدة السادسة البيت ٤٥ ص ٣٢١ .

٢٥ (فَالعِرَاقِىُّ بَعْدَهُ لِلْحِجَازِىِّ قَلِيلُ الخِلَافِ سَهْلُ القِيَادِ)[1]

التبريزى : يعنى أنه قد هذَّب الفقهَ، وأوضح ما كان يُختلَف فيه، فلما اتّضح زالَ الخلاف، وصارت الأقوال كلُّها فيما كان يختلف فيه قولا واحدا .

البطليوسى : أراد أن هذا المرثىَّ كان يحتجُّ للعراقيِّين على الحجازيِّين ، فلمَّا ماتَ لم يبْقَ مَن يحتجّ لهم، فصار العراقىّ قليلَ المخالفة للحجازىّ، منقادا له ، ضَعفًا عن نصر مذهبه والقيام بحجّته .

الخوارزمى : العراقىُّ، هو الإمام الأعظمُ أبو حنيفة النّعمانُ بنُ ثابت رحمه الله، فقيهُ أهلِ العراق ، وهو من أهل الكوفة ، نقله أبو جعفرٍ المنصورُ إلى بغداد . وُلد سنةَ ثمانين، ومات سنة مائة وخمسين، ودفن فى مَقْبُرة الخيزُران . وفى كلامهم: فلانٌ عِراقىّ المذهب، أى حنفىّ. الحجازىّ، هو الإمام محمد بن إدريس بن العباس آبن عثمان بن شافع بن السّائب بن عبيد بن عبد يزيد بن هاشم بن المطلب بن عبد مناف، أبو عبد الله الشافعى. وفى كلام هارون الرشيد: «ما فعل الحجازىّ؟» . يريد الشافعى . ولد بغزّة من الشام، وقيل باليمن، ومات بمصر فى سلخ رجب سنة أربع ومائتين، وهناك قبره . يقول : أبو حنيفةَ وأصحابُه[2]، رحمةُ الله عليهم، إنما كانوا يَصُولُون على الشافعىّ بمعاونةٍ من هذا المرثىّ، فالآنَ لما مات فترَت صولتُهم، وانكسرت شَوكتُهم . وهذا من أكاذيب الشُّعراء . وقيل : بل معناه أنَّ هذا المرثىَّ بآستخراج الأدلّة والمآخذ قد مهّد قواعدَ الفقه ؛ فلذلك قل فى الفروع الاختلاف ، وصارت الأقاويل المتباينة قريبا بعضُها من بعض . والأولُ إلى المرادِ أقرب .

(١) البيت وشرحه ساقطان من ا من البطليوسى . (٢) كذا . وإنما كان مولد الشافعى يوم وفاة أبى حنيفة ، فلا يتصور التحامل منه على أبى حنيفة .

٢٦ (وَخَطِيبًا لَوْ قَامَ بينَ وُحُـوشٍ عَـلَّمَ الضَّارِيَاتِ بِرَّ النِّقَـادِ)

التبريزى : النِّقاد : غنمٌ صِغار . والمعنى أنّه خطيبٌ لو وَعَظَ الأسودَ والذِّئاب لعلَّمهُنّ بِرَّ الغنم[1] . والضّاريات : السِّباع .

البطليوسى : الضاريات : الأسد والذئاب . والنقاد : صغار الغنم . يقول : لو خَطَب بينَ الوُحوش ووَعظَها ، لم تَعْدُ السباع على الغنَم ، لحُسْن بيانِه وموعظتِه ، وخُلوصِ معتَقَده وطوِيّته ؛ لأنّ الموعظةَ إذا خرجَتْ من القلب وقعَتْ فى القلب وإن خرجَتْ من اللِّسان ، لم تجاوزِ الآذان .

الخوارزمى : يصف لُطفَ كلامِه ورقّةَ موعظته .

٢٧ (رَاوِيًا لِلْحَدِيثِ لَمْ يُحْوِجِ المَعْـ ـرُوفُ مِنْ صِدقِهِ إلى الإِسْنَادِ)

التبريزى : ... ...

البطليوسى : سيأتى .

الخوارزمى : فيه إيحاءٌ إلى أنَّ المَرَاسيلَ أضعَفُ من المَسَانيد .

٢٨ (أَنْفَقَ الْعُمْرَ نَاسِكًا يَطْلُبُ العِلْـ ـمَ بِكَشْفٍ عَنْ أَصْلِهِ وَانْتِقَادِ)

التبريزى : ... ...

البطليوسى : يقول : لم يكنْ من أهل التقليد المقتصرين فى علمهم على الرِّواية ، ولكنّه كانَ ممّن يكشف عن أصولِ المقالات ، وينتقدُ الحديثَ فلا يأخذه إلا عن الثِّقات .

الخوارزمى : ويروى « بانتقاد » بالباء .

---

(١) لعلمهن بر الغنم ، هذه من ى فقط .

٢٩ ﴿مُسْتَقِي الكَفِّ مِنْ قَلِيبِ زُجَاجٍ بِغُـرُوبِ الـيَرَاعِ مَاءَ مِـدَادِ﴾

التـــبريزى : قَليب زُجاج ، يعني المَحْبرة . وغُرُوب اليَرَاع : الأقلام . واليَرَاع : القصب ، واحدته يَرَاعة . والغَرْب : الحدّ . والغَرب : الدَّلو . والبيت يحتمل الوجهين ، يجوز أن يكون المراد أنَّه لما جعل المِحبرة قَليبًا جعل أقلامَها غُروبًا ، أى دِلاءً يُستقَى بها . ويجوز أن يكون المراد حَدّ الأقلام .

البطليـــوسى : ســـيأتى .

الخـــوارزمى : عنى بالغُروب : شَفَراتِ الأقلام ، وهى مع المستقى والقَليب إيهام .

٣٠ ﴿ذَا بَنَانٍ لَا تَلْمَسُ(١) الذَّهَبَ الأَحْـ ـمَرَ زُهْدًا فِي العَسْجَدِ المُسْتَفَادِ﴾

التـــبريزى : ... ...

البطليـــوسى : القليب : البئر . والغُروب : الدِّلاء ، واحدها غَرْب . واليَرَاع : القَصَب . شبَّه الدّواة بالبئر ، والقلم بالدَّلو ، والمداد بالماء ، تَتميمًا للصنعة ، وإكمالا للاستعارة . والبَنَان : الأصابع . والعَسْجَد : الذّهب .

الخـــوارزمى : قوله « زهـدا فى العسجد المستفاد » من إقامة المُظْهَر مُقامَ المضمَر ، وأصلُ الكلام « زهدًا فيه » ، وذلك بابٌ(٢) من العربية .

٣١ ﴿وَدِّعَا أَيُّهَا الحَفِيَّانِ ذَاكَ الشْـ ـشَخْصَ إِنَّ الوَدَاعَ أَيْسَرُ زَادِ﴾

التـــبريزى : ... ...

البطليـــوسى : ســـيأتى .

---

(١) فى حـ من البطليوسى والخوارزمى : « لا يلمس » . وفى أ من البطليوسى : « لا يلبس » .

(٢) فى الأصل : « من باب العربية » .

الخوارزمى : الخطاب فى « وَدِّعا » للرجُلين اللذين تولّيا دفنه . فى أساس البلاغة : « هو حسن التّحفِّى بقومه، وحَفِيٌّ بهم » .

٣٢ (وَاغسِلاهُ بِالدَّمعِ إنْ كَانَ طُهرًا وَادفِنَاهُ بَيْنَ الحشَا والفُؤَادِ)

التبريزى : ... ...

البطليوسى : سيأتى .

الخوارزمى : قال عبد الرحمن : إنه لَطُهْرُ الخُلُق ، أى طاهره . نقله عن الغورى .

٣٣ (وَاحْبُوَاهُ الأكفَانَ مِنْ وَرَقِ المُصْحَفِ كِبْرًا عَنْ أنْفَسِ الأبْرَادِ)

التبريزى : احبُواه ، أى أعطِياه . والحِباء : العَطاء . ويقال مُصْحَف ومَصْحف[(1)] .

البطليوسى : الحفِىّ : اللطيف بالشىء، الكثير البِرّ به، الباحثُ عن أحواله . والحشَا : يقَع على كل ما يشتمل عليه البطنُ من القلب والكَبِد وغيرهما . وقال صاحب العين : الحشا : ظاهر البطن ، وهو الخَصْر ؛ من قولهم هضيم الحشا ، ولطيف الحشا . وهذا هو الذى قصده أبو العلاء ؛ لأنّه قد ذكر القلب ، فإنّما أراد ما عداه . وقوله « واحبواه » أى خُصّاه بذلك . والأبراد : الثياب . وقال بعضُهم : لا يقال للثوب بُرْدٌ حتّى يكون موشّى .

الخوارزمى : كبرًا، منصوب على أنه مفعول له . والعامل فيه «واحبواه» يعنى آمُرُكما بأنْ تحبُواه الأكفان من ورق المُصْحف كِبْرًا .

---

(١) فى المصحف ثلاث لغات، هو بتثليث الميم .

٣٤(وَاتْلُوا النَّعْشَ بِالقِرَاءَةِ والتَّسْـ ـبِيحِ لَا بِالنَّحِيبِ والتَّعْـدَادِ)

التـبريزى : تَعْداد : تفعال، من عدّدت المرأةُ، إذا ذكَرَتْ محاسنَ الميّت .

البطليـوسى : سيـأتى .

الخـوارزمى : عنى بـ«بالتَّعداد» اتّباع جنازة الميت وعدَّ مآثره .

٣٥(أَسَفٌ غَيْرُ نَافِعٍ وَاجْتِهَادٌ لَا يُؤَدِّى إِلَى غَنَاءِ اجْتِهَادِ)

التـبريزى : ... ...

البطليـوسى : النَّحيب : رفْعُ الصوت بالبُكاء . والتّعداد : ذكر مناقب الميّت ومحاسنِه . والأسَف : التحسُّر والحزن، والأسَف أيضا : الغضب . والغَناء : النَّفـع .

الخـوارزمى : يقـول : ما من اجتهاد إلا وله ثمرةٌ وغناء ، خلا الاجتهاد فى الأسى على الميّت وفائدته العناء .

٣٦(طَالَمَا أَخْرَجَ الحَزِينَ جَوَى الحُزْ نِ إلى غَيْرِ لَائِقٍ بالسَّدَادِ)[1]

التـبريزى : الجوى : فَسادُ الجوف . يقال : جَوِىَ الرّجلُ يَجْوَى جَوًى .

البطليـوسى : سـيأتى .

الخـوارزمى : أصابنى جَوًى، وهو داء فى الجوف لا يُستَمرأ منه الطَّعام ، ذكره جار الله . ويروى : « جَوَى الثُّكل » .

٣٧(مِثْلَ مَا فَاتَتِ الصَّلاةُ سُلَيْمَا نَ فَأَنْحَى عَلَى رِقَابِ الجِيَادِ)

التـبريزى : يريد قوله تبارك وتعالى : ﴿ مَسْحًا بالسُّوقِ والأعْنَاقِ ﴾ .

---

(١) فى التبريزى والديوان المخطوط : « جوى الثكل » .

البطليــــوسى : يُريد قول الله تعـالى فى قصة سليمان صلى الله عليه وسـلم : ﴿ إِنِّى أَحْبَبْتُ حُبَّ الْخَيْرِ عَنْ ذِكْرِ رَبِّى حَتَّى تَوَارَتْ بِالْحِجَابِ . رُدُّوهَا عَلَىَّ فَطَفِقَ مَسْحًا بِالسُّوقِ وَالْأَعْنَاقِ ﴾ . وكان تشاغَل بعَرْض الخيل حتّى فاتته صلاةُ العَصر ، فغضب عليها فعقَرها . والجـوَى : فساد الجوف من داء يحـلّ فيه . واللائق : الموافق ، وأصله اللّاصق بالشيء . وأنحَى : مال . والسَّداد : الإصابة . والجِياد: الخيــل .

الخــــوارزمى : أنحى عليه بالسوط والسيف . هـذا تلميح إلى قوله تعالى : ﴿ إِذْ عُرِضَ عَلَيْهِ بِالْعَشِىِّ الصَّافِنَاتُ الْجِيَادُ ﴾ . روى أن سليمان عليه السلام غزا أهلَ دمشقَ ونَصيبِينَ ، فأصاب ألفًا من الأفراس . وقيـل بل خرجَتْ من البحر لها أجنحةٌ ، فقعد يوما بعد ما صلى الأولى على كرسيِّه واستعرضها ، فلم تزَلْ تُعرَض عليه حتّى غَرَبت الشمس وغَفَل عن العصر ، وعن وِردٍ من الذِّكر كان له عَشِيًّا ، وتهيَّبوه فلم يُعلِموه ، فاغتم لمـا فاته ، فاستردها وعقَرها مقرِّبا لله تعـالى ، وبقيَتْ مائةٌ . فما فى أيدى النّاس من الجِياد فمِنْ نَسْلها .

٣٨ ﴿ وَهْوَ مَنْ سُخِّرَتْ لَهُ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ بِمَا صَحَّ مِنْ شَهَادَةِ صَادِ ﴾

التــــبريزى : يعنى ما ذكره الله من قصّته فى سورة صٓ .

البطليــــوسى : ... ...

الخــــوارزمى : يعنى ما ذَكَره الله تعالى من قصّته فى سورة صٓ .

٣٩ ﴿ خَافَ غَدْرَ الْأَنَامِ فَاسْتَوْدَعَ الرِّيـ ـحَ سَلِيلًا تَغْـذُوهُ دَرَّ الْعِهَادِ ﴾

التــــبريزى : يفسِّر قولَه تعالى : ﴿ وَأَلْقَيْنَا عَلَى كُرْسِيِّهِ جَسَدًا ﴾ بأنَّ سليمانَ كان يؤْثِر أن يكون له أولادٌ ، فلم يُرزق إلا واحدا ، فذَكَروا أن الريح حضنَته تغـذُوه

دَرّ العِهاد، وهى الأمطارُ التى يتْبعُ بعضُها بعضا، وأنها ألقته على كرسيه جسدا، أى شيطانا؛ وقيل مَلَكا. وقوله « تغذوه دَرّ العِهاد » جملةٌ فى موضع نصبٍ لأنه صفةٌ لـ«سـليل» .

البطليـوسى : سـيأتى .

الخـوارزمى : ... ...

٤٠ (وتَوَخّى لَهُ النَّجاةَ وقَدْ أيْـ ـقَنَ أنّ الحِمامَ بِالمِرْصَادِ)

التـبريزى : تَوخّى : اعتمَدَ وقَصَد . والمِرصاد : الذى يُرصَد فيه الأمرُ ليقَع . يقال: الأسد يَرصُدُ الفريسة . وفى القرآن : ﴿ إنَّ رَبَّكَ لَبِالْمِرْصَادِ ﴾ أى يَعلَمُ بأمور العالَم، كعِلْم الرّاصدِ للشَّىء بما يرصُده . والحِمام : الموت .

البطليـوسى : سـيأتى .

الخـوارزمى : ... ...

٤١ (فرمَتْـهُ بِهِ عَلَى جَانِبِ الكُرْ سِىِّ أُمُّ اللُّهَيْمِ أُخْتُ النَّآدِ)

التـبريزى : أم اللُّهيم : من أسماء الداهية ، وكذلك النّآد . ويقال نآدَى، على فَعَالَى .

البطليـوسى : الأنام : الخَلْق . والسَّليل : الولد . والعِهاد . الأمْطار التى تأتى بعد الوسمىّ، واحدها عَهد وعَهْدة . ودَرُّها : ما يدِرّ من مائها . وتوخّى : قَصَد . والحِمام : الموت . وأم اللُّهيم : الداهية ، وكذلك النّآد . وهذا الشعر مبنى على رواية منكَرة جاءت عن بعض المفسِّرين فى تفسير قوله عزّ وجل : ﴿ولَقَدْ فَتَنَّا سُلَيْمَانَ وَأَلْقَيْنَا عَلَى كُرْسِيِّهِ جَسَدًا ثُمَّ أَنَابَ ﴾، فذكر هذا المفسر أن سليمانَ صلى الله عليه وسلم كان يُؤْثِر[1] أن يكون له ولدٌ، فلم يُرزَقْ إلّا ولدا واحدًا، فخشىَ عليه الآفاتِ،

(١) حـ : «مؤثرا» .

ولم يثِق بأحد من الناس أن يُسلمه إليه، فدفعه إلى الرِّيح لتغذُوَه وتربّيَه، فوجَدَه على كرسيه ميتًا، ولم ينتفع بحذَرِه عليه .

الخــوارزمى : أم اللُّهيم : كُنْية الموت، لالتهامه الخلق . داهيةٌ نآدٌ، ونآدَى، بوزن نَصارى ؛ قال الكميت :

* وإيّاكُم وداهيــةً نآدَى[(1)] *

ونأدَته الداهيةُ تنْأَده، أى فدحَتْه وبلغَتْ منه . وأخْتُ الدّاهيةِ الدّاهيةُ .

هــذه الأبياتُ الثلاثةُ إشارةٌ إلى قوله تعالى : ﴿ وَلَقَدْ فَتَنَّا سُلَيْمَانَ وَأَلْقَيْنَا عَلَى كُرْسِيِّهِ جَسَدًا ثُمَّ أَنَابَ ﴾ . قيل : وُلِد لسليمان ابنٌ فقالت الشياطينُ إن عاش لم ننفكّ من السُّخْرة، فسبيلنا أن نقتُلَه أو نخلله[(2)]، فعلِم ذلك، فكان يغذُوه فى السَّحابة، فما راعه إلا أن أُلقِىَ على كرسيّه جسدا ثم أناب .

٤٢ ﴿ كَيفَ أصْبَحْتَ فى مَحَلِّكَ بَعْدِى يَا جَدِيرًا[(3)] مِنِّى بِحُسْنِ افْتِقَادِ ﴾

التــبريزى : ... ...

البطليــوسى : ســيأتى .

الخــــوارزمى : فى أساس البلاغة : « ما افتقدتُه منذ افتقدتُه، أى ما تفقّدته مذ فَقدته » .

٤٣ ﴿ قَدْ أَقَرَّ الطَّبِيبُ عَنْكَ بِعَجْزٍ وَتَقَضَّى تَرَدُّدُ العُــوَّادِ ﴾

التــبريزى : ... ...

البطليــوسى : ســيأتى .

---

(1) عجزه كما فى اللسان (نأد) :

* أظلتكم بعارضها المخيل *

(2) كذا . ولعله « نخبله » . (3) فى البطليوسى : « ياحريا منى » .

الخــــوارزمى : قوله «عنك بعجز» أى بعجز عنك . وتقديم صـلة المصدر عليه وعلى عامله قبيحٌ .

٤٤ (وانْتَهى الْيَأْسُ مِنْكَ وَاسْتَشْعَرَ الوَا جِدُ أَنْ لَا مَعَــادَ حَتَّى المَعَادِ)

التـــبريزى : عَنَى بـ«المعاد» القيامة .

البطليـــوسى : وفى بعض النسخ : « يا جديرا منى بحسن افتقاد » . والجدير والحرىُّ، سواء . وقوله : «واستشعر» يحتمل معنيين ، أحدهما أن يكون استفعل من شعَرت بالشَّيء ، إذا علمته ، بناه على استفعَل للمبالغة ؛ والثانى أن يكون من الشِّعار ، وهو ما لصِــقَ بالجسم من الثِّياب . أى جعل اليأس شــعارًا لنفسه . والواجد : الحزين . والمَعَاد : الرُّجوع . وأراد بـ«المعاد» الثانى القيامة .

الخــــوارزمى : فى أساس البلاغة : «أشعَرَه الهمَّ ، وأشعره شرًّا : غشيه به . واستشعر خوفا » .

٤٥ (هَجَدَ السَّاهِرُونَ[1] حَوْلَكَ لِلتَّمْـــــرِيضِ وَيْحٌ لِأَعْيُنِ الهُــجَّادِ)

التـــبريزى : مَرَّضتُه ، إذا خدمتَه فى مرضه . أى كانوا قــد سهِرُوا حولَه للتَّمريض ، فلما يَئسوا منه هَجَدوا .

البطليـــوسى : الهُجود : النوم . والساهدون والساهرون ، سواء . والتمريض : مُعالجَة المريض . يقال مَرَّضته ، إذا أقمتَ عليــه فى مرضــه ؛ وأمرضته ، إذا فعلتَ به فِعلًا يُمرِض .

الخــــوارزمى : يقول : الآنَ رَقَد الذين سهِروا فى مرضك حَوالَيْك ، وفرَغوا من القيام عليك . وهــذا الفَراغ والرُّقاد ، شر من ذلك الشُّــغل والسهاد ، فويحٌ لعيونهم الراقدة .

(١) فى البطليوسى : «الساهدون» .

٤٦ (أَنْتَ مِنْ أُسْرَةٍ[1] مَضَوْا غَيْرَ مَغْرُو رِينَ مِن عيشةٍ بذاتِ ضِمادِ)

التبريزى : الضِّماد[2] : أن يكونَ الرّجلُ بينَه و بين نساء أسباب ، فيأكلَ عند هذه وعند هذه ، أو يكونَ للمرأةِ أصدقاءُ فتصيبَ من خير كل واحد منهم ، وذلك مذمومٌ كلُّه . وأنشد ابنُ الأعرابىّ ، واسمه محمد بن زياد :

أَرَدْتِ لكيما تَضْمُدِينى وصاحبِى ألا لَا أُحِبِّى صاحبِى ودَعِينى

وقال الراجز :

إنِّى رأيتُ الضَّمْدَ شيئاً نُكْرا لن يُخْلِصَ العامَ[3] خليلٌ عَشْرا

* ذاتَ الضماد أو يَزُورَ القَبْرا *

البطليوسى : المعشَر : القوم يكون أمرُهم واحداً . وهو مشتق من المعاشَرة ، وهى المصاحَبة . والضِّماد والضَّمد ، سواء ، وهو أن يكونَ للمرأةِ أخدَانٌ تُزانِى كلَّ واحدٍ منهم ولا تقتصرُ على بَعْضِهم ، أو يكونَ للرجلِ محبوباتٌ يخادنُ كلَّ واحدةٍ منهنّ . قال الشاعر :

أردتِ لكيما تَضْمُدِينى وصاحبِى ألا لَا أُحِبِّى صَاحِبِى ودَعِينى

وقال آخر :

إنِّى رأيتُ الضَّمْدَ شيئا نُكْرا لن يخلص العامَ خليلٌ[4] عَشْرا

* ذاتَ الضِّماد أو يَزُورَ القبرا *

شبّه الحياةَ الدُّنيا بالمرأة الفاجرة التى لا تَبْقَى على صاحب واحدٍ ، كما قال أبو الطيّب :

فذِى الدّارُ أخْوَنُ مِن مُومِسٍ وأخْدَعُ من كِفَّةِ الحَابِلِ

---

(١) فى البطليوسى : «معشر» . (٢) فى حـ من التبريزى : «بذات الضماد» .

(٣) فى اللسان (ضمد) : * لا يخلص الدهر خليل عشرا * وهو منسوب لمدرك .

(٤) فى الأصول : « خليلا » تحريف .

الخــــوارزمى : بذات الضِّماد ، يريد بضامدة من عيشة . يقال : ضَمَـدت فلانةُ ، إذا جمعتْ بينَ زوجها وخِدْنها ، أو اتّخذتْ خِدْنين . قال الهُذَلى[1] :

أردتِ لكيما تَضْمُدينى وصاحبى ألا لا أُحِبِّى صاحِبى ودَعِينى

ومن شأنها الضماد . وقول أبى العلاء كقولهم : «الدنيا حَبَّةٌ[2] ، يوما عند عطار ، و يومًا عنـد بيطار » .

٤٧ (لَا يُغيِّرْكُمُ الصَّـعِيدُ وَكُونُوا[3] فيهِ مِثْلَ السُّيُوفِ فِى الأَغْمَادِ)

التـــبريزى : ... ...

البطليـــوسى : ســــيأتى .

الخــــوارزمى : لا يغيِّرْكم ، نهىٌ فى معنَى الدعاء . ونحوه بيت السقط :

* وأدعو بالمدجّج لا تفتنى[4] *

٤٨ (فَعزِيزٌ عَلَىَّ خَلْطُ اللَّيَـالِى رِمَّ أَقْـدَامِكُمْ بِرِمِّ الهوَادِى)

التـــبريزى : الرِّمّ : العِظام البالية . يعنى أنّ الميت يصير هباء ، فيختلط تراب عُنقه بتراب قدمه .

البطليـــوسى : الصعيد التراب ، والصعيد : القبر ، والصعيد : وجه الأرض . والرّمّ : جمع رِمّة ، وهى العِظامُ البالية . والهوادى : الأعناق ، واحدها هادٍ .

الخــــوارزمى : الفاء فى قوله : «فعزيز على» لتَعليل قوله «لا يغيّركم الصَّعيد» .

---

(١) بيت الهذلى ، وهو أبو ذؤيب ، كما فى اللسان (ضمد) :

تريدين كيما تضـمدينى وخالدا وهل يجمع السيفان ويحك فى غمد

والبيت الذى أورده جاء فى اللسان غير منسوب .

(٢) من أول « ضمدت فلانة » إلى هنا اقتباس من أساس البلاغة .

(٣) فى حـ من التبريزى والتنوير : «فكونوا» .

(٤) صدره : * ألاقى الدارعين بغير درع *

وهو البيت الرابع من القصيدة الخامسة والسبعين .

٤٩ (كُنْتَ خِلَّ[1] الصِّبَا فَلَمَّا أَرَادَ الْـ ... ـبَيْنَ وَافَقْتَ رَأْيَهُ فى المُرَادِ)

التبريزى : سيأتى .

البطليوسى : سيأتى .

الخوارزمى : الضمير فى «أراد» للصبا . ولعلّ هذا المتوفَّى ماتَ وقد وخَطَه الشَّيب . وتقرير هذا المعنَى فى البيت الثانى .

٥٠ (وَرَأَيْتَ الوَفَاءَ لِلصَّاحِبِ الأَوَّ ... لِ مِنْ شِيمَةِ الكَرِيمِ الجَوَادِ)

التبريزى : أى كنتَ خِدْنًا للصبا ، أى مخادِنًا له ، فلمّا أراد أن يَزولَ وافقتَ رأيَه فى الزِّيال ، ووَفَيتَ للصَّاحب الأوّل ، أى الصِّبا ، وتلك مِن شِيمةِ الكريم ذِى الجُود .

البطليوسى : الخِدن : الصديق والصاحب . والشيمة : الطبيعة . والجَواد : السخىّ . يقول : كنتَ صديقًا للصِّبا ، فلما أراد الفراق ذهبتَ بذهابه ، كما يَفِى الكريمُ لصاحبه الأوّل ، فيُقيم بإقامته ، ويرحَلُ برحلته . وإنما أراد أنه مات فى شبيبته .

الخوارزمى : عَنَى بـ«الصّاحب الأوّل» الصِّبا .

٥١ (وَخَلَعْتَ الشَّبَابَ غَضًّا فَيَا لَيْـ ... ـتَكَ أَبْلَيْتَهُ مَعَ الأَنْدَادِ)

التبريزى : الأنداد : جمع نِدّ ، وهو المِثْل . والغضّ : الطرِىّ .

البطليوسى : سيأتى .

الخوارزمى : النِّدّ : هو المِثل ، من قولهم لا نِدّ له . وهو قول أكثر العلماء . سمى بذلك لأنّ كلَّ واحدٍ منهما ينِدّ عن صاحِبه .

---

(١) البطليوسى : «خدن الصبا» .

٥٢ (فاذهبا خيرَ ذاهبيْنِ حقيقيْـ ـنِ بسُـقْيَا روائحٍ وغـوادِى)

التبريزى : رَوائح : جمع سحابة رائحة، أى تَرُوح بالعشىّ . وغوادٍ : جمع سحابة غادية، أى تغدُو بالغداة .

البطليوسى : الغضّ : الطرىّ . والأنداد : الأمثال والأشباه، واحدهم نِدّ . والروائح من السحاب والأمطار : ماجاء بالعشىّ؛ والغوادى: ما جاء بالغُدوّ . وخصّ الروائحَ والغوادىَ لأنّ المطرَ أكثرُ مايكون فى طرفَى النّهار، و بذلك وردت أشعارُ العرب، قال أبو ذُؤيب :

سَقَى أمَّ عمرو كلَّ آخِرِ ليلةٍ حَنَاتِمُ سُودٌ ماؤُهنّ ثَجِيجُ (١)

وقال علقمة بن عَبْدة فى الرواح :

سَقاكِ يَمانٍ ذو حَبِيٍّ وعارضٌ تَروح به جُنْحَ العَشِىِّ جَنوبُ (٢)

الخوارزمى : الخطاب فى قوله « فاذهبا » للشباب والمرثىّ .

٥٣ (ومَراثٍ لو أنّهنَّ دُمُـوعٌ لَمَحَوْنَ (٣) السُّطُورَ فى الإنْشَادِ)

التبريزى : ... ...

البطليوسى : يقال مَحَيْتُ أمْحِى ومَحَوتُ أمْحُو . يقول: كادت مراثينا لك، لرقّة ألفاظها وما فيها من الشّكوى والحُزْن، تصيرُ دموعًا، فتمحُو الأسطار . وهذا نحوٌ من قول حبيب وإن لم يكنْه :

كادَتْ لعِرفانِ النّوَى ألفاظُها من رِقّةِ الشَّكْوَى تكونُ دُموعَا

(١) حناتم، يعنى السحاب فى سواده . والحنتم : الجرة الخضراء . وثجيج : سائل . انظر ديوان أبى ذؤيب ٥١ .

(٢) من قصيدة له فى ديوانه من مجموع خمسة دواوين العرب ١٣١ .

(٣) فى حـ من التبريزى والخوارزمى والديوان المخطوط : «لمحين» وهما لغتان كما سيأتى فى التفسير .

الخــوارزمى : يريد : وحقيقين بمراثٍ . وفى هذا البيت لطيفة ؛ وذلك أنّ المرثِيَة هى الشّعر الذى يُبكَى به الميت، فمن حيث إن المرثيَة بكاء يناسبها الدموع[(١)]، ومن حيث إنّها شعرُ يناسبها أيضا ؛ لأن الشّعر يشبَّه بالمـاء، والدموعُ ماء . ومتى أردتَ أن يظهر لك حسنُ هذا البيت فأضِفْه إلى قول الأعشى :

* فلو كنتم تَمْـرًا لكنتم جُرامةً[(٢)] *

٥٤ ﴿زُحَلٌ أَشْرَفُ الكواكبِ دارًا مِنْ لِقَـاءِ الرَّدَى عَلَى مِيعاد﴾

التـــبريزى : ... ...

البطليـــوسى : ســيأتى .

الخـــوارزمى : اشتقاق زُحَل ، من زَحَل ، إذا بعُد . سمِّى بذلك لأنه أبعدُ الكواكب . والمِصراع الأوّلُ يدل على صحّة هــذا الاشتقاق ، وأنه لا يأمن من الهلاك لقوله تعالى : ﴿ وَإِذَا الْكَوَاكِبُ انْتَثَرَتْ ﴾[(٣)] . و﴿ إِذَا النُّجُوم انْكَدَرَتْ ﴾[(٤)] . وهذا البيتُ دليلٌ على إيمانِ قائله .

٥٥ ﴿وَلِنَـارِ المِرِّيخِ مِنْ حَدَثَانِ الـ ـدَّهْرِ مُطْفٍ وَإِنْ عَلَتْ فِى اتِّقَادِ﴾

التـــبريزى : خفف الهمزة من «مطفئ»، والأصل أطفأ يطفئ إطفاء، وهو مطفئ، بالهمزة .

البطليـــوسى : ... ...

الخـــوارزمى : قــوله « وإن علت » بالعــين المهملة . وبين العــلوّ والإطفاء نوعُ مقابلة .

(١) فى الأصل : « يناسبه » .

(٢) الجرامة، بضم الجيم : الحثالة تبق بعد ما يرفع التمر، كما فى شرح ديوان الأعشى ١١٠ . وعجزه :

* ولو كنتم نبـلا لكنا معاقصا *

(٣) الآية الثانية من سورة الانفطار . (٤) الآية الثانية من سورة التكوير .

٥٦(وَالثُّرَيَّا رَهِينَـةٌ بِاجْتِمَاعِ الـشَّـ   ـمْلِ حَتَّى تُعَـدَّ فِى الأَفْرَادِ)

التبريزى : ... ...

البطليوسى : ... ...

الخوارزمى : الثريّا موصوفةٌ باجتماع الشَّمل . قال :

خليـلىَّ إنّى للثُّرَيّا لحَاسِـدُ   وإنّى على رَيْبِ الزَّمانِ لَوَاجِدُ
أيُجمَـعُ منها شَمْلُها وهى سِـتّةٌ   وأفقِدَ مَنْ أحببتُه وهو واحدُ

٥٧(فَلْيَكُنْ لِلْمُحَسَّنِ الأَجَلُ المَمْـ   ـدُودُ رَغْمًا لآنُفِ الحُسَّادِ)

التبريزى : المحسِّن ، أخو الميّت .

البطليوسى : سيأتى .

الخوارزمى : المحسِّن : أخو الميت ، بشهادة البيت الثانى . الآنُف : جمع أنف ، كالأعيُنِ فى جمع عَين . وعليه بيت أبى الطيِّب :

* لقد ولَدَتْ مِنّى لآنُفِهِمْ رَغْمًا (١) *

وفى بيت الحماسة :

وإنّا نَرَى أقْدامَنا فى نِعالِهِـمْ   وآنُفَنا بين اللِّحَى والحَواجِبِ (٢)

يريد الحماسىّ : أنّ بيننا وبينهم مَشابه .

٥٨(وَلْيَطِبْ عَنْ أَخِيهِ نَفْسًا وَأَبْنَا   ءُ أَخِيهِ جَرَائِحُ الأَكْبَادِ) (٣)

التبريزى : ... ...

(١) صدره كما فى الديوان (٢ : ٣٤٨) :

* لئن لذ يوم الشامتين بيومها *

(٢) قائله بعض بنى عبس ، كما فى الحماسة (١٦١ — ١٦٢ بن) . أراد بين لحاهم وحواجبهم .

(٣) أ من البطليوسى : « قرائح » .

البطليوسى : الرَّدَى : الهلاك . والمحسِّن : أخو « أبى حمزة » المرثىّ بهذا الشعر . والرَّغم والرُّغم، بالفتح والكسر والضم : الذّلّ . وآنُف : جمع أَنْف، على مثال فَلْس وأفلُس . ويقال أيضا آناف على مثال أفْراح ، وأنوف على مثال فُلوس . وهى أشهرها .

الخوارزمى : قوله « جرائح الأكباد » منصوب على الحال . يقول : ليتكلفوا الصّبر والسلُوّ عن المتوفى ، وهم غير مُندمِلي الجراحات ، فإن الصبرَ عند الصّدمة الأولى

٥٩ ﴿وَإِذَا الْبَحْرُ غَاضَ عَنِّى وَلَمْ أَرْ وَ فَلَارِىَّ بِادِّخَارِ الثِّمَادِ﴾

التبريزى : الثِّماد : المياه القليلة، واحدها ثَمْد وثَمَد .

البطليوسى : غاض : نقص؛ وغاض أيضا : غاب فى الأرض ، فلم تَبْقَ[1] منه بقيّة . والثِّماد : جمع ثَمد، وهو الماء القليل ، شبه هذا المتوفّى بالبحر فى كَرَمه وفى سَعة عِلمه ؛ وشبَّه غيرَه بالثِّماد ، فى قلة نَيْله وفى قلة علمه . وهذا نحوُ قوله فى بعض العلويِّين :

إذا عَصَفَتْ بالرّوض أنفاسُ ناجرٍ فأىَّ وميضٍ للغمامِ أَشِيمُ[2]

الخوارزمى : يريد أن الذى بَقِىَ بعدَه كالثَّمْد .

٦٠ ﴿كُلُّ بَيْتٍ لِلْهَدْمِ مَا تَبْتَنِى الوَرْ قَاءُ وَالسَّيِّدُ الرَّفِيعُ العِمَادِ﴾

التبريزى : الورقاء : الحمامة، وهى تُذم فى بنائها . وقد شرح ذلك عبيد ابن الأبرص فى شعره، فقال :

عَيُّوا بأمرِهِمُ كما عَيَّتْ بِبَيضتِها الحمامَهْ[3]
جَعَلَتْ لها عُودَينِ من نَشَمٍ وعودا مِن ثُمامَهْ

(١) حـ : « له » . (٢) سبق البيت فى القصيدة ٢٥ ص ٦٦٦ .
(٣) البيتان من أبيات فى ملحقات ديوان عبيد (٧٧ — ٧٨) مع خلاف فى الرواية .

والمراد، أنّ أجَلّ الأبنية يصير هَباءً أو ينهدم، فكأنّه بيتُ حمامةٍ لم تُحكَم أمورُه.

البطليـــوسى : الورقاء: الحمامة. يقول: بيتُ السّيّدِ الرفيع العمادِ على حَصانته، وتأنُّقه فى بُنيانه، كبيت الحمامة فى ضَعفه ووَهْيِ أركانه. وخصَّ الحمامةَ لأن العربَ تضربُ بها المثَلَ فى قلة الحِذْق بالعمل، فيقولون للرجُل الذى لا يحسن أن يعمَل: «هو أخْرَقُ من حَمامة» ويقولون فى ضدّه: «هو أصْنَعُ من سُرْفة»[1]. ولأجل ذلك قال عَبيد بن الأبرص:

عَيُّـــوا بأَمْـــرِهـــمُ كما ... عيّت ببيضـتها الحمـامـهْ
جعلت لهـا عودَيْن من ... نَشَـم[2] وآخر من ثُمـامـهْ

وهذا نحو من قوله فى شعر آخر[3]:

هو الموتُ مُثرٍ عنـده مثل مُقتِر ... وقاصـدُ نَهْج مثـل آخرَ ناكِب
ودِرع الفـتى فى حكمه دِرع غادة ... وأبيات كسرى من بيوت العناكب

الخـــوارزمى : «ما تبتنى الورقاء» بدل من قوله «كل بيت» والرفيع العماد ها هنا إيهام.

٦١ (وَالفَتَى ظَاعِنٌ وَيَكْفِيهِ ظِلُّ السِّـ ـدْرِ ضَرْبَ الأَطْنَابِ وَالأَوْتَادِ)

التـــبريزى : السِّـــدْر: شجر. أى إذا كان ظاعنًا فظلُّ الشـجرة يغنيـه عن الخيام.

---

(١) السرفة، بالضم: دودة القز، وقيل هى دويبة غبراء تبنى بيتا حسنا تكون فيه، وقيل هى دويبة صغيرة مثل نصف العدسة تثقب الشـجرة ثم تبنى فيها بيتا من عيدان تجمعها بمثل غزل العنكبوت. انظـر اللسان (سرف).

(٢) النشم: شجر جبلى تتخذ منه القسى، وهو من عتق العيدان؛ واحدته نشمة.

(٣) البيتان التاليان من مقطوعة فى لزوم ما لا يلزم، أولها:

يقولون صـنع من كواكب سبعة ... وما هى إلا من زعيم الكواكب

البطليوسى : هذا مأخوذ من حديث رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، أنه دخل المسجد فوجد قوما من الأنصار يَذْرعونه بقصبة، فقال: ما لكم؟ فقالوا: نريد أن نزيد فى مسجدك ونصلحه . فأخذ القَصَبة وهَجَل بها(١) — أى رمى — وقال : «بل عريش كعريش موسى، الأمر أقرب من ذلك» . والظاعن : الراحل . والسدر : شجر الزفيزف(٢) . والأطناب : حبال الخباء .

الخوارزمى : ضرب الأطناب والأوتاد كناية عن ضرب الخيمة . لقى فقيه فقيها أفقه منه فقال : أخبرنى عن البناء الذى لا إسراف فيه . قال : ما سترك من الشمس، وأكَنَّك من المطر . وقال وُهيب بن الورد المكى(٣) : بنى نوح صلوات الله عليه بيتا من قصب، فقيل له : لو بنيت غير هذا . فقال : هذا لمن يموت كثير .

٦٢ (بَانَ أمْرُ الإلَهِ وَاخْتَلَفَ النَّا ... سُ فَدَاعٍ إلى ضَلَالٍ وَهَادِ)

التبريزى : ... ...

البطليوسى : ... ...

الخوارزمى : يريد : بعضهم يقول بالمعاد ، وبعضهم لا يقول .

٦٣ (والَّذى حَارَتِ البَرِيَّةُ فِيهِ ... حَيَوانٌ مُسْتَحْدَثٌ مِنْ جَمَادِ)

التبريزى : ... ...

البطليوسى : يريد أن الجسم مَوَاتٌ بطبعه ، وإنما يصير حيوانا حساسا متحركا باختيار، باتصال النفس به، فاذا فارقته عند الموت عاد إلى طبعه(٤)، فالحياة

(١) انظر اللسان (هجل ٢١٥) . (٢) حـ : «الزفيرن» محرف .

(٣) وهيب بن الورد بن أبى الورد القرشى ، روى عن عطاء والثورى، وعنه ابن المبارك وفضيل ابن عياض . توفى سنة ١٥٣ . انظر تهذيب التهذيب . (٤) أ : «إلى لطيفة طبعة» .

للنفس جوهرية ، وللجسم عرضية ، فلذلك يَعدَم الجسم الحياة إذا فارقته النفس ، ولا تعدَمها النفس . وقد اختلف الناس فى علة ارتباط النفس الناطقة بالجسم مدّة من الزمان ، وفى علة حصول النفس الناطقة به فى هذا العالم ، ومفارقتها عالمها الخاص بها . فأصحاب الشرائع كلهم مجمعون على أن السبب فى ذلك ما قصه الله تعالى علينا من حديث آدم صلى الله عليه وسلم وعصيانه الذى أوجب إهباطه إلى الأرض . وللفلاسفة فى ذلك آراء مختلفة لم نَرَ وجها لذكرها ؛ لأن ما ذكره الله تعالى هو الحق . وما عداه يجب ألّا يُلتفت[1] إليه . والله الموفق .

الخــــوارزمى : يقول : تحيّرت البرية فى المعاد الجسمانىّ ، والنشور الذى ليس بنفسانىّ ، وفى أن أبدان الأموات ، كيف تحيا من الرُّفات .

٦٤ (وَاللَّبِيبُ اللَّبِيبُ مَنْ لَيْسَ يَغْتَــرّ بِكَــوْنٍ مَصِيرُه لِفَسَــادِ[2])

التــــبريزى : ... ...

البطليـــوسى : ... ...

الخــــوارزمى : هذا البيت بظاهره له معنى ، وبباطنه له معنى آخر .

---

(١) أ : «لا يجب أن يلفت إليه» .

(٢) التنوير وحده : «للفساد» .

[القصيدة الرابعة والأربعون]

وقال يرثى[1] :

١ (أَحْسَنُ بالوَاجِدِ مِنْ وَجْـدِهِ   صَـبْرٌ يُعِيـدُ النَّـارَ فِى زَنْدِهِ)

التـــبريزى : هى من السريع الثانى ، والقافية متدارك . والوَجْد : ما يجده الرجل فى قلبه من حزن أو طرب .

البطليـــوسى : هذا البيت يَحتمل معنيين : أحدهما أن العرب تقول : فلان وارِى الزِّناد ، إذا كان له غَناء وإنجاح فى الأمور ، و إذا كان للخير انبعاث على يديه وظُهور . وفلان كابِى الزناد ، إذا كان بالضدّ من ذلك . ويقال : ورِيتْ بك زِنادى ، أى أَنجحتُ بك فى أمورى . قال الشاعر :

رَددتَ زِنادى إلى وَرْيِهـا   وقد طالمـا أصبحتْ كابِيـهْ

وقال آخر :

لَحى اللهُ أَكبانَا زِنادًا وشَـرَّنا   وأَيسرنا عن عِرْض والده ذَبًّا

فيكون معنى بيت أبى العلاء على هذا : أحسنُ بالواجد من وجده الذى دلّهه حتى أصبحت زَنده كابية ، صبرٌ يزيل تَدْليهه حتى تعود زندُه وارية .

---

(١) فى ا من التبريزى : « وقال أيضا رحمه الله تعالى » . وقد جاءت فيها جملة من أبيات هذه القصيدة غير مشروحة وذلك من أولها إلى قوله :

* ما رعبـة الحى بأبنـائه *

وفى ى : «وقال أيضا يرثى ابن عمه على بن المهذب من السريع والقافية متدارك» . وفى البطليوسى : « وقال أيضا يرثى بعض الأشراف » . وفى الخوارزمى : « وقال أيضا فى السريع الثانى والقافية من المتدارك يرثى جعفر بن على بن المهذب رحمه الله » .

والثانى أن العرب تضرب ٱنقداح النار من الزَّند مثلًا لهَيَجان الغَضب والحَمِيَّة؛ كما قال أبو نواس :

أَيَّــةَ نارٍ قَــدح القـادح　　وأىَّ جِــدٍّ بلَــغ المـازحُ

ويضربون انقداح النار مثلا لاشتعال نار الحب والحزن، كما قال كشاجم :

وقــد قــدح الـوجد منّى به　　على القلب من ناره ما قــدح

فيكون معنى بيت أبى العلاء على هــذا : أحسن من وجد الواجد الذى قَدح النار على فؤاده، صبر يُعيد ما انقدح منها إلى زِناده (١) .

الخــوارزمى : الضــمير فى « زَنْده » للواجد، ويحتمل أن يكون للنــار . وتذكيرها على إرادة حرّ الوجد .

٢ (ومَنْ أَبَى فى الرُّزْءِ إلّا الأَسى (٢)　　كانَ بُــكاه مُنْتَهى جَهْــدِهِ)

التــبريزى : ... ...

البطليــوسى : ســيأتى .

الخــوارزمى : أصابه جَهد، بالفتح، أى مشقة؛ وبلغ جُهده ومَجهوده، أى طاقته . يريد أن يحصل له البكاء لا ردُّ الميت . ونظيره بيت السقط (٣) :

أَسَــفٌ غيرُ نافــع وٱجتهــادٌ　　لا يُؤدّى إلى غَنــاء ٱجتهــادِ

٣ (فَلْيَذْرِف الجَفْنُ على جَعْفَـرٍ　　إذ كانَ لَمْ يُفْتَــحْ عَلَى نِــدِّهِ)

التــبريزى : يقال : ذَرفت عينُــه تَذْرِف ذَريفا، وأَذرفت (٤) أيضا، إذا تتابَع دمعُها، وذَرت تَذْرِى . والنِّدّ : المِثل . وفلان نِدّ فلان، أى كُفؤه ومُشْبِهه .

---

(١) فى حـ : « الزناد » . (٢) فى التنوير : « غير الأسى » .

(٣) البيت الخامس والثلاثون من القصيدة الثالثة والأربعين ص ٩٩١ .

(٤) بدله فى اللسان والقاموس : « ذرّف » بالتشديد .

البطليوسى : الأَسى : الحزن . والجَهد ، بفتح الجيم : الغاية ، وبضمّها الطاقة ؛ وقيل هما لغتان بمعنًى واحد فى الطاقة . ويقال : ذَرفت العينُ بالدمع تَذرِف ذَرْفا وذَرَفانا وذُروفا وذَرِيفا وذَرَفا ، بفتح الراء ، وتَذْرافا وتَذْرِيفا وتَذْرِفة . والنِّدّ والنديد : المثل .

الخوارزمى : «النِّدّ» فى «غير مُجد فى ملّتى واعتقادى»[1] .

٤ (والشَّىءُ لا يَكثُرُ مُدَّاحُهُ ... إلّا إذا قِيسَ إلى ضِدِّهِ)

التبريزى : ... ...

البطليوسى : سيأتى .

الخوارزمى : يقول : فَضّلنا المَرْثىّ على غيره لأنا نَسبناه إلى غيره من الورى ، فكان كُلٌّ عن شأوه مُقصِّرا . وهذا من قول أبى الطيب :

* وبضدِّها تَتبيَّنُ الأشياءُ[2] *

٥ (لولَا غَضَى نَجْدٍ وقُلّامُه ... لم يُثْنَ بالطِّيبِ عَلَى رَنْدِهِ)

التبريزى : القُلّام : نَبت كريه الرائحة . والرَّنْد : عُود طيّب الرائحة .

البطليوسى : الغَضى : شجر من الحَمض تَرعاه الإبل وتَستتر فيه الذِّئاب . تقول العرب : «أخبثُ الذِّئاب ذِئْب الغَضى» ؛ لأنه يكثُر فيكمُن فيه ويخرج على مَن يمرّ به بغتةً ، وهو من نبات الرِّمال . والقُلّام : نبات من الحَمض أيضا تأكله الإبل ، ويُسمّى القَاقُلّى . قال الشاعر :

أَتَوْنى بقُلّام وقالوا تَعشَّهُ ... وهل يأكُلُ القُلّامَ إلا الأَباعِرُ
فلما أكلتُ الحَمْضَ لاشىءَ غيره ... تأوَّبنى سَلْحٌ شديدٌ وجائرُ[3]

(١) انظر البيت الحادى والخمسين من القصيدة الثالثة والأربعين ص ٩٩٨ .
(٢) صدره : * وندِيمهم وبهم عرفنا فضله *
(٣) الجائر : حر فى الحلق والصدر من غيظ أو جوع . قال :
فلما رأيت القوم نادوا مقاعسا ... تعرض لى دون التراقى جائر

والزَّند : شجر طيِّب الرائحة من شجـر البادية . وقد يسمى عودُ الطِّيب زَندا .

الخـــوارزمى : القُلام : نَبتٌ كريه الرائحة . الزَّند : شجر طيِّب الريح . وهذا البيت تقرير للبيت المتقدِّم .

٦ (لَيسَ الَّذِى يُبكَى عَلَى وَصْلِهِ مِثلَ الَّذِى يُبكَى عَلَى صَـدِّهِ)

التـــبريزى : ... ...

البطليـــوسى : ســـيأتى .

الخـــوارزمى : يقول : لا يَســتوى رجلانِ أحدهما مقبول الصورة محبوب إلى النـاس ، حتى إذا فارقَهـم بكَوْا على ما فاتهم من وِصاله ، والآخر كَريه المَنظر بَغيضٌ إليهم ، حتى إذا واصلهم بكَوْا على فِراقه . فمنزلةُ المرثىّ من الناس منزلة المتقدّم من الثانى .

٧ (والطَّـرْفُ يَرْتاحُ إلى غُمْضِه وَليس يَرْتاح إلى سُهْـدِهِ)

التـــبريزى : الغُمض : النوم، ومثله الغِماض . ومنه قولهم : ماذُقت غِماضا ، أى قليلًا من النوم . والسُّهد : السُّهاد .

البطليـــوسى : هذه كلُّها أمثالٌ شَرح بها قولَه :

والشىءُ لا يكثر مُدّاحُه إلا إذا قِيس إلى ضِدّه

والطَّرف : العين . وأصل الطرف أن يَطْرِف الإنسان بأجفانه ، أى يُحرّكها ، ثم سُمِّيت العين بفعلها الذى يكون عنها ؛ كما قالوا للأذن سَمْع ، و إنما السَّمع فعلُها . والارتياح : الطرب والخِفّة إلى الشىء . والغُمض : النوم . والسُّهد : السَّهر . وهذا نحوُ قول الآخر :

أنت الكَرى مُؤنسًا طَرْفى و بعضُهمُ مثلُ القَذى مانعًا طَرْفى من الوَسَنِ

الخوارزمى : يقول : كون المرثِىّ ممن يُرغب فى قُربه، وكون غيره ممن يُرغب فى بُعده، دليلٌ على أنّ المرثىّ كان للناس نفّاعا وغيرَه كان ضرّارا، ألا ترى أنّ الرُّقاد لما كان سببَ الراحة فالعينُ أُولعت به، والسُّهادَ لما كان سببَ الأذى فالعينُ قد نَفرت عنه ولم تَستطعه .

٨ (كَانَ الأَسَى فَرضًا لو اَنّ الرَّدَى قالَ لنا اَفْدُوه فلَمْ نَفْدِه)

التبريزى : الأَسى: الحُزن . يقال: أَسِى يأسَى أسًى[1]، إذا حزِن . يقول : لو قَدرنا على تَفديته فلم نَفدِه كان الحُزْنُ فريضةً ؛ فإذا لم نَقدر على الفِداء فالحُزن عليه غيرُ مُجْدٍ نفعًا .

البطليوسى : الأسى : الحزن . والرَّدَى : الهلاك . يقول : إنما كان ينبغى أن نأسَى لفقْده ونتأسّف لو كان الرَّدى يَقبل فِديةً عنه ، فبَخِلْنا بفدائه، وجَهِلْنا حظَّنا من بَقائه . وأما إذا كان الموت حتما لابدّ منه ، فجَزَعنا عليه عَناء لا يُجدى . وهذا نحو قولِ كعب بن سَعد الغَنوىّ :

فلو كان حىٌّ يُفتدَى لفديتُه بما لم تكن عنه النفوسُ تَطيبُ

الخوارزمى : «كان الأسى فرضا» هو جواب «لو»[2] .

٩ (هَلْ هُوَ إلّا طالعٌ للهُدَى سارَ[3] مِنَ التُّرْبِ إلى سَعْدِه)

التبريزى : ... ...

البطليوسى : يقول : إنما كان نجمًا طلع لِيُهتدى به، ثم لحق بمحلّه الأعلَى الذى يليق بمثله، فلم يُجزعْ لفقده ، والموضع الذى صار إليه خيرٌ من الذى فارقه . وهذا مأخوذ من قول ابن الرُّومىّ يرثى أمّه :

(١) فى الأصل: «أسى وأسى». وظاهر أن الأخيرة تكرار، إذ لم نجد لأسى، كفرح بمعنى حزن، إلا مصدرا واحدا هو الأسى، مقصور. (٢) فى الأصل: «لم» تحريف.

(٣) فى البطليوسى: «صار».

وما كُنتِ إلا كوكبًا كان بيننــا فَـوَدّعنا جادت معاهــدَه الدِّيَمْ
رأى المَسكن العُـلْوىَّ أَوْلى بمثله فغار وأَضحى بين أَشكاله نَجَمْ

ومعنى «صار» مال وآنجذب. وفى بعض النسخ: «سار» بالسين، أى نهض.

الخـــوارزمى : الضمير فى «سعده» لـ«طالع».

١٠ (فَباتَ أَدْنَى مِنْ يَـدٍ بيْنَنَا كأَنَّه الكَوْكبُ فى بُعْدِه)

التـــبريزى : ... ...

البطليـــوسى : العربُ تضرب المثلَ فى قرب الشىء باليَـد، فيقولون : هـو أَدنى إليك من يدك، وأدنى إليك من حَبْل ذِراعك. وإنما خَصّوا اليدَ بالذكر هاهنا لأنّها العضو الذى يخدُم سائرَ الأعضاء. قال الشاعر :

* وقد جعلُوا المِصاعَ على الذِّراعِ *

و إنما قال « فبات » ولم يقل « فظلّ »، والوزن واحد، لوجهين : أحدهما أنّ لفظة «بات» أَشكل بذِكْر الكوكب الطالع من لفظة «ظل»؛ لأنّ العرب تقول: بات فلان يفعل كذا، إذا فعله ليلا، وظل يفعل كذا، إذا فعله نهارا. والثانى أنّ الإنسان فى الدنيا فى مثل حالة النـائم؛ لأن حقائقَ الأمور مُغَيَّبة عنه، فإذا مات صار فى مِثل حالة المُستيقظ، لمُشاهدته الحقائقَ التى كانت مُغيّبة عنه. ولذلك قال صلّى الله عليه وسلّم : «الناسُ نِيام فإذا ماتوا آنتبهوا». وقال تعالى : ﴿ لَقَدْ كُنْتَ فى غَفْلَةٍ مِنْ هَذَا فَكَشَفْنَا عَنْكَ غِطَاءَكَ فَبَصَرُكَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ ﴾.

الخـــوارزمى : «أدنى من يد» فى محل النصب على الحال من الضمير المُستكنّ الذى هو اسم «بات». وقوله : «كأنه الكوكب فى بعده» جملة فى محل النصب على أنها خبر «بات». فى أمثالهم : «أَبعد من الكوكب»، و «أَبعد من النّجم». ومعنى البيت من قول التِّهامىّ :

والشرقُ نحو الغَرْب أقربُ شُـقّةً مِن بُعْـد تلك الخمْســة الأشْبارِ

١١﴿ يادَهْرُ يامُنْجِزَ إيعادِهِ ومُخْلِفَ المأْمُولِ مِنْ وَعْدِه ﴾

التبريزى : الإيعاد، لا يستعمل إلا فى الشر، والوعد، يستعمل فى الخير والشر.

البطليوسى : سيأتى .

الخوارزمى : سيأتى .

١٢﴿ أىَّ جَدِيدٍ لَكَ لَمْ تُبْلِهِ وأىُّ أَقْرانِكَ[1] لَمْ تُرْدِه ﴾

التبريزى : لم تُبله ، من بَلِىَ يَبلى . وتُرده : تُهلكه ، من الرَّدَى ، وهو الهلاك .

البطليوسى : الإيعاد فى الشر خاصة ، وأما الوعد فيكون فى الخير والشر ، وآستعمله أبو العلاء هاهنا لخير خاصة ؛ لأن ذكر الإيعاد قد دلّ على مُراده . ويقال : فلان قِرن فلان ، بكسر القاف ، إذا كان يَدّعى أنه مثلُه فى شجاعةٍ أو قُوّة أو علم . فإن أرادوا أنه مثلُه فى سِنّه فتحوا القاف . وتُرده : تهلكه . وهذا نحو قول أبى تمام :

ومَن قامَرَ الأيامَ عن ثمراتها فأَحْجِ بها أن تَنجلى ولها القَمْرُ

الخوارزمى : البيتان خطابٌ للدهر وعِتاب .

١٣﴿ تَسْتأْسِرُ العِقْبانَ فى جَوِّهَا وتُنْزِلُ الأَعْصَمَ مِنْ فِنْدِه ﴾

التبريزى : الأَعصم : الوَعِل . والفِنْد : القطعة من الجَبَل .

البطليوسى : سيأتى .

الخوارزمى : آستأسر للعدوّ ، إذا آنقاد . وأما آستأسره ، متعدّيا ، فلم أسمعه إلا فى بيت أبى الطيّب :

* يَسْتأسر البَطَلَ الكَمِىَّ بنَظْرةٍ[2] *

---

(١) فى البطليوسى : «وأى قرن لك» .

(٢) عجزه : * ويحول بين فؤاده وعزائه *

وحديث عبد الرحمن وصفوان أنهما آستأسرا المرأتين . وهذا الحديث حُجة لأبى العلاء هاهنا . «الأعصم» فى «أدنى الفوارس»[١] . الفِنْد، هو الشِّمراخ العظيم من الجبل ؛ وبه لُقِّب شَهْل الزِّمَّانى[٢]، لقوله فى بعض الوقائع : «آستندوا إلىّ فإنى لكم فِند» . وقيل : «أبطأ من فِنْد»[٣] لتثاقله فى الحاجات . وأما قولهم : فلان مُفَنَّد، إذا أُنكر عقلُه من الهَرَم، فكأنه صار فى قِلّة الفَهم كالحَجَر .

١٤ (أَرَى ذَوِى الفَضْلِ وأَضْدَادَهُمْ   يَجْمَعُهُمْ سَيْلُكَ فى مَدِّه)

التبريزى : من قولهم : مَدّ النهرُ، إذا زاد؛ ومدّه نهرٌ آخر، إذا زاده .

البطليوسى : الجو : ما بين السماء والأرض . والأَعصم : الوَعل؛ سُمِّى بذلك للبياض الذى فى يَديه، كما يقال : فَرس أَعصم . وقيل : سُمِّى بذلك لآعتصامه بالجبال . والفِنْد : القطعة العظيمة من الجبل، وبها سُمِّى الفِنْد الزِّمَّانى . وذلك أن بَكرا بعثوا إلى بنى حَنيفة فى حَرب البَسوس يَستمدونهم، فبعثوا إليهم شَهْل بن شَيبان وحدَه، وكان شيخًا مُسنًّا، فلما نظروا إليه قالوا : وما يُغنى هذا العَشَبة عنا ! — والعَشَبة والعَشَمة : الشيخ الهرم — فقال : أمَا تَرضون أن أكونَ لكم فِندا ! فلُقِّب بذلك .

الخوارزمى : يخاطب الدهرَ، فيقول : تَعُمُّ الناسَ بالآستئصال، فلا تُبقِى على العُلماء ولا الجُهال . وعليه قولُ أبى الطيب :

---

(١) البيت الحادى عشر من القصيدة السابعة ص ٣٣٥ .

(٢) فى الأصل : «سهل الرمانى» والتصويب من القاموس (فند) وهو أحد شعراء الحماسة .

(٣) فند هذا ، هو أبو زيد مولى عائشة بنت سعد بن أبى وقاص ، وكان أحد المغنين ، فأرسلته عائشة يأتيها بنار ، فوجد قوما يخرجون إلى مصر فخرج معهم فأقام بها سنة ، ثم قدم فأخذ نارا وجاء يعدو فعثر وتبدد الجمر ، فقال : «تعست العجلة» . انظر مجمع الأمثال (١ : ١٠٢ ، ١٢٠) .

يموت راعِى الضَّأنِ فى جَهْلِه ... مِيتَـةَ جالينوسَ فى طِبِّـه

وقوله « يجمعهم سيلكُ فى مدّه » كلام فصيح .

١٥ (إنْ لَمْ يَكُنْ رُشْـدُ الفَتَى نافعًا ... فَغيُّـه أَنفَـعُ مِنْ رُشْـدِه)

التبريزى : ... ...

البطليوسى : سيأتى .

الخوارزمى : يقول : اجتهادُ الفتى فى عِلْمه وزُهده مما لا يجدى فى العاجلة عليه، ولا يذود الهلاكَ المتوجِّه إليه؛ فلو كان فى الآجلة قلة نفعه كذلك، لكان تركه الاجتهاد، لاشتماله على الراحة ومجانبة التعب، خيرًا له من الاشتغال به . ونحوه بيت السقط (١) :

وإنْ لم يكن للفضل ثَمّ مَزِيّةٌ ... على النَّقص فالويلُ الطويلُ من الغَبْنِ

١٦ (تَجْـرِبَةُ الدُّنيـا وأَفعالُهـا ... حَثّتْ أَخَا الزُّهْد علَى زُهْـدِه)

التبريزى : ... ...

البطليوسى : يقول : إذا لم يكن فى الرُّشد منفعة، وجَبَ أن يكون الغَىّ أنفعَ منه . وهذا عكس ما تُوجبه العقولُ السليمة . وإنما قال هذا تعنيفًا لمن يَرى مَصارع الأنام فلا يَزدجر، ويُشاهد تقلُّبَ الأيّام فلا يعتبر؛ فجعل الجاهلَ أحسنَ ممن هذه صفتُه؛ لأنّ الإنسان إنما يُحاسَبُ على قدر عقله . ومن لا عقلَ له لا حِسابَ عليه .

الخوارزمى : سيأتى .

١٧ (والقَلْبُ مِنْ أَهوائِهِ عابِدٌ ... ما يَعْبُـدُ الكافِرُ من بُـدِّهِ)

التبريزى : بُدّ : صنم . يقول : كلّ قلب يَعْبُد هواه عبادةَ الكافر للصَّنَم .

(١) البيت الحادى والثلاثون من القصيدة الحادية والأربعين ص ٩٢٨ .

البطليوسى : هذا مأخوذ من قوله عزّ وجلّ : ﴿ أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَٰهَهُ هَوَاهُ ﴾ . ومن الحديث المَروىّ « الهَوى إله معبود » . والبُدّ : الصنم .

الخوارزمى : فى شعر شيخنا جار الله :

مُوحِّد ربَّه فى زَعمه وترَى ... أهواءه دون وجه الله مَعبودا (١)

وعن أبى أُمامة رضى الله عنه قال: قال رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم: «ماتحت ظلّ السماء إلهٌ يُعبد من دون الله أعظمُ من هوًى مُتَّبع». يقول: زهد المرء فى دنياه؛ ليس لعفّته وتَقواه، بل لأنه لا يَجد من ذاك بُدًّا، ولذلك يتخذ من هواه بُدًّا .

١٨ ﴿ إنّ زمانى برزاياه لى ... صيَّرنى أمرح فى قِدّه ﴾

التبريزى : المرح : إفراط النشاط، والمعنى أنّ الزمان قيّدنى، فلما أَلِفتُ القيدَ صرتُ أَمرح فيه .

البطليوسى : سيأتى .

الخوارزمى : يقول : ألفت رَزاياه، حتى إنى أستحبُّها (٢) وأستطيبُها .

١٩ ﴿ كأنّنا (٣) فى كفّه مالُه ... يُنفِقُ مايَختارُ من نَقْده ﴾

التبريزى : ... ...

البطليوسى : المَرح : كثرة الجَوَلان والنّشاط . والقِدّ : ما يُقَدّ من الجلد ويُشدّ به الأسير . يقول : لكثرة تردّد رزايا الدهر علىّ صرت ذا دُرْبة وحِذْق بالمَشى فى قِدّه، فأنا أَمرح فيه، ولا أباليه . وهذا نحوٌ من قول جعفر بن عُلْبة الحارثىّ :

ولا أنّ نفسى يَزدهيها وَعيدُهم ... ولا أنّنى بالمَشى فى القَيد أَخرقُ

(١) البيت لم يرد فى ديوانه المخطوط . وفى الأصل : «معبود» .

(٢) فى الأصل : « استحلها » .

(٣) فى الخوارزمى : « كأننى » وقد أشير إلى هذه الرواية فى هامش الديوان المخطوط .

الخـــوارزمى : هذا قريب من قوله عليه السلام : «يَذهب الصالحون أسلافًا الأَوّلَ فالأَوّلَ، حتى لا يبقى إلا حُثالة كَحُثالة التمر والشَّعير لا يُبالى الله بهم» . الحُثالة : ما يسقط من القَش عن كلِّ ذى قُشارة، كالشعير والأُرز والتمر .

٢٠ (لَوْ عَرَفَ الإنسانُ مِقْـدَارَه لم يَفخرِ المَـوْلَى عَـلَى عَبْـدِهِ)

التـــبريزى : هذا ضدّ قول أبى الطيّب :

لا تَشْتَرِ العبدَ إلا والعصا معهُ إنّ العبيـدَ لأَنجـاسٌ مَناكيدُ

البطليـــوسى : ... ...

الخـــوارزمى : يقول : لو تَصوّر الإنسان فاتحةَ عُمره، ثم تذكّر خاتمة أمره، لترَك الافتخار ولو على مَملوكه . قال عليه السلام : « إيّاكم وعُبِّيّة الجاهليّـة، كُلكم بنى آدم وآدمُ خُلِق من التراب» . عُبِّيّة الجاهليـة : نَخوتها وتكبّرها، وهو من عَبَّ النبت، إذا طال؛ لأن المُتكبّر كأنه يتطاوَلُ على الناس .

٢١ (أَمسِ الّذى مَرّ عـلى قُـرْبِهِ يَعْجِزُ أَهْلُ الأَرْضِ عَنْ رَدِّهِ)

التـــبريزى : ... ...

الطليـــوسى : ... ...

الخـــوارزمى : يقول : إذا كانوا من الضعف والعجز بهذه المَنزلة فجديرٌ بهم أن يتركوا الافتخار .

٢٢ (أَضْحَى الّذى أُجِّـلَ فى سِـنِّه مِثْـلَ الّذى عُوجِلَ فى مَهْدِهِ)

٢٣ (ولا يُبَـالِى المَيْتُ فى قَـبْرِهِ بِذَمِّـه شُـيِّعَ أم حَمْـــدِهِ)(١)

التـــبريزى : ... ...

البطليـــوسى : ... ...

---

(١) فى البطليوسى : « أو حمده » .

الخــــوارزمى : يقول : ما من أحدٍ، صغيرا كان أو كبيراً، إلا سوف يُدركه الفناء، و يتخلّف عنه البقاء، و يعود جمادا لا ينفعه الحمد ولا يضرّه الذم .

٢٤ (والواحدُ المُفْـرَدُ فى حَتْفِـهِ كالحاشدِ المُكْثِرِ فى حَشْدِهِ)(١)

التــــبريزى : الحاشد : الذى يجمع الجيش ليُعينه على القتال .

البطليــــوسى : ... .

الخــــوارزمى : هذا كبيت السقط :

ولا يُعجِزُ الأيامَ أَخضعُ واحدٍ ولا أهـلُ عزٍّ [illegible] منشب(٢)

٢٥ (وَحالةُ الباكِى لآبائهِ كحالةِ البا[illegible] ولْدهِ)

التــــبريزى : ... ...

البطليــــوسى : ســــيأتى .

الخــــوارزمى : هو من أولاده ووَلَده ووُلْده، كذا ذكره فى أساس البلاغة .
يقول : كُل إنسان يلتحق بأجداده، وإن تخلّف مُدة عن أبيه وأولاده(٣) .

٢٦ (ما رَغْبــةُ الحَىّ بأَبْنـائه عمّا جَنَى المَوْتُ على جَدِّهِ)

التــــبريزى : يقال : رغبتُ عنه، بمعنى زهدت فيه . والمعنى : أىّ شىء تُجدى رغبةُ الحىّ بأبنائه عن شىءٍ قد لقيه جدُّه وأبوه . أى حقه ألّا يرغب عن ذلك، كما تقول للرجل إذا أنكرتَ جلوسه : ما جلوسُك ها هنا ؟!

البطليــــوسى : ســــيأتى .

---

(١) الخوارزمى : «فالواحد» . التنوير وحد من التبريزى : «من حشده» .

(٢) البيت من القصيدة ٩٧ .

(٣) فى المخطوطة : «وأجداده» والصواب من المطبوعة .

الخوارزمى : «ما» هاهنا للاستفهام . ومعنى البيتِ قريبٌ من معنى قول أبى الطيّب :

نحنُ بنو الموت فما بالُنا نَعافُ ما لا بُدّ من شُرْبِهِ

وقول أبى نُوَاس :

ألا يابنَ الذين فَنُوا و بادُوا أَمَا واللهِ ما بادُوا لِتَبْقَى

٢٧ ﴿ومَجْدُه أَفْعالُهُ لا الَّذِى مِنْ قَبْلِه كَانَ وَلَا بَعْدِه﴾[١]

التبريزى : يقول : مجدُه فعله الجميلُ الذى يُذكر به ، لا ما فعله جدُّه ولا ما يفعله بنوه .

البطليوسى : سيأتى .

الخوارزمى : هذا كقول ابن الرُّومىّ :

إذا العُود لم يُثْمِر و إن كان شُعبةً من المُثمرات اعتدّه الناسُ فى الحَطَبْ

فإن قلت : فكيف قال «ولا بعده» ، مع أنّ ذلك يُوجب أنْ يكون تقديرُ الكلام فيه : «ولا الذى كان من بعده» ، وهذا باتفاق غيرُ جائز؟ قلت : هذا كقوله :

فأدركتُ مَن قد كان قبلى ولَمْ أَدَعْ لِمَن كان بعدى فى القَصائد مَصْنَعا

ومعناه : لمن قُدِّر كونه بعدى .

٢٨ ﴿لَوْلَا سَجَاياهُ وأَخْلاقُه لَكَانَ كالمَعْدُومِ فى وُجْدِه﴾

التبريزى : الوُجد : الوجدان .

البطليوسى : الوَلَد والوُلْد ، سواء ، و يكونان واحدًا و جمعا . قال الله تعالى : ﴿ولَمْ يَزِدْهُ مالُهُ وَوَلَدُهُ إلّا خَسَارا﴾ . وأنشد يعقوب :

فليتَ فُلانًا كان فى بَطْنِ أُمّه وليتَ فُلانًا كان وُلْدَ حِمارِ

(١) حـ من التبريزى : «ومن بعده» .

والمجد : الشرف . والسجايا : الطبائع . وقوله : « كالمَعدوم فى وُجده» . الوجد: الغِنَى والمَقدرة . وفيه ثلاث لغات : الضم والفتح والكسر، وبجميعها قــد قرأت القُرّاء:﴿ أَسْكِنُوهنّ مِنْ حَيْثُ سَكَنْتُمْ مِنْ وُجْدِكُمْ ﴾(١) . يقول : ليس شرف الإنسان بآبائه وغِناه، و إنما شرفُه بأَخلاقه وسجاياه . وقوله «ومجده أفعاله» كقول الآخر:

وما شَرفُ الإنســان إلا بنَفْســه   وإنْ خَصّــه جدٌّ شريفٌ ووالدُ
إذا كان كُلُّ الخَــلْق أبنــاءَ آدمٍ   فأفضلُهــم مَن فَضّــلتْه المَحامدُ

الخــوارزمى : ... ...

٢٩ ﴿تَشْتَاقُ أَيّارَ نُفُوسُ الوَرَى   وإنّمــا الشَّــوْقُ إلَى وَرْدِهِ﴾

التــبريزى : الوُجد : الوِجدان . أيّار : معظم الربيع . ويقال له بالشام : أيّار الورد . يقول : كما أنّ أيّار الوردِ إنمــا تَشتاقه النفوسُ لأجل الورد ، كذلك ٱبنُ آدم لولا ما يُحمد من أفعاله لكان كالمَعدوم و إن كان موجودا .

البطليــوسى : هذا مثلٌ ضَربه لمــا قدّمه من أنّ فضــيلة الإنسان إنمــا هى بسجاياه وفِعله ، كما أنّ فضيلة أيّار إنما هى بوَرده . وأيّار : شهر بابة .

الخــوارزمى : أيار، بفتح الهمزة : كلمة سريانية، وهى من شُهور الربيع(٢) . و بالشام يقال «أيّار الورد» . يقول : فَضل الربيع على سائر الفُصول ليس لذاته، بل لأنّ الــورد يأتى فيما بين أوقاته ؛ كذلك شرفُ الإنسان ليس لذاته وأبيــه ، بل لكَرمه ومَساعيه .

(١) قرأ الحسن وابن أبى عبلة وأبو حيوة بالفتح ، والفياض بن عزوان وعمــرو بن ميمون و يعقوب بكسرها . ورويت عن الأعرج أيضا رواية الكسر ، وجمهور القراء على الضم . انظر تفســير أبى حيان (٨ : ٢٨٥) .

(٢) انظر الآثار الباقية للبيرونى ص ٦٠ .

٣٠ ﴿تَدْعُو بطُولِ العُمْـرِ أفْواهُنا لِمَنْ تَناهَى القَلْبُ فى وُدِّهِ﴾

٣١ ﴿يُسَرُّ إنْ مُـدَّ بَقَـاءٌ لَهُ وكُلُّ(١) ما يَـكْرَهُ فى مَـدِّهِ﴾

التـــبريزى : ... ...

البطليـــوسى : ... ...

الخـــوارزمى : هذا كبيت السقط :

تَعَبٌ كلُّها الحيـاةُ فمـا أعْـ جبُ إلّا من راغبٍ فى ٱزديادِ(٢)

٣٢ ﴿أفْضَلُ ما فى النَّفْس يغْتَالهـا فَنَسْتَعيذُ اللّهَ مِنْ جُنْـدِهِ﴾

التـــبريزى : يغتالها : يُهلكها . وأفضل مافى النُّفوس البقاء ، والبقاء هـو الذى يفضى بها إلى الهلاك .

البطليـــوسى : ... ...

الخـــوارزمى : يقول : أفضلُ أعضاء البَـدَن قد يسوق إلى البَـدَن تَوَاه(٣) ، وذلك بواسطة هَواه . وقد فُسِّر هذا فى البيت الثانى .

٣٣ ﴿فَآفَةُ(٤) العَـاشِقِ مِنْ طَـرْفِهِ وآفَةُ الصَّارِمِ منْ حَدِّهِ﴾

التـــبريزى : ... ...

البطليـــوسى : يَغتالها : يُهلكها ويَذهب بها . يقول : الجاهلُ يُوهمه جهلُه أنّ نفسَه وأعضاءَه له ، وإنمـا هى جُندٌ لله تعالى مُتصرِّفة بأمره لا بأمر الإنسان ، يُهلكه بأيّها شاء ، فإذا كانت نفسُه إلبًا(٥) عليه ، فكيف يرجو أنْ يدفع ما يجرّه الزمان إليه . ولهذا قيل : كم نعمة لله فى عِرْق ساكن .

(١) حـ من التبريزى والخوارزمى : «فكل» . (٢) البيت ١٢ من القصيدة ٤٣ ص ٩٨٠ .

(٣) التوى ، بالتاء المثناة : الهلاك . (٤) التنوير : «وآفة» .

(٥) إلبا عليه ، أى حربا عليه . وفى الأصل : «الفاعلية» .

الخوارزمى : هو من قول أبى الطيّب :

وأنا الذى آجتلب المَنِيّةَ طَرْفُه فَمَنِ المُطالَبُ والقتيل القاتل

وقولِ دِعْبِل :

لا تأخُذَا بظُلامتى أحـدا قَلْبى وطَـرْفى فى دَمى آشتَرَكا (١)

٣٤(كَمْ صَائِنٍ عَنْ قُبْـلَةٍ خَدَّهُ سُلِّطَتِ الأَرْضُ علَى خَدِّهِ)

٣٥(وحَامِلٍ ثِقْـلَ الثَّرَى جِيدُه وكَانَ يَشْكُو الثِّقَلَ مِنْ عِقْدِهِ) (٢)

التبريزى : الثَّرى : التراب، وكذلك البَرَى . والجِيد : العُنق .

البطليوسى : الجيد : العُنق ، والثِّقَل ، بفتح القاف : لمصدر . والثقْل ، بسكونها : الشيء المُثقِل . وقد يقال فى المصدر ثقْل أيضا . قال الشاعر :

* دَعِ الثقْل وآحمل حاجةً مالها ثِقْلُ *

الخوارزمى : أعمل «صائن» فى «خده» وكذلك «حامل» فى «ثقل الثرى» لاعتماد الأول على «كم» واعتماد الثانى على «رُبَّ» . وقد مضت هذه المسألة فى «معَان من أحبَّتنا» (٣) .

٣٦(وَرُبَّ ظَمْآنَ إلى مَـوْرِدٍ والمَوْتُ لو يَعْـلَمُ فِى وِرْدِهِ)

التبريزى : ... ...

البطليوسى : سيأتى .

(١) فى الأصل : «لاتأخذوا» . وإنما هو خطاب لصاحبيه . وقبله كما فى ترجمته من ابن خلكان :

يا ليت شعرى كيف نومكما يا صاحبى إذا دمى سفكا

(٢) حـ من التبريزى ، أ من البطليوسى : «الضعف» .

(٣) البيت ٢٠ من القصيدة الثالثة ص ١٨٧ .

الخوارزمى : الورد . هاهنا إما الورود، وإما المَوْرِد . وفى كلام أبى النَّضر العُتبىّ : « فكم من وارد ماء أَشرقه نَميرُه، وقادح زَنْد أَحرقه سعيرُه، وشاحذ حدٍّ قُطع به وَريدُه، وراكب جَوادٍ قُصِم عليه جِيدُه » .

٣٧(ومُرْسِلِ الغَارَةِ مَبثُوثةً مِنْ أَدْهَمِ(١) اللَّوْنِ ومنْ وَرْدِهِ)

التبريزى : مَبثوثة : مفترقة . والأَدهم : الأَسود . والوَرْد : الأحمر .

البطليوسى : سيأتى .

الخوارزمى : الغارة، هى الخيل المُغيرة، عن الجَوهرىّ . قوله : « من أدهم اللون » بيان للغارة .

٣٨(يَخُوضُ بَحْرًا نَقْعُه ماؤُه يَحْمِلُه السَّابحُ فى لِبْدِهِ)

التبريزى : النَّقع : الغبار . والسابح : الفرس . وأراد بالبَحر الحربَ والقتال .

البطليوسى : الظمآن : العطشان . والمَبثوثة : المتفرقة والمُنتشرة . والنَّقع : الغبار . شَبّه معركةَ الحرب بالبحر، وجعل ما يثُور فيها من الغُبار كالماء . والسابح : الفرس الحسن الجَرى، شُبّه بالسابح فى الماء . وكان ذِكر السابح ها هنا لائقًا بهذا الموضع لذكرِه البحر والماء . وهذا من الحِذق بصناعته . واللِّبد : ما يوَطَّأ به للسَّرج، ويُسمى السَّرج أيضا لِبْدا .

الخوارزمى : « نقعه ماؤه » كذا وقع فى النسخ، والصواب «ماؤه نقعه»، كما تقول : رأيت أُسودا غابُها الرِّماح، ولا تقول رِماحُها الغاب . قوله « يحمله السابح فى لبده » جملة فعلية فى محل النصب على الحال من الضمير المستكن فى «يخوض» . «والسابح» مع «يخوض بحرا» إيهام .

(١) البطليوسى : «من أشقر» .

٣٩ (أَشْجَعُ مَنْ قَلَّبَ خَطِّيَّةً عَلَى طَوِيلِ الْبَاعِ مُمْتَدِّهِ)

التبريزى : خطّية : رماح مَنسوبة إلى خَطّ عُمَان . على طويل الباع، أى على فرس هذه صفته .

البطليوسى : سيأتى .

الخوارزمى : قوله « على طويل الباع ممتدّه » أى على الباع الطويل . ونظير هذه الإضافة : « سَحْق عمامة » و « جَرد قطيفة » .

٤٠ (يَرَى وُقُوعَ الزُّرْقِ فى دِرْعِهِ مِثْلَ وُقُوعِ الزُّرْقِ فى جِلْدِهِ)

التبريزى : أى هذا الفارس لا تصل الرماح إلى أن تقع فى دِرْعه؛ لأنه لعلمه بالفروسيّة، يمنعها من أن تصل إلى الدِّرع، و يأنف لها من ذلك، كما يأنف لجلده .

البطليوسى : الخطّية : الرماح تُنسب إلى الخطّ، وهى جزيرة بالبحر تُنبت الرماح . وقال الأصمعىّ : ليست تُنبت الرماح ، و إنما خرجت إليها سفينة فيها رماح فقيل لها خطّية ، ثم عمّ هذا الآسم كُلَّ رمح كان من تلك أو من غيرها (١) . والزُّرق : الأسنّة الصافية .

الخوارزمى : يقول : لمهارته فى المحُاربة يَستنكف من وُقوع الأسنّة فى سَرْده، آستنكافَه من وقوعها فى جِلده .

٤١ (لا يَصِلُ الرُّمْحُ إلى طِرْفِهِ وَلَا إِلَى المُحْكَمِ مِنْ سَرْدِهِ)

٤٢ (يُلْقِى عَلَيْهِ الطَّعْنُ إلْقاءَكَ الـ حَسْبَ عَلَى المُسْرِعِ فى عَقْدِهِ)

التبريزى : أى يجيئه الطعنُ من كلّ ناحيــة ؛ و يُلقى عليه كما يُلقِى المعلِّمُ الحسابَ على الصِّبيان، إذا عَرف منهم سُرعة العقد وآمتحنهم بذلك .

(١) كذا . وفى تاج العروس : « لأنها تحمل من بلاد الهند فتقوّم به » أى بالخط .

البطليوسى : الطِّرْف : الفرس الكريم الطّرفين . والسَّرْد : نَسج الدِّرع بالحَلَق، ثم سُمِّيت الدرع سَرْدا بالمصدر، كما قيل ثوب نَسْج اليمن . ودرهم ضرب الأمير .

الخوارزمى : الحَسْب، هو الحساب، وهو مصدر حَسَب المال. يقول: ذلك المُرْسِل الغارة(١) لا يُقدم على قتاله إنسان، ولا يُصيب طرَفه ولا درعه سِنان . وإن كان يُقصَد بطَعنات متواليةٍ من كلّ جانب، تَوالِىَ الحساب إذا أُلْقِى على المُسرع من الحاسب .

٤٣ (بلَحْظَةٍ منه فما دُونَها يَرُدّ غَرْبَ الجَيْشِ عن قَصْدِه)

التبريزى : ... ...

البطليوسى : سيأتى .

الخوارزمى : الباء فى « بلحظةٍ » للأداة لا للظرف . يقول : إنه مَهيب اللّحظ والنّظر .

٤٤ (أَمْهَلَه الدّهرُ فأَوْدَى به مُبيِّضُه يُحْدَى بمُسْوَدّه)

التبريزى : أَودى به، أى أهلكه بعد الإمهال . وقوله : « مبيّضه يُحْدى بمسودّه » جملة فى موضع الحال، أى يحدو سوادُ الدهر بياضَه، أى يأتى مكروهُه بعد محبوبه . والتقدير : فأودى به حاديًا أسوده أبيضه، أى ذاهبًا بمحبوبه مكروهُه . ويجوز أن يكون «مُبيّضه» فاعلَ أودى، ويكون المراد بالمُبيِّض والمُسْوَدّ النّهارَ واللّيل، ويكون معناه أنّ الدهر أمهلَه فأودى به ليلُه ونهاره .

البطليوسى : غَرْب كلّ شىء : حدّه . والجيش : العسكر، سُمّى بالمصدر، من قولهم : جاشت القِدر تجيش جَيْشا، إذا فارت . شُبّهت حركته بحركة القِدْر

(١) فى المخطوطة : «المرسل العتق» صوابه من المطبوعة .

عند غليانها . وأودى : ذَهَب . ويعنى بالمُبيِّض النهار، وبالمسوِّد اللَّيل . أى أفناه تعاقبُ الليل والنهار . وهذا كقول الآخر :

فأفنانى ولا يَفنى نهار وليلٌ كلَّما يَمضى يعودُ

الخوارزمى : عنى بـ«المُبيِّض والمسوِّد» إمّا المحبوب والمكروه، وإمّا الجديدين. فإنْ عَنى به الأوَّلَ ففاعل «أودى» ضمير الدهر . وقوله « مبيضه يُحدَى بمسوده » جملةٌ اسميّةٌ فى محل النَّصب على الحال، كأنه قال: أهلكه الدهر مُعْقبا خيرَه بشرِّه، ونفعَه بضرِّه. على أنه يجوز فى هذا الوجه أن تكون هذه الجملة ٱستئنافيّة، ولا يكون لها من الإعراب محل، كأنه قال : الدهر كذلك يُعقب ضررَه نفعَه ، ويُردِف وضعَه رَفْعَه . وإن عَنى به الثانى ففاعله إمّا ضمير «الدهر» والجملة فى محل النصب على الحال، كأنه قال : أهلكه الدهر مسبوقًا نهاره بليله وليلُه بنهاره .

فإن قلتَ : من شَرط الحال أن تُفارق ، وهى هاهنا غير مفارقة ؛ لأنّ كونَ الدهر مَسبوقًا نهاره بليله ، وليلُه بنهاره، ليس إلا مُرورَ الدهر ، ومُرورُ الدَّهر ممّا لا يُفارق الدّهر . قلتُ : مُرورُ الدهر وإن كان لا يُفارق الدهرَ، إلا أنّه لمّا كان ممّا يَقع فيه الغَفلة، نُزِّل منزلةَ المُفارق . ولعله يُساق إليك فى « نَبِيٌّ من الغربان »(١) مابه تنفتق لك هذه المسألة . وأما «مُبيِّضه» فقوله « يحدى بمُسوِّده » حال منه، أى من مبيضه .

٤٥ (فَيَا أَخَا المَفْقُودِ فِى خَمْسَةٍ كَالشُّهْبِ مَاسَلَّاكَ عَنْ فَقْدِه)

التبريزى : أى فى خَمسة أولاد المفقود ما يُسلِّيك عنه .

---

(١) مطلع قصيدته الثانية والستين . وهو بتمامه :

نَبِيٌّ من الغربان ليس على شرع يخبرنا أن الشعوب إلى الصدع

البطليوسى : يقول : يا أخا المَفقود، مالك تتوجّع لفقده، وفى بقاء هؤلاء الخَمسة من إخوتك ما يُسلّيك عنهم ، وفيهم لك العوَض منـه ، ومَن خلّف مثلَهم بعده، فقد أمن أن يُذهب الدهرُ مجدَه . وهذا نحوٌ من قول أبى تمّـام فى تَعزيته لمـالك بن طَوْق التَّغلبيّ[1] :

فأنت وصنواك الكريمـان إخوةٌ خُلقتم سَـعوطًا للأُنوف الرواغِمِ
ثلاثة أركانٍ وما آنهدّ سُوددٌ إذا ثَبتت فيـه ثلاثُ دعائمِ

الخـوارزمى : « ما سلّاك عن فقده » مبتدأ ، و « فى خمسة » خبره .

٤٦ (جَاءَكَ هَذا الحُزْن مُسْتَجْدِيًا أَجْرَكَ فِى الصَّبْرِ فَلَا تُجْـدِهِ)

التـبريزى : ... ...

البطليـوسى : سـيأتى .

الخـوارزمى : قوله : « هذا الحزن » لا يخلو عن نوع تحقير .

٤٧ (سَـلِّمْ إِلَى اللهِ فـكُلُّ الَّذِى سَاءَكَ أَوْ سَرَّكَ مِنْ عِنْـدِهِ)

التـبريزى : ... ...

البطليـوسى : مُستجديا : مُستوهبا مُستعطيا . ويقال : أجديتُه، إذا أعطيتَه. فأمّا جَدوتُه، فيكون بمعنى أَعطيته ، ويكون بمعنى سألته . وقد جمع ذلك الشاعرُ فى قوله :

جدوتُ أناسًا مُوسرين فما جَدَوْا أَلا اللهَ أَجـدُوه إذا كُنتُ جاديًا[2]

وقدّم الإساءة على المسرّة لأنه فى رثاءٍ ومخاطبة مُصـاب ، فكان أحسنَ فى الصّنعة . ولو قدم المسرةَ ما كان مَعيبا ، ولكنه آختار الأَليق بالحال .

الخـوارزمى : ... ...

(١) البيتان التاليان من قصيدة له فى (باب المديح) من ديوانه ، يمدح بها مالكا ويعزيه عن أخيه القاسم ابن طوق . (٢) فى أ من البطليوسى واللسان : « ألا الله فاجدوه » .

٤٨ (لَا يَعْدَمُ الأَسْمَرُ فِي غَابِهِ حَتْفًا ولَا الأَبْيَضُ فِي غِمْدِهِ)

التبريزى : أى كُل إلى فَناء . والحَتْف : الهلاك .

البطليوسى : الأسمر: الرُّمح . والغَاب: جمع غابة، وهى الأَجَمة. والحَتْف : المنيّة . والأَبيض : السيف ، وقد ذكرنا فيما تقدّم لِمَ قيل للرُّمح أَسمر ، وللسيف أَبيض . يقول : إذا كانت الرماحُ التى يُعدّها الإنسان لدفع النّوائب عن نفسه ، وللتّوقِّى بها من عدوّه ، تُدركها الآفات ، فالمُستدفِع بها أحْرَى بأن ينالَه ذلك .

الخوارزمى : يقول : إنّ الأمور كُلَّها بيد الله، لا مَردّ لقضائه .

٤٩ (إنّ الّذِي الوَحْشَةُ فِي دَارِهِ تُؤْنِسُهُ الرَّحْمَةُ فِي لَحْدِهِ)

التبريزى : سيأتى .

البطليوسى : هذا نحوُ قولِ أبى الطيّب :

فأَعِيذُ إخوتَه بربِّ محمّدٍ أَنْ يَحزنوا ومحمّدٌ مَسرورُ

الخوارزمى : «تُؤنسه الرحمة فى لحده» على طريقة الدعاء والتفاؤل .

٥٠ (لَا أَوْحَشَتْ دَارُكَ مِنْ شَمْسِهَا وَلَا خَلَا غَابُكَ مِنْ أُسْدِهِ)(١)

التبريزى : ... ...

البطليوسى : ... ...

الخوارزمى : فى تحيّة المُستعربة : «لا أَوحَشَ الله منك» . ومعناه فيما أتوهّم: لا أَذهبك الله فتُوحِشَ أحبّاءَك من جانبك بالفِراق . ومنه قول الأَبله البَغدادىّ :

ما دام جُود يَدَيْك مَوْ جودًا فما مات الكِرَامْ

لا أَوحشتْ دارُ السّلا مِ من آرتياحك والسَّلامْ

يُخاطب أخا المرثىّ فيقول : أنت فى البهاء بمنزلة الشّمس ، فلا غِبت عن منزلك فتُوحشه من جهتك بالمَغيب .

(١) فى الخوارزمى : « عن أسده » .

[القصيدة الخامسة والأربعون]

وقال يعزِّى، من الكامل الأوّل والقافية متدارك[١] :

١ (يَا رَاعِيَ الـوُدِّ الَّذِي أَفْعَـالُهُ   تُغْنِي بِظَاهِرِ أَمْرِهَا عَنْ نَعْتِهَا)

التبريزى : ... ...

البطليوسى : سيأتى .

الخوارزمى : أفعال، فى الأصل، من جموع القلة، إلا أنه هاهنا قد عنَى جمع الكثرة . ومنه بيتُ حَسّان :

* وأسيافُنا يَقْطُرْنَ من نَجْدةٍ دَمَا[٢] *

٢ (لَوْ كُنْتُ حَيًّا مَا قَطَعْتُكَ فَاعْتَذِرْ   عَنِّي إِلَيْـكَ لِخُـلَّةٍ[٣] بِأَمَتِّهَـا)

التبريزى : ... ...

البطليوسى : يقول : إنما يحتاج الشيء إلى أن ينعت ويُوصف، إذا كان مجهولًا لا يُعْلَم ولا يُعْرَف، وأفعالُك مشهورة تستغنى بوضوح أمرها، عن وصفها للناس وذكرها . وقوله « لو كنت حيا ما قطعتك » يقول : أنا كالميت وإن كنتُ حيًّا، لاعتزالى الناس وانقباضى عنهم. والخُلّة : الصداقة . وأَمَتّها : أقواها أسبابا؛ من قولك : مَتَّ إليه بكذا، إذا تسبَّب به وتَوصَّل .

---

(١) البطليوسى : « وقال يخاطب بعض إخوانه، وكان أُصيب ببعض أهله فتأخر عن تعزيته، ثم اعتذر إليه بهذا الشعر » . وعند الخوارزمى : « وقال أيضا فى الكامل الأوّل والقافية من المتدارك، يعزى » .

(٢) صدره : * لنا الجفنات الغر يلمعن بالضحى *

(٣) البطليوسى : « بخلة » .

الخـــوارزمى : بيننا خُلَّةٌ قديمةٌ . متَّ إليـه بحُرمة متًّا، وهو توصَّل بقرابة ودالّة؛ و بينهما ماتّةٌ ومَوَاتٌّ . والمَطّ والمَدّ والمَتّ، أخوات . جعل الواحد من الجار والمجرور فى قوله « لخلة بأمتها » بيانًا للآخر . ونظيره قولُ أبى العلاء :

* ومنزلًا بكِ معمورًا من الخفَرِ[(١)] *

وفى كلام أبى زيد البَلْخِيّ : فالمَضَـارُّ التى تتولّد من الشُّرْب بإسراف، إنما تتولّد بثـلاثة معان : من السُّكْر، والخُمَار، وما يُعقبـه إدمان الشرب بإسراف . الضمير فى « بأمتِّها » للخُـلّة . كان أبو العـلاء لم يحضر مناحة المرثى، ولم يُقِمْ رسمَ التعزية، بدليل قوله :

وكَرِهْتُ من بعد الثَّلاثِ تَجَشُّمِي ... طُـرُقَ العَـزَاءِ عـلى تغـيُّرِ سَمْتِها

وعلىَّ أن أقضى صـلاتى بعد ما ... فاتت إذا لم أَقْضِها فى وقتها

فهو يعتذر عن ذلك المرثىّ .

٣ (فَالأَرْضُ تَعْلَمُ أَنَّنِي مِنْ فَوْقِهَا ... مُتَصَرِّفٌ وَكَأَنَّنِي مِنْ تَحْتِهَا)[(٢)]

التـبريزى : ... ...

البطليـوسى : ... ...

الخـــوارزمى : هذا البيت تعليل للأمر بالاعتذار . يقول : اعذرْنى حيث لم أقضِ حقوق تعزيتك، وشرائطَ مصيبتك ؛ فإنى بما دهانى من الحزن فى وفاتك قد صِرتُ فى عِداد الموتى، والمَيِّتُ عن قضاء الحقوق عاجز .

---

(١) عجز البيت ١٤ من القصيدة الثانية ص ١٢٩ . وصدره :

* حسنت نظم كلام توصفين به *

(٢) فى التنوير :

فالأرض تعلم أننى متصرف ... من فوقها ... ...

٤ (غَدَرَتْ بِيَ الدُّنْيَا وَكُلُّ مُصَاحِبٍ   صَاحَبْتُهُ غَدْرَ الشِّمَالِ بِأُخْتِهَا)

التبريزى : ... ...

البطليوسى : سيأتى .

الخوارزمى : يبيّن فى هذا البيت كونَه بمنزلة الميّت ، فيقول : كيف لا يتضاعف علىَّ الحزن حتى ألتحق بمن هِيل عليه ترابُ القبر، وقد رُميتُ من كلّ جانب بالغَدْر، فالدنيا قد طرقتْ زُمْرَة الإخوان بالبَتَات، ومزّقتهم من الممات ؛ وكلُّ صديقٍ كنتُ أنا وهو من فَرْط الممازجة والمصافاة بمنزلة يمينٍ وشمَال ، قد صار منى مُبَادِهًا بالتَّرْحال، بجعل صَفْقَتِى خاسرة، وارتحل من الدنيا إلى الآخرة .

٥ (شُغِفَتْ بِوَامِقِهَا الحَرِيصِ وَأَظْهَرَتْ   مَقْتِى لِمَا أَظْهَرْتُهُ مِنْ مَقْتِهَا)

التبريزى : الشغف : غلبة الحب على القلب ؛ شُغِف الرجل بالشىء فهو مشغوف به ، إذا غلَب حبُّه على قلبه . والوامق : المحبّ . والمِقَةُ : الحب . والمَقْت : البُغْض؛ يقال: وَمِقَه يمِقه، إذا أحبَّه. وهو أحد ما جاء على فَعِل يَفْعِل. ومَقَتَه يمْقُته، إذا أبغضه .

البطليوسى : يقول : غَدَر بى كلُّ صاحب كنتُ أثِق به وأَعتقدُ أنّى و إياه كاليدين اللّتين تُعِين كلُّ واحدة منهما أُختَها . والصاحبان المتصافيان يُشَبّهان باليدين . قال الشاعر :

فإنّا وكلْبًا كاليدين متى تقعْ   شِمَالُك فى الهيجا تُعِنْها يمِينُها

والشغف، بالغين معجمة : أن يبلغ الحبّ شَغْفَ القلب[1]، وهو حجابه . فأمّا الشعف ، بالعين غيرُ معجمة ، فهو حُرْقة يجدها الرجل مع لَذّة . ولذلك قال امرؤ القيس :

(١) يقال : شغف القلب ، بالفتح وبالتحريك ، وشغاف القلب ، كسحاب وغراب .

أيقتلنى وقـد شَعَفْتُ فؤادَها كما شَعَفَ المهنوءةَ الرجلُ الطالى(١)

لأنّ الناقة المَطْلِيّة بالقَطِران تجد له لذةً مع حُرْقة . وقيل : الشعف : أن يغشى الحب شعفة القلب، وهى رأسه . والوامق : المحبّ . والمَقْت : البُغْض .

الخــوارزمى : الضمير فى « شغفت » و « بوامقها » و « مقتها » للدنيا .

٦(لَا بُدَّ لِلْحَسْنَاءِ مِنْ ذَامٍ وَلَا ذَامُ لِنَفْسِى غَـيْرَ سَيِّئِ بَخْتِهَـا)

التــبريزى : ذام، أى عيب . ومن الأمثال : «قد لا تَعْدَم الحسناء ذَامًا» .

البطليــوسى : ســيأتى .

الخــوارزمى : فى أمثالهم : «لا تعدَم الحسناء ذاما» . الذام والذَّيْم، كالعاب والعيب، وزنًا ومعنًى . وأصل المثل أن حُـبَّى بنت مالك بن عمرو العَـدْوانيّة ، هُدِيتْ إلى زَوْجها مالك بن غَسَّان، فقالت أمها لنسوتها : « إنّ لنا عند المُلَامسة رشحة لها هنة، فمَسِّحى أعطافها بمـا فى أصدافها»، تعنى الطيب . فأعجلها زوجها، فلمّا أصبح قيـل له : كيف وجدتَ طَرُوقَتَك؟ فقال : ما رأيت كالليـلة امرأة، لولا رُوَيْحَةٌ أنكرتُها . فقالت(٢) : ذلك . وكانت جميلة . يُضْرَب فى قلّة خُلُوّ الأشياء عن المعايب . قال أبو عبيدة : وهـذا كقولهم : « لكلّ جواد كَبْوَةٌ، ولكلّ عالم هَفْوة، ولكلّ صارم نَبْوة » .

٧(وَلَقَدْ شَرِكْتُكَ فِى أَسَاكَ مُشَاطِرًا وَحَلَلْتُ فِى وَادِى الهُمُومِ وَخَبْتِهَا)

التــبريزى : شَرِكْتُ الرجلَ فى الشىء أَشْرَكُه ، إذا صرْتَ له شريكا فيه . والأَسَى : الحـزن . وقوله «مشاطرا»، أى آخذًا شَطْره . والشَّطْر : النصف . وقوله «وادى الهموم» أى الذى يَحُلّه . والخَبْت : موضع مطمئن .

(١) فى الديوان ص ٥٥ : « أيقتلنى أنى » و « شغفت فؤادها كما شغف » بالغين المعجمة .

(٢) أى قالت المثل .

البطليوسى : الذَّيْم والذام ، والذان والذَّيْن ، والذَّابُ والذَّيْب : العيب . والأَسَى : الحزن . والحَزْنُ : المرتفع من الأرض . والخَبْتُ : المنخفض السهل. فضرب ذلك مثلاً لعظيم الحزن وصغيره .

الخوارزمى : نزلوا فى خَبْتٍ من الأرض ، وخُبُوت ، أى بطونٍ واسعة مطمئنّة . ومنه : ﴿ أَخْبَتُوا إِلَى رَبِّهِمْ ﴾ أى اطْمَأَنُّوا إليه . يخاطب ولىَّ الميّت فيقول : إنى و إن لم أُشاطِرْك فى رسوم العَزَاء، فقد شاطرتُك فى الحزن والبكاء .

٨ ﴿ وَكَرِهْتُ مِنْ بَعْدِ الثَّلَاثِ تَجَشُّمِى طُرُقَ الْعَزَاءِ عَلَى تَغَيُّرِ سَمْتِهَا ﴾

التبريزى : السَّمْت : القصد والطريق .

البطليوسى : التجشُّم : التكلُّف . والعَزَاء، الاسم ، والتعزية، المصدر . والسَّمت : القصد والوجه . وهذا نحو قولهم : « إذا قَدُمَتِ المُرْزِية ، قَبُحَتِ التعزية » .

الخوارزمى : فى هذا البيت إشارة الى قولهم : « التعزية بعد ثلاث تجديدٌ للمصيبة » .

٩ ﴿ وَعَلَىَّ أَنْ أَقْضِى صَلَاتِى بَعْدَمَا فَاتَتْ إِذَا لَمْ أَقْضِهَا[1] فِى وَقْتِهَا ﴾

التبريزى : .. ..

البطليوسى : ... ...

الخوارزمى : إذا لم أقضها ، أى إذا لم أؤدِّها . وهذا من قولك : قضى الله أمرًا، أى أتمّه . ومنه بيت السقط :

هذا لِتعلَمَ أنّى ما نهضتُ إلى قضاءِ حَجٍّ فأغفلتُ المَوَاقيتا[2]

ويروى «إذا لم آتها» وهو من قوله تعالى : ﴿ إِنَّهُ كَانَ وَعْدُهُ مَأْتِيًّا ﴾ أى مفعولا .

(١) رواية التنوير : « إذا لم آتها » ، وعليه شرح الخوارزمى .

(٢) البيت من قصيدة ٦٧ .

١٠ ﴿إنَّ الصُّرُوفَ كما عَلِمْتَ صَوامِتٌ   عَنَّا وَكُلُّ عِبارَةٍ فى صَمْتِهـا﴾

التبريزى : الصَّمت : السكوت .

البطليوسى : يقال : صَمْت وصُمْت ، بالفتح والضم ؛ الصَّمت بالفتح المصدر ، والصُّمت بالضم الاسم . وهذا نحو من قول الآخر[1] :

وَعَظَتْكَ أزمنـةٌ صُمُتْ   وَنَعَتْكَ أحداثٌ خُفُتْ

وأرتْك قَبْرَك فى القبـو   رِ وأنت حَىٌّ لم تَمُتْ[2]

ويروى « أجداث »[3] بالجيم .

الخوارزمى : هذا كبيت السقط :

وقد تنطق الأشياءُ وهى صوامتٌ   وما كلُّ نُطْـق المُخْبِرِين كَلامُ[4]

١١ ﴿مُتَفَقِّهٌ لِلدَّهرِ إنْ تَسْـتَفْتِهِ   نَفْسُ امْرِئٍ عَنْ جُرْمِها[5] لَمْ يُفْتِها[6]﴾

التبريزى : أى الدهر له متفقِّه ، إن سأله الإنسان عن جُرْمه لم يُفْتِه[7] .

البطليوسى : ... ...

الخوارزمى : قوله «متفقه» مبتدأ و «للدهر» صفته . وقوله « إن تستفته ... » البيت خبره .

١٢ ﴿وَتَكُونُ كَالوَرَقِ الذُّنُوبُ عَلَى الفَتَى   وَمُصَابُهُ رِيحٌ تَهُبُّ لِحَتِّهـا[8]﴾

التبريزى : يقال : حَتَّ الورق عن الشجر ، إذا أزاله بيده . وحتَّ الله عنه الذنوبَ ، إذا أزالها . وفى كلام بعض الأعراب وهو يحلف : « حَتَّنِى الله عن أهلِى حَتَّ الورقِ إنْ كان كذا » .

(١) هو أبو العتاهية فى ديوانه ص ٥٢ . (٢) رواية الديوان : « قبرك فى الحياة » .
(٣) وهى رواية الديوان . (٤) البيت ١١ من القصيدة ١٨ ص ٦٠٧ (٥) التبريزى والتنوير : «عن جرمه» . (٦) حـ من التبريزى و ا من البطليوسى والتنوير : « لا يفتها » .
(٧) فى الأصل : «يقله» . (٨) حـ من البطليوسى : « بحتها » .

البطليوسى : سيأتى .

الخوارزمى : أى يقول : إن المصائب كفّارات الذنوب .

١٣ (جَازَاكَ رَبُّكَ بِالْجِنَانِ فَهٰذِهِ دَارٌ وَإِنْ حَسُنَتْ تَغُرُّ بِسُحْتِهَا)

التبريزى : السُّحْت : ما لا بركةَ فيه، وهو من قولهم: سَحَته الله وأسحته، إذا محقه .

الخوارزمى : فلان يأكل السُّحْت، وهو الحرام، من سَحَته، أى استأصله . سُمِّى بذلك لأنه مسحوت البركة ، أو لأنه يَسحت بالإثم صاحبَه . يقول : جزاك الله الجنة ، فهى النعيم الحقيق ، وما سواها من حُطام الدنيا وإن كان يُرَى عليه رونق وطلاوة فما هو بنعيم ، إنما هو حرامٌ تبرزه الدنيا فى معرض النعيم .

١٤ (ضَلَّ الَّذِى قَالَ الْبِلَادُ قَدِيمَةٌ بِالطَّبْعِ كَانَتْ وَالْأَنَامُ كَنَبْتِهَا)

١٥ (وَأَمَامَنَا يَوْمٌ تَقُومُ هُجُودُهُ مِنْ بَعْدِ إِبْلَاءِ الْعِظَامِ وَرَفْتِهَا)

التبريزى : هجوده : نيامه . والرَّفْت : الكسر ؛ يقال : رفته يرفته ، إذا كسره .

البطليوسى : الجُرْم : الذنب؛ يقال منه : جَرَم الرجلُ فهو جارمٌ، وأجرم فهو مُجرم . والحتّ : سقوط الورق . ويقال : حتتُّ الشيءَ عن الثوب، إذا فركتَه . والهُجُود : النِّيام ، واحدهم هاجد . والرَّفْت : الكسر والدقّ .

الخوارزمى : الرَّفْت ، هو الكسر ، ومنه الرُّفَات . يقول : ضلّ من قال بأن العالم قديم ، والورى كالنَّباتِ ينبتون، ثم يعودون بالموت هشيما . والقائلون بذلك هم الدَّهْريون، لعنهم الله . لما دعا له فى البيت المتقدِّم بأن يجازيَه الله بالجنة، حَسُن بعد ذلك أن يشير إلى إبطال قولِ من لا يقول بالمعاد . والبيتان ظُهرٌ لمنشئهما .

١٦ ﴿لَا بُدَّ لِلزَّمَنِ الْمُسِيءِ بِنَا إِذَا قَوِيَتْ حِبَالُ أُخُوَّةٍ مِنْ بَتِّهَا﴾

التبريزى : البَتّ : القطع . أى لا بدّ له من أن يُعْقِبَ صلاحًا بفساد .

البطليوسى : ... ...

الخوارزمى : أساء إليه : نقيض أحْسَنَ، ثم كما قِيل أحسن به قِيل أساء به أيضا . وعليه بيت السقط :

تُسيء بنا يَقْظَى فأمّا إذا سَرَتْ رُقادًا فإحسانٌ لدينا وإجمالُ[1]

وفى كلام أبى بكر الخوارزمى : « فإنّ الدهر إذا أساء بهم فى القليل، أحسن إليهم فى الجليل » . ومن كلمات أبى العبّاس الكودكى ، وهو من تلامذة بَهْمَنْيارَ الحكيم : « قد أحسن إليك من لا يسئ الظن بك » .

١٧ ﴿فَاللهُ يَرْحَمُ مَنْ مَضَى مُتَفَضِّلًا وَيَقِيكَ مِنْ جَزْلِ الْخُطُوبِ وَشَخْتِهَا﴾

التبريزى : أصل الجَزْل : الغليظ من الحَطَب . والشَّخت : ما دَقّ منه . قال حاتمٌ الطائى :

لا تَسْتُرِى قدرِى إذا ما طبَخْتِها عَلَىَّ إذًا ما تطبُخين حَرَامُ[2]
ولكنْ بِهَذاكِ اليَفاعِ فأوْقِدِى بجزلٍ إذا أوقدتِ لا بِضِرامِ

ويروى : «حَرَامِ» على مثال حذام . وحرامُ بالرفع، على الإقواء، وهو كثير فى كلامهم .

الخوارزمى : هو شخت ، أى دقيق . وقد شَخُت بالضم .

١٨ ﴿وَيُطِيلُ عُمْرَكَ لِلصَّدِيقِ فَطُولُهُ سَبَبٌ إِلَى غَيْظِ الْعُدَاةِ وَكَبْتِهَا﴾

التبريزى : ... ...

(١) البيت من القصيدة ٥٩ . (٢) البيتان فى ديوانه ص ١١٤ من مجموع خمسة دواوين العرب .

البطليوسى : البتّ : القَطْع، ومنه قيل : بَتَّ عليه القضاءَ، وأبتّه لغة، إذا أمضيتَه وفَصَلْتَ فيه . والخطوب : صُروف الدهر . وجَزلها : ما كبُر منها . وشَخْتها : ما صغُر . والكَبْت : الإذلال والقَهْر، وقيل هو إصابة الكبِد، وأصله كَبْدٌ، فأبدلت الدّال تاءً، لما بينهما من المجانسة والتقارب فى المخرج .

الخوارزمى : « الطول » فى « السَّبب » إيهام .

[القصيدة السادسة والأربعون]

وقال أيضا[1] :

﴿ رُوَيْدًا عَلَيْهَا إِنَّهَا مُهُجَاتُ وَفِى الدَّهْرِ مَحْيًا لِامْرِئٍ وَمَمَاتُ ﴾

التـــبريزى : من الطويل الثالث والقافية متواتر . ومعناه أنه أمرٌ بالرفق ، لأنّ الأنفُس مُهَجات يدركها التعب . والمُهْجة : خالصة النفس ، وقيل . هى دم القلب . والدهر تختلف شؤونه ، فيكون فيه الحياة والموت .

البطليـــوسى : ســيأتى .

الخـــوارزمى : المُهَجات : جمع مُهجة ، وهى الرُّوح . و يقال : خرجَتْ مهجته . كأنه يخاطب ظالمـًا مسلَّطا على فرقة من النـاس ، فيقول : ارفُق بهذه الأشخاص فإنها أرواحٌ لِطاف ، مالها باحتمال ما تسومها يدانِ . ولأن المرء موتُه غير مستحيل ، بل كما جاز عليه الحياةُ فهو عرضةٌ للموت ، يقتله أدنى مؤلم ، ويُبطله أهونُ فاجع . فأبق على هذه الأشخاص ، واكْفُف عنها بعضَ إعْناتك ، مخافة أن يستأصلها الموت .

٢ ﴿ أَرَى غَمَرَاتٍ يَنْجَلِينَ عَنِ الفَتَى وَلَـكِنْ تُوافِى بَعْدَهَا غَمَرَاتُ ﴾

التـــبريزى : غمرات : جمع غمرة . ينجلين : ينكشفن تارةً ويَرجعن أخرى . أى الدهر تحـدث فيه غَمـرةٌ بعـد غمـرة ، فإذا انجلت غمراتٌ منـه فهـو جدير بغمراتٍ تعقبها .

---

(١) البطليوسى : «وقال أيضا وهى من أشعار السقط» . والخوارزمى : «وقال أيضا فى الطويل الثالث ، والقافية من المتواتر» .

البطليوسى : قوله «رويدا عليها» أى ارفُق بها ، فإنها مهجات ضعيفة . يخاطب بذلك الدهرَ أوالموتَ. وأضمر فى «عليها» ولم يتقدّم للمهجات ذِكر يعود عليه الضمير، لأنه جاء بذِكْر الموت بعد ذلك ففسّره، فصار نحواً من قولهم: رُبَّهُ رجلًا، ورُبَّها امرأة . ومثله قول أبى الطيب :

أعيذُها نظراتٍ منك صادقةً ... أنْ تحسبَ الشّحمَ فيمن شحمُه ورمُ

والمهجات : جمع مُهْجة، وهى دم القلب . والغمرات : الشدائد ، واحدتها غمرة، وأصل الغمرة الماء يغمر الإنسانَ، ثم ضُرِب مثلا لغيره .

الخوارزمى : هذا بيانٌ وموجب آخر للترحُّم على تلك الأشخاص . يقول : ولأنّ المرء أبدًا رهينُ خطوب ، لا ينكشف عنه بلية إلا أُتى ببلية (١) ، ولا تودّعه رَزية إلا حيّته رزية، فهو جدير بأن يُنظَر له ، ويُعطَف عليه .

٣ (ولا بُدَّ للإنسانِ من سُكْرِ ساعةٍ ... تَهُونُ عليهِ غيرَها السَّكَرَاتُ)

التبريزى : ... ...

البطليوسى : ... ...

الخوارزمى : غيرَ، اسم له معنى الاستثناء ، وإعرابُ المستثنى بإلا . ثم الاستثناء إذا وقعَ فى كلامٍ موجب ، فلا بد من أن يكون المستثنى منه مذكورًا فيه والمستثنى منصوبا . وها هنا قد وقع فى كلامٍ موجب ، فمن ثَمّة قد حَظِى بالنصب . وقد ظنّ بعضُ الناس أنه انتصب ها هنا لكونه مستثنًى مقدّما على المستثنى منه ، وذلك خطأ .

٤ (ألا إنّما الأيّامُ أبناءُ واحدٍ ... وهذى اللّيالى كلُّها أخَواتُ)

٥ (فلا تطلُبَنْ من عندِ يومٍ وليلةٍ ... خِلافَ الّذى مرّتْ بهِ السّنَواتُ)

(١) فى الأصل : «بلية» .

التـــبريزى : أى هذه الأيامُ والليالى لا تتغيّر عن عاداتها ، فلا تطلب من عند دهرك شيئًا لم تَجْرِ عادته أن يَسمح به ، وقِس ما غَبَرَ[(١)] من عمرك بما سلف .

البطليـــوسى : يقال فى جمع سنة : سنوات بالواو ، وسنهات بالهاء ، لأن الساقط من « سنة » يكون واوا ، ويكون هاء . وكذلك قالوا فى النسب إلى سنة : سَنَوِىّ وسَنَهِىّ .

الخـــوارزمى : الأيام مذكَّرة ، ولذلك يقال : ثلاثة أيام ؛ والليالى مؤنثة ، ولذلك يقال : ثلاث ليال . فمن ثَمّة جعل الأيامَ أبناءً ، والليالىَ أخواتٍ . والبيت الثانى تقرير للبيت المتقدم .

(١) غبر ، من الأضداد ، يقال لما مضى من الزمان ، ولما بقى منه ؛ وهو هنا لما بقى منه .

[القصيدة السابعة والأربعون]

وقال أيضاً[١] :

١ (أَسَالَتْ أَتِيَّ الدَّمْعِ فَوْقَ أَسِيلِ   وَمَالَتْ لِظِلٍّ بالعِـرَاقِ ظَلِيلِ)

التبريزى : من الطويل والقافية متواتر . وأسيل ، أى خدّ ناعم مع سَعة . والأتىّ ، أصله الغريب ، يقال : سيلٌ أتىّ ، إذا جاء من بلدٍ بعيد . ولفظُ «أسيلٍ» من غير لفظ «أسال» ، لأنّ «أسال» مأخوذ من سال يسيل ، والأسيل من الخدود ، مأخوذ من الأسَل .

البطليوسى : الأتىّ : السيل يأتى من بلدٍ إلى بلد ، شبّه به دمعها فى كثرته . والأسيل : الخدّ الذى فيه طولٌ ونقاءُ بشَرة . وقوله « ومالت لظلّ بالعراق ظليل » يقول : شاركَتْنى عند الوَداع بالبكاء والجزَع ، ولكنها لم تَطْوِ ما طويتُه من الصبابة والوجَع ؛ فمالت بَعدى إلى ظلال النعيم ، وبقِيتُ بعدها قريناً للشّقاء والهموم . وهو شبيهٌ بقول أبى الطيب :

أبدَيْتِ مثلَ الذى أبديتُ من جَزَعٍ   ولم تُجِنِّى الذى أجننْتُ من ألَـمِ
إذًا لبَزَّكِ ثوبَ الحسنِ أصغرُه   وصِرْتِ مثلِىَ فى ثوبين من سَقَمِ

الخوارزمى : سيل أتىٌّ وأتَاوىٌّ : أتى من حيث لا يُدرَى . أسُـل خدُّه أسالةً ، فهو أسيل . واشتقاقه من الأسَل ، وهو نباتٌ دقيق الأغصان ، يتّخذ منه الغرابيل بالعراق ، ذكره جار الله . ظلّ ظليل : دائم لا تنسخه الشمس . يقول :

---

(١) البطليوسى : « وقال أيضا من السقط » . الخوارزمى : « وقال أيضا فى الطويل الثالث والقافية من المتواتر » .

بكت هـذه الحبيبةُ من روعة الفراق ، ثم تحوّلَتْ من ضِحِّ البـادية إلى برد الظلال بالعـراق . و « أسالت » مـع « السيل » من التجنيس الذى يشـبه المشتق وليس به .

٢(أيَا جَارَةَ البَيْتِ المُمَنَّعِ جَارُهُ   غَدَوْتُ ومَنْ لِى عِنْدَكُمْ بِمَقِيلِ)

التـبريزى : المَقيل : المُقام فى الهاجرة؛ يقال: فلانٌ قال بمكان كذا، أى قضى وقت الهاجرة فيه . فإن شرب فى ذلك الوقت فهو القَيْل .

البطليـوسى : وصَـفَها بالعزّة والمَنعة ، وأنّ مَن استجار ببيتها عزّ جانبُه ، ولم يطمع فى اهتضامه عدوُّه وطالبُه . والمَقيل : الموضع الذى يُنام فيه أو يُتودّع فى القائلة . وهذا يحتمل معنيين : أحدهما أن يريد: إنّ الدهر قد أزعجنى للسفر، وحال بينى وبين الأمنيّة والوطر، ولم يُوجِدْنِى سبيلا إلى التمتّع بوصلكم ، والمقيل عندكم . والآخر أن يريد : مَن لى بأن يساعدنى الزمانُ بالعودة إليكم بعد فراقكم، حتى أَقيل عندكم ، وأنالَ البغية منكم .

الخـوارزمى : يقول : غدوت إليكم ، ولكن مَن يضمن باتّصالى وإصابة قبولى لديكم .

٣(لِغَيْرِى زَكَاةٌ مِنْ جَمَالٍ فإِنْ تَكُنْ(١)   زَكَاةُ جَمَالٍ فاذْكُرِى آبْنَ سَبِيلِ)

التـبريزى : معناه أنّى لا أريد زكاةً من جمال ، فاجعليها لغيرى ، وإنمـا أريد زكاة جَمال، وأنا ابن سبيل يستحق أن يُتصدّق عليه .

البطليـوسى : يقول : إن زكّيتِ إبلَك فأنا غنىّ عنها، وإن زكّيتِ حُسنكِ فأشركينى فى زكاتك ، واجعلى لى حظًّا منها ؛ فإنى ابنُ سبيل تجب الصدقةُ عليه ،

(١) حـ من البطليوسى والخـوارزمى : « فإن يكن » وفى أ من البطليوسى : « وإن تكن » . وفى الديوان المخطوط : « وإن يكن » .

ويُؤجَر من يرحمه ويُحسن إليه . ولست أحفظُ نظير هذا المعنى لغيره، غير أنّ المجنون قد قال :

لئن كان يُهدَى بَرْدُ أنيابها العلى لأفقَرُ مِنِّى إننى لفقيرُ

الخوارزمى : يقول : لكِ المال والجَمال فيهما حقّ الزكاة . أما زكاة المال فلستُ لها مَصرِفا، ولكن إذا زكّيتِ الجَمالَ فتصدّقى علىّ بزكاة جَمالك، ولا تَحرمينى هبة وصالك .

٤ ﴿وأَرْسَلْتِ طَيْفًا خَانَ لَمَّا بعَثْتِه فَلا تَثِقِي مِن بَعْدِه بِرَسُولِ﴾

٥ ﴿خَيالٌ أرانا نَفسَه مُتَجَنِّبًا وقدْزارَ مِن صَافِى الوِدَادِ وَصُولِ﴾

التبريزى : ... ...

البطليوسى : الطَّيف والخيال، سواء، وهو ما يُرى فى النوم . يصف أنّ خيالَها زاره فى النوم فأعرَضَ عنه، ولم يَنَلْ ما يهواه منه . وهذا عكس قول قَيس ابن الخَطيم :

ما تمنعِى يَقظَى فقد تُؤتِينه فى النوم غيرَ مصرّدٍ محسوبِ

الخوارزمى : فسرّ خيانة الطيف فى البيت الثانى .

٦ ﴿نَسِيتِ مَكانَ العِقْدِ من دَهَشِ النَّوَى فَعَلَّقْتِهِ فى وَجْنَةٍ وَمَسِيلِ﴾[1]

التبريزى : يقال: دَهِش الرجل، إذا اشتغل قلبه بالشىء . والمعنى أنّه ادّعى أنها نسِيتْ مكانَ العقد لدهش أدركها عند البين . أى كأنك نسيت موضعَ عقدك، لأنّ دمعك جرى فى مَسيل الدمع، فكأنه عقدٌ علِّق فى غير موضعه .

(١) الديوان المخطوط : « فى وجنة بمسيل » . والخوارزمى والتنوير : « من وجنة بمسيل » .

البطليوسى : الوَجنة : عظم الخدّ المُشرف . والمَسيل : مَجرى الدمع من خدّها . أراد أنها بكت عند الوداع فسالَ دمعُها على خدّها شبيهًا باللؤلؤ ، فكأنها دَهشت حين فاجأها الفراق ، فأرادت أن تعلّق عقدَها فى جيدها ، فأخطأتْ وعلّقته فى خدّها . وهذا من معانيه التى اخترعها ، ولا أحفظ فيه شيئا لغيره .

الخوارزمى : هذا البيت يتعلق بقوله « أسالت » .

٧ (وكُنْتِ لأَجْلِ السِّنِّ شَمْسَ غُدَيّةٍ وَلَكِنَّها لِلبَيْنِ شَمْسُ أَصِيلِ)

التبريزى : أى إنك فى سنّك شمسُ غُدَيّة . أى أنتِ قريبة عهد بالصبا ، وقد دنا مَغيبك بِسَيرك ، فكأنك شمسُ أصيل .

البطليوسى : يقول : كنتِ من أجل صغر سنّكِ كالشمس أوّلَ طلوعها ، فصرتِ يوم البين كالشمس عند غروبها . شبّه دخولَها فى الخدر بغروب الشمس ، كما قال أبو الطيب :

بِأَبِى الشُّموسُ الجانحاتُ غواربا اللابساتُ من الحرير جَلاببا

وقد يحتمل أن يريد أنها اصفرّت يوم الفراق ، كما تصفرّ الشمس عند الأصيل .

الخوارزمى : غُدَيّة ، تصغير غُدوة . وأوّل اليوم ، هو الفجر ، وبعده الصباح ، ثم الغداة ، ثم البكرة ، ثم الضُّحى ، ثم الضّحوة ، ثم الهَجيرة ، ثم الظهر ، ثم الرواح ، ثم المساء ، ثم العصر ، ثم الأصيل ، ثم العِشاء الأولى ، ثم العشاء الآخرة ، وذلك عند مَغيب الشفق . يقول : كنتِ فى الجمال وحداثة السنّ ، بمنزلة شمس الغداة ، أما فى دنوّ الفراق فبمنزلة شمس الأصيل .

٨ (أَسَرتِ أَخَانَا بِالخِدَاعِ وَإِنَّهُ يُعَدُّ إِذا اشْتَدَّ الوَغَى بِقَبِيلِ)

التبريزى : ... ...

البطليوسى : العرب تستعمل الأُخوّة على أربعة معان : أحدها النسب . والثانى الصداقة . والثالث المجانسة والمشابهة ، كقولهم : هذا الثوب أخو هذا الثوب ، وهذا الدينار أخو هذا الدينار . والرابع الملازمة للشىء والمواصلة له ، كقولهم : فلانٌ أخو الحرب وأخو الليل ، إذا كان ملازما لحضور الحرب والمشى بالليل . ومنه قول العُجَير :

أخو الجدّ إن جدّ الرجالُ وشمّروا وذو باطلٍ إن شئت ألهاك باطلُه

الخوارزمى : قوله «بقَبيل» ، أى بجماعة . ونحو المصراع الثانى قول أبى الطيّب :

* كثيرٌ إذا شدُّوا قليل إذا عُدّوا *[1]

٩ (فإنْ تُطْلقيه تَمْلكى شُكْرَ قومِهِ وإنْ تَقْتُليهِ تُؤخَذِى بِقَتيل)

التبريزى : ... ...

البطليوسى : ... ...

الخوارزمى : التنكير فى قوله « بقتيل » للتعظيم والتفخيم . ونظائره فى « أفوق البدر يوضع »[2] . و « قتيل » هاهنا من الكلام المسمّى بالتجريد .

١٠ (وإنْ عاشَ لاقَى ذِلّةً وٱختيارُهُ وَفاةُ عَزيزٍ لا حَياةُ ذَليلِ)

التبريزى : ... ...

البطليوسى : ... ...

(١) صدره كما فى الديوان (١ : ٢٣١) :

* ثقال إذا لاقوا خفاف إذا دعوا *

(٢) انظر البيت ٤٧ من القصيدة ٦ ص ٣٢٣ .

الخوارزمى : هذا كقوله :

النّار لا العار فكن سيّدًا   فِرّ من العار إلى النّارِ

١١ (وَكَيْفَ[1] يَجُرُّ الجَيْشَ يَطْلُبُ غارَةً   أَسِيرٌ لمَجْرُورِ الذُّيُولِ كَحِيلِ)

التبريزى : ... ...

البطليوسى : ... ...

الخوارزمى : فى أساس البلاغة : «إنه يجرّ جيشا كثيرا» .

---

(١) فى الديوان المخطوط : « فكيف » .

[القصيدة الثامنة والأربعون]

وقال[١] من قصيدة أولها : « هو الهجر حتى ما يلم » :

١ (هُوَ الهَجْـرُ حَتَّى ما يُلِمُّ خَيَالُ ... وَبَعْضُ صُدودِ الزَّائِرِينَ وِصَالُ)

التبريزى : من الطويل الثالث والقافية متواتر .

البطليوسى : ... ...

الخوارزمى : يقول : هذا البينُ الذى ابتُلينا به هو البين البليغ ، والإعراض الشديد ، بحيث لا يزورُنا الخيالُ ، ولا يَحُوم حولنا الطَّيف . وكم صدودٍ لو قِيسَ إلى الصدود الذى دهانا من قِبَل هـذه الحبيبة لعُدَّ هيِّنا ، بل كان لسهولته وقرب ارتفاعه بمنزلة الوصال . ومن هذا الباب بيت السقط :

ولدىَّ نارٌ ليتَ قلبي مثلُها ... فيكونَ فاقـدَ وَقدةٍ وسَخائِم[٢]

ألا ترى أنه جعل النار فاقدَة الوقدةِ بالإضافة إلى وهَج قلبه .

٢ (فَتًى تَقْصُرُ الأَبْصَارُ عَنْ قَسِمَاتِهِ ... ولا سِـتْرَ إِلَّا هَيْبَـةٌ وجَلَالُ)

التبريزى : قَسِمات : جمـع قَسِمة وقَسَمة . قالوا : هو ظاهر الخدّين . وقيل : القسمات : ما اكتنف الأنفَ من الخدّين عن يمين وشمال . قال الشاعر :

---

(١) فى البطليوسى : « ومنه من قصيدة أولها :

هو الهجـر حتى ما يلم خيـال ... وبعض صدود الزائرين وصال

وهذه القصيدة مدح بها رجلا يقال له على بن الحسين ، ويعرف بابن المغربى ، وكان مدبر عسكر بجوتكين التركى الذى اصطنعه العزيز من أمراء الشيعة ، وكان لقى الروم بموضع يعرف بالروج ، وبين العسكرين نهر ، فخاضه المسلمون إلى الروم ، وأوقعوا بهم » .

وفى الخوارزمى : « وقال أيضا فى الطويل الثالث والقافية من المتواتر ، من قصيدة قالها فى صباه » .

(٢) البيت الثامن من القصيدة الخامسة والستين .

كأنّ دنانيرًا على قَسماتهم   وإن كان قد شَفَّ الوجوهَ لِقاءُ[1]

أى إن هذا الفتى من هيبته وجلاله لا يُستوفَى إليه النظر، وليس بينه وبين الناظر إليه إلا هيبته وجلاله .

البطليوسى : القَسِمة، فى قول أبى عُبيدة والفرّاء : ما أَقبل عليك من الوجه . وقال الأصمعىّ : هى أعلى الوجه . وقال أبو زيد : هى الأنف وناحيتاه . وقال ثابت : هى مجرى الدمع من العين إلى الوجنة . وقوله « تقصر الأبصار عن قسماته » أى تقصر عنه الأبصارُ هيبةً له ؛ كما قال المتنبى :

إذا بدا حجبتْ عينيك هَيبتُهُ   وليس يَحجُبه سِترٌ إذا احتجبا

وقال الفرزدق :

وإذا الرجالُ رأَوْا يزيد رأيتَهم   خُضُعَ الرقابِ نواكِسَ الأبصارِ[2]

الخوارزمى : القَسِمتان، بكسر السين[3] : ما اكتنفا الأنف من ظاهر الخدَّين، من عن يمين وشمال . وقال أبو عُبيدة : هى مجارى الدموع . ذُكر الوجهان فى جامع الغورى . وقد أجمل بين هذا وبين المطلع أبياتا .

٣ ﴿إلَى حارِمٍ قَادَ العِتَاقَ سَوَاهِمًا   لَهَا مِنْ نَشَاطٍ بالكُمَاةِ زِمَالُ﴾

التبريزى : حارم[4] : بلد . والعتاق : جمع عَتيق من الخيل . وسواهم : جمع ساهمة، من قولهم : سَهَم وجهُه، إذا تغيّر . وزِمال : عَدْوٌ فى شِقّ من النشاط . وكان هذا المخاطب قد غزا حارماً فى بعض السنين .

(١) البيت لمحرز بن مكعبر الضبى، ذكره اللسان (قسم) ثالث أبيات أربعة .

(٢) انظر الخزانة (١ : ٨٩) .

(٣) كذا . والمعروف أن فيها لغتين : كسر السين وفتحها .

(٤) حارم، بكسر الراء : حصن حصين وكورة جليلة تجاه أنطاكية . انظر معجم البلدان .

البطليوسى : السواهم : التى تغيرت وجوهها وظهر فيها أثر السفر والدؤوب . والكماة : الشجعان، واحدهم كمى . وليس بجمع له فى الحقيقة؛ لأن فعيلا لا يجمع على فُعَلة، وإنما هو جمع كامٍ، وهو اسم الفاعل من قولهم : كمى شهادته، إذا سترها . سُمى بذلك لأنه يكمى شجاعته، أى يسترها إلى وقت الحاجة . وبنوه على فعيل للمبالغة . ويقال : سمى بذلك لأنه يتكمى الأقران لا يكع(١) ولا يجبن، وكل شىء قصدته فقد تكميته . قال العجاج :

بل لو شهدتَ الناس قد تُكُمُّوا ... بقَدَرٍ حَمَّ لهم وحُمُّوا

* وغُمَّةٍ لو لم تُفَرَّج غُمُّوا *

وقيل : سمى كميا لأنه يتكمى فى السلاح، أى يستتر، من قولهم : كمى شهادته، إذا سترها . وقال الخليل : يقال : زَمَلت الدابة تزمِل زَمْلا وزِمالا، إذا رأيتها تحامل على يديها بغيا ونشاطا . وأنشد :

تراه فى إحدى اليدين زاملا(٢)

ووقع فى نسخ سقط الزند : « إلى حازم » بالزاى معجمة، وهو غلط . والصواب « حارم » بحاء وراء غير معجمتين، وهو وادٍ قريب من أنطاكية، كان لقى فيه بنجوتكينُ التركى، قائدُ العزيز بالله، الرومَ فهزمهم، وكان الممدوح بهذا الشعر قد ولاه بنجوتكين أمر عسكره، وقدمه عليه . وقد ذكر المعرى هذه الوقعة فى قوله :

كأن لم يكن بين المخاض وحارمٍ ... كتائبُ يُشْجِين الفَلا وخيامُ(٣)

(١) لا يكع : لا يجبن ولا يضعف .

(٢) فى الأصل « أزملا » . والصواب من اللسان (زمل) .

(٣) البيت الثالث من القصيدة الثامنة عشرة ص ٦٠٣ .

الخوارزمى : حارم ، فى « لقدْ آن أن يثْنى »(١) . رجل ساهم الوجه : فى وجهه سهومٌ . ووجوهٌ سواهمُ . قال عنترة :

والخيل ساهمةُ الوجوهِ كأنما سُقيت(٢) فوارسُها نقيعَ الحنظلِ

الزِّمال : مشىٌ فيه ميلٌ إلى أحد الشقين ، عن الغورى .

٤ ﴿فَجَاشَ عَلَيْهَا الْبَحْرُ وهْوَ كَتَائِبٌ(٣) وَخَرَّتْ إلَيْهَا الشُّهْبُ وَهْىَ نِصَالُ﴾

التبريزى : ويروى « عليه » . والهاء عائدة إلى « حارم » ذكّرته أو أنّثته . والكتائب : جمع كتيبة ، شبّهها بالبحر . والنصال ها هنا : الأسنّة ، شبهها بالشُّهب ، وهى الكواكب .

البطليوسى : جاش : ماج وفار ، كما تجيش القِدر عند الغليان . والكتائب : العساكر . والشُّهب : النجوم . يقول : كأن البحرَ أقبلَ إلى هذا الممدوح فصار مدَدًا لرجاله ، وكأنّ النجوم خرّت من السماء فصارت من جملة نصاله .

الخوارزمى : الرواية « فجاش عليها » و « خرّت إليها » . ولو روى « فجاش إليها » و « خرّت عليها » لكان أوجه . الضمير فى « عليها » لـ« حارم » . السيوف عند الضرب تشبّه بالشهب . قال بشّار بن بُرد :

كأنّ مُثارَ النّقع فوق رءوسنا وأسيافَنا ليلٌ تَهاوَى كواكبُه

٥ ﴿فَوَارِسُ قَوَّالُونَ لِلْخَيْلِ أَقْدِمِى وَلَيْسَ عَلَى غَيْرِ الرُّءُوسِ مَجَالُ﴾

التبريزى : يصفهم بأنّهم يُقْدمون فى غير موضع الإقدام ، يعنى فى مضيق الحرب ، فى الموضع الذى لا تجول الخيل إلا على رءوس القتلى .

(١) انظر الحاشية ٣ من الصفحة السابقة .
(٢) فى اللسان : « يسق » .
(٣) الخوارزمى : « وهى كتائب » .

البطليوسى : سياقى .

الخوارزمى : هذا كبيت السقط :

فقُلْ لُحيلها فوقَ الأعادى ... إذا ما لم يجد فرسٌ مجالا (١)

٦ (لَهُمْ أَسَفٌ يَزْدادُ إِثْرَ الَّذِى مَضَى ... مِنَ الدَّهْرِ سِلْمًا لَيْسَ فِيه قِتَالُ)

التبريزى : أى يتأسّفون على ما يفوتُهم من الزمان فى غير حرب .

البطليوسى : أقدِمِى ، أمرٌ بالتقدّم وترك التأخر . وهو من أقدم يُقدِم إقداما . ويقال فى هذا المعنى : أَقدَمْ، مفتوح الدال موصول الألف، هو من قدم يقدَم، بمعنى أقدم يُقدِم . قال الأعشى :

* تفكّرَ ثم ارعوى أو قدِمْ (٢) *

وقال الربيع بن زِياد :

إذا نفرتْ من بياض السيو ... فِ قُلنا لها اقدِمى مَقْدَما

وقال طُفيل الغنوىّ :

وقيل اقدَمى واقدَمْ وأخِّرْ وأخِّرى ... وها وهَلّا واضرَحْ وقادعُها هبِ (٣)

والأسف : شدّةُ الندم والتحسُّر . والسلم، بفتح السين وكسرها : الصلح .

يقول : لمحبتهم فى الحرب يأسفون على مُسالمة عدوهم، فيما مضى من زمانهم .

---

(١) البيت الحادى والخمسون من القصيدة الأولى ص ٨٨ .

(٢) البيت كما فى ديوان الأعشى ص ٢٨ :

كما راشد تجدِنَّ امرأً ... تبين ثم انتهى إذ قدم

وأشير فى الشرح إلى أنه يروى : «تبين ثم ارعوى أو قدم»

(٣) البيت فى ديوانه ص ١٢ مع خلاف فى بعض ألفاظه . وقد تضمن هذا البيت طائفة من ألفاظ زجر الخيل . وقادعها : أى يقدعها الزاجر بكلمة « هب » .

الخوارزمى : يقول : هم لشدّة اشتياقهم إلى الحروب يتأسّفون على زمانٍ يمضى وليس فيه غزوة .

٧ (بِأَيْدِيهِمُ السُّمْرُ العَوَالِى كَأَنَّمَا ... تُشَبُّ عَلَى أَطْرَافِهِنَّ ذُبَالُ)

التبريزى : أسنّة الرماح تشبّه تارة بالكواكب، وتارة بالذبال، جمع ذُبالة، وهى الفَتيلة .

البطليوسى : سيأتى .

الخوارزمى : سِنان الرمح يشبه بالذبال . وفى عراقيّات الأبيوردى :

وكيف يضلُّ فى الظلماء سارٍ ... ويحمل فوق قِمّته ذُبالَا

٨ (وَمَأْكُولَةُ الأَغْمَادِ مُرْهَفَةُ الظُّبَا ... بَرَاهَا قِرَاعٌ دَائِمٌ وصِقَالُ)

التبريزى : يعنى سيوفًا عتيقة تأكّلت أغمادُها . ولا يأكل الغمدَ إلا سيفٌ عتيقٌ حسن .

البطليوسى : أراد : «بأيديهم العوالى السُّمر» فقدّم الصفة، وجعل الموصوف بدلًا منها، كما قال آمرؤ القيس :

* ولم تَغفُل عن الصُّمِّ الهِضابِ *(١)

ومعنى «تشبّ» توقد . يقال : شَببت النار، إذا أوقدتها . والذُّبال : القنا، شبه بها أسنّة الرماح . كما قال أبو الطيب :

* كأنّ على عواملها الذبالَا *(٢)

---

(١) صدره : * أرى من صروف الدهر لينا *
وضمير «تغفل» عائد إلى صروف الدهر .

(٢) صدره : * جوائل بالقُنِىّ مثقفات *

وقوله «وما كولة الأغماد» يريد سيوفًا قد أكلت أغمادَها لحدّتها؛ كما قال الآخر:

إن بَنِى سَلْمَى شُيوخٌ جِلّهْ بيضُ الوجوهِ خُرُقُ الأَخِلَّهْ(١)

قال أصحاب المعانى: أراد أنّ سيوفَهم تخرق أغمادَها لشدّة إرهافها. والإرهاف: الحدّة. والظُّبا: أطراف السيوف، واحدها ظُبة. والقِراع: مقارعة الأبطال. يريد أنهم فى حربٍ دائمة، فسيوفُهم يذهب صقالُها بكثرة ما يعلوها من الدم، فيعاودون صقلَها مرّةً بعد مرة، حتى رقّت لذلك ونَحلت. قال زيد الخيل الطائى:

أحادِثُه بصَقلٍ كلَّ يومٍ وأُعْجُمُه بهاماتِ الرجالِ

وقال رجلٌ من فَقْعَس:

لها لونٌ من الهاماتِ كابٍ وإن كانت تُحادَثُ بالصِّقالِ

الخوارزمى: «ما كولة الأغماد» كناية عن كونها حديدةً عتيقة.

٩ (حَكَتْ رَوْنَقَ البِيضِ الحِسانِ(٢) وفِعْلَهَا ولَيْسَ لَهَا إلّا الغُمُودَ حِجَالُ)

التبريزى: أى هذه السيوفُ فى ألوانها تحكى البيضَ الحسانَ من الإنس فى فعلها أفعالَهنّ، أى يَقتُلن؛ لأنّ الشعراء يدّعون أن الحبَّ ربما قتل. والحِجال: جمع حَجَلة، وهو بيتٌ صغير تتّخذه المرأة فى البيت الكبير. قال الفرزدق:

إذا القُنْبُضاتُ السُّودُ طوّفن بالضُّحى رقَدْنَ عليهنّ الحِجالُ المُسَجَّفُ(٣)

(١) فى اللسان مادة (خلل): «قال ابن سيده: زعم ابن الأعرابى أن الأخلة جمع خلة، أعنى جفن السيف. قال: ولا أدرى كيف يكون الأخلة جمع خلة، لأن فعلة لا تكسر على أفعلة. هذا خطأ. قال: وأما الذى أوجه أنا عليه الأخلة فأن تكسر خلة على خلال، كقلبة وطباب، وهى الطريقة من الرمل والسحاب، ثم تكسر خلال على أخلة، فيكون حينئذ أخلة جمع جمع. قال: وعسى أن يكون الخلال لغة فى خلة، فيكون أخلة جمعها المألوف وقياسها المعروف، إلا أنى لا أعرف الخلال لغة فى الخلة».

(٢) البطليوسى: «الخراد».

(٣) البيت فى ديوان الفرزدق ٥٥٢ واللسان (قبض، سجف). والتسجيف: إرسال السجفين، وهما السِّتران. وفى اللسان (سجف): «وإنما ذكّر لفظ الصفة لمطابقة لفظ الموصوف لفظ المذكّر».

ذكّر «الحجال» ها هنا كما ذكّر الشاعر فى قوله :

* على عاجزات النَّهْضِ حُمْرٍ حواصِلُهْ *

والقُنبضات : القصار، واحدتها قُنبُضة .

البطليوسى : الرونق : الجَمال . والخراد : جمع خريدة، وهى الشديدة الحياء من النساء . والحجال : السُّتور ، واحدتها حَجَلة . يقول : أشبهت الحسانُ من النساءِ السيوفَ فى رونقهنّ وفِرِنْدهنّ ، وحكت فعلَهنّ فى قتلهنّ مَن تعرّض لهنّ وصَبَا نحوَهنّ . والألحاظ تشبّه بالسيوف والأسنّة والسهام . ويجوز أن يريد أن هذه السيوفَ قد تيّمتْ أصحابَها كما تيّم النساءُ مَن أحببنّ ، فهم يهيمون بها كما يهيم العاشق بالمعشوق ، وهذا معنًى كثيرٌ مطروق . ألا ترى إلى قول أبى تمام الطائى :

ومن يكُ بالبِيض الكواعبِ مُغرَما فما زلت بالبِيض القواضبِ مُغرَما

وقال أبو الطيب :

مُحِبٌّ كَنَى بالبِيض عن مُرهَفاته وبالحُسن فى أجسامهنّ عن الصَّقلِ
وبالسُّمر عن سُمر القنا غيرَ أنّنى جَنَاها أحبّائى وأطرافُها رُسْلى (١)

الخوارزمى : « الغمود » منصوب على أنه مستثنى مقدّم . يقول : هذه السيوفُ أشبهتْ فى بريقها وكثرة قَتلها الغوانى البيضَ . يريد أشبهَتْها فى حسن صُورتها وقُبْح معناها . قوله « وفعلها » له من البلاغة حظّ . ومثله بيت السقط :

(٢)
تكاد تكونُ فى لونٍ وفعلٍ نواظرُها أسنّتَها الحِدادا

١٠ (وَجَادَ عَلَيْهَا الرَّكْضُ والضَّرْبُ (٣) بَعْدَمَا أضَرَّ بِهَا مَطْلٌ وطَالَ سُؤَالُ)

(١) انظر ديوان المتنبى (٢ : ٦ ٢) بشرح العكبرى .

(٢) البيت ٤٤ من القصيدة ٣٣ ص ٨٠١ . (٣) أ من التبريزى : «الطعن والضرب» . وفى الخوارزمى والديوان المخطوط : « الضرب والطعن » . وفى التنوير : « الضرب والركض » .

التبريزى : الهاء فى « عليها » راجعةٌ إلى « حارم » التى تقدّم ذكرها (١) .

البطليوسى : سيأتى .

الخوارزمى : قوله « وجاد » معطوف على قوله ف « جاش » . الضمير فى «عليها» لـ«حارم» . يقول: هذهالمدينةُ بتمرُّدِ أهلها واستصعابِها على الممدوح مدّة، كأنّها كانت تسأله أن يركُضَ إليها ثم يُغير عليها، وهو يُغضِى عنها؛ فلما رأى الإغضاءَ عنها قد أغراها على التّمادِى فى العدوان، وحرّضها على غلوّ الضلال، أغار عليها غارة، وآخر الدواء الكىُّ .

١١ (فَسَيْفٌ لَهُ غِمْدٌ مِنَ الدَّمِ قَانِئٌ وَطِـرْفٌ لَهُ مِمَّـا يُثِيرُ جِلاَلُ)

القانئ : الأحمر . والطِّرف : الفرس الكريم . جَعَل غِمدَ السيف من الدم، وجُلَّ الفرس من الغبار الذى يثيره .

البطليوسى : يقول : كانت مشتاقة إلى مقارعة الأعداء ، وراغبــةً فى أن تُسقَى رِيَّها من الدماء؛ حتى أضرّبها كثرةُ سؤالها ، ومماطلةُ الدهر لها ببلوغ آمالها؛ فلما أوقع أصحابها بالروم، فى هذا اليوم المشهور المرسوم؛ جاد لها الركضُ والضرب بما كانت تسأل، وبلّغاها ما كانت تحبّ وتأمُل؛ فلم يبق سيفٌ إلا وله غمــد من الدم المُمَــار، ولا فرسٌ إلا وله جُلّ من الرَّهَج المُثار . والجِلال، يكون جمــع جُلّ ، ويكون واحدا وجمعه أجِلّة . والركض : ركض الخيل عنــد الجرى . والقانئ : الشديد الحمرة . والطِّرف: الفرس الكريم الطرفين . ومعنى يثير، يرفع الغبار ويحرّكه .

الخوارزمى : فى هذا البيت صنعة مليحة، وذلك أنه قابَلَ الجُــلّ المجازىّ، وهو الكائن من الغبار، بالغِمد المجازىّ، وهو الكائن من الدم .

(١) البيت الثالث من هذه القصيدة ص ١٠٤٧ .

١٢ (وكيفَ لقاءُ ابنِ الحُسَينِ مُخَالِفٌ يُحَدَّثُ عَنْ أَفْعَالِهِ فَيُهَالُ)

التبريزى : أضاف اللقاء إلى المفعول كقولك: عجبت من ضرب زيدٍ عمرٌو، أى من أنْ ضرَبَ زيدا عمرو . وقوله « يُهال » من قولهم: هاله يَهُوله، إذ أوقع فى قلبه الخوفَ منه . والمعنى : وكيف يلاقى ابنَ الحسين مخالفٌ إذا حُدِّث عن أفعاله هالته، أى استعظمها .

البطليوسى : هو علىّ بن الحسين، المعروف بابن المغربىّ . ويُهال : يُفزع . ومخالف، مرفوع باللقاء . وابن الحسين، مخفوض بالإضافة فى موضع نصب على أنه مفعول باللقاء . كما تقول: أعجبنى لقاء عمرٍو أبوك . يقول : كيف يلاقى ابنَ الحسين عدوُّه المخالف له، وهو يحدَّث عن أفعاله فيفزع منها . وهو نحو قول أبى تمام :

لم يَرمِ قوماً ولم يَنْهَدْ إلى بلدٍ إلا تقدّمه جَيشٌ من الرعبِ(١)

الخوارزمى : هذا من باب إضافة المصدر إلى المفعول . و « مخالف » فاعله . يعنى كيف يلقى ابنَ الحسين مخالفٌ، أى كيف يحاربُه .

١٣ (بَنِي الغَدْرِ هَلْ أَلْفَيْتُمُ(٢) الحَرْبَ مُرَّةً وهَلْ كَفَّ طَعْنٌ مِنْكُمُ ونِضَالُ)

التبريزى : ألفيتم، بمعنى وَجدتم . والنّضال، من المناضلة، وهى المُراماة . وقد يستعمل النضال بمعنى الفَخار . قال الحطيئة، يعنى الزبرقانَ بن بدر :

قد ناضلوك فسَلُّوا من كنائنهم مجْداً تليداً ونَبْلاً غيرَ أنكاسِ

البطليوسى : سيأتى .

الخوارزمى : « وهل كَفّ طعن منكم »، أى هل كَفّ طعنٌ من غَرْبكم .

(١) فى الديوان ص ٦ : « لم يغز قوما ولم ينهض » .

(٢) فى الديوان المخطوط : « أبصرتم » . وأشير فى هامشه إلى رواية « ألفيتم » .

١٤ ﴿وَهَلْ أَظْلَمَتْ سُحْمُ اللَّيَالِي عَلَيْكُمُ وَمَا حَانَ مِنْ شَمْسِ النَّهَارِ زَوَالُ﴾

التبريزى : السُّحم : السُّود . أى هل صيّرت الحربُ نهارَكم بالغبار الأسود ليلا .

البطليوسى : ألفيتم : وجدتم . والنِّضال : المراماة بالسهام . والسُّحم : السود الشديدة السواد . أراد أن النهار عاد مثلَ الليل لكثرة الغبار .

الخوارزمى : يقول : هل انقلبَتْ ضَحَواتُكم ، بما أثارت الخيلُ من الغبار ، ليالىَ مُغْدِفة ؟ ومنه بيت الحماسة :

ولما رأينا الصَّبرَ قد حِيل دُونَه وأنْ كان يوماً ذا كواكبَ مُظْلما (١)

وفى كلام أبى النَّصْر العتبى (٢) : « فالتقَوا على حربٍ تحطّمت فيها الصِّفاح المشهورة ، وتقصّدت الرماح المَطْرورة ، وعُرِّيت عندها الكواكبُ المستورة » . ويحتمل أن يريد : هل أظلمت أيامُكم بما دُهيتم بها من الشدائد . وعليه : « رأى الكواكب ظهراً (٣) » .

١٥ ﴿وَهَلْ طَلَعَتْ شُعْثَ النَّوَاصِي عَوَابِسًا رِعَالٌ تَرَامَى خَلْفَهُنَّ رِعَالُ﴾

التبريزى : أى هل طلعت الرعالُ شُعثَ النواصى . والرعال : القِطَع من الخيل . و«طلعت» فعل «رعال» . وشُعثَ النواصى ، [أى] إنها لم تُتعهد ، لاشتغال

---

(١) البيت للحصين بن الحمام المرى ، كما فى الحماسة والخزانة (٢ : ٧) والمفضليات (١ : ٦٣) . وروايته فيها : « ولما رأيت الود ليس بنافعى » .

(٢) هو أبو النصر محمد بن عبد الجبار العتبى صاحب اليمينى ، وهو كتاب فى تاريخ يمين الدولة محمود بن سبكتكين . وقد طبع مع شرحه فى المطبعة الوهبية سنة ١٢٨٦ .

(٣) فى الأصل : « مظهرا » . وهو من أمثالهم . وفى قول طرفة :

إن تنوله فقد تمنعه وتريه النجم يجرى بالظهر

خَدَمها بالحرب . والشَّعَث فى الشَّعر، أن يكون متفشا، لا كما جرت عادته مما هو مستحسن . ومن ذلك قيل للوتد أشعث، إذا شُجَّ رأسه .

البطليوسى : سيأتى .

الخوارزمى : «شعث النواصى» منصوب على أنه حال من «رعال» . و«رعال» فى «أعن وخد القلاص»(١) .

١٦ ﴿لَهَا عَدَدُ الرَّمْلِ المُبِرِّ عَلَى الحَصَى ... وَلَكِنَّهَا عِنْدَ اللِّقَاءِ جِبَالُ﴾

التبريزى : يصفُها بالكثرة ، وأنّها مع كثرتها تجتمع فى القتال حتى تصير كالجبال . والمُبِرّ : المُوفِى .

البطليوسى : الشُّعث : التى قد تلبّدت شعورُها من السفر . والرِّعال : الجماعات المتقدّمة ، واحدتها رَعْلة ورَعيل . والمُبِرّ : الغالب الظاهر . ولمّا شبّهها بالحصى، وكانت توطأ بالأرجل ، تمّم المعنى بأن قال : «ولكنها عند اللقاء جبال» ، أى ليست بحصًى توطأ بالحوافر والأقدام، ولكنها كالجبال عند المقابلة والصِّدام .

الخوارزمى : شَبههم فى الكثرة بالرّمل ، وفى الثبات بالجبال .

١٧ ﴿فَإِنْ تَسْلَمُوا مِنْ سَوْرَةِ الحَرْبِ مَرَّةً(٢) ... وَتَعْصِمْكُمْ شُمُّ الأُنُوفِ طِوَالُ﴾

التبريزى : شُمّ الأنوف، يعنى بها الجبال العالية .

البطليوسى . سيأتى .

الخوارزمى : يريد [و] إن اعتصمتم بالجبال الشواهق .

---

(١) انظر البيت ٢٠ من القصيدة الأولى ص ٥١ .

(٢) البطليوسى : «من صولة الحرب عامكم» .

١٨ (فَفِى كُلِّ يَوْمٍ غَارَةٌ مُشْمَعِلَّةٌ وَفِى كُلِّ عَامٍ غَزْوَةٌ وَنَزَالُ)

التبريزى : يقول : إن عصمتكم الجبالُ الشُّمُّ من الحرب مرة ، ففى كل يوم عليكم غارة مشمعلّة ، أى خفيفة سريعة . ونزال : مُبارَزَة يدعى فيها نَزَالِ ، أى يقال فيها : انزلوا إلى القتال . ونزال ، مؤنثة معدولة من انزلْ . قال الشاعر (١) :

وَلأنت أشجعُ من أُسامةَ إذْ دُعِيتْ نَزَالِ ولُجَّ فى الذُّعرِ

البطليوسى : تعصمكم : تمنعكم . وشُمّ الأنوف : جبال مرتفعة ممتنعة ممن أرادها . والمشمعلّة : الجادّة المشمّرة ، يقال : اشمعلّ فى الأمر ، إذا شمّر فيه ، واشمعلّت الحرب . قال مُرة بن مَحْكان :

بنى أَسدٍ إن تقتلُونى تُحارِبُوا تَميمًا إذا الحربُ العَوانُ اشمعلّت

وأصل النَّزال أن يَنزِلُوا عن خيلهم ويقاتِلُوا على أقدامهم . ويكون النزالُ أيضا أن ينزلوا عن إبلهم ويركبوا خيلَهم ، ثم كثُر ذلك حتّى استُعمِل فيما لا نزول فيه .

الخوارزمى : مشمعلّة ، أى متفرّقة . وعن الخارزَنْجى : اشمعلت الغارة : تفرقت ، ومنه المشمعلّ من النخل ، وهو المتفرق الأغصان . ويشهد له قولهم : غارة شعواء ، أى متفرّقة ، وشجرة شعواء : متفرقة الأغصان . ذكره الغورى .

١٩ (خُذُوا الآنَ مَا يَأْتِيكُمُ بَعْدَ هٰذِهِ وَلَا تَحْسُبُوا ذَا الْعَامَ فَهْوَ مِثَالُ)

التبريزى : أى هذا العامُ الذى قد عظُم عليكم أمرُه لا تعتدّوا به ، فإنه مثال الأعوام بعده . أى أراكم (٢) إياه لتعلموا ما أنتم فيه ، وما تعترضتم له من الحرب .

البطليوسى : سيأتى .

الخوارزمى : قوله «لا تحسُبوا» بالضم ، من الحساب . يقول : لا تعدُّوا عامَكم وما صَبّ فيه عليكم الممدوحُ من الغارة شيئًا له وزنٌ واعتبار ، فإنما هو نموذج

(١) هو زهير بن أبى سلمى . انظر ديوانه ص ٨٩ . (٢) ضمير «أرى» للدوح .

مَحْضٌ ، ومثلٌ ساذَج لما تأتيكم من الحروب بعد هذا . والأنموذج بلا شكٍّ خارجٌ عن المقصود .

٢٠ (أَلَا رُبَّ أَعْدَاءٍ غَزَاهُمْ فَأَذْعَنُوا فَعَادَ وَهُمْ فِيمَا لَدَيْهِ عِيَالُ)

التبريزى : أى لما أذْعنوا له وأطاعُوه صار يقُوم بما يفتقرون إليه .

البطليوسى : البيت الأوّل ينظر إلى قول أبى الطيب :

خُذُوا ما أتاكم به واعذُروا فإنّ الغنيمةَ فى العاجلِ

وأذعَنوا : ذلُّوا وانقادوا . يقول : رُبّ أعداءٍ كانوا لهذا الممدوح يرومون مغالبته كما ترومون ، ويحاولون مناضبته كما تحاولون ؛ ثم رأوا أنه ممن لا يدافَع بالمُساناة[1] والعناد، فتلقَّوه بالإذعان والانقياد ؛ فعطف عليهم بكرمه وإفضاله ، وصيرهم من جملة حشمه وعياله . وهذا نحو قول أبى الطيب :

أعَدُّوا رماحا من خضوع فطاعَنوا بها الجيشَ حتّى رُدَّ غربُ الفيالقِ

الخوارزمى : الضمير فى « فعاد » للممدوح . ويروى « فعادوا » على واو الضمير .

٢١ (وَقَى الخَيْلَ مِنْ مَاءِ المَخَاضَةِ عِفَّةً وَهُنَّ إلى مَاءِ النُّفُوسِ نِهَالُ)

التبريزى : المخاضة، يراد بها مخاضة ماء . وكان علىُّ بن الحسين المعروف بابن المغربى، مدبّرَ ذلك العسكر، وأميرُه بنجوتكين التركى، الذى اصطنعه العزيز، من أمراء الشيعة، فالتقَوا بالمكان الذى يعرف بالروج[2] ، وبين الفئتين ماءٌ يخاض ، فاضه إليهم المسلمون، وظفروا ظفرا عظيما. والمراد أنّ الخيل لم تشرب من الماء،

(١) المساناة : المصانعة والمداراة، وكذلك المصاداة والمداجاة .

(٢) انظر حواشى ص ٦٠٣ .

لأن الغرض أن يقتل الأعداء، فكأنّها عِطاشٌ إلى النَّهَل من الدماء. والنَّهَل: الشرب الأول. وماءُ النفوس: الدم.

البطليوسى: إنما قال هذا لأنّ جيشَ المسلمين كان لقِيَ جيشَ الروم، وبينهم نهر، فخاضه المسلمون إليهم، وأوقعوا بهم. فقال: إنّ الخيل لم تكن حين خاضت الماءَ محتاجةً إلى الشرب منه، وإنما كانت عطاشًا إلى دماء الروم. والنِّهال: العِطاش. وسمّى امتناعَ الخيل عن شرب الماء عِفّة، مجازا واستعارة. وقد تستعمل العرب العفة فيما لا يعقل. قال رؤبة يصف حمارا وأُتُنًا:

* فعَفَّ عن أسرارها بعد العَسَق[1] *

الخوارزمى: «المخاضة» المذكورة ها هنا، و«حارم» المذكور فى قوله «إلى حارم قاد الجياد سواهِمًا»، المرادان فى قوله:

كأن لم يكن بين المَخاض وحارم كتائب يُسْجِين الفَلا وخِيامُ[2]

ومعنى البيت ها هنا قريب من بيتى السقط:

مَن ارتعتْ خيلُه الرياضَ بها وكان حوضَ الصفاء مَوردُها

فَفِى نبات الرؤوس تَسرَحُها أنت وماءَ الجُسوم تُوردها[3]

٢٢ (وَقَدْ فَلَّ مِنْ فُرْسانِهِنَّ صَوارِمٌ[4] وحُطِّمَ فِى لَبّاتِهِنَّ الآلُ)

التبريزى: حُطِّم: كُسِّر. والآل: جمع آلة، وهى الحَربة.

(١) العسق، بالعين المهملة: إرباب الناقة بالفحل، وكذلك الحمار بالأتان. والأسرار: جمع سر، وهو النكاح. وفى حـ: «أشرارها» محرفة. وفى الأصل: «الغسق» محرفة، صوابها فى اللسان (عسق) والديوان ١٠٤.

(٢) البيت ٣ من القصيدة ١٨ ص ٦٠٣.

(٣) البيتان ٢ و٣ من القصيدة ٣٥ ص ٨٢٣.

(٤) البطليوسى: «فى فرسانهن».

البطليوسى : سيأتى .

الخوارزمى : مرّ وفى يديه ألّة، أى حربة، وجمعها إلال، كجفنة وجفان. ومنه أُذن مؤلّلة، أى محدّدة .

٢٣ ﴿يَرِدْنَ دِمَاءَ الرُّومِ وَهْيَ غَرِيضَةٌ   وَيَتْرُكْنَ وِرْدَ المَاءِ وَهْوَ زُلَالُ﴾[1]

التبريزى : الغريضة: الطريّة . والزُّلال : الصافى الطيّب . قال الشاعر:

إذا ما اللحمُ أعوزَنى غريضًا   ضربتُ ذراعَ بَكرِى فاشتوَيتُ

البطليوسى : سيأتى[2] .

الخوارزمى : الغريض هو الطرى، وقد غَرُضَ غِرَضا، على مثال صَغُر صِغَرا . وهذا البيت تقرير لقوله : « وفى الخيل عن ماء المخاضة عفّة[3] » .

٢٤ ﴿تُجَاوِزُهُ بالوَثْبِ كُلُّ طِمِرَّةٍ   تَمَازَجَ فِى فِيهَا دَمٌ وَرُوَالُ﴾

التبريزى : أى يجاوز ماءَ المخاضة كلُّ طمرّة، أى فرسٌ وثّابة، وهى فعلّة من الطمْر، وهو الوثوب، والرُّوال للخيل، مثلُ البصاق للناس .

البطليوسى : يقول : ضربَ الرومُ بسيوفهم حتى تفلّلت فى رؤوس الفُرسان، وطاعنوا برماحهم حتّى تحطمَتْ فى صدور الخيل، ليمنعوهم من جواز النهر إليهم، فلم يغن ذلك عنهم شيئا . واللَّبَة من الفرس : موضع اللبب من صدره . والإلال جمع ألّة، وهى الحربة . والطمرّة : الفرس الطويلة القوائم الوثّابة . والرُّوال : لعاب الخيل . وقوله : « تجاوزُه بالوثب » أراد أنّ ماء النهر كان باردًا لغلبة الثّلج عليه، فكانت الخيل تقمُص فى الماء من برده . كما قال أبو الطيب :

يقمُصنَ فى مثل المُدَى من بارد   يذَرُ الفحولَ وهنّ كالخصيان[4]

(١) هذا البيت موضعه فى البطليوسى بعد البيت التالى . وسيأتى شرحه فى مكانه عند البيت ٢٥

(٢) انظر شرح البيت رقم ٢٥ .

(٣) البيت ٢١ من هذه القصيدة ص ١٠٥٩ .

(٤) انظر ديوان المتنبى (٢ : ٣٩٦)

الخوارزمى : الزُّوال غير مهموز، فى «أعن وخد القلاص»[١] . وفى المصراع الثانى ما يدلّ على أنها لم تشرب من ذلك الماء؛ إذ لو شربت منه لغَسل من أفواهها الدمَ.

٢٥ (تَدَانَتْ بِهِ الأَقْرَانُ حَتَّى تَجَاثَأَتْ كَأَنَّ قِتَالَ الفَيْلَقَيْنِ جِدَالُ)

التبريزى : تجاثأت : تفاعلت؛ من جثأ على ركبتيه . والفيلق : الجيش العظيم . قال السَّرىّ :

خيل تمزّقُ كلّ يومٍ مأزِقا وظُبًا تفلِّق كلّ يومٍ فيلقا[٢]

والجدال : المجادلة . أى كأن هؤلاء القوم لدُنُوّ بعضِهم من بعض خصومٌ بين يدَىْ حاكم . والتجاثى ، يُهمز ولا يهمز .

البطليوسى : الغريضة : الطرية . والزلال : العذب . يقول : تُؤْثِر ورد الدم على ورد الماء . وتدانت : قَرُب بعضها من بعض . والأقران : الأكفاء فى الشجاعة . والفَيلق : العسكر . والجِدال : المخاصمة . يقول : قرُب بعضُهم من بعض حتّى كأنهم خصوم، وقد تجاثَوا على رُكبهم كالخصام فى مجالس القضاء . والتجاثؤ والتجاثى، بالهمز وترك الهمز، لغتان، والأشهر فيه ترك الهمز . والعرب تشبّه المتحاربين بالخُصماء، ويشبهون المنايا والرماح والسيوف بالقضاة والحكام . ألا ترى إلى قول أبى الطيب :

وقد حاكَموها والمنايا حواكم فما مات مظلومٌ ولا عاش ظالمُ

وقال أيضا :

رَضِينا والدُّمستُقُ غيرُ راضٍ بما حكم القواضبُ والوَشيجُ

(١) انظر البيت ١٨ من القصيدة الأولى ص ٤٩ .

(٢) انظر ديوان السرى الرفاء ص ١٨٥ .

الخوارزمى : الضمير فى «به» لماء المخاضة . التجاثى من الجثو، ولم أسمعه مهموزا إلا ها هنا .

٢٦ (وَقَدْ عَلِمَ الرُّومِيُّ أَنَّكَ حَتْفُهُ عَلَى أَنَّ بَعْضَ المُوقِنِينَ يَخَالُ)

التبريزى : حتفُه : هلاكه . ويَخال : يظنّ . جعل علمَه الذى تيقّنه ظناً يشك فيه .

البطليوسى : يقول : قد علم الرومىُّ أنك له حتفٌ مُهلك ، وهو مع ذلك يتعرّض لك، كأنّه فى علمه متشكّك . والأحمق يصير عنده اليقينُ كالظن ، لنقصان فطرته ، كما أن العاقل يصير ظنُّه كاليقين ، لكمال عقله ومعرفته .

الخوارزمى : يقول : تيقّنَ قائدُ جيش الروم أنه لو قابلَك لقتلتَه ، ثم هو مع ذلك يتعرّض لقتالك ، فكأنما يقينه شك .

٢٧ (فَمَا كَبُرُوا حَتَّى يَكُونُوا فَرِيسَةً وَلَا بَلَغُوا أَنْ يُقْصَدُوا فَيُنَالُوا)

التبريزى : ... ...

البطليوسى : يروى « كَبُروا » بالباء من الكِبَر . و « كثُروا » بالثاء المثلثة من الكثرة . وهذا تحقيرٌ منه للروم الذين لقيَهم . يقول : لم يكثر عددُهم فيقالَ إنهم كانوا لك فريسة أقنعتك ، وطُعمةً أجزأتك وكفتك؛ وإنما كنتَ فيما نلتَ منهم بمنزلة أسدٍ وجَدَ فريسةً لا تُشبعه، وصيدًا لا يُقنعه؛ ولا بلغ الخوفُ من إضرارهم، أن يُغزَوا فى ديارهم؛ وأقلُّ رجالك يقاومُ جمعَهم ، ويجتثّ أصلَهم وفرعهم .

الخوارزمى : أصل هذا المعنى من قول أبى الطيب :

صغرتَ عن المديح فقلتَ أُهْجَى كأنك ما صغُرت عن الهجاء [2]

---

(١) فى الديوان المخطوط والبطليوسى : « فما كثروا » وهما روايتان كما سينبه عليه البطليوسى .

(٢) انظر ديوان المتنبي (١ : ٣١) .

٢٨ (فَإِنَّ أَبَا الأَشْبَالِ يَخْشَاهُ مِثْلُهُ وَيَأْمَنُ مِنْهُ آرِضٌ وَنِمَالُ)

التبريزى : أى هم يقلّون عن الممدوح ويصغُرون عن قصده، لأنّ الضرغام يخشاهُ مثله ولا تخافه الآرِض ، وهو ضربٌ من الدود يقع فى الورق . وكذلك النمل لا تَفْرَق من الأسد ، لقلّة شأنها .

البطليوسى : سيأتى :

الخوارزمى : عنى بالآرض الأرَضَة ، وهى دويّبّة تأكل الخشب . يقال أُرِضت الخشبة تُؤرَض فهى مأروضة . وهذا المعنى من قول أبى الطيب :

يردّ أبو الشبل الخميسَ عن ابنه ويُسْلِمُه عندَ الولادة للنملِ (١)

٢٩ (ولم يَضْرِهِنَّ العِزُّ مِنْهُ وَإِنَّما ضَرَاهُنَّ مِنْهُ أَنَّهُنَّ ضِئَالُ)

التبريزى : ضِئال : جمع ضئيل، وهو المهزول . و « لم يَضْرِهنّ » فى هذا الموضع بمعنى لم يُنْجِهن . قال الشاعر :

تُحاذِرُ بيتًا من تُماضِرَ آجنًا ضَرَى الله منه صاحِبِى وضَرَانِى

أى نجّى الله صاحبى منه ونجّانى . و « ضَرَى » يستعمل فى معنى التفرقة والجمع، والخذلان والنصر .

البطليوسى : هذا مثلٌ ضربه لما تقدّم. يقول: الأسد لا يخاف الآرضات والنّمَل، ولا يلتفت إليها احتقارًا لها ، وليس ينجيها منه عزٌّ وامتناع، وإنما ينجيها منه حقارتُها عنده وقلّةُ مبالاته بأمرها . والأشبال : جمع شبل، وهو ولد الأسد. وقوله «آرض» يحتمل وجهين : أحدهما أن يكون جمعَ أرَضَة على أرَض، كما تقول: شجرة وشجر ، ثم جمع أرَضًا على آرُض ، كما تقول جبل وأجبل ، وزمن وأزمن .

(١) انظر ديوان المتنبى (٢ : ٤٧) .

والثانى أن يكون جمع أَرَضَة على أرض ، كما قالوا أكمة وأكم ؛ لأن العرب ربّما أجرت ما فيه الهاء فى الجمع مجرى ما لا هاء فيه ، فقالوا كلبة وكلاب ، كما قالوا كلب وكلاب ، فكذلك جمعوا فَعَلة على أفعُل ، كما يجمعون فَعَلًا . ومعنى «يصْرِهنّ» يخلصهنّ وينجيهنّ . يقال : صَراه يَصريه . قال الشاعر[1] :

* هواهنّ إن لم يَصْرِه اللهُ قاتله[2] *

وضئال : حقيرة ، واحدها ضئيل .

الخوارزمى : فى أساس البلاغة : «صَرَاك الله تعالى ، أى منعك وحفظك» . الضمير فى « يصرهنّ » للآرض والثِّمال ، وفى « منه » لـ«أبى الأشبال» . قوله : « أنهنّ ضئال » فى محل الرفع على أنه فاعل « صراهنّ » .

٣٠ (فَلَا زِلْتَ بَدْرًا كامِلًا فى ضِيَائِهِ عَلَى أَنَّهُ عِنْدَ النَّمَاءِ هِلَالُ)

التبريزى : النماء : الزيادة ، أى تزيد كلّ يوم ولا تنقص ، لأن الهلال يزيد كلّ يوم حتى يصير بدرا كاملا ، ثم ينقص . دعا له بأن يزيد كلّ يوم ولا يلحقه نُقصانٌ ، كما يلحق البدر بعد تمامه .

الخوارزمى : هذا يلاحظ معنى قول أبى العلاء فى بعض رسائله : «ومازال شوقى فى القوة كهلا ، وفى النماء والزيادة طفلا » .

٣١ (فَمَا لِخَمِيسٍ لَمْ تَقُدْهُ عَرَامَةٌ وَلَا لِزَمَانٍ لَسْتَ فِيهِ جَمَالُ[3])

---

(١) هو ذو الرمة . انظر ديوانه ص ٦٧ ؛ واللسان (صرى) .

(٢) صدره : * فودعن مشتاقا أصبن فؤاده *

(٣) الخوارزمى والديوان المخطوط : « كمال » .

التبريزى : الخميس : الجيش العظيم . والعَرامة : الشِّرّة، ومثلها العُرام، إذا أُلحقت الهاء فتحت العين، وإذا حذفتها ضممتَ . يقال: صبيٌّ عارم، إذا كان مُؤْذيا . قال أبو دُوَاد :

فيهـمُ للمُلاينينَ أناة وعُرام إذا يُرام العرامُ

البطليوسى : ويروى «عند التمام» . يريد أن كماله كمال البدر وإن كان فى سنّه، كالهلال لصغره . والخميس : العسكر . والعرامة . الشرّة والجرأة .

الخوارزمى : العَرامة : بالفتح بمعنى العُرام، وهى مصدر عرُم الصبى بالضم، لغة فى عَرِمَ قياسا . ويشهد بصحته كلام الخارزنجى : وقال بعضهم : عرَمْته : أصبته بعرامة وشر وشمته . وكذا كلامه فى تفسير قول ابن مُقبل :

لا أُلفيَنّى وإيا كُمْ كعارمـةٍ إلّا تجِدْ عارما فى الناس تَعترِمِ

قوله : تعترم، أى إن لم تجد من تعارِضُه خَمَشَت وجهَها وادعت على إنسان لعرامتها .

٣٢(وفىٌّ لِمَنْ رَامَ المَعَالِى بَقِيّةٌ وَعِنْدى إِذَا عَىَّ البَلِيغُ مَقَالُ)[1]

التبريزى : يقال: فلانٌ عَىٌّ بالكلام والجواب، وقد عَيِىَ به، نحو حَىٌّ وحَيِىَ، فهو عَيِىٌ به وعَىٌّ . والعِىّ : ضد البلاغة . والعَىّ : ضد البليغ . ومقال : قول .

البطليوسى : ... ...

الخوارزمى : قوم لهم بقية، إذا كانت بهم مُسْكَةٌ وفيهم خَير، عن الأزهرى . يقول : قد بقِى فىّ من خصال المجد ما يسوِّغ لطلّاب العُلَى أن يقتدوا بى .

(١) هذا البيت لم يرد فى نسخة البطليوسى .

[القصيدة التاسعة والأربعون]

وقال من قصيدة [فى] الثانى من الطويل والقافية متدارك(١) :

١ (أَلَيْسَ الَّذِى قَادَ الجِيَادَ مُغِذَّةً رَوَافِلَ فى ثَوْبٍ مِنَ النَّقْعِ ذَائِلِ)

التبريزى : مُغِذَّة : سريعة . يقال : أغذ إغذاذا ، إذا أسرع . والنَّقع : الغبار . والروافل : جمع رافل ، وهو الذى يطول ثوبُه فيصل إلى الأرض . والذائل : الطويل الذَّيل .

البطليوسى : المُغِذَّة : المُسرعة ؛ يقال : أغذَ فى السير ، إذا أسرع . والروافل : المتبخترة فى سيرها . والنَّقع : الغبار . والذائل : الطويل الذيل ؛ يقال : ذال الثوب ذيلا ، إذا طال حتى يمس الأرض . وذال السحاب ، وذال الإنسان ، وذال الفرس . وفى قوله : «أليسَ» ضمير مرفوع بها يعود على الممدوح بهذا الشعر .

الخوارزمى : « الذى قاد الجياد » فى محل النصب على أنه خبر «ليس» .

٢ (يَكَادُ يُذِيبُ الجُمَ ثَائِرُ حِقْدِهَا(٢) فَيَمْنَعُهَا مِنْ ذَاكَ بَرْدُ المَنَاهِلِ)

التبريزى : أى لولا بَرد الماء الذى تَنهل فيه هذه الخيلُ لأذاب الجُمَ ثائرُ حقدها ، كما قال فيما تقدم :

وقد ذابتْ بنار الحقد منها شكائمُها فمازجت الرُّؤالا(٣)

---

(١) البطليوسى : « وله أيضا من قصيدة صنعها فى صباه » . الخوارزمى : «وقال أيضا فى الطويل الثانى والقافية من المتدارك من قصيدة قالها فى صباه » .

(٢) حـ من البطليوسى والتنوير : « تأثير حقدها » .

(٣) البيت ١٨ من القصيدة الأولى ص ٤٩ .

البطليوسى : سيأتى .

الخوارزمى : هذا كبيت السقط :

وقد ذابت بنار الحقد منها   شكائمُها فمازجت الرُّوالا[(١)]

٣ (وَمَا وَرَدَتْها مِنْ صَدًى غيرَ أَنَّها   تُرِيدُ بِوِرْدِ المَاءِ حِفْظَ المَسَاحِلِ)

التبريزى : المَساحل : جمع مِسحل . والمِسحلان : الحديدتان اللتان تكتنفان فَمَ الفرس من اللجام . ويقال للوضع الذى هى فيه مِسحل . ويُستعار ذلك للرَّجُل، فيقال : شابَ مِسحلُه . والصَّدى : العطش .

البطليوسى : يقول : لولا ورودها ماءَ المناهل ، ومَنْع بَرد المـاء لُجُمها من أن تذوب فى أفواهها ، لأذابها ما تجده فى قلوبها من نار الحِقد على أعداء هذا الممدوح . ثم ذكر أنها لولا ما تريده من حفظ الُّلجُم لم تَرِد المـاء ، ولم تكن بها حاجة إليه . والصَّدى : العطش . والمَساحل : اللجم، واحدها مسحل . ويقال للحديدتين اللتين تكتنفان فم الفرس من اللجام : مسحلان . هذا الأصل، ثم سُمى اللجام كلُّه مسحلا . قال الأعشى :

صَددتَ عَن الأَعداءِ يومَ عُبَاعِب   صُدودَ المَذاكى أقرعتها المَساحلُ[(٢)]

وقد قال فى قصيدة أخرى ما هو أبلغ من هذا، وهو قولُه :

وقد ذابتْ بنار الحِقد منها   شكائمُها فمازجت الرُّوالا[(٣)]

---

(١) البيت ١٨ من القصيدة الأولى ص ٤٩ .

(٢) فى الديوان ١٨٧ وكذا معجم البلدان رسم (عباعب) : « عن الأحياء » . وأقرعتها : ردتها وكفتها . وفى الأصل : «أفزعتها» . صوابه من الديوان .

(٣) البيت ١٨ من القصيدة الأولى ص ٤٩ .

وإنما كان أبلغَ لأنه أخبر عنها أنها ذابت ، وقال هاهنا « يكاد يذيب » فلم يطلق عليها الذَّوب . ولا أحفظ لغيره فى هذا المعنى شيئا . غير أن أبا الطيب قد قال وإن لم يكن بعينه :

وشُزَّبٍ أَحمتِ الشِّعرى شكائمَها ... ووَسَّمتها على آنافها الحَكَمُ[1]
حتى وردن بسُمْنِينٍ بحيرتَها ... تَنِشّ بالماء فى أشداقها اللُّجُمُ[2]

والشاعر الفَطِن يُنبِّه بعضُ المعانى على بعض .

الخوارزمى : المسحلان فى اللجام : حَلقتان إحداهما مُدخَلة فى الأخرى .

وقال ابن دُريد[3] : مِسحلا اللجام : الحديدتان اللتان تكتنفان فَكَّى الفرس . نقلها الغورى[3] .

٤ (وعَادَتْ كَأَنَّ الرُّثْمَ بَعْدَ وُرُودِهَا ... أَعِرْنَ احْمِرَارَ الأُفْقِ[4] فَوْقَ الجَحَافِلِ)

التبريزى : الرُّثم : جمع أرثم ، وهو الذى فى جحفلته العُليا بياض . فكأنها لما وردت الدمَ قد احمرت تلك المواضع منها .

البطليوسى : الرُّثم من الخيل ، واحدها أَرثم ، وهو الذى فى شَفته العُليا بياض ، فإن كان فى السُّفلى فهو أَلمَظ . والجَحفلة لذوات الحافر بمنزلة الشفة للإنسان . يريد أن الخيل وردت الماء فهو مُمتزج بالدم ، فصار بياضُ رَثَمها حُمْرة . ووصفه بأن خيلَه لا تشرب إلا الماء الذى قد خالطه الدم ، كما قال أبو الطيب[5] :

تعوَّد ألَّا تقضمَ الحبَّ خيلُه ... إذا الهامُ لم ترفع جُنوبَ العلائقِ
ولا تَرِدِ الغُدرانَ إلا وماؤها ... من الدَّم كالرَّيحان تحت الشَّقائقِ

(١) ديوانه (٢ : ٢٩٠) .
(٢) سمنين ، بضم أوله . وكثيرا ما يروى بالفتح : بلد من ثغور الروم ، كما فى معجم البلدان .
(٣) انظر الجمهرة (٢ : ١٥٥) . (٤) البطليوسى : « الورد » .
(٥) انظر ما سبق فى ص ٨٢٣ .

الخـــوارزمى : الرُّثم : جمع أَرثم، وهو فى الخيل ما فى جَحفلته العُليا بياض . شَبّه حُمرة الشفة من الدم بحُمرة الشفق . يقول : لمـا كَرعتْ هـذه الجيادُ فى تلك المَناهل آحمرّت جحافلها، لأن ماءها كان بدماء القَتلى ممتزجا .

٥ (ومهما يَكُنْ يَحْسَبْهُ حَثًّا عَلَى النَّدَى فَيَغْدُو عَلَى أَمْوالِهِ بالغَـوَائِلِ)

التـــبريزى : أى مهما يكن من شىء يحسبْه هذا الممدوح حَثًّا على الإعطاء، فيجىء على أمواله بالإهلاك . والغوائل : جمع غائلة، وهى المَهلكة .

البطليـــوسى : ســيأتى .

الخـــوارزمى : قوله «ومهما يكن» معطوف على «قاد الجياد»، كأنه قال : أليس الذى قاد الجياد، [ومهما يكن] . وجاد، من الجود[1] .

٦ (فَمَا نَاحَ قُمْرِىٌّ وَلَا هَبَّ عاصِفٌ مِنَ الرِّيحِ إلَّا خَالَهُ صَوْتَ سَائِلِ)[2]

التـــبريزى : ... ...

البطليـــوسى : يقول : مِن سخائه وكرمه يحسب كلَّ صوت فيه حنين صوتَ سائلٍ يستعطفه، فهو أبدا يبدّد ماله . وأصوات الحمام تُوصف بالحنين والشَّجا، وكذلك الرياح . ألا ترى إلى قول آبن مُفرِّغ :

الرِّيحُ تَبْـكى شَجْـوَهَا[3] والبرقُ يلمع فى غَمَامَهْ

(١) كذا وردت هذه العبارة، نعنى « وجاد من الجود » . ولم يسبق فى ألفاظ الأبيات السابقة ذكر لهذه الكلمة . وفى التنوير، فى تفسير هـذا البيت : « حذف هاهنا أيضا بعض أبيات القصيدة؛ إذ هذا البيت منقطع عما قبله » .

(٢) هذا البيت فى البطليوسى متقدّم على البيت الذى قبله .

(٣) فى الأصل : « شجوه » .

وقال آبنُ أحمر :

بجوّ من قسًّا ذَفِرِ الخُزامى تَداعى الجِرْبِياء به الحَنِينا[(١)]

وقال أبو تمّام :

شَجا الريحَ فازدادت حنيناً لفقده وأحـدث شجواً فى بكاء الحمائم

والغوائل : المَهالك .

الخـوارزمى : القُمرى : منسوب إلى طير قُمْر، عن الغورى . ونحوه: الكُدرى، لضرب من القطا ، لأنه منسوب إلى طير كُدر .

٧ (أَطَاعَكَ هَذَا الخَلْقُ خَوْفًا ورَغْبَةً فَوَاعَجَبًا مِن تَغْلِبَ بنةِ وائِلِ)

٨ (أَكَانَ لهَا فى غَيْرِ عَدْنَانَ نِسْبَةٌ فَتَأْمُلَ أَنْ تَعْصِيكَ دُونَ القَبَائِلِ)

التـبريزى : ... ...

البطليـوسى : يقول : كيف طمعت تغلب بنة وائل أن تخرج عن طاعتك، وجميع قبائل عدنان مُطيعة لأمرك، متصرفة تحت حُكمك . وقوله : « أ كان لها فى غير عدنان نِسبة » — يريد : فى اليمنيّة الذين ينتمون إلى يَعْرب بن قَحطان — اجتماعٌ إلا فى عابر بن أرْفَخْشد بن سام بن نوح، فى قول كثير من النسابين . وهو قول من يرى أن العرب كلها ليست من ولد إسماعيـل . وأما من جعل العرب كلها راجعةً إلى إسماعيل ، فإنه يرى أن يعرب ، هو يَعْرب بن قَحطان بن الهَمَيْسع بن تيمن بن نَبْت بن قَيْذار بن إسماعيل . ومَعدّ، هو معدّ بن عدنان بن أُدّ بن أُدَد بن قَيْذار بن إسماعيل . وللنسّابين فى هذا تخليط شديد . وقد قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لمـا بلغ عدنان فى النسب : « كذب النسابون » .

(١) انظر ما سبق فى ص ١١ .

الخوارزمى : يقول : العجب من تغلَب بنةِ وائل ، كيف لم يُطيعوك . والبيت الثانى تقرير هذا المعنى .

٩ (بِدَوْسَرَ جاوَرْتَ الفُراتَ مُكَرَّماً كَأَنَّكَ نَجْمٌ فِى عُلُوِّ المَنازِلِ)

التبريزى : دَوسر : موضع على شط الفرات، كان هذا الممدوح معتقلاً فيه فى بعض السنين .

البطليوسى : سيأتى .

الخوارزمى : دَوسر ، على وزن حَوْمل ، قرية على شط الفرات فيها كان الممدوح محبوسا ، ولعلها كانت رفيعة .

١٠ (فَزَيَّنْتُماها فِى البِلادِ وَزادَها أَحَقُّكُما بالفَضْلِ مِنْ كُلِّ فاضِلِ)

التبريزى : زَينتماها ، يعنى الممدوح والفرات . أى أنت أيها المخاطب كنت الذى زادها فى الزينة .

البطليوسى : دوسر : موضع على شط الفرات ، كان أُعتُقل به هذا الممدوح فى بعض السنين . وقوله : « فزينتماها » يريد الممدوح والفرات . وجعل الممدوح أحقَّ بالفضل من الفرات ، ومِن كل منْ ينتمى إلى الفضل .

الخوارزمى : الخطاب فى قوله « فزينتماها » وقوله « أحقكما » للممدوح والفرات . والضمير المنصوب فى قوله « فزينتماها » وقوله « وزادها » لدوسر . « أحقكما » مرفوع على أنه فاعل « زاد » . يقول : أنت وجارك الفرات قد زَينتما من بين سائر البلاد هذه القلعة ، ثم أنت دون الفرات قد زدتها زينة .

وفى هذا البيت لحنٌ إعرابى، وذلك أن أفعل التفضيل تتعاقب عليه الأشياء الثلاثة : « من » التفضيلية ، والإضافة ، واللام . فإذا وردت عليه الإضافة

أو اللام لم يجز أن ترد عليه « من » التفضيلية ضرورة التعاقب . ومن ثمة لم يجيزوا زيد الأفضل من عمرو .

١١ ﴿إذَا عُدَّ خَلْخَالًا لَهَا كُنْتَ تاجَها ولم تَزَلِ التِّيجانُ فوقَ الخلاخِلِ﴾

التبريزى : جعل الممدوح تاجاً لهذه القلعة لمّا كان عليها ، وجعل الفرات خلخالا لها لمّا كان تحتها وأسفلَ منها .

البطليوسى : سيأتى .

الخوارزمى : جعل الممدوح كالتاج للقلعة المُسمّاة بدَوسر ، لأنه كان عليها ، وجعل الفرات كالخلخال لها لأنه كان تحتها . ففضّل الممدوح على الفرات تفضيلَ التاج على الخلخال .

١٢ ﴿لِأَمْرٍ أحِلَّ الزُّجُّ فى عَقِبِ القَنَا ورُفِّعَتِ الخُرْصانُ فوقَ العَوامِلِ﴾

التبريزى : أُحِل ، من أحللته ، إذا أنزلتَه . والزُّج ، فى أسفل الرمح . والخرصان : الأسنة ، وهى فى أعالى الرماح . وكل ذلك باستحقاق .

البطليوسى : لمّا ذكر فيما تقدّم أن هذا الممدوح والفرات زَيّنا دوسر ، جعل الممدوح كالتاج لها ، لكونه فى أعلاها ، وجعل الفرات لاستدارته حولها كالخلخال لها ، وأخبر أن بين الزينتين من التفاضل ، بقدر ما بين التيجان والخلاخل ؛ ثم ضرب مثلا آخر فقال : إنما جعل الخُرص فى أعلى الرمح والزج فى أسفله ، إبانةً لمزيّته عليه وفضله . والقنا : الرماح . وعواملها : صُدورها . والخرصان : الشفرات ، واحدها خَرص وخُرص وخِرص .

الخوارزمى : لمح هذا البيت شيخُنا جار الله العلّامة فى قوله :

لِأَمْرٍ تَسدَّى لَهذَمُ الرمح رأسَه وأُخِّرَ مُنحطًّا إلى الذَّنبِ الزُّجّ (١)

(١) البيت فى الورقة ١٨ من ديوانه المخطوط . وتسدى : اعتلى وركب .

١٣ (تَنَازَعَ فِيكَ الشِّبْهَ بَحْرٌ وَدِيمَةٌ ... وَلَسْتَ إِلى ما يَزْعُمانِ بِمَائِلِ)

التبريزى : ... ...

البطليوسى : ... ...

الخوارزمى : كل واحد من البحر والديمة يدّعى أنه شبيهك ، وأنت لا تُسلِّمُ لهما ذلك .

١٤ (إذا قِيلَ بَحْرٌ فَهْوَ مِلْحٌ[1] مُكَدَّرٌ ... وَأَنْتَ نَمِيرُ الجُودِ[2] عَذْبُ الشَّمائِلِ)

التبريزى : النمير : النافع العَذْب . والشمائل : الخلائق ، واحدها شمال .

البطليوسى : سيأتى .

الخوارزمى : ... ...

١٥ (وَلَسْتَ بِغَيْثٍ فَوْقَكَ لِلدُّرِّ مَعْدِنٌ ... وَلَمْ تُلْفِ دُرًّا فى الغُيُوثِ[3] الهَوَاطِلِ)

التبريزى : ... ...

البطليوسى : ويروى « نمير الجود » ، والأوّل أحسن . والنمير : الذى ينجعُ فى شاربه ويحسن غذاؤه ، عذبا كان أو غير عَذب ؛ وقيل : هو العذب ، وهذا أشبه ببيت أبى العلاء . والتنازع ها هنا : مصدر تنازع الرجلان فى الشىء ، إذا ادّعاه كل واحد منهما . والدِّيمة : المطر الدائم فى سكون . يقول : كلُّ واحدٍ من البحر والمطر يدّعى أنك تشبهه ، وقد كذب كل واحد منهما فيما زعمه ؛ لأن البحر ملح الماء مكدّر ، وماء جودك عذب ، وشمائلك حلوة ؛ فأنت ضدّه . وكذلك أنت مخالف للغمام ؛ لأن كلامك درّ ولا درّ فى الغمام . والهواطل : الدائمة فى سكون .

(١) فى التبريزى والديوان المخطوط : « مر » ، وقد أشير فى هامش هذا الأخير إلى رواية : « ملح » .

(٢) فى البطليوسى : « نمير الماء » .

(٣) فى الخوارزمى والتنوير : « ولم تلف » بالنون ، وفى البطليوسى : « فى الغمام » .

ووقع فى نسخ السقط : « فهو مُرٌّ مكدّر » وليس بصحيح ؛ لأن ماء البحر لا يوصف بالمرارة، إنما يوصف بالمُلوحة .

الخوارزمى : « فوك للدرّ مَعدن » تعليل لقوله «ولست بغيث» . والبيتان تعليل لقوله : « ولستَ إلى ما يزعمان بمائل » .

١٦ ﴿إذَا ما أَخَفْتَ الـمرءَ جُنَّ مَخَافَةً فَأَيْقَنَ[1] أَنَّ الأَرْضَ كِفَّةُ حَابِلِ﴾

التبريزى : كِفة الحابل : الشبكة التى يقال لها الحِبالة. والحابل: الصائد. وكُلّ مستدير كِفّة ، بكسر الكاف ؛ وكل مستطيل كُفّة ، بضمها . أى إذا أخفْتَ إنسانا ضاقت عليه أقطار الأرض من شدّة خوفه منك .

البطليوسى : سيأتى .

الخوارزمى : كل مستدير ، ككِفة الميزان وكِفة الصائد، وهى حِبالته، فبالكسر . وكل مستطيل ككُفّة الثوب وكفة الرمل، وهى حاشيتهما ، فبالضم . ومعنى البيت مقتبس من قول الطِّرِمّاح بن حكيم :

ملأتُ عليه الأرضَ حتى كأنها من الضِّيق فى عَينيه كِفّة حابِل[2]

١٧ ﴿يرَى نَفْسَه فى ظِلِّ سَيفِكَ واقِفًا[3] وبَيْنَكما بُعْدُ الْمَدَى الْمُتَطاوِلِ﴾

التبريزى : ... ...

البطليوسى : الكِفة ، بكسر الكاف : كل ما آستدار ، نحو كِفة الميزان وكِفة الصائد ، وهى شبكته التى يَصيد بها . والكُفة ، بضم الكاف : ما استطال ومعه آستدارة، نحو كُفة القميص وكُفة الرمل . والحابل : الذى ينصب الحبائل للوحش . قال الشاعر :

(١) فى التبريزى والخوارزمى : « وأيقن » .
(٢) البيت من أبيات فى ديوان الطرماح ١٥٨ .
(٣) فى البطليوسى : « قائما » .

كأنّ بلادَ الله وهى عَرِيضــةٌ على الخائف المطلوبِ كِفّة حابِلِ

والمدى : الغاية .

الخوارزمى : يقول عدوّك ، لغلبة الخوف عليه ، يتوهم أن سيفك مسلول على رأسه ، وإن كان بينكما مسافة بعيدة .

١٨ (يَظُنُّ سَنِيرًا منْ تَفَاوُتِ لَحْظِه وَلُبْنَانَ سَارًا فى القَنَا والقَنَابِلِ)

التبريزى : سَنِير : جَبل عند بَعلبكّ . ولُبنان : جبل دمشق . والقنابل : جمع قَنْبَلَة ، وهى القطعة من الخيل .

البطليوسى : سَنير ولُبنان : جبلان بالشام . ويقال : تفاوُت وتفاوَت وتفاوِت ، بضم الواو ، وفتحها ، وكسرها ؛ والقياس الضم ، لأنه الباب المطرد فى مصدر تَفاعَلَ ، نحو تضارب القوم تضاربا ، وتقاتلوا تقاتلا ؛ ولم يأت من هذا الباب شىء مفتوح ولا مكسور إلا فى مصدر هذا الفعل . والقَنا : الرماح . والقنابل : جمع قَنبَلَة ، وهى الجماعة من الناس والخيل . يقول : إذا رأى جيشا توهّم أنه هذان الجبلان ، لكثرة عدده .

الخوارزمى : سَنير ، بوزن عَليم : جبل بقرب بعلبك . لُبنان : جبل بحمص ودمشق ، يمتد إلى أن يتصل بجبال أنطاكية والمَصِّيصة ، وثمة يُسمَّى اللُّكام[(١)] ، وفيه تسكن الأَبدال[(٢)] . وقيل لبعضهم : لى إليك حُوَيْجة . فقال : لا أقضيها حتى تكون لُبنانية . أى عظيمة كلُبنان . وهو غير منصرف ؛ قال أبو الطيب :

حيث التقى خدّها وتفاح لبـ ـنانَ وثغرى على حُمَيَّاها[(٣)]

(١) اللكام ، بوزن غراب ورمان ، وهو يسامت حماة وشيزر .

(٢) الأبدال : قوم من الصالحين .

(٣) فى الأصل : « محياها » . والتصويب من الديوان .

وقال :

وجاوِرْ بلادَ الشـام لُبنان إنهـا   معـادن أَبدال إلى مُنتَهى العرْجِ (١)

وقال جرير :

* بلى مِثلُ بَيْنٍ يومَ لُبنان يَشْعَفُ (٢) *

ومَن قال بأنه منصرف، لأنه فعلال، كذّبته الأبيات . القنابل : جمع قَنْبَلة ، وهى القِطعة من الخيل . يقول : ذلك المذعور من غاية خَوفه ، قد تفاوت عقله ونظره ، بحيث يتـوهّم أن جيشك لِعظمه وتمّنعه هـذان الجبلان . و « القنا» مع « القنابل » تجنيس .

١٩ (أَذَا أَجَأٌ وَافَى يُجَدِّدُ عَهْـدَهُ   بِنَا أَمْ تَرَاهَا زَوْرَةً مِن مُوَاسِلِ)

التـبريزى : قوله « أم تراها زورة من مواسـل » يجوز نصب « زورة » ورفعها ؛ فالنصب على أنها مفعول « ترى » ، والضمير الذى هو « ها » من «تراها» عائد على ما فى صدر البيت من معنى الزيارة؛ لأن قوله « وافى » يدل على الزيارة . و إذا رفعت فالضمير يكون عائدا على القصـة ، وارتفاع « زورة » على أنهـا خبر مبتدأ محذوف ، والتقدير : أم ترى القصـة هى زورة من مواسـل . ومواسل : موضع فى جبلى طيئ ، وهمـا أجأ وسَـلمى . والمعنى أن الناظر إذا نظر إلى هـذا الجيش ظن أنه جبل .

البطليـوسى : سـيأتى .

---

(١) العرج : مبدأ امتداد جبل لبنان بين مكة والمدينة . والبيت ليس فى الديوان .

(٢) فى الأصل : « يسعف » صوابه من الديوان ٣٧٣ . وصدره :

* وتزعم أن البين لا يشعف الفتى *

الخـوارزمى : أجأ وسلمى : جبلا طيئ . مواسـل ، بضمٍّ وكسر السين : جبل آخر . المحفوظ : « أم تراها زورة » بالنصب . « أم » هاهنا هى المنقطعة ، وهى المفسَّرة ببل وهمزة الاستفهام . ومعنى البيت من مظنون ذلك المذعور . يقول : متى نظر إلى جيش الممدوح ذلك المذعور قال : هذا الذى أراه جبل طيئ، وقد زارنا لتجديد العهد بنا ، بل أتظن هذه الزورة زورة من جبل آخر .

٢٠ (أَتَتْنَا مِنَ الأَتْرَاكِ أَعْلَامُ طَيِّئٍ تَقُودُ مِنَ السُّودَانِ حَرَّةَ رَاجِلِ)

التـبريزى : أى أتتنا من الأتراك مثلُ أعلام طيئ ، وهى الجبال ، تقود من السودان مثل حَرّة راجل ، وهى إحدى الحِرار المذكورة ، معروفة . قال النابغة :

إذا هَبَط الأرضَ البعيدَة خِلْتَها دَميمـةَ وجهٍ غَيَّهـا غيرُ طائلِ
يَؤُمّ بِرِبْعِىٍّ كأنَّ زُهاءه (١) إذا هَبط الصحراءَ حَرَّةُ راجلِ

البطليـوسى : أجأ ومواسل : جبلان من بلاد طيئ . وجبال طيئ المشهورة : سلمى، وأجأ، والعوجاء، ومواسل . وتزعم العرب أن أجأ كان رجلا يخادن سلمى ويُزَنّ بها ، وكانت العوجاء امرأة تؤلّف بينهما ، فعُثِر على أمرهم ، فصُلب كل واحد منهم على جبل ، فسُمى كل جبل منها باسم الذى صُلب عليه . قال زَيد الخيل :

جَلبنا الخيلَ مِن أجأ وسَـلمى تَخُبّ نَزائعًـا خَبَب الذِّئابِ

وقال آخر :

* كأنّى أُرادِى (٢) هَضْبةً من مُواسلِ *

والحَرّة : أرض تسودّ حجارتها، كأنها مُحرقة بالنار . ولذلك شُبه بها السودان . وأعلام طيئ : جبال بِيضُ الحجارة ؛ فلذلك شُبّه بها الأتراك لِبَياض ألوانهم . وحِرار

(١) البيتان ليسا فى ديوان النابغة . والثانى منهما فى معجم البلدان (راجل) .
(٢) المراداة : المراماة .

العرب المشهورة خمس : حَرّة راجل ، وهى فى بلاد قيس ؛ وحرة واقِم ، وهى بالمدينة . وحرة النار ، فى بلاد عَبس ، و يقال إنها لِمُرّة ، وقال أبو عُبيد[(١)]: لبنى سُليم . والصحيح أن حَرّة بنى سُليم حرة أخرى غيرها . والرابعة حرة لَيلى ، وهى فى ناحية المدينة . والخامسة حَرّة بنى سُليم . قال النابغة الذُّبيانى يصف جَيش عمرو بن الحارث الأصغر الغسّانى :

يَؤُم بِرِبْعِىٍّ كأنّ زُهاءه إذا هَبط الصحراء حَرّة راجلِ

الخوارزمى : حرة راجل : إحدى الحِرار المذكورة . قال الغورى : هى بين السَّرو ومَشارف حُوران . وهذا البيت من مظنون[(٢)] ذلك المذعور أيضاً .

وهذا كبيت السقط فى صفة جيش :

وإنْ نَهضتْ مِن مُطمئنٍّ ظنَنتَه يَجيش جبالًا أو يَمُجّ حِرارا[(٣)]

٢١ (وجَاشَتْ مِنَ الأَوْزَاعِ رَمْلَةُ عالِجٍ وَمَاشِئْتَ مِنْ صُمِّ الحَصَى والجَنَادِلِ)

التبريزى : الأوزاع : فِرق الناس ، أى جاءت من الأوزاع مثل رَملة عالج كثرةً .

البطليوسى : يقال : جاش الجيش يجيش ، إذا اضطرب ؛ وهو مأخوذ من قولهم : جاش البحر ، إذا هاج وتَموّج ؛ وجاشت القدر ، إذا فارت عند الغليان . والأوزاع : فرق الناس وأخلاطهم . وعالج : موضع كثير الرمل . شبّه جيوش هذا الممدوح ، الذين يَعتدّ بهم و يَرزقهم ، بالجبال التى تقدّم ذكرها . وشَبّه كثرةَ من يتبعه ، من أخلاط الناس ولفيفهم ، برَملة عالج و بالحَصباء .

(١) أ : « أبو عبيدة » .

(٢) فى المخطوطة : « مضنون » والصواب فى المطبوعة .

(٣) البيت ٣٦ من القصيدة ١٩ ص ٦٤٣ .

الخوارزمى : فى أساس البلاغة : « بها أوزاع من الناس وأوشاب : ضُروب متفرّقون » . عالج : موضع بالبادية فيه رمل . ومعنى البيت من مظنون[1] ذلك المذعور أيضا . وأصل هذا المعنى من بيت السقط فى صفة كَتيبة :

* لها عددُ الرمل المُبِرّ على الحصى[2] *

٢٢ (وهَيْهاتَ هيهاتَ الجبالُ صَوامتٌ وهَذا كثيرُ النُّطْقِ جَمُّ الصَّواهِلِ)

التبريزى : ... ...

البطليوسى : لمّا ذكر أن عدو هذا الممدوح يظنّ جيوشَه التى يغزوه بها جبالًا وحِرارا ورملا وحصًى فى الكثرة، أَتبع ذلك أن قال : هيهات هيهات! ليس الأمر كما ظنّ وتخيّل ، بل هذه الجيوش أشنع مما توهّم وتمثّل ؛ لأن هذه حيوان ناطق وصاهل ، والذى مثّلها به رمال وجنادل ؛ وكيف يُقاس الحيوان بالجماد ، لولا فساد التخيّل والاعتقاد .

الخوارزمى : يقول : ليس الأمر على ما ظنّ هذا المذعور من تَشبيه جيش الممدوح بالجبال ؛ فإنّ الجبال صوامت ، وهذا بعضُه ناطق وبعضه صاهل .

٢٣ (وإنْ رَكِبُوا الجُرْدَ العِتاقَ لِغارَةٍ بَدَوْا فى وَثاقٍ رَكْبَ نُوقٍ وجامِلِ)

التبريزى : جامل وباقر : اسمان بمعنى الإبل والبقر . أى إن ركب أعداؤه لغارةٍ أَسَرهم وحملهم على النوق والجمال . والبيت الذى بعده تفسيره .

البطليوسى : سيأتى .

الخوارزمى : سيأتى .

(١) فى المخطوطة : « مضنون » والصواب فى المطبوعة .

(٢) البيت ١٦ من القصيدة ٤٨ . وعجزه :

* ولكنها عند اللقاء جبال *

٢٤ (فَكَمْ فَارِسٍ عَوَّضْتَه عَنْ جَوَادِهِ ... بِأَرْفَعَ[(١)] إِلَّا أَنَّهُ غَيْرُ صَاهِلِ)

التبريزى : يعنى أنه أسرهم فبدّلهم من الخيل بالجمال . والجمل أعلى من الفَرس . ورُوِى : « بأثمن » . و « أرفع » هو الوجه .

البطليوسى : النُّوق : جمع ناقة . والجامل : اسم لجماعة الجمال، كما قالوا : باقر لجماعة البقر . وليس فاعل من أبنية الجموع ، وإنما هى من الأسماء التى يسمَّى بها الجمع . يريد أنه أسرهم فأنزلهم عن ظهور الخيل وأَركبهم الجمال ، وهى أعلى خَلقا وأرفع من الخيل ، فلذلك قال : « بأرفع » . وكذا كانوا يفعلون بمن أسروه ممن له قَدر . ألا ترى إلى قول أبى الطيب :

فكُلَّما حَلَمَت عَذْراءُ عندهمُ ... فإنما حَلَمَت[(٢)] بالسَّبْى والجَمَلِ

الخوارزمى : قوله «و إن ركبوا» معطوف على قوله «إذا ما أَخَفَتَ المرء»[(٣)] . والضمير فى « ركبوا » وفى « بدوا » للأعداء وإن لم يجر لهم ذكر قصدا ، بل ضِمنا وتَبعا ، وهو الضمير فى قوله « بنا » و « أتتنا » من قوله « تجدّد عهده بنا » ، وقوله « أتتنا من الأتراك » . الجامل ، هو القطيع من الجمال ، كالباقر للقطيع من البقر . يقول : متى ركب الخيلَ عِداك للقتال ، أَسرتهم وحَملتهم على الجمال . والبيت الثانى تقرير هذا المعنى .

٢٥ (إِذَا النَّاسُ حَلَّوْا شِعْرَهُمْ بِنَشِيدِهِمْ ... فَدُونَكَ مِنِّى كُلَّ حَسْنَاءَ عَاطِلِ)

التبريزى : حلّوا : من التَّحلية . والعاطل : التى لا حَلْى عليها . أراد أنّ قصيدته أَنفذها إليه ولم يُنشدها إيّاه .

البطليوسى : سيأتى .

(١) أ من التبريزى والتنوير : « بأثمن » . وتفسير التبريزى يؤيد أن متن النسخة « بأرفع » .
(٢) فى الأصل : « حلت » فى الموضعين ، وصوابه من الديوان (٢ : ٧٠) .
(٣) انظر البيت ١٦ من هذه القصيدة ص ١٠٧٥ .

الخوارزمى : النَّشيد : رَفع الصوت فى نِشدان الضالة ، ثم يُستعار لرفع الصوت فى الإنشاد . ذكره الفَرغانى فى جامعه . وأنشد أبو النَّصر العُتبى للثعالبى:

وقَدِمت والأيامُ تُنشد فى الوَرَى بيتًا تُجيد نَشيدَه الأيامُ

يقول : إذا زَيّن الشعراء مديحَهم بالإنشاد، فاكتفِ منى بالإنشاء لأن شعرى يستغنى عن زينة الإنشاد .

٢٦ (ومَنْ كانَ يستَدعِى الجَمالَ بحِلْيةٍ أَضَرَّ بهِ فَقْدُ البُرَى والمَرَاسِلِ)

التبريزى : المَراسل : جمع مُرْسلَة، وهى القِلادة الطويلة . والبُرى : الخَلاخيل .

البطليوسى : العاطل : التى لا حَلْى عليها . والبُرى : جمع بُرَة، وهى الخَلخال . والمَراسل : جمع مُرسلة ، وهى قلادة طويلة . وهذا مثل ضَربه لما ذكره فى البيت الذى قبله . يقول : مَن كان شعره لا يَحْسُن إلا بأن يُنشده ، فإنْ تَركه لإنشاده مُضرٌّ بشعْره ، كما أنّ المرأة التى ليس لها جَمال إلا بالزِّينة ، يضرّها تركُ الزينة . وأما مَن كان شِعره حسنًا بنفسه، فليس يُخلّ به ألا يُحسِّن بإنشاده، كما أن المرأة الحسناء بنفسها ، غنيّة عن استعمال الزينة ؛ كما قال ابنُ الرومى :

وأنَقُ مِن حَلْىِ العَقيلة جِيدُها وأحسنُ مِن سِرْبالها المُتَجرِّدُ

وقال أبو الطيب :

* وفى عُنق الحَسناء يُستحسن العِقْدُ * (١)

الخوارزمى : البُرى : جمع بُرة، وهى كل حَلقة كالقُرط والسِّوار والخَلخال.

---

(١) صدره كما فى الديوان (١ : ٢٤٣) :

* وأصبح شعرى منهما فى مكانه *

قال :

* وقعقعن الخلاخل والبرينا *

قال أبو عليّ الفارسيّ : وأصلها بُرْوَة، نحو عُرْوة وعُرى . المَراسل : جمع مُرسَلة ، وهى القلادة الطويلة ؛ سُميت بذلك لأنها كاسمها مُرسلة . يقول : كل آمرأة تجتلب الجمال بالتحلية والتطرية ، زايلها إذا فقدت الزينة ، كذلك الشعر .

٢٧(كَأَنَّ حَرَامًا أَنْ تُفَارِقَ صَارِمًا يَكُونَ لِمَا أَضْمَرْتَ أَوَّلَ فَاعِلِ)

التبريزى : يقول : كأنك حَرام عليك أن تُفارق صارما ، فمرةً معك صارم تَقبض [عليه] بالكف كلها ، ومرةً معك قلم كالصارم تختص بقبضه بعض الأنامل . وما بعده يُفسره ويوضحه .

البطليوسى : سيأتى .

الخوارزمى : ما فى هذا البيت من البَحث الإعرابيّ ، فى « معان من أحبتنا »(١) . الضمير فى « يكون » لـ « صارما » .

٢٨(فَمِنْ صَارِمٍ بالكَفِّ يُحمَلُ كُلُّهَا وَمِنْ صَارِمٍ يَخْتَصُّ بَعْضَ الأَنَامِلِ)

التبريزى : ... ...

البطليوسى : يقول : علمتَ أنّ منزلتَى المجد والكرم ، إنما تُنالان بالسيف والقلم ؛ فحزمتَ على كفّك ، أن تُرى خالية من قلمك أو سيفك . وسمّى القلم صارما لأنه يُغنى غَناءه ، ويَمضى مَضاءه ؛ وبه تُدَبَّر الدول، وتُصرَّف السيوف والأَسَل . وقد جعله الشاعر بمنزلة السيف فى قوله :

وَيَمْضِى مَضاءَ المُرهفاتِ ولا يُرَى له أَثَرٌ يَنْهَلُّ منه نَجيعُ

(١) انظر البيت ٣٩ من القصيدة ٣ ص ٢٠٠ .

وقال أبو الطيب :

ذُباب حُسامٍ منه أنجى ضَريبــة وأَعصى لمَــولاه وذا منه أَطْوَعُ[(١)]

الخـــوارزمى : عنى بالصارم المحمول بالكَفّ كُلِّها السيفَ ، وبالصارم الذى يَختص ببعض الأناملِ القلم .

٢٩ (فَمَقبَضُ هَذَا السَّيفِ دُونَ ذُبَابِهِ وَمقبِضُ ذَاكَ السَّيفِ دُونَ الحَمَائِلِ)

التـــبريزى : أى مَقبض هــذا السيف فى أعلاه وهو عند حمائله ، ومَقبض القلم عند أسفله ، فهو عند ذُبابه .

البطليـــوسى : أراد أنّ مَقبض السيف فى أعلاه ، ومَقبض القلم فى أسفله . وجعل طَرَف القلم الذى يُكتب به ذُباباً له ، وعنده يَقبض الكاتب . وأشار إلى القلم بهذا ، وإلى السيف بذاك ؛ لأنّ ذِكر القلم وَقع فى البيت المتقدّم آخر البيت ، ووقع ذِكْر السيف فى أوله ، فأشار إلى القلم بـ«هذا» لقُربه منه ، وإلى السيف بـ«ذاك» لبُعده عنه . ولو عكس الأمر لم يكن وفّى صناعة الشعر حقها . ويقال : مَقْبَض ، بفتح الباء ، ومَقبِض ، بكسرها[(٢)] .

الخـــوارزمى : السيف إذا أغمد فمَقبضه فوق مَعاقد الحمائل وأمامَها .

٣٠ (فَلَيتَ اللَّيَالِى سَامَحَتْنِى بنَاظِرٍ يَرَاكَ وَمَنْ لِى بالضُّحَى فى الأَصَائِلِ)

التـــبريزى : ... ...

البطليـــوسى : ضرب « الضحى » مثلا لصحّة البصر ؛ لأنه وقت إقبـال النهار ، وأَخْذِ الضياء فى القـوة والتزيّد . وضرب « الأصيل » وهو العشىّ مثـلا للعمى ؛ لأنه وقت سقوط الشمس وإقبال الظلام عليه ، وغَلبته على الأفق .

(١) قال العكبرى فى (١ : ٣٩٠) : « يقول : إن القلم أفضل من السيف ؛ لأن المضروب بالسيف قد ينجو إن نبـا عن المضروب وعصى الضارب ، والمضروب بالقلم لا ينجو إذا كتب بالقلم قتله » .

(٢) ويقال أيضا « مقبض » كمنبر .

الخــــوارزمى : قوله « يراك » فى محل الجر على أنه صفة « ناظر » .

٣١ ﴿ فَلَوْ أَنَّ عَيْنِي مَتَّعَتْها بنَظْـرَةٍ إليْـكَ الأَمَانِي ما حَلَمْتَ بفائِلِ[(١)] ﴾

التـــبريزى : ... ...

البطليـــوسى : ســـيأتى .

الخـــوارزمى : الفائل : هـو الضعيف ، اسم فاعل من فال رأيُه يفيـل . ويروى « بغائل » بالغين المعجمة ، من غالته الغول ، أى أهلكته . والأول هو السماع . يقول : أنت مبارك بحيث لو تمكنتُ من النظر إليك لم أحْلُمْ أبدًا بأَضغاث أحـــلام .

٣٢ ﴿ حُسَامُكَ للأَعْمَارِ أَبْرَى مِنَ الرَّدَى وَعَفْوُكَ لِلجَانِي أَعَزُّ المَعَـاقِلِ ﴾

التـــبريزى : ... ...

البطليـــوسى : الغائل : كل ما يغول الإنسان من نوائب الدهر . يقــول[(٢)] : لو نظرت عينى إليك لم تَرَ فى أحلامها شيئا تكرهه . والرَّدى : الهلاك . والمعَاقل : الحصون . وفى هذا البيت طِباق معنوى لا لَفظى ؛ لأنه كان يَنبغى أن يَذكر مع العفو الحياة ، كما ذكر مع الحسام الردى ، ولكنه إذا قيل : إنّ عفوه أعزُّ المعاقل لمن عفا عنه ، فقد أفاد ذلك ما يُفيده ذكر الحياة . ومثلُه قول أبى تمام :

أَعَنِّى أفــرِّق شَمــل دَمــعِى فإننى أَرى الشَّمل منهم ليس بالمُتقارب

والتقارب : ليس ضدّ التفريق ، و إنمـا ضدّ التقارب التباعد ، وضــدّ التفريق

---

(١) فى أ ، من التبريزى ، والبطليوسى ، والتنوير : « بغائل » بالغين المعجمة .

(٢) أ : « قيل » .

التَّجميع . ولكن التفـريق تباعد فى المعنى، كما أنّ التقارب اجتماع، فصار طباقا معنويا . ومثله من الشعر القديم قول الفِنْد الزِّمّانى :

وفِى الشَّرِّ نَجاةٌ حيـ   ـنَ لا يُنجيكَ إحسانُ [1]

وإنما ضدّ الشر الخير، وضدّ الإحسان الإساءة . ولكن معنى بعضها يؤول إلى معنى بعض .

الخوارزمى : «أبرى» أفعل تفضيل من بَرى القلم بريًا .

---

(١) من مقطوعة له فى الحماسة ١١ بن .

[القصيدة المتمة الخمسين]

وقال أيضا من المتقارب الثالث والقافية متدارك[1] :

١ (لِتَذْكُرْ قُضَاعَةُ أَيَّامَهَا ... وتُزْهَ بأَمْلَاكِهَا حِمْيَرُ)

التبريزى : سياتى .

البطليوسى : ظاهر هذا الشعر أنه جعل قُضاعة من اليمن . وقد اختلف النسّابون فى قُضاعة ؛ فزعم بعضُهم أن قضاعة من ولد معدّ بن عَدنان ، وذكر قوم أنها من ولد مالك بن حِمْير . وذكر أبو رِياش أنها من ولد مَعَدّ بن عدنان، وأنهم انتموا إلى مالك بن حمير لقول بعض اليمنيين :

قُضاعة بن مالك بن حِمْيرِ ... النَّسبُ المَعروفُ غيرُ المُنكَرِ

قال : فأنشد بعضُ العلماء فى النسب هذا الشعر فقال : بل والله النسب المُنكر غير المعروف . وقد أنكر الكُميت على قُضاعة انتماءَها إلى اليمن فى قصيدة مشهورة له ، يقول فيها :

فهلَّا يا قُضاعة لا تكُونى ... كقِدْحِ خَرّ بين يَدَىْ مُجيلِ
فإنك والتحوُّلَ عن مَعَدّ ... كهاليةٍ تَزيَّنُ بالعُطولِ
تُغايِظ بالتعطّل جارتَيها ... وبالأحْماء تَبْدأ والحَليلِ
وما مَن تَهتفين بـه لنَصْرٍ ... بأقربَ جابةً لكِ من هَديلِ

الخوارزمى : سياتى .

---

(١) البطليوسى : « وله من قصيدة قالها فى صباه يمدح بها على بن الحسين المغربى الفارسى » .
الخوارزمى : « وقال أيضا فى المتقارب الثالث والقافية من المتدارك من قصيدة قالها فى صباه يفضل فيها العجم على العرب » .

٢ (فَعَامِلُ كِسْرَى عَلَى قَرْيةٍ   مِن الطَّفِّ سَيِّدُها المُنْذِرُ)

التــبريزى : هذه الأبيات قِيلت فى رجلٍ من فارس، فقيل له : إنّ سادات العرب كآل المُنـذر كانوا ولاةً فى الحيرة من قِبَل كسرى . والطَّفّ : ما دنا من العـــراق .

البطليـــوسى : يقول : إنّ كسرى استعمل المُنذر بن ماء السماء على بعض أعماله ، ورآه أهلًا للرياسة ، وفى ذلك تفخَر اليمن . والطَّف : ما دنا من أرض العراق . ويقال : كَِسْرَى ، بفتح الكاف وكسرها .

الخـــوارزمى : قُضاعة، هو ابن مالك بنُ حِمير بن سَبأ بن يَشْجُب بن يَعْرُب ابن قَحْطان . وقضاعة من الأعلام المنقولة ، لأنهـا فى الأصل كَلْبة المـاء ؛ سُمّوا بذلك لأنهم كانوا فى الحرب أشدّاء كَلِبين . قوله « وتزه » لمّـا انعطفت على قوله « لتذكر » استغنى فيـه عن لام الأمر . كسرى : لقب ملوك الفرس ، وقيل : هو تعريب خسرو . والمراد بكسرى هاهنا ، أنو شروان بن قُبَاذ بن فَيْروز ؛ لأنه هو الذى أمّر آل المنـذر على العرب . قال الفَرْغانى : والطَّف : شاطئ الفـرات . والمُراد بقريةٍ من الطف، هى الحِـيرة . المُنذر، هو ابن ماء السماء . وماء السماء، أُمّــه ، وهى بنت عَوف بن جُشَم بن النَّمِر بن قاسِط . ولُقِّبت بمـاء السماء لنقائها وجمالهـا ، ثم قيل لولدها بنو ماء السماء ، وهم ملوك العــراق . وقال :

ولازمتُ المـلوكَ مِنَ آل نصر   وبَعــدَهمُ بنى ماء الســماءِ

وأمّا ماء السماء من الأَزد فلقبُ عامر بن حارثة الأَزدىّ ، لُقِّب بمـاء السماء لأنه كان إذا قَحَط القطـرُ آحتَبى ومار قومه(١) حتى يأتيهـم الخصب ؛ فكأنه كان

(١) مارقومه ، من الميرة ، وهى الطعام .

يَخْلُف عن القطر . وابنه عمرو المُلقّب بمُزَيقِيا ، ثم قيل لولده بنو ماء السماء ، وهم ملوك الشام . قال :

أنا ابنُ مُزيقيا عمـرٍو وجدّى أبــوهُ عامرٌ ماءُ الســماء

والمُنذر ، هو ابن آمرئ القيس بن عمرو بن عَدِىّ بن ربيعة بن نَصر(١) بن مالك ابن الحـارث بن عمرو بن نُمـارة بن لَخْـم . الضمير فى قوله « سَيدها » لِحـمْيَر أو لقُضاعة ؛ لأن الناسبين ، وإن اضطربوا فى نَسب المنذر ، فقد آتفقوا على آرتقائه إلى سَبأ بن يَشْجُب ، والد حِمير وجدّ قضاعة . فكان بين المُنذر وبين حِمير وقُضاعة ماتّةُ(٢) قَرابةِ رَحِمٍ وآصرة . وفضّل أبو العلاء على العرب العجَمَ ، لأن هذه المقطوعة فى بعض أولاد الفُرس . يقول : دَع قُضاعة تذكر من أيامها فى الجاهلية ما تريد ، وذَرْ حِمْـير تفتخر من ملوكها الأوائل بمن تشاء ، فإنّ سادات العرب كانوا لملوك العجم عُمّالا يَستعملونهم حيث شاءوا . وكفى هــذا فضيلةً للعجم . ولقد أصاب حيث جعل سـيّد العرب عاملًا على قَرية . يريد أن ملوك العرب لم يكن لهم عَمل واسع ، ولا ولاية بسيطة ، بل كانوا عُمَّالا على قريةٍ من القُرى .

٣ (فَهلَّا تَقـلُّ بغَـاةُ الُّجيْنِ وَنائلُكَ الذّهَبُ الأَحْمَـرُ)

التـــبريزى : بُغاة : جمع باغ ، أى طالب . واللُّجين : الفضة .

البطليـــوسى : ... ...

الخـــوارزمى : بغاة ، وزنها فُعَلة ، وكذلك بُناة وقُضاة وأمثالها .

٤ (وَمَنْ يَطْلُبُ الدُّرَّ فِى لُجَّـةٍ ومِنْ فِيـكَ أَشْرَفُهُ يُنْــثَرُ)

التـــبريزى : ... ...

البطليـــوسى : ... ...

(١) فى الأصل : « نضر » صوابه بالصاد المهملة . انظر العمدة (٢ : ١٧٨) .

(٢) الماتّة : الوسيلة والحرمة . ويقال قرابة ماتّة ، ورحم ماتّة ، أى قريبة . انظر اللسان (متت) . وفى الأصل : « مائة » .

الخـــوارزمى : فيه إيماء إلى أنّ الممدوح بَحْر .

٥ (شَغَلَتْ عَلَى الْمَرْءِ من خَمْسِهِ اثْـ ـنَتَـيْنِ خَصَّهُمَا المَفْخَـرُ)

التـــبريزى : من خمسِهِ : أصابعه .

البطليـــوسى : ... ...

الخـــوارزمى : قوله « من خمسه » أى من أصابعه الخمس . وقد أوضح هذا المعنى فى البيت الثانى :

٦ (يُشَـارُ إلَيْـكَ بِـدَعَّاءَةٍ وَيُثْنِى عَلَى فَضْلِكَ الْخِنْصَرُ)

التبـــريزى : دَعّاءة ، فعّالة من الدعاء. وإنما قيل للإصبع سبّابة ، لأن الإنسان إذا أومأ إلى غيره فى الخِصام ، فكأنّه يسبّه بها ، أى يقطعه . ويجـوز أن يكون اشتقاقها من أنها تُشير إلى الشيء ، فيكون سببًا إلى معرفته . فنزّه الممدوح عن اسمٍ مشتق من السب ، فجعلت دعّاءة مكان سبّابة ؛ لأن معنى الإشارة إلى الشيء والدُّعاء إليـه يقرُب أحدُهما من الآخر . وذَكر سبب الشُّـغل لهاتين الإصبعين ؛ فسببُ الدعّاءة أنهـا تُشير إلى السماء تدعو الله سبحانه ، والخِنصر تَعُـدُّه فى الآحاد ، لأنه لا نظـير له .

البطليـــوسى : يقال : فلان يُثنى عليه الخِنصر، يُراد أن أهل الفضل إذا عُدّوا كان أوّلَ من يُبدأ به فى العدد . وعلى هذا المعنى تأوّل بعضُ أصحاب المعانى قولَ النابغـــة :

يَصُـدّ الشاعرُ الثُّنْيانُ عنّى صُدودَ البَكْرِ عن قَرْمٍ هِجَانِ[1]

(١) البكر : الصغير من الإبل . والقرم : الفحل الكريم . والهجان : الأبيض . وفى الأصل : « صدود القرم عن هجن الهجان » صوابه من الديوان ص ٧٧ .

الثُّنيان : الذى يُثنى عليه الخناصر إذا عُدّ الشعراء . وقال الشَّيبانى : هو الذى أبوه شاعر وجدّه شاعر . يذهب إلى أنه سمى ثُنيانا لتكرار الشعر فى نسبه . وقال الأصمعى : الثُّنيان : الذى دون السيِّد . يريد أنه ثانٍ فى الرتبة . ويقال له أيضا : الثِّنى (١) . وأنشد :

تری ثُنَـانَا إذا ما جاء بَدْأَهُمُ　　　وبَدْؤهم إن أتانا كان ثُنيـانا (٢)

والبَدْء : السّيد، سُمِّى بَدْءًا، لأنه يُبدأ به . وهذا الذى قاله الأصمعى صحيح، ولكنه لا يَلِيق ببيت النابغة .

الخــــوارزمى : يقول : الناس لعُموم عوارفك ، وشُمول عواطفك ، يُشيرون إليك بالدعاء لك . فلان يُثْنَى به الخناصر، أى يُبدأ به ؛ لأن أوّل العقد بالأصابع هى الخِنصر . وفلان لا يُثنى به الخناصر ، أى لا يُؤْبَه به . وقد تعـدّى فى الشعر بـ«على» : قال الأمير أبو فراس :

* على مثلها فى العِزّ تُثنى الخناصرُ (٣) *

سُمّيت الخِنْصِر (٤) خنصرًا لأنها أخصر الأصابع . يقول : إذا ذُكر الفضل وعُدّ العلم ، ففضلك أوّلًا يذكر ، وعلمك بدءًا يُعدّ .

٧ ﴿فَمِنْ أَجْلِ ذَا رُفِعَتْ هٰذِهِ　　　إلى خَالِقِ الخَـلْقِ تَسْتَغْفِرُ﴾

التـــبريزى : ... ...

البطليـــوسى : ... ...

---

(١) يقال فيه ثنى ، بالكسر ، وكهدى و إلى . (٢) البيت لأوس بن مغراء السعدى ، كما فى اللسان (١ : ٢١، ١٨ : ١٣٣) . ورواية صدره فى الموضع الأول : * ثنيانـا إن إتاهم كان بدأهم * وقد أشار إلى هذه الرواية فى الموضع الثانى معزوة إلى الترمذى .

(٣) صـدره كما فى ديوانه ص ١٤ : * وحسبي بها يوم الأحيدب وقعة *

(٤) فى الأصل : « الخناصر » .

الخوارزمى : قوله « هذه » إشارة إلى الدّعاءة .

٨ (لأنّ لها عِنده زُلفةً وفاعِلُ ما فعلتْ يُؤجَرُ)

التبريزى : الزُّلفة : القربة .

البطليوسى : ... ...

الخوارزمى : سيأتى .

٩ (تُرى المُعْدِمينَ[1] طَريقَ الغِنَى وتَهْدِى إلى الأَمْنِ مَنْ يُذْعَرُ)

التبريزى : يُذعر، أى يُخوّف . المُعدم : الفقير .

البطليوسى : سيأتى .

الخوارزمى : يقول : إنّ للدعّاءة منزلةً عند الله لإراءتها الفقراء طريقَ الغِنى حيث تدلّهم عليك، وهدايتها الخائفَ إلى الأمن مِن حيث تهديهم إليك .

١٠ (وَمِنْ فَضْلِ ذِى[2] كُسِيَتْ خاتَمًا يَزِينُ وَعُرِّيتِ البِنْصَرُ)

التبريزى : ... ...

البطليوسى : الزُّلفة والزُّلفى : القُربة والمنزلة اللطيفة ؛ يقال : أَزلفتُه، إذا قرّبتَه. والمعتفُّون : القاصدون، وكذلك العافون . والذعر : الفزع .

الخوارزمى : ... ...

(١) البطليوسى : « المعتفين » .

(٢) حـ من التبريزى : « ذا » .

[القصيدة الحادية والخمسون]

وقال أيضاً[١] :

١ ﴿ أَرَحْتَنِي فَأَرَحْتَ الضُّمَّرَ القُودَا　　　والعَجْزَ كانَ طِلَابِي عِنْدَكَ الجُودَا ﴾

التبريزى : من البسيط الثانى والقافية متواتر . أرحتنى، من الإراحة . والضُّمَّر : جمع ضامر . والقُود : جمع أَقْوَد وقَوداء، وهى الطويلة العُنق .

البطليوسى : الضُّمَّر : الإبل التى ضَمَرت من السفر . والقُود : الطِّوال الأعناق، واحدها قَوداء، والذَّكر أقود . يقول : لمّا قطعتَ رجائى، أرحتَنى من سفرى إليك وعَنائى، وما كان طلبى لجُودك إلا عجزًا من سَعيى، وخطأً من رأيى. ونصب « العجز » على خبر كان . والطِّلاب ، يكون مصدر طلب ، ويكون مصدر طالب .

الخوارزمى : يقول : أرحتنى إذ أيأستنى عن الوِصال، فأرحت ضامراتِ الجِمال ، وكيف لا وطلبى جُودَك طلب المُحال .

٢ ﴿ وَقَدْ أَنِسْتُ إِلَى حِلْمِي وَأَوْحَشَنِي　　　كَرُّ العَوَاذِلِ تَأْنِيبًا وتَفْنِيدَا ﴾

التبريزى : التَّأنيب : اللوم الشديد . والتَّفنيد : التَّحميق؛ يقال: فَنَّده، إذا حَمّقه . ومنه قوله تعالى : ﴿لَوْلَا أَنْ تُفَنِّدُونِ﴾ . والتَّفنيد : أن يُقال للإنسان: رأيك فَنَدَ، أى قد ضَعُف واعتلّ . ويقال للشيخ : قد أَفند، أى اختلط رأيه . وكل كلام لا ينبغى أن يُقال فهو فَنَد . قال النابغة :

إلّا سُليمانَ إذ قال الإلهُ له　　　قُم فى البريّة فاحدُدْها عن الفَنَدِ

---

(١) حـ من البطليوسى : «وقال . وهى أيضا من الأصل ، وهو السقط» . الخوارزمى : «وقال أيضا فى البسيط الثانى والقافية من المتواتر» .

البطليوسى : التأنيب : التّعنيف واللّوم . والتّفنيد : التخطئة والتّجهيل . يقول : قد كنتُ عَصيت حلمى وعواذلى فيما ظهَر إلىّ من قَصدك، والتعرّض لرفدك، حتى تَرك عواذلى عَذْلى، حين رأَيْن إفراط غيّ وجهلى؛ وكنتُ لا أستوحش من إعراضهنّ، لاعتقادى أن الصواب فى خلافهنّ؛ وأما اليوم فقد راجعت حلمى، وأوحشنى إعراضُ عواذلى عن لَوْمى؛ فأنا أُصغى إلى قولهنّ، وأعلم أنهنّ مُصيبات فى عَذْلهنّ . ويقال : كرّ يكُرّ، إذا انصرف؛ وكرّ غيرَه، إذا صرَفه؛ وكرّ أيضا، إذا حمل ومَضى . وهذه الكلمة من الأضداد . قال عبّاس بن مِرْداس :

أَكُرُّ على الكَتيبة لا أُبالى أَحَتْفِى كان فيها أم سِواها

وقال العلاء بن حُذيفة الغَنوىّ فى الرجوع :

إذا زَفَراتُ الحُبّ صَعّدْن فى الحَشَى كَرَرْن فلم يُعلَم لهنّ طَريقُ

الخوارزمى : ضمّن الأُنس معنى الميل، لأنّ مَن أَنِس بشىء فقد مال إليه، فمن ثَمّة عدّاه بـ«إلى» . ومثله :

إذا غاب عنها بعلُها لم أكُن لها زَءُوراً ولم تأْنَسْ إلىّ كِلابُها (١)

يقول : إذا أوحشَتْنى العواذل بتكرير اللّوم، فَزِعت إلى آستعمال الحِلْم .

٣ (رُدّى كَلامَك ما أَملَلْتِ مُستَمِعاً ومَن يَمَلُّ مِن الأَنْفاسِ تَرْدِيدَا)

التبريزى : ... ...

البطليوسى : كان ينبغى أن يقول : آرددن كلامكنّ فما أمللتنّ ؛ ولكنه أجرى جماعةَ المؤنث مُجرى الواحدة . وهذا إنما بابه أن يكون فى المؤنث مما لا يعقل؛

(١) البيت لبشار بن بشر المجاشعى . انظر حماسة ابن الشجرى ١٣٥ .

كقولك : الجمال ذهبن ، والجمال ذهبت . وقد جاء ذلك فى جماعة المؤنث ممن يعقل، وهو قليل . أنشد الأخفش :

طَردنا الخيلَ والنَّعَمَ المُندَّى وقُلنا للنِّساء بها أقِيمى

الخوارزمى : ترديدا، منصوب على أنه مفعولُ « يملّ » . والترديد ها هنا : مصدر مشتق من المبنى للفعول . و « من » فى قوله « من الأنفاس » يتعلق بـ « ترديدا » .

٤ ﴿ باتَتْ عُرَى النَّوْمِ عَنْ جَفْنِي[1] مُحَلَّلةً وَبَاتَ كُورِى على الوَجْنَاءِ مَشْدُودَا ﴾

التبريزى : الكُور : كور الناقة . والوَجناء : الناقة العظيمة الوَجْنتين . وقد جعل للنوم عُرًى استعارةً .

البطليوسى : سيأتى .

الخوارزمى : تحليل عرى النوم، كناية عن فُقدان النوم رأسًا . فإن قلت : فما وجهُ التفريق بين قوله « و بات كورى على الوجناء مشدودا » وقوله « فأرحت الضمر القودا » ؟ قلت : يريد بقوله « و بات كورى على الوجناء مشدودا » أنى مُعتن من أجلك مُغتمّ، و بقوله « فأرحت الضمر القودا » أنى لا أستأنف بعد هذا سفرًا إليك، طمعًا فيما لديك . وهذا البيت تعليل لقوله : « رُدِّى كلامك » . ولقد أصاب فى المُطابقة بين التحليل والشدّ .

٥ ﴿ كَأَنَّ جَفْنَيَّ سِقْطَا نافِرٍ فَزِعٍ[2] إذَا أَرَادَ وُقُوعًا رِيعَ أَوْ ذِيدَا ﴾

التبريزى : سِقْطا الطائر : جناحاه . و رِيع، من الرَّوع ، وهو الفَزع . وذِيد : مُنع، من قولهم : ذاده، إذا منعه .

(١) حـ من التبريزى والتنوير والديوان المخطوط : « عينى » .

(٢) البطليوسى : « كأن قلبى سقطا طائر حذر » .

البطليوسي : الكُور : رَحْل الناقة، وهو كالسَّرج للفَرس . والوَجْناء : الناقة الغليظة ، مُشتقة من الوَجين، وهو الغليظ من الأرض. وقيل: هى العظيمة الوَجْنتين ؛ يُقال: رجل أَوْجن وآمرأة وَجْناء . وسقطا الطائر : جناحاه ، واحدهما سِقْط ، وكذلك جَناحا النَّعامة . قال الشاعر :

وكأنَّ عَيبَتها وفَضْل فِتانها ... سِقْطانِ من كَنَفَىْ ظَليمٍ نافِرِ (١)

ورِيع : أُفزِع . وذِيد : دُفِع وطُرد . وَصف ما تَكلَّفه فى طريقه إلى هـذا الممدوح من العَناء والمشـقة ، وأنه لم يَرُع له ذلك ولا جازاه عليـه ، فقال : حَللتُ عُرى النـوم عن أجفانى وأخذتُها باستعمال السَّهر ، وشـددتُ كُورى على ناقتى وأضمرتها بطول السـفر ؛ وسَلكتُ قِفارًا مَخُوفة يَخفِـق فيها قلبى كأنَّه جناحا طائر يُروَّع فى كل مكان ، فهو دائب فى الهَرب والطيران . وهذا نحو من قول أبى الطيب :

كم مَهْمهٍ قُذُفٍ قَلبُ الدليل به ... قلبُ المُحبِّ قَضانى بعد ما مَطَلا (٢)

وقال عُروة بن حِزام ، وإن اختلف الغَرضان :

كأنّ قَطاةً عُلِّقت بجَناحها ... على كَبِدى من شدّة الخَفَقانِ

الخـوارزمى : السِّقْط ، هو الجَناح ، وكأنه من السُّقوط ؛ لأنه بَعد ارتفاع يَسـقط . يقول : جَفناى من كثرة السهر وفَيض الدموع ، كجناحى طائر يُراع إذا هَمّ بالوقوع . يريد أنهما أبدا يَضطربان ، كجناحين يَختفقان .

٦ (ظَنَّ الدُّجَى فَتْخَةَ الأَظْفارِ كاسِرَةً ... والصُّبحَ نَسرًا فَمَا يَنفَكُّ مَزْءودا)

التـبريزى : أى ظن الدجى عُقاباً غليظة الأظفار . كاسرة ، من قولهم : كَسرت العقاب ، إذا انقضّت على الصيد . وظن الصبح نَسرًا فما ينفك مَزْءودا ، أى مذعورا .

(١) البيت لثعلبة بن صعير المازنى فى المفضليات (١ : ١٢٧) . والفتان ، بالكسر : غشاء للرحل من جلد .

(٢) ديوان المتنبى (٢ : ١٢٧) .

البطليوسى : الدّجى : الظُّلَم، واحدتها دُجية . والقَطّة : القاسية الشديدة . واستعار الأظفار مكان المخالب لأنه عَنى عُقابا ، والأظفار إنما هى للإنسان . والكاسرة : التى تُميل جناحها إذا أرادت الانقضاض . يقال : كسرت العقابُ وغيرها . قال العجّاج[1] :

دَانَى جناحَيه من الطُّوْدِ فمَرّ[2] تَقَضِّىَ البازِى إذا البازِى كَسَرْ

وقوله : « فما ينفك » أى ما يزال وما يبرح . والمَزْءود : المُفزَّع . يقول : كثُرَ تَرْويع الجوارح وغيرها لهذا الطائر فى كُلّ موضع، فهو يتوهّم أن الليل عُقاب وأنّ الصبح نَسر فلا يستقر فى موضع . و إنما نَبّهه على هذا المعنى قولُ أبى ذُؤيب فى صفة الثور :

شَعَفَ الكِلابُ الضارِياتُ فؤادَه فإذا يَرى الصُّبحَ المُصدَّق يَفزَعُ[3]

والشاعر الحاذق يَكفيه الإيماء والتَّلويح ، و يُولِّد المعانىَ بعضَها من بعض .

الخوارزمى : الضمير فى « ظن » لطائر نافر . يقال : كسر الطائر، إذا ضَم جناحيه للانقضاض . قال العجاج :

* تَقَضِّىَ البازِى إذا البازِى كَسَرْ *

والكاسر، هو العقاب . زُئد فهو مَزْؤود ، أى مَذعور . شبّه الدُّجى بالعُقاب لسواد كُلّ منهما ، وشَبّه الصُّبح بالنَّسر لبياض كل منهما . وهذا البيت يُشبه بيت السقط :

لَيلٌ كما قُصَّ الغرابُ خِلالَه بَرْقٌ يرنّق دأْبَ نسرٍ حائمِ[4]

(١) ديوان العجاج ص ١٧ .

(٢) الطود، بالفتح : الجبل، أو العظيم من الجبال . وفى الديوان : «الطور» . وهو بالضم : الجبل أيضا .

(٣) وكذا روايته فى الديوان (١٠) . وفى حـ : « فإذا بدا الصبح المصدع » .

(٤) البيت ١٢ من القصيدة ٦٥ .

٧ ﴿تَنَاعَسَ البَرْقُ أَىْ لا أَسْتَطِيعُ سُرًى فَنَامَ صَحْبِى وأَمْسَى يَقْطَعُ البِيدَا﴾

التبريزى : وصف البرق بالنُّعاس ، كما وَصفه فيما تقدّم بالكَلال فى قوله :

* فباتَ برامةٍ يَصف الكَلالا[(١)] *

وقوله «وأمسى يقطع البيدا» أى وأمسى البرق يَقطع البِيد . والبِيد : جمع البَيداء ، وهى البرّيّة .

البطليوسى : سياتى .

الخوارزمى : لمـا دَلَّ تناعس البرق ، وهو فُتور ضوئه ، على أمر ، جعل البرق كأنه نَطق على سبيل الإجمال بذلك الأمر ، ثم فَسر المنطوق به بقوله «لا أستطيع سرى» أى لا أقدر على قطع مسافة طويلة ؛ لأنى قليل الضوء كَلِيل السَّنا . و «أى» ، هى المفسِّرة . ونظير هذا التفسير ما فى قوله :

* وتَرْمِيننى بالطَّرف أى أنت مُذنبٌ[(٢)] *

ونحوه : ﴿انطَلَقَ المَلَأُ مِنْهم أنِ امْشُوا واصْبِرُوا على آلِهَتِكم﴾ . وهذا لأنه لا بدَّ للمُنطلقين عن مجلس التقاوُل أن يتكلّموا ويَتفاوضوا فيما جرى لهم ، فكان انطلاقُهم متضمِّنا معنى القول . ومحصول هـذا البيت أنّ البرق فى أوّل الليل كان ضعيفَ الضوء ، فلمّا نام عنه أصحابى وأمنوه ، قوِى لمعانُه واستطار شُعاعه . وتفسير هذا المعنى فى البيت الثـانى :

٨ ﴿كَأَنَّهُ غَارَ مِنَّا أَنْ نُصَاحِبَهُ وَخَافَ أَنْ نَتَقَاضَاكَ[(٣)] المَوَاعِيدَا﴾

التبريزى : غار البرق أن نَسير معه إليك ، من الغَيرة .

(١) البيت ٤٠ من القصيدة الأولى ص ٧٨ .
(٢) عجزه كما فى الخزانة (٤ : ٤٩٠) :
* وتقليننى لكن إياك لا أقلى *
(٣) أ من التبريزى : « يتقاضاك » .

البطليوسى : العرب تُسمى سُكون البرق نُعاسا ونَوما، وتَحرُّكه يَقظة وسُهدا؛ كما قال ساعدة :

حتى شآها كليلٌ مَوْهِنًا عَمِلٌ   باتتْ طِرَابًا وبات الليلَ لم يَنِم(١)

والبِيد: الفلوات التى تُبيد مَن سَلكها، أى تُهلكه، واحدتها بَيداء . والسُّرى: سَيرُ الليل . ومعنى هذين البيتين : أنّ العرب تجعل ما يَلقَى به الممدوح زُوَّاده من الطلاقة والتبسم ، الدَّالَّين على ما وراءهما من البرّ والكرم ، بمنزلة البرق الذى يدلّ على الحَيا، ويُبَشِّر بالسُّقيا . والأصل فى ذلك أنهم كانوا يَقصِدون مواقع الأمطار، ويَنتجعونها على بُعد الديار؛ فإذا رأوا برقًا يلمع استبشروا به، ونهضوا إلى موضعه. فضربوا ذلك مثلا . فمَن أحسن فى ذلك كلّ الإحسان أبو تمام الطائىّ فى قوله :

إليك سَرى بالمدح رَكْبٌ كأنهم   على المَيْس حيّاتُ اللِّصابِ النَّضانضُ(٢)
تَشيم بُروقًا من نَداك كأنّها   وقد لاح أُولاها عُروقٌ نَوابضُ

فقال أبو العلاء يخاطب هذا الممدوح الذى أيأسه من رِفْده : تَناعس عنّى برقُ كَرمك الذى كنت أطمح ببصَرى إليه ، بخلًا منه أن يردّ علىّ وأردّ عليه؛ فنام صَحبى حين لم يروا مُخيلةً تُبَشِّر بالمَطر، وبرقًا يبعث على السفر؛ وأمسى برقك يقطع الفلوات إلى غيرى يَستدعيه إليك ، ويُبَشِّر ببلوغ الأمل لديك . وهذا عكس قول الآخر :

وَمَا زَال برقُكَ لى داعيًا   هَلُمّ لرفدٍ ووادٍ خَصيبْ
ورُبّتَما جاءنى ساريًا   فيكفى عَناءَ السُّرى والدُّؤوبْ

---

(١) ديوان الهذليين ص ١٩٨ من القسم الأول طبع دار الكتب . أى بات البرق يبرق ليله .

(٢) الميس، بالفتح : شجر تعمل منه الرماح . والبيتان فى ديوان أبى تمام ٩١ من قصيدة يمدح بها دينار بن عبد الله .

وضده قول أبى تمام :

وبَرَقْتَ لى بَرْقَ اليَقين وطالما أمسيتُ مُرتقبًا لبَرْق الخُلَّبِ (١)

وقوله «أى لا أستطيع سرى»، «أى» هذه، تسمى العبارة والتفسير والترجمة. وإنما سميت بذلك، لأنها تأتى بإثر كلام يُلَوِّح به نحو معنى، فتوضِّحه وتُبيِّن الغرض منه ؛ كقول القائل : قال زيد : تقلَّدت سيفى وخرجت البارحة ، أى إنه شجاع ؛ وقال : نحرت جزورًا، أى إنه كريم . ومنه قوله تعالى : ﴿وانْطَلَقَ المَلأُ مِنْهم أنِ امْشُوا واصْبِرُوا﴾ . ومن روى « نتقاضاك » بالنون أراد نفسه ، ومن رواه بالياء أراد البرق .

الخوارزمى : يقول : إن البرق مع رُوائه وبهائه، مُوَلع بهذه الحبيبة، حتى لا يَرضى بأن يزورها سواه أحد .

٩ ﴿مَنْ يُخبِرُ اللَّيلَ إذْ جَنَّتْ حَنادِسُهُ والرَّمْلَ عَنِّى لَمَّا طُلَّ أو جِيدَا﴾ (٢)

التبريزى : جَنّ الليل وأَجنّ بمعنى . والحَنادس : جمع حِنْدِس، وهو الليلة المُظلمة . وقوله « طل » أى أصابه الطل، وهو المطر الضعيف . وجِيد ، أى أصابه الجَوْد من المطر ، وهو المَطر القوىّ .

البطليوسى : سيأتى .

الخوارزمى : سيأتى .

١٠ ﴿أنِّى أَرَاحُ لأَصْواتِ الحُدَاةِ بِهِ وللرَّكائِبِ يَخْبِطْنَ الجَلامِيدَا﴾

---

(١) ديوان أبى تمام ص ١٩ من قصيدة فى مدح الحسن بن وهب .

(٢) البطليوسى : « من مخبر » .

التبريزى : أراحُ، أى أرتاح إليه . ويقال : نسِى فلان راحَ الصِّبا، أى ارتياحَه فيه . قال الشاعر :

وعَلِمتُ ما عَلِمتْ مَعَدٌّ كلها ونَسِيتُ راحى فى الشَّباب وخالِى (١)

أى اختيالى .

البطليوسى : جَنّت : ألبسَت كُلَّ شىء وستَرته . والحَنادس : أشدّ الليالى سوادا ، وهى الثانية والعشرون والثالثة والعشرون والرابعة والعشرون . وطُلَّ : أصابه الطلّ ، وهو أضعف المطر . وجِيد : أصابه الجَود ، وهو مطر غزير فوق الدِّيمة . وأراح : أَهَشُّ وأَطرب . والحُداة : السائقون للإبل . والرِّكائب : الإبل ، واحدتها رَكوبة ، وقيل : هى جمع رِكاب ، ورِكاب : جمع رَكوبة . والجَلاميد : الحجارة . يقول : أنا أَهشّ للسفر إلى الرمل إذا أصابه مطر ضعيف أو شديد ، لعلمى بأنّ بوارقه اللامعة منْ تلقائه صادقةٌ لا يَخيب قاصدها ومُنتجعها ، وليست كبوارق شِقّ هذا المهجوّ التى غرّنا لامعُها ، وكَذَبنَا ساطعُها .

الخوارزمى : «والحنادس» فى «ألاح وقد رأى» (٢) . جِيدت الأرضُ فهى مجودة . همزة «أنّى» من قوله «أنى أراح» مفتوحة ، لأنها المفعول الثانى لـ«يخبر» . يقول : أنا مِسفار لا يُثبطنى عن السُّرى تكاثُف الظلام (٣) ، ولا انسكاب دموع الغمام . ولقد أصاب حيث جعل ارتياحَه لأصوات الحُداة وخَبْط الرِّكاب الجلاميد ؛ لأنه يُشير بذلك إلى عَماه ؛ إذ الأعمى يَسمع ولا يُبصر .

---

(١) البيت لجميح بن الطماح الأسدى ، كما فى اللسان (روح) برواية :

ولقيت ما لقيت معد كلها وفقدت راحى فى الشباب وخالى

(٢) البيت ٣٠ من القصيدة ٥ ص ٢٦٢

(٣) فى الأصل : « كاثف الظلام » .

١١ (كَأَنَّهُنَّ غُـرُوبٌ مِلْؤُها تَعَبٌ فَهُنَّ يُمْتَحَنَ بالأَرْسَانِ تَقْوِيدَا)

التبريزى : غُروب : جمع غَرْب ، وهو الدّلو . وقوله « يُمتحن » من قولهم : متح الدلو ، إذا جَذبها من البئر . وتقويد : تفعيل من قاده يقوده . لما جعلهنّ غُروبا جعل قَوْدهنّ بالأرسان مَتْح الماتح الدلو من البئر بالرِّشاء . أى إنّ العِيس قد كَلَّت فثقُل سيرها ؛ فكأنها غروب ماء تثقل على الماتح ، وليس فيها ماء ولكن تعب ، فهنّ يُمتحن بالأرسان . ومثله أو قريب منه قولُ الأوّل :

قد مَدّ أرسانَ الجِيـاد من الوَجَى فكأنمـا أرسانُها أطنـابُ

البطليوسى : الغُـروب : الدِّلاء العظيمة ، واحدها غَـرب . ويُمْتَحَنَ : يُجْذَبْن ، يقال : متحتُ الدلو ، إذا جذبتَها من البئر . شَبّه الإبل ، وهى تَعرق لشدّه السفر وقد كَلَّت فأصحابُها يَجذبونها بالأرسان لتمشى ، بدلاء مملوءة ماء تُمتح من البئر . ثم قال : إلا أنها دلاء مملوءة تعبًا ، وليست بدلاءٍ مملوءةٍ ماءً . والذى نَبّهه على هذا المعنى قول الآخر :

قَـد مدّ أرسانَ الجِياد إلى الوَغَى فكـأنمـا أرسانُهـا أطنـابُ

الخوارزمى : الغُروب : جمع غَرب ، وهى الدَّلو العظيمة . الإبل المهزولة تُشبّه بالدلاء . وفى شعر الرضىّ المُوسوىّ :

وجرّ ضَوامرَ الأحشاء تَهْوِى كما تَهـوِى الدلاءُ إلى القَلِيبِ

وها هنا قد شُبهت بالمملوءة من الدلاء ، المُنترعة بكُل رِشاء . وهذا لأن انتزاعها من البئر مملوءة ، أبطأ من إرسالها فى البئر فارغة .

[القصيدة الثانية والخمسون]

وقال أيضاً (١) :

١ (سَنَحَ الغُرَابُ لَنَا فَبِتُّ أَعِيفُهُ خَبَرًا أَمَضَّ مِنَ الحِمَامِ لَطِيفُهُ)

التبريزى : سَنح، أى عرض، من السانح والبارح . وأَعيفه : من قولهم: عِفت الطير، إذا زجرتَه لتنظر أسانح هو فيُتفاءل به، أم بارح فيُتطيَّرُ منه . والعرب تختلف فيه ، فمنهم من يَتيمّن بالسانح ، ومنهم من يتطيّر به ؛ وكذلك يفعلون مع البارح ، ويُعبّرون عن السانح بأن يقولوا : هو ما ولّاك مَياسره ، والبارح بأن يقولوا : هو ما ولّاك مَيامنه . قال النابغة :

زَعـم البوارحُ أنّ رِحْلتنا غدًا وبذاك خَبَّرنا الغُرابُ الأَسودُ (٢)

فهذا يَتطيّر بالبارح . وقال فى أُخرى :

أَصبتُ بنى ذبيـانٍ منّى بغارةٍ جرت لك فيها السانحاتُ بأَسعُدِ

وبيت أبى ذُؤيب يُنشَد على وجهين :

زجرتُ لهـا طيرَ الشّمال فإن تكُن هواك الذى تهوَى يُصبْك آجتنابُها

ويُروى : « طيرَ السنيح » . قال آخر :

لوآنّ المَنايا حِذْن عن ذى مَهابةٍ لَهِبْن حُضيـرًا حين أَغلق واقِـا (٣)

(١) فى البطليوسى : «قافية الفاء . وقال أيضا» . وفى الخوارزمى : « وقال أيضا فى الكامل الأوّل والقافية من المتدارك » .

(٢) على هذه الرواية يكون فى البيت إقواء بالضم ، لأن روى القصيدة مجرور . ويروى «الأسود» بالجر ، يريد الأسودى ، نخفف ، لأن الصفات قد يزاد عليها ياء النسب ، فيخرج بذلك عن الإقواء .

(٣) وروايته فى اللسان مادة (وقم) :

لو ان الردى يزور عن ذى مهابة لهاب حضيرا يوم أغلق واقما

وفى معجم البلدان :

فلو كان حيا ناجيا من حمامه لكان حضير ... ...

يُطيف به حتّى إذا الليـلُ جَنّهُ تَبـوّأ منه مَقعـدًا مُتناعمـا
وأَودَين بالرّحال عُروةَ قبـلَه وأهلكن صَيّاد الفوارس هاشما
وهوَّنَ وَجْدى أنّى لم أكُن له كطَير الشّمال يَنتف الريش حاتمـا

وواقم : حصن بالمدينـة . وحاتم : أسـود ؛ وقيل للغراب حاتم لسواده ، وقيل : لأنه يَحتم بالفِراق ، أى يَحكم به .

البطليـوسى : سـيأتى .

الخـوارزمى : قال أبو عُبيدة : حُكِى عن يونس أنه سأل رُؤبة بن العجّاج عن السانح والبارح، فقال : السانح : ما ولّاك ميامنَه ، والبارح : ما ولّاك مياسره؛ كذا نقله الخارَزَنْجى . وقال القُتَبىّ : أخبرنى الرّياشى أنّ الشعراء المتقدّمين كانوا يتشاءمون بالسُّنوح . وأنشد لابن قَمِيئة ، وهو جاهلىّ :

* وأَشأمُ طير الزاجرين سَنِيحها *(١)

وقال الأعشى :

* جَرى لهما طَير السِّـناح بأشأمِ *(٢)

وأبو العلاء هاهنا أخذ بالمَذهب القديم . عِفْت الطير أَعيفها عِيافة، إذا زجرتَها، وهو أن تَعتبر بأسمائها وأصواتهـا ومساقطها . والعائف ، هو المتكهّن . انتصب قوله « خَبَرا » بمـا دلّ عليه مَضمون الكلام السالف ، وهو :

* سَنح الغراب لنـا فبتّ أَعيفه *

---

(١) صدره كما فى اللسان (سنح) :

* فبينى على طير سنيح نحوسه *

(٢) صدره كما فى اللسان (سنح) :

* أجارهما بشر من الموت بعدما *

ويروى « السنيح » مكان « السناح » . ورواية الديوان ٩٦ :

تلافاهمـا بشر من الموت بعدما جرت لهما طـير النحوس بأشأم

من معنى الفعل . وهذا لأنه إذا سَنح وزُجر ، فلا بدّ من أنه يُخبر بأمر . ونحوه بيت الحماسة :

ما إنْ يَمسُّ الأرضَ إلا جانبٌ   منه وحَرْفُ الساق طَيَّ المِحْمَلِ[١]

« أمضُّ من الحِمام » ، مرفوع على أنه خبر مبتدأ ، ولطيفه ، هو المبتدأ . ولا يجوز فى « أمَضّ » أن تنصب ؛ لأن ذلك يؤدّى إلى أن يَرتفع « لطيفه » بـ « أمض » ، على أنه فاعله ، وإعمال أفعل التفضيل لا يجوز ؛ على أنه قد جاز ذلك فى الشعر . وفى ديوان المنظوم[٢] :

جـريرية ضَـبّية ما شَرارُها   بأضوأَ منـه فى السَّماء دَرارِى

ألا ترى أن « دَرارى » فى محل الرفع على أنه فاعل « أضـوأ » . وأما قول أبى الطيب :

بَرَتْنى السُّرى بَرْىَ المُدى فَرَدَدْننى   أخفَّ على المَركوب من نَفَسى جِرْمِى

فيحتمل ويحتمل . وأما بيت العراقيات :

وتُصـغى الأرحبيّةُ فى ذَراه   إلى قُبٍّ أياطُلهنّ جُرْدِ[٣]

فالرواية : أياطلُهن . ونظيره :

* كُوم الذُّرى وادقةٌ سَرَاتُها *

(١) البيت لأبى كبير الهذلى . انظر الشواهد الكبرى للعينى بهامش الخزانة (٣ : ٥٤) .

(٢) يعنى بذلك ديوان شعر الزمخشرى . والبيت فى ديوانه بالورقة ٥٩ من مخطوطة دار الكتب رقم ٥٢٩ ، وقبل البيت :

إذا اتتابها ضيف تلقاه عنده   بكوس عقير لا بكأس عقار

(٣) ديوان الأبيوردى ١٠٢ :

٢ (زَعَمَتْ غَوادِى الطَّيرِ أنَّ لِقاءَهَا   بَسْلٌ تَنكَّرَ بَعْـدَنا(١) مَعْرُوفُـه)

التبريزى : بَسـل ، أى حرام . وهو من الأضداد ، يُستعمل فى معنى الحرام والحلال . وفى غير هـذا الموضع يستعمل فى معنى الشجاعة ؛ يقال : رجل باسـل ، أى شجاع ؛ وما أبيَنَ البسالة فى بنى فلان ؛ وأبسل فـلان ولده ، إذا عرّضهم للهلاك . قال الشاعر :

وإبْسـالى بَنِىّ بغَـير بَعْوٍ   بَعَـوْناه ولا بِـدَمٍ مُراقِ(٢)

بعو ، أى جرم . و بعوناه أى أجرمناه .

البطليوسى : السانح من الطير والوحش : ما أتى من ناحية اليمين . والبارح : ما أتى من ناحية اليسار . و يقال : سَنيح و بَريح . والعرب تختلف فى التيمّن بهـا والتشاؤم ؛ فمنهم من يُحبّ السانح و يكره البارح ، ومنهـم من يُحب البارح ويكره السانح . وقد ذكرنا العلّة المُوجبة لاختلافهم فيما تقدّم من كتابنا هذا(٣) . و يقال : عِفت الطير أَعيفها عِيافـةً ، إذا تطيرت بها . وأمضّ : أوجع وأشدّ ؛ يقـال : مَضِضت من الأمر أمَضّ مضًّـا ومَضضا ومَضاضـة ومَضيضا ، إذا تألّمت وتوجّعت . قال الراجز :

يا مَن لِعَـينٍ لَم تَذُق تَغميضا   ومَأْقِيـين اكتَحلا مَضيضـا

* كأنّ فيها فُلفُـلاً رَضيضا *

والبَسْل : الحرام ، والبَسل أيضا : الحلال . قال زُهير فى الحرام :

* فإنّ تُقْو يا منهم فإنهُم بَسْلُ(٤) *

(١) فى التنوير والخوارزمى : « عندنا » .

(٢) البيت كما فى اللسان (بسل ، بعو) لعوف بن الأحوص بن جعفر ، أولعبد الرحمن بن الأحوص .

(٣) انظر شرح البطليوسى على البيت الرابع والعشرين من القصيدة الخامسة (ص ٢٥٨) .

(٤) صدره كما فى ديوان زهير : * بلاد بها نادمتهم وعرفتهم *

وقال ابنُ هَمّام السَّلولىّ فى الحلال :

أَيَشهت ما نِلتم وتُلغى زِيادتى دَمى إن أُبيحت هذه لكُم بَسْلُ

الخوارزمى : البَسل : هو الحرام ، ومنه الباسل ، لأنّ الشجاع مُمتنع على غيره ، فكأنه مُحرَّم عليه . الضمير ينصرف إلى «اللقاء» . وهذا البيت تفسير لقوله :

* خبرًا أمضَّ من الحِمام لطيفُه *

٣(وَلَقَـدْ ذَكَرْتُكِ يا أُمَامةُ بَعْدَمَا نَزَلَ الدَّليلُ إلى التُّرَابِ يَسُوفُهُ)

التبريزى : يَسوفه : يَشَمّه . يقال : ساف الدليل التراب [واستافه] ، إذا شمه ، ليعلم أعلى قَصد هو أم على غير سَمت وقَصد ؛ قال رؤبة :

* إذا الدليلُ آستاف أخلاق الطُّرُق[(١)] *

أى ذكرتك فى الموضع الصعب ، الذى يُذهل المُحب عن حَبيبه . وقال الآخر فى « يستاف » :

وبَهماء يَستاف الدليلُ ترابَها وليس بها إلا اليَمانىّ مُحْلِفُ[(٢)]

أى ليس بها مستقٍ غير السيف ، أى يفتظّون النوق . والافتظاظ : أن يُؤخذ ما فى كروشها من الماء .

البطليوسى : يَسوفه : يَشَمّه . وكان الدليل إذا مشى فى ظلام الليل ، وظن أنه قد أخطأ الطريق ، نَزل فشَم التراب ، فإن وجد فيه رائحة بول أو رَوْث عَلِم أنه على الطريق ، وإنْ لم يجد شيئا عَلِم أنه قد أخطأ الطريق ، فنزل مكانَه حتى يصبح ؛ ولهذا سَمّوا القفر مَسافة . قال رؤبة :

* إذا الدليلُ استاف أخلاق الطُّرق *

(١) أخلاق الطرق : الطرق القديمة العادية . انظر هامش الخزانة (ج ١ ص ٥٠) وديوان رؤبة ص ١٠٤ .

(٢) يلاحظ أن التبريزى ساق الشاهدين لاستاف ولم يسق شاهدا لساف .

وإنما وصف ذِكره إياها فى هذه الحال ، لأن العرب كانت تصف أنفسها بذكرها لأحبابها فى مواطن الشدة ، لأن فى ذلك مدحًا لأنفسهم بالجراءة وأن ماهم فيه لا يهولهم ، ووفاءً لأحبابهم ، وأنهم يذكرونهم على كل حال ، لتمكن محبتهم من نفوسهم ؛ ولذلك قال أبو عطاء السِّنْدىّ :

ذكرتك والخَطّى يَخْطِر بيننا   وقد نَهِلَتْ منّا المُثقّفةُ السُّمرُ

وقال هُدبة بن خَشرم :

ولما دخلتُ السجنَ يا أُم مالكٍ   ذكرتُكِ والأطرافُ فى حَلَق سُمْرِ

وقد أفرط الشعراء فى هذا المعنى إفراطا شديدا، كقول القائل :

سَيبقى لها فى مُضمر القلب والحَشى   سَريرةُ حُبٍّ يومَ تُبْلَى السَّرائرُ[1]

الخوارزمى : ساف الشيء واستافه ، إذا شمّه وأشتمّه . والمَسافة، مفعلة ، وأصلها موضع سَوْف الأدلّاء، لأنهم برَوائح أبوال الإبل وأبعارها يتعرّفون حالهم، من جَور وقَصد . قال رؤبة :

* إذا الدليل استاف أخلاقَ الطُّرق *

يقول : مانَسيتُكِ وقد ضَلِلنا الطريق ويئسنا من الحياة فى مَجهل مُشتبه المحجّة .

وهذا يُشبه بَيت الحماسة :

ذكرتك والخَطّىُّ يَخْطِر بيننا   وقد نَهِلت منّا المُثقّفة السُّمْرُ

٤ ﴿والعيسُ تُعْـانُ بالحَنِين إليكمُ   ولُغَـامُهَا كالبِرْس طَار نَدِيفُه﴾

التبريزى : العِيس : الإبل البيض . ولُغامها : ما تَرْمِيه من الزَّبد من فِيهِ إذا سارت . والبُرْس : القطن .

(١) انظر أمالى القالى (٢ : ١٦٤) .

البطليوسى : العيس : الإبل البيض التى يخالط بياضَها حمرة . واللُّغام للإبل، كاللُّعاب للإنسان، وكالزُّوَال للخيل . والبُرس : القطن، بكسر الباء وضمها .

الخوارزمى : اللغام فى « يرومك والجوزاء »[1] . البرس، بالكسر، هو القطن . قال :

* كأنّ لُغامهما[2] بِرْسٌ نَديف *

٥ (فنَسِيتُ ما جَشَّمْتِنِيه[3] وطالَمَا كَلَّفْتِنِي ما ضَرَّنِي تَكْلِيفُهُ)

التبريزى : أى لما ذكرتك نَسيتُ ما تُقاسيه من أهوال السفر فى الحالة التى ذكرتها، من سَوف الدليل الترابَ لمعرفة الطريق، وحنين العِيس إليكم فى سيرها فى ذلك الموضع .

البطليوسى : ... ...

الخوارزمى : قوله «فنسيت» معطوف على «ذكرتك» .

٦ (وهَواكِ عِندِى كالغِناءِ لأنّه حَسَنٌ لَدَىَّ ثَقيلُهُ وخَفيفُهُ)

التبريزى : يقول : كل ما ألقاه فى هواكِ، وأتجشّم من كُلَف ومَشاقّ، خفيفةً كانت أو ثقيلةً، فإنه يجرى عندى مَجرى ثقيل الغِناء وخفيفه، لأنه مُستحسن كلّه .

البطليوسى : ... ...

الخوارزمى : أوزان الغناء سبعة : الثقيل الأوّل وخفيفه، والثقيل الثانى وخفيفه، والرمَلُ وخفيفه، والهزَج وحده . وقوله « ثقيله وخُفيفه» إيهام مليح، لأن لهما بالنظر إلى الهوى معنى، و بالنظر إلى الغناء معنى آخر .

(١) انظر البيت ١٨ من القصيدة الأولى ص ٤٩ . والبيت ٣٧ من القصيدة ١٥ ص ٤٩٥ .

(٢) فى الأصل : « كأن لغامنا » .

(٣) التنوير وحده : « ما كلفتنيه » .

[القصيدة الثالثة والخمسون]

وقال أيضا من الكامل الأول والقافية متدارك[١] :

١ (النَّـارُ فِى طَرَفَىْ تَبَـالَةَ أَنْؤُرُ   رَقَدَتْ فَأَيْقَظَهَا[٢] لِخَوْلَةَ مَعْشَرُ)

التـــبريزى : تَبَــالة : موضع يُوصف بالخِصْب . من أمثالهم : «ما هَبطتَ[٣] تَبالةَ لتحرِمَ الأَضياف» . قال لَبِيد :

والضيفُ والجار الغريبُ[٣] كأنما   هَبَطا تبَـالةَ مُخصِباً أَهضـامُهَا

جمع هِضْم ، وهو المُطمَئن من الأرض . وأَنْؤُر، جمع نار ، إن شئتَ همزتَه ، وإن شئت لم تَهمزه . وخَوْلة ، اسم امرأة . يصف النــار بأنها عظيمة ، تقوم مقام نيران كثيرة ، وكذلك تُوقــد نيران الكرام ليُهتَدَى بهــا إليهم . ويقال لظَبْية السَّهل : خَـــولة .

البطليـــوسى : تَبــالة : وادٍ مُخصب كبير ، ولذلك ضُرب به المثــل فقيل : ما هَبطتَ[٣] تَبالةَ لِتَحرم الأضياف . وقال لَبِيد :

فالضيفُ والجَار الغريبُ[٤] كأنما   هَبطا تبَـالةَ مُخصبا أَهضـامُهَا

---

(١) فى البطليوسى : « قال أيضا » . وفى الخـــوارزمى : «وقال أيضا فى الكامل الأوّل والقافية من المتدارك » .

(٢) فى التبريزى : « فأيقظها » .

(٣) فى الميدانى : «ما حللت بطن تَبــالة» . ويروى فيـــه : « لم تحلى بطن تبالة لتحرمى ... » بالتأنيث . يضرب لمن عود الناس إحسانه ثم يريد أن يقطعه عنهم .

(٤) الرواية فى اللسان (هضم وتبل) ومعجم البلدان فى رسم تبالة « فالضيف والجار الجنيب » .

وأنؤر : جمع النـار . يقول : ليست نارا واحدة ، ولكنها نيران كثيرة ؛ لكرم أهلها، وحرصهم على آستدعاء الأضياف بضوئها. وكانوا يوقدون النار ليراها الضيف من بعيد فيقصد نحوها ؛ ولذلك قال حاتم :

فيـا مُوقِدَىْ نارى آرفعاها لعلّها تُضىء لسارٍ آخرَ الليـل مُقْترِ

وجعل آشتعال النـار وذكاءها إيقاظا، وآنطفاءها رُقادا، تمثيلاً ؛ كما جعله[(1)] كرى فى موضع آخر، فقال :

* ومُوقَد النّـار لا تَكْرِى بتَكْرِيتا[(2)] *

الخـوارزمى : تَبَالة : بلدة باليمن مُخصبة[(3)] . وفى المثل: «أهون من تَبالة على الحجّاج»[(4)] . الأنْؤُر : جمع نار، وفيها وجهان: أحدهما ترك الهمزة، نظرا إلى الأصل؛ والثانى الهمزة، لآستثقال الضمة على الواو . ومثلها فى الوجهين: أدؤر فى جمع دار . خَولة ، من أسماء النساء ، نقلت من خَولة بمعنى الظَّبية . يقول: تلك النار التى ترى من بعيد كأنهـا نار واحدة ، ليست نارا واحدة ، بل هى نيران . كأنه يُشير[(5)] بأن هناك جماعةً من الكرماء .

---

(١) فى الأصول : « فعله » تحريف .

(٢) صدره : «هات الحديث عن الزوراء أو هيتا » . والبيت مطلع القصيدة السابعة والستين .

(٣) قال ياقوت فى رسم تباله : « تَبالة : موضع ببلاد اليمن . وأظنها غير تبالة الحجاج بن يوسف . فإن تبالة الحجاج بلدة مشهورة من أرض تهامة فى طريق اليمن » .

(٤) فى معجم البلدان : « قال أبو اليقظان : كانت تَبالة أول عمل وليه الحجاج بن يوسف الثقفى ، فسار إليها ، فلما قرب منها قال للدليل : أين تبالة ؟ وعلى أى سمت هى ؟ فقال : ما يسترها عنك إلا هذه الأكمة . فقال : لا أرانى أميرا على موضع تستره عنى هـذه الأكمة . أهون بهـا ولاية . وكر راجعا ولم يدخلها . فقيل هذا المثل » .

(٥) فى المخطوطة : « يشر » .

٢ (طَابَتْ لِطِيبِ المُوقِدِينَ كَأَنَّما سَمُـرٌ تَرُوحُ بِهِ الحَواطِبُ مُجْمَرُ)

التبريزى : السَّمُرُ : جمع سَمُرة ، وهو شجر . يقول : كأن حطب هذه النار عُود يُتبخَّر به ، وذلك لطيب المُوقدين لها من أهل هذه المرأة ، التى هى خَولة ، والمُجْمَر : العود الذى يتبخر به .

البطليوسى : السَّمُر : شجر أمّ غَيْلان ، وواحدته[(1)] سَمُرة . ومعنى هـذا أن الشعراء إذا أرادوا مدح مُوقِد النار وَصفوه بأنه يُوقدها بالقُطْر والمنْدل والغار ونحوها من النبات الطيّب ، كما قال عَدِىّ بن زَيد :

رُبَّ نارٍ بتُّ أرمقها تَقْضَم الهِندىَّ والغَارَا

وقال أبو الطيب :

يَلَنجوجىٌّ[(2)] ما رُفِعت لضَيف به النيرانُ نَدِّىّ الدُّخانِ

فأراد أبو العلاء أن يخالف مذاهبَ الشعراء ، فقال : نيران هؤلاء الممدوحين إنمـا تتكسّب الطيبَ من طِيب مُوقديها ، وإن لم يُوقدوها بغـار ولا عُود ، فكأن السَّمُر الذى يُوقدونها به ، وإن كان ليس من النبات المَوصـوف بالطِّيب ، مجْمر يُحرق فيه العود لمـا يتكسّبه من طِيبهم . وقد سلك أبو العلاء فى موضع آخر مَسلك غيره من الشعراء ، فقال :

إذا هَمَى القَطْر شَبّهتهـا عَبيدُهُمُ تحت الغَمَائم للسَّـارين بالقُطْرِ[(3)]

الخـوارزمى : الضمير فى «طابت» للنـار .

---

(١) فى أ : « واحدها » .

(٢) اليلنجوج : العود الذى يتبخر به . وندى : تشم منه رائحة الند . وانظر العكبرى (٢ : ٤٤٥) .

(٣) البيت الخامس والثلاثون من القصيدة الثانية ص ١٤٢ .

٣ ﴿يَتَهَلَّلونَ طَلاقَـةً وكُلُومُهُمْ يَنْهَلّ مِنْهنّ النَّجيعُ الأَحْمَرُ﴾

التـبريزى : يتهلّلون ، أى يَستبشرون . والكُلوم : الجراح . الواحـد : كَلْم . والنَّجيع : الأَحمر . والواو فى قوله « وكلومهم » واو الحـال . أى يتهللون طلاقةً سائلةً جِراحُهم بالدم الأحمر .

البطليـوسى : التهلّل : الضّحك وحُسن البِشْر، والطَّلاقة، نحوه. والكُلوم : جمع كَلْم ، وهو الجُرح صغيرًا كان أو عظيما . ويَنهلّ : يَسيل . والنَّجيع : الدم . والمراد بالأحمر هنـا : المكروه المُؤلم . وليس المراد فيه حُمرة اللون ، لأنّ كل نجيع أحمر ، فيصير ذِكْر الأحمر من الحَشو الذى لا يُحتاج إليه . والعرب تَضرب الحُمرة مثلًا للمكروه والأَذى . ومعنى هـذا البيت : أنه وصف هؤلاء الممدوحين بالشجاعة وقلّة المبالاة بمـا يُصيبهم من الجروح ، فوُجوههم طَلْقـة فى الحرب كما هى طَلْقة فى [السِّلْم][1] . ونحوٌ منه قولُ أبى الطيب :

تَمُرّ بك الأبطالُ كَلْمَى هزيمـةً ووجهُك وضّاحٌ وثغرك باسمُ

الخـوارزمى : هذا أحسن من قول أبى الطيب :

تمرّ بك الأبطالُ كَلمى هزيمـةً ووجهُك وضاحٌ وثغرك باسمُ

ومن قول صَريع الغوانى :

يَفترّ عند اقترار الحَرب مُبتسمًا وقد تَغيّرَ وجه الفارس البَطلِ

و « يتهلّلون » مع « ينهلّ » تجنيس .

٤ ﴿لَا يَعْرِفُونَ سِوَى التَّقَدُّمِ آسِيًا لِجِرَاحِهِـمْ بالسَّمْهَرِيَّةِ تُسْـتَرُ﴾

(١) بمثل هذه الكلمة يستقيم الكلام .

التبريزى : الآسى : الطبيب . وسَبرتُ الجُرح سَبرا ، إذا قدّرتَ كم غَوره . ويقال للميل الذى تُقدّر به الجراح: مِسبار . أى يقع فيهم طِعان على طعان، فكأنّ الطعان الثانى مُداوٍ للأوّل .

البطليوسى : الآسى : الطبيب . والسّمهرية : الرّماح، سُميت بذلك لشدّتها وصلابتها ، من قولهم : اسمهرّ الأمر ، إذا اشتدّ ؛ وقيل : إنمـا تنسب إلى رجل يقال له سَمْهر كان يَصنعها . ويقال : سَبرت الجُرح أَسبِره سَبْرا ، إذا أدخلتَ فيه فَتيلة أو مِرْودا ليُعلم قدر عُمقه ، واسم ما يُدخل فيه المِسبار . وهـذا معنى مليح . يقول : فَقْـدُهم الحرب يُمرضهم ، وحضـورها يَشفيهم ، فهى داؤهم ودواؤهم ، ولا مِسبار لجُرحهم إلا الرِّماح . وهذا كثير فى الشعر ، قال أبو الطيب :

وأنتَ المَلْكُ[1] تُمرضه الحَشَايا لِهمّته وتَشفيه الحُـروبُ

الخـوارزمى : يقول : إنهـم شُجعاء أصحـاب حُروب ، أبدا يَجـرحون ويُجرحون، ثم لا يَشفى جروحَهم إلا جروحٌ تجدّد، ولا يُصلح طعناتِهم إلا طعناتٌ تُستأنف، وهذا من باب قولهم :

* تحيّة بينِهم ضربٌ وجيعُ[2] *

٥ (مِنْ كُلِّ مَنْ لَوْلَا تَسَعُّرُ بَأْسِهِ لاخضَرَّ فِى يُمْنَى يَدَيْهِ الأَسْمَرُ)

التبريزى : تَسعُّر بأسه : تلهّب شـدّته . والأسمر : الرُّمح . والمعنى أن هؤلاء الفرسان بأسهم يتسعّر كتسعّر النـار ، فلولا ذلك لاخضرّ الرمح فى يُمنى يدى الفارس منهم، لأنه جواد كريم يُخضر[3] جودُه ما لم تَجرِ عادتُه بالخُضرة .

(١) فى الديوان : « المرء» .

(٢) صـدره : « وخيل قد دلفت لها بخيل » . والبيت ينسب إلى عمرو بن معديكرب على خلاف فى ذلك . (انظر الخزانة ٤ : ٥٣ — ٥٦) .

(٣) خضر، بالتضعيف : جعل الشيء أخضر، كما فى اللسان (خضر) .

البطليوسى : سيأتى .

الخوارزى : لمحه الأستاذ أبو إسماعيل الكاتب فى قوله :

ولولا نَدَى كفّيه أَشْعل بأسُه إذا طارد القِرْنَ الوشيجَ المُقوّمَا

٦(يُذْكِى تَلَهُّبُ ذِهْنِهِ أَوْقَاتَهُ فَكَأَنَّمَا هُوَ فِى الغُدُوِّ مُهَجِّرُ)

التبريزى : مُهَجِّر ، من قولهم : هَجَّرَ الرجل ، إذا صار فى الهاجرة ، وهو وقت شدّة الحرّ فى نصف النهار . والمراد أنه ذكىّ ، فكأنه إذا غدا فى السَّبْرة ، وهى الغَداة الباردة ، هَجَّر .

البطليوسى : التسعُّر : التوقّد ، ويقال ، تسعّرت النار ، إذا توقّدت . والبأس : الجُرأة والشجاعة . والأسمر : الرُّمح . ويُذْكِى : يُشعل ويُوقد ، من قولك : أذكيت النار . والمُهجِّر : الذى يسير فى الهاجرة . يقول : لولا توقُّد بأسه لأخضرّ الرمح فى كفّه ، لما فيها من النّدى والانهمال بالمعروف . والشعراء يُشبهون كفّ الممدوح بالغَيث والبَحر والانفجار بالندى ، كما قال علىّ بن جَبلة :

وأعجبُ من ذاك عِيدانُها وقد مَسّها كيف لا تُورِقُ

وقال حُجَيّة بن المُضَرِّب[1] :

فلو لامَسَ الصَّخرُ الأصمُّ أكفَّهم لفاض يَنابيعَ النَّدى ذلك الصَّخرُ[2]

وقوله «يُذْكِى تلهّب ذهنه أوقاته» يقول : كأنه فى هجير أبدًا لاتّقاد ذهنه ، وإن كان فى وقت بارد . والذكىّ يُوصف بحرّ المِزاج ، والبليد يوصف ببَرده .

---

(١) حجية ، بهيئة التصغير . وفى الأصل : «حجبة» بالباء ، صوابه من أمالى القالى (١ : ٥٣) حيث أنشد أبياتا من القصيدة ؛ وتنبيه البكرى على الأمالى ، حيث تكلم فى ضبط اسمه .

(٢) فى الأصول والأمالى : «لفاضت» . وما أثبتناه من إحدى مخطوطات الأمالى (انظر الأمالى ١ : ٥٤) .

الخوارزمى : فى أساس البلاغة : « أهجروا ، إذا دخلوا فيه ، كأظهروا ؛ وهجّروا وتهجّروا ، إذا ساروا فيه » . والمعنى من قول أبى الطيب :

* تخاله مِن ذَكاء القَلب مُحتمياً (١) *

أى شديد الحرارة متوقّدا .

٧ (وَضَجِيعُ طِفْلِهِمُ الحُسَامُ وإنْ ثَوَى (٢) مِنْهُــمْ فَتىً فَمعَ المُهَنَّدِ يُقْبَرُ)

التـبريزى : أى مِن صِغرهم تعوّدوا حَمْل السـلاح، فإذا مات منهم واحد دُفِن معه سيفُه .

البطليـوسى : سـيأتى .

الخـوارزمى : ثوى ، أى هلك ومات .

٨ (فَكَأَنَّهُــمْ يَرْجُونَ لُقْيَا رَبِّهِــمْ بِالْبِيضِ تَشْـفَعُ عِنْدَه وتُكَفِّرُ)

التـبريزى : المعنى أنهم يتبرّكون بالسيوف فيُقرّبونها من أطفالهم ، فكأنها تُراضعهم ، وإذا مات منهــم ميْت قُبِر معه سيفُه ، فكأنهم يرجون أنّ السـيوف تَشفع لهم عند الله وتُكفِّر ذنوبهم .

البطليـوسى : يقال: ثوَى الرجل يَثْوِى ثُويّا فهو ثاو، بالثاء المثلثة، على مثال مضَى يمضِى مُضياً فهــو ماض ، إذا مات . ويقال فى معناه: تَوِىَ يتْوَى توًى فهو تو ، بتاء معجمة باثنتين ، على مثال عَمِى يَعْمَى عَمًى فهو عَمٍ . هذا هو المشهور . وقد حَكى يعقوب أنه يقال: توى، بفتح الواو وتاء معجمة باثنتين . يقول : لشدّة محبّتهم فى الحــرب لا ينشأ المولود منهــم إلا والسيفُ معه لا يُفارقه ، وإذا مات

(١) صدر بيت له فى ديوانه (٢ ، ٤٢٧) . وعجزه :

* ومن تكرمه والبشر نشوانا *

(٢) الخوارزمى : « توى » . والتوى، بالتاء والثاء : الهلاك .

منهم ميت دُفن سيفُه معه . وأشار بذكر الشفاعة والتّكفير إلى أنهـم لا يُحاربون إلا حمايةً عن الدين ونَصر الحق، لأنهم لا يرجُون أن يَشفع له سيفُه إلا مَن ضَرب به فى طاعة الله تعالى . وهذا فى معناه أبلغ من قول بعض العَلويين (١) :

خَرجنا نُقيم الدِّين بعـد اْعوجاجه   سَويّاً ولم نَخرُج لكَسْب الدَّراهِم
إذا أُحكم التنزيلُ والحِـلْمُ (٢) طفلَنا   فإنّ بلوغ الطّفل ضَربُ الجماجم

ومنه قول المُتنبى :

قومٌ بلوغُ الغُلامِ عنـدهمُ   طعنُ نُحور الكُماة لا الحُلُمُ

الخـوارزمى : هذا كما يُحكى عن بعض الأئمة المدنيّة ، أنه كتب بقلم واحد عدّة من كتب الدِّين، فلما حضره الموت أوصى بأن يُقبر معه ذلك القلم .

٩﴿ أَنَا مَنْ أَقَامَ الحَرْفَ وَهْيَ كَأَنَّهَا   نُونٌ بِدَارِكِ والمَعَالِمُ أُسْطُرُ ﴾

التـبريزى : الحَرف : الناقة الضامرة، وقيل : إنّ الصعبه (٣) السّمينة يقال لها حَرف . وإذا وُصفت بالضُّمر أُريد أنها صلبة كحرف الجبل ، وإذا وُصفت بغيره فالمُراد أنها ضخمة عظيمة الخلق . وقال بعضهم : إنمـا قيل للضامر حَرف تشبيها بحَـرف الكتّاب . ولم تكن شـعراء العرب تَعرف الحروف . وشبهها بالنون لدقّتها وضُمرها . والمعالم : جمع مَعلم . لمـا جعل الناقة حَرفا جعل المَعالم سُطورا . ألغـز عن الناقة بالحَرف، وعن المَعالم بالسُّطور .

البطليـوسى : وصف أنه وقف بدار خَولة المذكورة فى أول هـذا الشعر . وشَبّه معالم الدار ــ وهى آثارها ــ بسُطور فى كتاب، وناقته منها كالنون لتقوُّسها .

---

(١) هو يحيى بن زيد بن على بن الحسين، كما فى شرح العكبرى لديوان المتنبى (٢ : ٣٢٠) .

(٢) فى الأصل : « والحكم » صوابه من شرح العكبرى .

(٣) فى حـ : « الضيعة » وفى ا : « الضبعة » ولعل الصواب ما أثبتنا .

وإنما ذكر النون دون غيرها من حروف المُعجم ، لأنّ بعض أهل اللغة قال : إن الحَرف الناقةُ المهزولة ، وإنما سُميت بذلك تَشبيهًا لها بحرف من حروف المعجم ، وهو النون . وقال آخرون : شُبّهت بحرف الجبل فى عِظم خَلْقها : فاختار المَعرّى قولَ مَن شَبّهها بالنون.لأنه أَشكلُ بما ذَكره من الأَسْطر . وتشبيهُ الرسوم بالأسطُر مَعنى مطروق كثير . قال الهُذلىّ (١) :

لِلَيلى بذَاتِ الجَيْشِ دَارٌ عَرَفْتُها وأُخْرَى بذَاتِ البَيْنِ آياتُها سَطْرُ

الخوارزمى : الحرف، هى الناقة المهزولة، كأنها بحَرف من حُروف الكتابة شُبهت . وها هنا شُبهت بالنون لضُمرها وانحنائها . الباء فى قوله « بدارك » يتعلّق بـ«أقام» . المَعالم : جمع مَعلم، وهو الأثر الذى به يُستدل على الطريق . هاهنا عَنى بالمعالم الآثار التى بها يُستدل على الدار . وفى عراقيّات الأَبيوردىّ :

وأَبِى الدِّيارُ لقد مَشى فيها البِلَى وعَفتْ معالمُها سِوى أَشْـلاءِ (٢)

و«الحرف» و«المعالم»، مع «النون» و«الأسطر»، إيهام .

١٠ (بالسَّعْدِ جادَتْكَ السَّماءُ لِتَسْعَدِى والغَفْرِ عَلَّ ذُنُوبَ أَهْلِكِ تُغْفَرُ)

التبريزى : أى مُطرت بنَوْء السعد ونَوْء الغَفر . والسَّعد : من نجوم السُّعود . والغَفر : من منازل القمر ، وله نوء . وقوله « علّ » بمعنى لعل، وفيها لغات : لعلّ وعلّ ولعنّ وعنّ ولأنّ، بمعنى لعل . قال امرؤ القيس :

عُوجا على الطَّلل المُحِيلِ لأَنّنا نَبكى الديارَ كما بَكى ابنُ حِذَامِ

يريد لعلّنا . وبعضهم يروى هذا البيت « ابن حزام » يصحّفه، ويُظنّ أنه عروة ابن حزام . وهو بعد امرئ القيس . وابن حزام، شاعر كان قبله معروف .

(١) هو أبو صخر الهذلى . انظر أمالى القالى (١ : ١٤٨) .

(٢) من القصيدة الأولى فى ديوانه ، وبها يمدح المستظهر بالله .

البطليوسى : دعا للدار بأن تُمطَر بالسعود من النُّجوم ، ليكون دليلا على أن الله تعالى قد عوّضها من النحس، الذى عَرض بزوال أهلها عنها ، سعادةً . وذلك أنهم إنما كانوا يرحلون عن المنزل إذا أَجدب ولم يكن فيه ماء ولا كلأ ، فإذا علموا أنه قد أَخصب عادوا إليه ؛ وعودةُ أهله إليه هى سعادته . والمعنى لِتسعدى برُجوع مَن بان عنكِ إليك . وأما ذِكره المَغفرة للذنوب ، فإنما أراد أنّ رحيل مَن رحل عنها إنما كان عقابا لهم بذُنوب اكتسبوها، فدعا لها أن تُمطر بنوء الغَفْر، ليكون فألًا ودليلا على أن الله تعالى قد غَفر لأهلها، وأعادهم إلى أوطانهم. وكأنها إشارة إلى قوله صلّى الله عليه وسلّم : « اليمين الغَمُوس تَذَر الديارَ بلاقع » . وكأنّ فيه إلمامًا بقول أبى تمام :

وأرى رُبوعكَ مُوحشاتٍ بعد ما ... قد كنتَ مألوفَ المَحَلِّ أنيسًا
وبلاقعًا حتى كأنّ قَطِينَها ... حَلفوا يمينًا أخلفَتْك غَمُوسا (١)

الخوارزمى : سيأتى .

١١ (غُصْنُ الشَّبابِ عَصَى السَّحابَ فلم يعُدْ ... ذا خُضْرةٍ إذ كلُّ غُصنٍ أَخْضَرُ)

التبريزى : ... ...

البطليوسى : ... ...

الخوارزمى : سُعود النجوم كثيرة، والمراد ها هنا سَعد السعود، لأنه هو السَّعد المُطلق من بين هذه الكواكب . وهو ثلاثة كواكب: أحدها نَيِّر، والآخران دونه . وقيل : السَّعد، ذلك النيرُّ المُفرد . وسُمى سَعد السُّعود لتيمّنهم به. ونوؤه: مِثْله (٢) . الغفر : ثلاثة كواكب خفية بين السماك الأعزل و بين زُبانى العقرب، و إذا نزل به القَمر، فتلك الساعة من السُّعود، ولا سيّما فى آستنباط المياه . و بالغَفر يُولد

---

(١) البيتان فى ديوانه ٨٧ (٢) فى الأصل : « ليله » .

الأنبياء عليهم السلام، وهو من الميزان . علّ ولعلّ، بمعنًى. «جادتك السماء» إخبارُ ساذج ، وليس بدُعاء، بدليل البيت الثانى .

١٢(قَدْ أَوْرَقَتْ عُمُدُ الخِيَامِ وأَعْشَبَتْ شُعَبُ الرِّحَالِ ولَوْنُ رأْسِىَ أَغْبَرُ)

التبريزى : شُعَب الرِّحال : أطرافها وأعاليها .

البطليوسى : عُمُدُ الخيام : ما تقوم عليه . وشُعب الرِّحال : مُقدَّمها ومُؤخَّرها . والرِّحال للإبل، كالسُّروج للخيل . وهذا كلام خَرج مَخرج المجاز ؛ لأنه ليس من الممكن أن تُورق عَمَد الخيام ولا شُعب الرِّحال ؛ وإنما المعنى أنّ المطر والخصب كَثُرا ، حتى كادت عَمَد الخيام وشُعب الرحال تُورق، وإن كان هذا لا يكون .

الخوارزمى : عنى بـ«شُعب الرحال» أعاليها . وفى عراقيات الأَبيوردىّ :

وإلى سناء الدَّولة اضطربت بنا شُعب الرِّحال وغَرِّد الرُّكبانُ(١)

وفى مقصّدات الرضىّ المُوسوىّ :

إذا هَزّنا الرحْل اضطربنا لهزّه على شُعب الرَّحل اضطرابَ الأَراقمِ(٢)

[وقال](٣) :

* وشُعْبتا مَيْس بَرَاها إسْكافْ(٤) *

وخَصّ أعالى الرِّحال لأنها أبعد من الثّرى، فيكون إعشابُها أغربَ .

١٣(ولَقَدْ سَلَوْتُ عَنِ الشَّبَابِ كَمَا سَلَا غَيْرِى ولَكِنْ لِلْحَزِينِ تَذَكُّرُ)

(١) ديوان الأبيوردى ٣٤١ .

(٢) انظر ديوان الشريف الرضى ص ٨٥٣ .

(٣) ليست بالأصل .

(٤) من أبيات ثلاثة رواها اللسان (سكف) .

التبريزى : يقال : سلوت أَسلو وأَسلَى[١]، وسَليت أسلَى؛ قال رؤبة :

* لو أَشرب السُّلوان ما سَليت[٢] *

البطليوسى : سيأتى .

الخوارزمى : سيأتى .

١٤ (وَنَسِيتُ مَا مَنَعَ الهَوَى بِتَنُوفَةٍ عُقِمَ الجَدِيلُ بِهَا وَأَعْقَبَ أَخْدَرُ)

التبريزى : الجَديل : فَحل من فُحول الإبل . وأَخْدر، فيما قال بعضهم : حمار أهلىّ تبرّز فضرب فى الأُتن الوحشيّة، فأولدها الحُمر الأَخْدرية . والمعنى أن هذه المفازة لا إبلَ فيها، وأنّ بها حُمر وحش . وتَنوفة : بَرّيّة .

البطليوسى : التَّنوفة : الفلاة البعيدة . والجَديل: فحل مُنجب تُنسب إليه الإبل . وأَخدر : فحل تُنسب إليه الحُمر الوحشيّة . وزعم بعضهم أنه كان من الحُمر الأهليّة، وأنه توحّش فضرب فى الأُتن الوحشية، فأَولدها الحُمر الأخدريّة، وهى فى نواحى كاظمة . وإنما أراد أنها فلاة لا تألفها إلا الحَمير الأخدرية، وليست من مَواطن الناس، لأنّ الإبل لا تكون إلا حيثُ يكون الناس . يقول : قد كنتُ سلوتُ عن الشباب، ونَسيت ما حَملنى عليه الهوى من السير فى الفَلوات المُقفرة، والدّيار المُوحشة؛ ولكن يعرض لى تذكّر مَن مَضى[٣]، فيحرّك علىّ الأسف والأسى . والتقدير : «ما مَنعه الهوى» فحذف لما فهم المعنى .

الخوارزمى : «تنوفة» فى «ليت الجياد نحرسن»[٤] . جَديل : فحل من فُحولة الإبل، كان للنُّعمان بن المُنذر . وأَخدر : حصان كان لأَرْدَشير بن بابك،

(١) لم نجد هذه اللغة الأخيرة فيما بين أيدينا من المعاجم .

(٢) ديوان رؤبة ص ٢٥ .

(٣) أ من البطليوسى : « فيجرى » .

(٤) انظر البيت الأول من القصيدة ٢٩ ص ٧٢٩ .

توحّش فَحَدَا عانةً من حُمر الوحش، فأولدها الحُمر الأَخدريّة . وقيل : بل كان ذلك المُتوحش حماراً أهليّاً . والحُمر الأَخدرية فى نواحى كاظمة . يقول : شببت وكَبرت حتى نَسيتُ عهد الصِّبا ، وٱنطمس عن تذكّرى تكاليفُ الهوى . وقوله « ما صنع الهوى بتنوفة » إشارة إلى قوله :

أَنا من أقام الحَرْف وهى كأنّها نُونٌ بدارِك والمعالمُ أســطُرُ[1]

١٥ (سَلَّتْ سُيُوفَ سَرَابِهَا لِتَروعَنِي وَسِوَاىَ عَاذِلَ مَنْ يُرَاعُ ويُذْعَرُ)

التبريزى : شبّه سراب التّنوفة بالسيوف لبياضه ولَمعانه فيهـا ، وجعله سيوفا لها .

البطليوسى : شبّه السراب بسُيوف مَسلولة لِلَمعانه وٱضطرابه . وتَروعنى : تُفزعنى . ووصف نفسه بالجُرأة والإقدام على رُكوب الأهوال، وأنه لا يروعه شىء ولا يَهوله . ومَن روى « عاذل » بالرفع جعله منادى مفرداً، ومَن فتح جعله منادى مرخّما تقديره : وسواى من يراع ويذعر يا عاذل، فقدّم وأخر .

الخوارزمى : الضمير فى « سـلت » لتَنوفة . واستعار السيف للسراب ، لكون كل واحد منهما مؤيِسا يُشبَّه بالمـاء .

١٦ (لَيتَ اللّوائِمَ عَنْكَ أُسْرَةُ شَدْقَمٍ[2] بِبِطَاحِ مَكَّةَ لِلْمَنَاسِكِ تُنْحَرُ)

التبريزى : اللوائم : جمع لائمة . وشَدْقم : فحل، والميم فيه زائدة، ومعناه الواسع الشِّدق .

(١) البيت التاسع من هذه القصيدة .

(٢) البطليوسى : « ليت النوائب عنك » .

البطليوسى : الأُسرة: رهط الرجل الأَدْنَوْن . وأراد بقوله «أسرة شدقم» ، الإبل ، وشَدقم : فَحْل من فحول الإبل تُنسب إليه ، كما تُنسب إلى الجَديل .

قال الراعى :

* صُهْبًا تُناسب شَدْقَمًا وجَدِيلا * (١)

ووقع فى بعض النسخ « ليت اللوائم » .

الخوارزمى : شَدقم ، فى « إليك تناهى » (٢) . قوله «أُسرة شدقم» ، يعنى بأسرة شدقم [الإبل المنسوبة إليه] (٣) . «عن» فى «عنك» تتعلق بقوله « تنحر » أى تُنحر (٤) عوضا عنك . والله أعلم بالصواب .

---

(١) صدره كما فى جمهرة أشعار العرب ١٧٢ :

* شم الحوارك جنحا أعضادها *

(٢) البيت ٢٤ من القصيدة الثامنة ص ٣٦٧ .

(٣) التكلة من التنوير .

(٤) هنا كتب الناسخ ما نصه : «نجز الكلام على النصف الأوّل من الضرام ليلة عروبة ثانى ربيع الأوّل عام أربع وتسعين وتسعمائة بمحروسة إسلامبول دار الإمامة ، حيث عرب بواتق الحدثان ، على يد كاتبه لنفسه جعل الله يومه خيرا من أمسه ، ولطف به عند حلول رمسه ، الراجى عفو ربه ، المعترف بذنبه ، درويش محمد السامى الحقير ، عامله ربه بلطفه الخطير . يتلوه فى الثانى " إن كنت مدعيا مودة زينب ". يسر الله الإتمام ، بمحمد وآله الكرام » .

[القصيدة الرابعة والخمسون]

وقال أيضا من الكامل الأول والقافية متدارك[١] :

١ (إنْ كُنْتَ مُدَّعِيًا مَوَدَّةَ زَيْنَبِ   فاسْكُبْ دُمُوعَكَ يا غَمَامُ ونَسْكُبِ)

التبريزى : اشتقاق « زينب » من زَنبتها ، إذا نخستَها بيدك وجَسَسْتها[٢]، ومثاله فيعل . وقوله : «ونَسكب» يريد لنسكب، فكسر الباء لاجتماع الساكنين: هى وياء الإطلاق[٣] .

البطليوسى : سيأتى .

الخوارزمى : زينب، من أسماء النساء . قوله «ونسكب» مُنجزم بالعطف على محل قوله «فاسكب» ؛ لأنّ محله الجزم من حيث إنه فى مَقام الجزاء ، لا من حيث إنه أمر . ونظيره : ﴿مَنْ يُضْلِلِ اللهُ فَلَا هَادِىَ لَهُ وَيَذَرْهُمْ﴾ بالجزم ، وهو مَعْطوف على محل قوله ﴿فلا هادِى﴾ . ويحتمل أن يكون انجزامُه على إضمار لام الأمر . ونظيره فى هذا الوجه قول مُتَمِّم بن نُويرة، أنشده سيبويه[٤] :

على مِثْلِ أصحاب البَعوضة فاخْمِشى   لك الويلُ حُرَّ الوَجه أو يَبْكِ مَن بَكى

(١) البطليوسى : « قافية حرف الباء . وقال أيضا » . الخوارزمى : « قال أبو العلاء أحمد ابن عبد الله بن سليمان التنوخى المعرى أيضا فى الكامل الأول والقافية من المتدارك » .

(٢) فات هذا المعنى اللسان والقاموس . لكن فى الجمهرة (١ : ٢٨٣) : « واسم زينب مشتق من زنبت الشىء إذا نخسته بيدك، فيعلٌ منه » . وأورد لها وجها آخر من الاشتقاق فى الجمهرة (٣ : ٣٥٦). قال : « وزينب اسم امرأة، واشتقاقه من زنابة العقرب، وهى إبرتها التى تلدغ بها » .

(٣) هذا تكلف . وإنما الكسرة حركة حرف الروى ، وياء الإطلاق لا يتصور حدوثها قبل كسر ما قبلها .

(٤) انظر سيبويه (١ : ٤٠٩) .

البَعوضة : مكان قُتل فيه مالك بن نُويرة وجماعة من يَربوع . قال سيبويه : «أراد ليبك» . ومثله ما أنشد السِّيرافى فى شَرح الكتاب :

* فقلت ادْعِى وأَدعُ فإنّ أَنْدَى (١) *

والذى يدلّ على أنه يجوز إضمار لام الأمر فى الشعر ، ما أنشده سيبويه :

* محمدُ تَفْـدِ نفسَك كُلُّ نَفْسٍ (٢) *

أى لِتَفْـدِ . يخاطبه أبو العلاء ويقـول : سَيْلك الكثير ، ومطرك الغزير ، يُشَـبه أنه دمع مَسفوح ، وأنك عاشق . فإن كنت ممّن يدّعى مُشاركتنا فى حُبّ هـذه العَشيقة ، فاصبِبْ أنت دمعك ، ولْنَصْبُب نحن ، لِيظهر أيّنا أغزرُ دمعًا ، وأقوى عشقًا .

٢ ﴿فَمِنَ الغَمَائِمِ لَوْ عَلِمْتَ غَمَامَةٌ سَوْدَاءُ هُدْبَاهَا نَظِيرُ الهَيْدَبِ﴾

التـبريزى : يعنى أن هُـدْب العين استهلّ بالدمع ، فكأنه هَيدب سحاب . الهَيدب : ما تدلّى من السحاب حتى يدنو من الأرض . قال :

دانٍ مُسِفٍّ فُويق الأرض هَيدبُه يكاد يَدْفعـه مَن قام بالرّاحِ (٣)

(١) البيت لدثار بن شيبان النمرى كما فى اللسان (ندى) ، ونسب إلى الأعشى فى سيبويه (١ : ٤٢٦) . وتمامه كما فى اللسان والإنصاف ٢١٦ وسيبويه :

* لصوت أن ينادى داعيان *

وقبـله :

تقـول خليلتى لما اشـتكينا سيدركنا بنـو القرم الهجان

(٢) عجزه كما فى كتاب سيبويه (١ : ٤٠٨) .

* إذا ما خفت من شىء تبالا *

(٣) البيت يروى لأوس بن حجر فى ديوانه ٤ ولعبيد بن الأبرص فى ملحقات ديوانه ٥٧ ومختارات ابن الشجرى ١٠١ .

البطليوسى : السَّكْب : الصبّ . والغَمام : السَّحاب ، وكذلك الغمائم ، واحدتها غَمامة . وأراد بالغَمامة السوادَ فى العين . وشَبّه هُدب العين ، وهو الشَّعر النابت على حَرف جَفْنها ، بهَيدب السحاب ، وهو ما يتدلّى منه إذا تكاثف وتراكم بعضُه فوق بعض . فأما معناه فإنه قال للغمام ذى الهَيـدب ، حين ساعده فى الوُقوف على رَبع زينب : إن كنتَ يأيها الغمام تَدّعى من مودّه زينب مثل الذى نُقاسيه ، فاسكب دموعك فى رَبعها كما نسكب دُموعنا فيـه ؛ فإنّ عيُـوننا تُحاكى الغمامَ بانسكابها ، وتُضاهى هَيْدبَه بأهدابها . وقـد أكثر الشعراء من تَشبيه الدموع بالمطر ، والعيون بالغمام . فأما هـذه الزيادة التى زادها أبو العـلاء من تشبيه هُـدب العين بهَيدب السحاب ، فلا أحفظ فيـه شيئا لأحد من المُتقـدمين ، و إن كان ذلك مُضمّنا فى تشبيهاتهم ، مفهومًا من لحوى عباراتهم . وقد قال أبو الطيّب المتنبى :[(١)]

سَـقيته عَبراتٍ ظنّهـا مطـرًا سوائلًا من جُفونٍ ظنّها سُحبا

فهو و إن لم يُصرِّح بتَشبيه هُدب العين بهَيدب السحاب ، فإنه مفهوم من لحواه ، مُضمّن فى معناه .

الخـوارزمى : الهَيـدب : ما تدلى من أسافل السحاب . ومدار التركيب على الامتداد والتدلّى . يُخاطب أيضا الغمامَ فيقول : إذا بارتْك عينى فى الهَمَلان ، فلا تَستبعد يا غَمام ، فإن عينى ، لو أُنصفت ، غمامة هطّالة .

٣ (يا سَـعْدَ أَخْبِيَـةِ الّذِينَ تَحَمَّـلُوا لَمَّـا رَكِبْتِ دُعِيتِ سَعْدَ المَرْكَبِ)

التـبريزى : أخبية : جمع خِباء ، أى بيت من بيوت الأعراب . و إنمـا أَلغز بسَعد أخبية المتحملين ، عن النجم الذى يقال له سَعد الأخبية .

---

(١) من قصيدة مطلعها :

دمع جرى فقضى فى الربع ماوجبا لأهـله وشـفى أنى ولا كربا

البطليــوسى : سَعد الأخبية : منزلة من منازل القمر ، شَبّه محبوبته بهـا . وخصّها بالذكر دون سائر الكواكب طلبًا للصنعة ، و إشارة إلى أنّ محبوبتــه من أهل الوبر ، لا من أهل المَدر . يقول لمحبوبته : أنتِ سَعد لمن صاحبتِه ، ونحس لمن فارقتِه ، فكنتِ طولَ مُقامِك سعدًا لأخبيةِ النازلين ، فلما رَحلتِ صِرتِ سعدَ الركب الراحلين ؛ فحلّ السعد فى رَبعك بٱحتلالك ، ثم انتقل عنه بٱنتقالك .

الخــوارزمى : سعد الأخبية : ثلاثة أنجم كالأَثافى ، ورابعٌ تحتها . وهذا السَّعد عن طريق سائر السُّعود مائل . وسُمِّى سعد الأخبية ، لأنه متى طلع خَرجت الهوامّ المُختبئة . قال :

قد جاء سَعد مُوعِدًا بشَرِّهِ ‏ ‏ ‏ ‏ مُخــبِرًا جُنــوده بِجُحْــرِهْ [1]

جعل الهوامّ جُنوده ، وجعلت الجِحَرة للهوامّ كالأخبية . فمتى كان الكوكب سعد الهوامّ كان سعدَ جِحَرتها أيضا ، لملابسة بينه و بين الجِحرة . وقيل بل سُمّى سعدَ الأَخبية لأنّ السعدَ أنورُها ، والثلاثة الباقية بمنزلة الأَخبية لهـا . والذى يدلّ على صحة هذا الوجه قول القاضى التّنوخى :

وذو الخِبــاءِ بعــده مثــلُ غريـ ‏ ‏ ‏ ‏ ـم من غَريم قد توارَى واختفَى

قال الساجع : « إذا طلع سَــعد الأخبية ذهبت الأَسقية ، ونَزلت الأحوية ، وتجاورت الأبنية » [2] . وأبو العلاء لم يُرد بسعد الأَخبية الكوكب ، بل أراد سَــعدَ بيوت المُتحمّلين . وهذا إيهام لطيف . يقول : أنتِ سَــعد الخِيام ، ما دُمت فى المقام ؛ وأما عند الأرتحال ، فأنت سَعد الجِمال .

---

(١) فى اللسان (سعد) :

قد جاء سعد مقبلا بحره ‏ ‏ ‏ ‏ واكدة جنــوده لشره

(٢) انظر الأزمنة والأمكنة (٢ : ١٨٤) .

٤ (غادَرَتنِي كَبَنَاتِ نَعشٍ ثَابِتًا وَجَعَلْتِ قَلْبِي مِثلَ قَلْبِ العَقْرَبِ)

التبريزى : يقال إنّ قلبَ العقرب متلهب خفّاق . قال :

ولدتَ بحادِى النَّجم يحرق ما رأى وبالقَلْب قلبِ العَقْرب المتوقِّد[1]

البطليوسى : يجوز أن يريد بنات نَعش الصُّغرى ، ويجوز أن يريد بنات نَعش الكُبرى . وبناتُ نعش الصغرى أقرب إلى القطب الشمالى من بنات نعش الكبرى . والمنجمون يُسمون الصغرى الدُّبّ الأصغر، والكُبرى الدُّبّ الأكبر. وبنات نعش من الكواكب التى لا تغيب، لقربها من القطب . والعلّة فى ذلك أنها تدور فى دائرةٍ جميعها ظاهر فوق الأُفق، وإنما يغيب من الكواكب ما بعد عن القطب، لأنه يدور فى دائرةٍ عظيمة تُقاطِع دائرة الأفق، فيكون بعض الدائرة فوق الأفق وبعضها تحت الأفق، فيكون الكوكب ما دام دائرا فى القوس العليا من دائرته ظاهرا ، وما دام دائرا فى القوس السفلى غائبا . وقلب العقرب: كوكب نيّر أحمر وراء الإكليل . وخصّه بالذِّكر لمعانٍ : منها طلب الصنعة والتجنيس . ومنها طلب القافية ؛ لأن القُلوب من الكواكب أربعة : قَلب العَقرب، وقلب الأسد، وقلب الثور ، وقلب الحُوت ؛ وليس منها واحد يلائم القافية غير قلب العقرب . ومنها، وهو ألطف هذه الاختصاصات مأخذا، أنّ قلب العقرب يُوصف بالخفقان والتوقد ، وأنه نحس ، وهذه كلها من صفاتِ قلب العاشق . ويدلّ على ذلك قول الشاعر :

وُلدتَ بحادى النَّجم يتلو قرينَه وبالقَلْب قَلْب العَقرب المُتوقِّد[2]

والشعراء يَصفون قلوبهم بأنها أعداء لهم وشُؤم عليهم . ألا تَرى إلى قول القائل :

كيف احتراسِى من عدوّى إذا كان عدوِّى بين أضلاعى

(١) البيت للأسود بن يعفر، كما فى اللسان (نجم)، وكما سيأتى فى شرح الخوارزمى .

(٢) هو العباس بن الأحنف، من أبيات فى ديوانه ص ١٠١ .

وقال جميـــل :

يا قلبُ وَيحك ما عَيشى بذى سَلَمٍ ولا الزمانُ الذى قـد مَرّ مُرتَجع

أكُلّمــا بانَ حَىٌّ لا تُلابسهم[(١)] ولا يُبالون أن يَشتاق من فَجعوا

عَلّقتنى بهــوًى منهم فقـد جعلتْ من الفِراق حصاةُ القَلب تَنصدعُ

الخـــوارزمى : «بنات نعش» فى «إليك تَناهى»[(٢)] . قَلْب العقرب : من منازل القمر ، وهو كوكب أحمر ملتهب خفّاق ، وهو منحوس : قال آبن يَعفُر :

وُلِدتَ بحادِى النجم يتلو قرينَــه وبالقَلب قلبِ العقرب المُتوقِّــد

حادى النجم أيضا منحوس .

٥(بالجَفنِ بَارَزْتِ القُلُوبَ وإنّمَــا بالنَّصْلِ يَبرُزُ كُلُّ شَهْمٍ مِحْرَبِ)

التــــبريزى : أى بجفن العين بارزت القلوب ، وإنما يبارز المُحارب بالنصل لا بجَفن السيف . والنَّصل : السيف . والشَّهم : الحديد الفؤاد . ومِحْرب : مفعل من الحرب .

البطليـــوسى : الشَّهم : الحـديد القلب . والمِحْرب : القوىّ على مُمارسة الحروب . يقول : أنتِ أشجع من أنجاد الرجال وشُجعانها ، لأنهم يُبارزون أقرانَهم بالسيوف ، وأنت تُبارزينهم بأجفانك . والشُّعراء يُشَبّهون عيون الأحبّة بالسُّيوف ، وأجفانَها بأجفان السيوف . وقد ولّد أبو الطيب من ذلك معنًى مليحًا فقال[(٣)] :

ولِذا اسمُ أغطية العيُـون جفونُها منْ أنهـا عَمَلَ السُّـيوف عواملُ

(١) أ : «تلاءمهم» .

(٢) البيت ٣٥ من القصيدة ٨ ص ٣٧٥

(٣) ديوان المتنبى (٢ : ١٨١) . وقبله :

من طاعنى ثغر الرجال جآذر ومن الرماح دمالج وخلاخل

الخوارزمى : فى أساس البلاغة : « فلان مُنغمس فى الحروب ، وهو مِحْرَب » [١] . «والجفن» مع «النصل» إيهام ؛ و « المبارزة » مع «القلوب» أيضا .

٦ (كَمْ قُبْلَةٍ لَكِ فى الضَّمائِرِ لَمْ أَخَفْ فِيها الحِسَابَ لأَنَّهَا لم تُكْتَبِ)

التبريزى : أى إنها لم تقدّر فلم تكتب .

البطليوسى : هذا مبنىّ على قول رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم : « عُفِى لأُمّتى عما حَدّثت به نفوسُها ما لم تتكلّم به أو تَعمل » .

الخوارزمى : يقول : أبداً ألثمك لثما، ولا أخشى فيه ذنبا ولا إثما، إذ ليس ذاك حقيقةً بل وَهْما . وفيه نظر إلى ما روى البخارى بإسناده إلى أبى هريرة رضى الله عنه عن النبى صلّى الله عليه وسلّم قال : « إنّ الله تجاوز عن أمتى عمّا حَدّثت به أنفسها ما لم تعمل أو تكلّم » . وفى هذا البيت تصريح بأن قائله نَقِىّ الجَيب ، عن عابٍ فى معتقده وعَيب .

٧ (ومَتَى خَلَوْتُ بِهَا مِنَ اَجْلِكِ لَمْ أُرَعْ فِيهَا بِطَلْعَةِ عَاذِلٍ مِنْ مَرْقَبِ)

التبريزى : مَرقب : موضع يُرقَب فيه .

البطليوسى : الروع : الفَزع؛ يقال منه : راعه يروعه . والمَرقب : الموضع الذى يرقب منه ، جبلًا كان أو غيرَ جبل . وهذا المعنى نحوٌ من قول قَيس :

وأخرُج من بين الجُلوس لعلّنى أُحدِّث عنك النفسَ فى السِّرّ خاليَا

الخوارزمى : الضمير فى « بها » لقُبلةٍ . يقول : متى قبلتك لم أَخَف بها المَلام ، لأنها تَقبيلةَ فى الذِّهن لا فى الخارج .

(١) أساس البلاغة (مادة حرب) .

٨ ﴿ ورَسُولِ أَحْلامٍ إلَيْـكِ بَعَثْتُهُ   فَأَتَى علَى يَأْسٍ بنُجْـحِ المَطْلَبِ ﴾

التـــبريزى : ... ...

البطليـــوسى : يقول : لمّا لم أجد [وسيلة][1] إلى مُراسلتك فى اليقظة لكثرة الرقباء والوُشاة ، راسلتِك بالخَيال فى النوم ، فنِلتُ منـك الذى أردت . وهو نحو من قول قيس بن الخَطِيم :

ما تَمنعى يقظَى فقـد تُؤْتِينـه   فى النَّوم غير مُصَرَّدٍ مَحْسوبِ

وقال محمد بن هانئ :

عَيناكِ أم مَغناكِ موعدُنا وفى   وادى الكَرَى أَلْقاكِ أم واديكِ

الخـــوارزمى : يقول : ذاك الرسولُ مُنجِح [فى][2] غير مُنجَح .

٩ ﴿ وَكَأَنَّ حُبَّكِ قَالَ حَظُّكَ فِى السُّرَى   فَالْطِمْ بِأَيْدِى العِيسِ وَجْهَ السَّبْسَبِ ﴾

التـــبريزى : السُّرى : سير الليل . والسَّبْسَب : البرِّية . وإنمـا يَحُثّه على السير فيها .

البطليـــوسى : الحَـــظّ : النَّصيب . والسُّرى : سَـير الليل . والسَّبسب والبَسبس : القَفْر الذى لا شىء فيـه . يقول : أنا أتكلّف من أجلكِ السـفر ، وأتوهّم أنى به أنال البُغية والوَطر ، فكأنّ حُبّكِ قال حظُّكَ فيـه ، فأنا أُواصـله وأواليـه ، ولا أزال أجوب المَسالك ، وأركب المَهالك . والعِيس : الإبل التى يُخالط بياضَها حُمـرة ، واحدها أَعيس والأنثى عَيساء . وشَـبّه قَرْع أيدى الإبل الأرضَ القَفـر ، بلَطم الخُدود ، فذَكَر اللَّطم لذكره الوجه . وهى ٱستعارة مليحة ، لا أحفظها لغيره .

الخـــوارزمى : قوله : «فالطِم» ٱستعارة . وقد رشّح للاستعارة بالأيدى والوجه .

---

(١) بمثلها يلتئم القول . (٢) أى فى موضع اليأس من النجاح . فكلمة «فى» ضرورية لصحة الكلام .

١٠ (وَالنَّجْمُ عَلَى جُنْحِ الدُّجَى وَلَوَ انَّهُ أَسَدٌ يَصُولُ مِنَ الهِلَالِ بِمِخْلَبِ)

التبريزى : لمّا شبّه الجُنح الذى هو الليل بالأَسد، جعل الهلال مِخلبا له .

البطليوسى : الدُّجى : جمع دُجية ، وهى الظُّلمة . وهذا مما خالف الاسمُ فيه الفعلَ المُصرَّف منه؛ لأنهم يقولون دجية بالياء ، ويقولون فى تصريف الفعل منه دجا يدجو . وليس هذا موضعَ القول فيه . وجنح الدجى ، بكسر الجيم وضمها : ميله . وشبّه الليل فى هوله بأسدٍ يَصول، وشبّه الهلال بمِخلبه، وهو تشبيه مُختَرَع لا أحفظه لغيره .

الخوارزمى : شبّه الهلال بالمِخلب . ونحوُه :

كأنّ ابنَ مُزنتها جانحًا فَسيطٌ لدى الأفق من خِنصِرِ[(1)]

فَسيط : قلامة الظفر . وعلى عكسه بيت السقط فى صفة الأسد :

وقد وَطِئَ الحصَى بِبَنِى بُدورٍ صِغارٍ ما قُرِنَّ من التَّمامِ[(2)]

١١ (وَهَجِيرَةٍ كالهَجْرِ مَوْجُ سَرَابِهَا كالبَحْرِ لَيْسَ لِمَائِهَا مِنْ طُحْلُبِ)

التبريزى : يعنى أنّ السراب وإن كثُر حتى صار كالبَحر ، لا يكون له طُحْلب؛ لأنه ليس بماء على الحقيقة . والطُّحلب : الخُضرة التى تكون فى أعلى الماء[(3)] .

البطليوسى : الهَجيرة والهاجرة والهَجير والهَجْر، سواء، وهى القائلة . وشبّه ما يُقاسى من حرّها بما يقاسيه المَهجور من حُبّ هاجرِه . ونحوه قولُ أبى تمام :

ومَسافة كَسافة الهَجْر ارتقَى فى صدر باقى الحب والبُرَحاءِ

---

(١) البيت لعمرو بن قيئة وانظر الحاشية ٢ ص ٦٥٧ .

(٢) انظر البيت ٢٧ من القصيدة ٦٤ .

(٣) فى الأصل : « أسفل الماء » .

والطُّحلب، بضم اللام وفتحها: الخُضرة التى تكون على الماء. والسراب: شِبْهُ الماء يُرى فى الحرّ الشديد. وشبَّهه بالبحر لكثرته.

الخوارزمى: «الهَجيرة» مع «الهجر» تجنيس، و[الهجْر] مع «البحر» تسجيع.

١٢ ﴿أَوْفَى بِهَا الحِرْبَاءُ عُودَىْ مِنْبَرٍ ... لِلظُّهْرِ إِلّا أَنَّهُ لَمْ يَخْطُبِ﴾

التبريزى: الحِرْباء: دوَيْبّة لاتزال تدور مع الشمس، فتصير فى أعلى الشّجر وقتَ الهاجرة. قال أبو دُواد يصف آمرأة:

أَنَّى أُتيح لها حِرْباءُ تَنْضُبةٍ ... لا يُرسل الساقَ إلا مُمسكًا ساقا (١)

يعنى بالساق الشجرة. أى إنّ بعل هذه المرأة صَبور على السَّير، فكأنه حِرْباءٌ ينتقل من شجرة إلى شجرة.

١٣ ﴿فَكَأَنَّهُ رَامَ الكَلَامَ وَمَسَّهُ ... عِىٌّ فَأَسْعَدَهُ لِسَانُ الجُنْدُبِ﴾

التبريزى: يقول: إن الحِرْباء لمّا علا عُودا، كأنه مِنبر علاه خَطيب، أعْيته الخُطبة، فناب عنه لسان الجُندب، لأنّ الحِرْباء ليس له نُطق، والجنادب فى الهاجرة تَهيج ولها أصوات.

البطليوسى: قوله «أوفى»، يريد أشرف وعلا. والحِرباء: دابّة تَصعد على أصول الشجر، وتَستقبل بوجهها الشمس كيفما دارت، فشبّهه لذلك بخطيب صَعِد فوق منبر ليخطب، فأدركه عِىٌّ وحَصَرٌ، فتكلّم عنه الجُندب، وهو الجراد، تضم الدال منه وتُفتح. وإنما قال ذلك لأنّ الجنادب تُصوّت فى الحرّ، والحرباء لاصوت له. قال آمرؤ القيس:

يُغالين فيه الجَزْوَ لولا هَواجِرٌ ... جَنادبها صَرْعَى لهنّ فَصِيصُ (٢)

(١) فى اللسان (حرب، نضب، سوق): «له حرباء» وقال ابن برى: «صواب إنشاده: أنّى أتيح لها؛ لأنه وصف ظعنا ساقها وأزعجها سائق مجد».

(٢) يغالين: يطاولن. والفصيص: صوت ضعيف. والبيت فى اللسان (فصص).

الخوارزمى : قال الجاحظ : الحرباء : دُوَيبة أعظم من العظاءة أُغَيبر ما كان فرخا، يصفر من الحر وشدته، وإنما حياته الحر، فتراه أبدًا إذا بدت الجونة قد لجأ بظهره إلى جُذَيل، حتى [إذا] رمضت الأرض ارتفع، ثم هو متقلّب بوجهه مع الشمس كيف دارت، وذلك فعلُه حتى تَغرب الشمس، إلا إذا خاف شيئا.(1)

وإنما ثنّى عُودى منبر، لأن الحِرباء لا يخلّى عن ساق شجرة حتى يَنشَب بساق أخرى. قال أبو دواد :

أنّى أُتيح لها حِرْباء تَنْضُبة ... لا يُرسل الساقَ إلا مُمسكًا ساقا(2)

ولذلك قيل: «أحزم من حرباء». ويقال إنه يمسك بيديه غُصنين من الشجرة ويقابل عين الشمس. سمى المنبر منبرا لأنه ينبر الخطيب، أى يرفعه. الجُندب : ضَرب من الجراد، وهو فُنْعَل، لأنه ليس فى الكلام فُعْلَل. ونظيره وزنًا ومعنًى عُنْظَب. والجندب، مضموم عند البصريين، مفتوح عند الأخفش وعليه الكوفيون. وهذه المسألة قد أشبعتها "فى كتاب الزوايا والخبايا". جعل الحِرْباء كالخطيب، لأنه مثله أسود.(3) قال ذو الرمة :

كأن حِرْباءها فى كلّ هاجرةٍ ... ذوشَيبة من رجال الهِنْد مَصْلوبُ(4)

ولأنه ينتصب على الجِذْل قائمًا مثل الخطيب. ألا ترى أنه يُشَبَّه بالمصلوب. ولأنه إنما يوافى الجِذْل للظهر، كخطيب الجمعة. وجعله مما لم يَخطب لأنه لا صوت له رأسا. وجعل الجندب يُسعد الحرباء، لأن أصوات الجنادب تَهيج فى الظهيرة.

(١) انظر الحيوان (٦ : ٣٦٣).

(٢) انظر ما مضى فى الحاشية الأولى من الصفحة السابقة.

(٣) كذا وردت هذه العبارة. ولعله فهم أن لباس الخطباء كان السواد.

(٤) ديوان ذى الرمة ٣٧.

١٤ (كَلَّفْتُها جَدَلِيَّةً رَمَلِيَّةً نَضَبتْ ولَمْ تَلْحَقْ بأَهْلِ التَّنْضُبِ)

التبريزى : جدليّة : منسوبة إلى جَديل[١]، وهو فحل . ورَمَلية، من سيرها الرَّمَل . وتَنضُب : ضرب من الشجر . أى كَلّفتُ المجيرة المذكورة هذه الناقة ، ولم تلحق بالقوم الذين نَزلوا فى هذه الشجرة .

البطليوسى : جَدلية : ناقة منسوبة إلى جَديل، وهوفحل عتيق تُنسب إليه الإبل . قال الراعى :

* قُودًا تُناسب شَدْقَما وجَديلا *[٢]

ورمَلِيّة : منسوبة إلى الرَّمَل، وهو سير سريع . وقوله : نضَبت، يقال نَضَب الماء ينضُب نضوبًا، إذا جفّ أو غار فى الأرض . يريد أنه كلّفها السير إلى أهل التّنضُب، فهُزلت حتى لم يَبق فيها بقيّة ، ولم تَصل إليهم لبُعد المسافة . وأراد بأهل التنضُب أهلَ الحجاز . قال يعقوب بن السِّكيت : قال صاعد[٣] : التنضُب ينبت بالحجاز ، وليس منه بنَجد إلا جِزْعة[٤] واحدة، على ذِقانٍ عند التُّقَيِّدة ، وهما موضعان . والتنضُب، تألفه الحَرابيّ، ولذلك قيل حِرباء تَنْضبة ،فضُرب به المثل . قال الشاعر :

أَنَّى أُتيح له حِرْباء تَنضُبة[٥] لا يُرسل الساقَ إلا مُمسكا ساقَا

---

(١) إن صح ذلك فهى نسبة غير قياسية . وفى اللسان : «فأما قولهم فى الإبل جدلية فقيل هى منسوبة إلى هذا الفحل، وقيل إلى جديلة طيئ، وهو القياس» .

(٢) صدره كما فى جمهرة أشعار العرب ١٧٣ :

* شم الحوارك جنحا أعضادها *

(٣) هو صاعد بن الحسن اللغوى البغدادى صاحب كتاب الفصوص المتوفى سنة ٤١٧ بصقلية . انظر ترجمته فى وفيات الأعيان .

(٤) الجزعة، بالكسر : مجتمع الشجر .

(٥) أ : «لم» . وقد سبق الكلام على البيت فى حواشى ص ١١٣٣ .

الخوارزمى : الضمير فى «كلفتها» للهجيرة . جدليّة، منسوبة إلى جَديل، وهو فى «النار فى طرفى تبالة»[(١)] . ذكره التبريزى . ونحوه نِتاجٌ خَرَفىّ[(٢)]، وثَقَفى . رَمَلية: منسوبة إلى الرَّمَل؛ ومنه: الرمل فى الطواف سُنّة؛ وذلك أن يهزّ فى مِشْيته الكتفين، كالمُبارز يتبختر بين الصفين . ومعنى المنسوبة إلى الرَّمَل أن مَشيها الرَّمل . والكلام فى المصراع الأوّل على حَذْف المضاف وإقامة المُضاف إليه مُقامه ، وعلى التأخير والتقديم . يعنى كلّفت هذه الناقة قطعَ تلك الهجيرة . عنى بالنُّضوب الهُزال والجَفاف، ومنه بيت السقط :

* وأَنضبها التجاوُل والطِّرادُ[(٣)] *

على رواية من رواه بالضاد المعجمة . تنضُب: شجر يُتخذ منه السهام؛ قال الكميت:

* إذا حَنّ بين القوم نَبْعٌ وتنضب[(٤)] *

وهو تَفعُل، لأنه ليس فى الكلام فَعْلُل . و «نضب» مع «التنضب» تجنيس ، ومع «الرّملية» إيهام؛ لأن المنسوب إلى الرمل بالسكون — على ما ذكره الإمام المحقق عبد القاهر الجرجانى — رَمَلىٌّ بالتحريك .

(١) البيت ١٤ من القصيدة ٥٣ ص ١١٢١ .

(٢) يريد أن النسبة فى جميعها على غير القياس ، والقياس جديلى وخريفى وثقيفى .

(٣) البيت ٢١ من القصيدة ٦ ص ٣٠٣ ، وصدره :

* وقد أدمت هواديها العوالى *

(٤) أنشد هذا العجز فى اللسان (نضب) . وفى القصائد الهاشميات ص ٢١ :

إذا أنجوا الحرب العوان حوارها وحن شريج بالمنايا وتنضب

[القصيدة الخامسة والخمسون]

وقال من المتقارب الأول والقافية متواتر[١] :

١ (تَوَقَّتْكَ سِرًّا وَزَارَتْ جِهَارَا ... وَهَلْ تَطْلُعُ الشَّمْسُ إلّا نَهَارَا)

التبريزى : ... ...

البطليوسى : سيأتى .

الخوارزمى : الضمير فى « توقّتك » للحبيبة و إن لم يَجْرِ لها ذِكر .

٢ (كَأَنَّ الغَمَامَ لَهَا عَاشِقٌ ... يُسَايِرُ هَوْدَجَهَا أَيْنَ سَارا)

التبريزى : ... ...

البطليوسى : أراد : توقّت زيارتك ، فحذف المضاف وأقام المضاف إليه مقامه . يقول : خشيتْ أن تَزورك فى الليل فَتَفتضح ، لأنها شمس لا تَخفى ، فزارت بالنهار لأنّ طُلوع الشمس بالنهار لا يُنكَر ، وإنما يُنكر طلوعها فى الليل . وكأنه نظر إلى قول أبى الطيب :

قَلَقُ المليحة وهى مِسْكٌ هَتكُها ... ومَسيرها فى اللّيل وهى ذُكاءُ[٢]

وقوله « كأنّ الغمام لها عاشق » ، يقول : يساير هودَجها الغمامُ ، ليُظلّها من حرّ الشمس ، فكأنه عاشق لها ، فهو يتحفّى بها تَحفّيَ العاشقِ بمعشوقه .

الخوارزمى : يقول : إنّ الحبيبة وأهلَها بُداة ، ما يزالون ينتجعون الكلأ ، و يتّبعون مساقط الغَيث ، فكأنهم يَعشقون السحاب . ثم عَكَس هذه القضيّة ، فقال : كأنّ السحاب أبدًا يعشَق هذه الحبيبة ، فهو يُسايرها ولا يفارقها .

---

(١) البطليوسى : « وقال أيضا من السقط » . الخوارزمى : « وقال أيضا فى المتقارب الأول والقافية من المتواتر » .

(٢) ديوان المتنبى (١ : ١٠) .

٣(وبالأرض[1] مِنْ حُبّها صُفْرةٌ فَما تُنْبِتُ الأرضُ[2] إلا بَهارا)

التبريزى : ويروى : « فما ينبت الروض » .

البطليوسى : ويروى : «فما ينبت الروض» على أن يكون الفعلُ للروض . ومَن روى "الروضَ" بالنصب جعل الفِعل للأرض . يقول : كثرةُ إنبات الأرض التى كُلُّها البَهار ، دليـل على أنها تَكْلَف بها وتُحبّها ؛ لأنّ العاشق يُوصف بالصُّفرة ، كما يُوصف المَعشوق بالحُمرة ؛ ولذلك يُشبّهون العاشق بالبَهار ، والمَعشوق بالورد . قال بعضُ أصحاب أبى نُوَاس : رأيت أبا نُواس فى النوم فقلت له : أَنْشِدنى من شعرك فى الحمر ما لم يَسمعه الناس ، فأنشدنى :

وحَمْراء قبـل المَزْج صَفْراء بعده بدَت بين ثَوبى نَرْجِس وشَـقائِق
حَكَتْ وجنةَ المعشوق صِرْفًا فسلّطوا عليها مِزاجًا فاكتستْ لونَ عاشقِ

الخوارزمى : البَهار، فى « تخيّرت جهـدى »[3] . وهذا البيت يدلّ على أن البَهار أصفر .

٤(فَدَتْكَ نَدامَى لَنـا كَالْقِسِيِّ لا يَسْتَقِيمُونَ إلّا ازْوِرارا)

التبريزى : معناه أنّ ندامانا فيهم اعوجاج ، فاستقامتُهم بازورارهم ؛ لأن القسيّ إنما يُرمى عنها إذا حُنِيت أعوادها ، فهى مُستقيمة بالانحناء .

البطليوسى : يقول : ندامانا فيهـم اعوجاج ، فاستقامتهم باعوجاجهم ، كما أنّ القسيّ إنمـا يُرمى عنها إذا حُنيت أعوادُها ، فانحناؤها هو استقامتها . والازورار : الاعوجاج .

---

(١) أ من التبريزى : « فبالأرض » .

(٢) البطليوسى : « الروض » .

(٣) البيت ١٧ من القصيدة ١٩ ص ٦٣١ .

الخـــوارزمى : يقول : فدتْك لنـا أصحاب سقيمة الأخلاق غير مستقيمة ، فكأنها القسىّ . ولعله يريد بهم العُذّال . ويَقْرب منه فى المعنى بيتُ السقط :

ليتَ اللوائمَ عنك أُسْرة شَدْقم ببطـاح مكّة للنـاسك تُنحرُ [1]

وعن بعض الأدباء : المراد بتلك النّدامَى الإبل الجُرب . يعنى : جعلت مَحَاياك مطايانا . والأوّل أوجه . والمِصراع الثانى من باب قولهم : « عتابك السيفُ » . و : * تحية بينهم ضربٌ وجيع * [2]

٥ (أَذَبْتِ الحَصَى كَمَدًا إذْ رَمَيْـ ـتِ بالدُّرِّ يومَ رَمَيْتِ الجِمَارَا)

التـــبريزى : ادّعى أنها لمـا تكبّرت عن رَمْى الحصى ، واختارت أن ترمى بالدُّر، لأنها ملكة، ذابَ الحصى كَمدا، لِمـا فاته من حَمله بيدها .

البطليـــوسى : أراد أنها حجّت فرمت بالدّر مكان الجمار، لأنها كانت مُوسرة، فقال : كأنّ الحصَى يرجو أن تَرمىَ به ، فيتشرّف بمُباشرة كفّها ، فلمـّا رمت بالدر مكانَه كاد يذوب أسفا، لمـاَ حُرِم مِن ملامسته كفها .

الخـــوارزمى : قـوله « إذ رميت بالدر » تنبيه على أنّ الرامية ملكة ذات ثَروة، بحيث يقوم عندها الدُّر مَقام الحجر. عنى بالجمار جمار المناسك، وهى بجمرات القبائل [3] ثلاث، أولاها تلى الخَيْف، وأخراها جمرة العقبة . وفى هـذا البيت شىء من البحث الفِقْهى ، وهو أنه إذا رمى بالدرّر الجمار فهل يجزئه أم لا ؟ قالوا : إذا رمى بالذهب أو الفضة الجمار لم يُجْزِ، لأن ذلك يسمى نِثاراً لا رَمْيا . فعلى هذا

---

(١) آخر بيت من القصيدة ٥٣ ص ١١٢٢ .

(٢) من بيت لعمرو بن معد يكرب كما فى الخزانة (٤ : ٥٣) . وصدره :

* وخيل قد دلفت لهـا بخيـل *

(٣) فى الأصل : « القبايل » والوجه ما أثبتنا . انظر اللسان (جمر ٢١٦) .

لو رمى الجمار بالدرر لم يُجْـز أيضا ، لأن ذلك نثـار لا رمى . ألا ترى إلى بيت العراقيـات :

فلما استنار الفجرُ ينفض طَـلَّه   كما نثرت أيدى العَـذارى لآليـا (1)

وهذا بخلاف ما إذا رَمى بالطين أو الحجر أو بسائر ما كان من أجزاء الأرض ، فإنه يُجزئه عندنا . خلافا للشافعى ؛ لأن المقصود فعل الرمى ، وذلك بالطين يحصل كما بالحجر . وبيت أبى العلاء ها هنا يُوهم أنه جائز ، وهو كما علمتَ غير جائز . وهذا البيت تمهيد للعذر فيما سبق من الدعاء على العُـذّال . يقول : الأحجار مع قساوتها وعدم إحساسها تُولَع بك ، وتتحاسد عليـك ، فكيف نحن مع كمال عقولنا ، ورقة قلوبنا . ولذلك قدم كون الغمام عاشقا لهـا ، وكون الأرض مصفرّةً من حبها ، على سبيل التوطئة لذلك .

---

(1) قبله كما فى الديوان ٣٧٨ :

فولت حذارا تستغيث من الردى   بأظلافها والليـل يلقى المراسـيا

[القصيدة السادسة والخمسون]

وقال يخاطب بعضَ أهل الأدب[(١)] :

١(تَفَهَّـمْ يا صَرِيعَ البَيْنِ بُشْرَى   أَتَتْ مِنْ مُسْـتَقِلٍّ مُسْـتَقِيلِ)

التـــبريزى : من الوافر الأول والقافيــة متواتر . صريع البين : شاعر كان يلقب بهذا اللقب . ومستقلّ، من آستقل الشىء، أى عَدّ أنه قليل . ومُستقيل ، من آستقال العَثْرة، إذا سأل أن يُقال .

البطليـــوسى : ســـياتى .

الخـــوارزمى : هو يَسْـتقلّ القليل ، خلاف يَسـتكثره . آستقالنى العَـثْرة فأقَلْته . يخاطب رجلا كان يلقّب بصَريع البَيْن، وكان أبو العلاء قد أنفذ إليه من النُّزُل شيئا ، لأنه كان قد وقع فى تلك الدِّيار غَريبا . فيقول : خُذ عن رجل يَعُدّ ما أَرسل إليك من الهديّة قليلا، وإرساله عثرة يَستقيلها بِشارة ، فتصوَّرها لأن فيها دقة . وتفسيرُ تلك البشارة فى البيت الثانى .

٢(دُعِيتَ بصَـارِعٍ فتَـدَارَكَتْهُ[(٢)]   مُبَالَغَـةٌ فَـرُدَّ إلَى فَعِيـلِ)

التـــبريزى : المعنى أنه سَمَّى نفسه صريعَ البَين . وليس الأمرُ على ما ظهر، لأنّ الصريع فى معنى المصروع . والبَين : الفِراق . وإنما صريع فى معنى صارع، كما أنّ عليما فى معنى عالم، وقديرا فى معنى قادر . وهـذه بُشرى لك، لأنك تصرع البين ولا يَصرعك . وما بعد البيت يوُضِّح معناه .

---

(١) فى البطليوسى : «وقال يجيب شاعرا مدحه» . وفى الخوارزمى : «وقال أيضا فى الوافر الأوّل والقافية من المتواتر، يخاطب بعض أهل الأدب» .

(٢) البطليوسى : «وتداركته» .

البطليوسى : كان هـذا الشاعر قد سمّى نفسَه فى شعره صريعَ البين، وهو يريد أن البَين صَرعه ، كما يقال : هو قَتيل الهوى، ويُراد أنّ الهوى قَتله . وعلى هذا المعنى سُمِّى مُسلم بن الوليد صريعَ الغوانى، لقوله :

هلِ العيشُ إلّا أن تَرُوح مع الصِّبَا صَريعَ كُؤوس الراحِ والأَعْينِ النُّجْلِ

فقلب أبو العلاء هـذا المعنى ، فقال : لستَ صريعا بمعنى مَصروع ، وإنمـا أنت صريع بمعنى صارع . أريد بذلك المبالغة فى صَرعك للبين ، وغلَبتك إياه ، كما يقال : عليم ، إذا أرادوا المبالغة فى صفة العالم بالعلم؛ وقدير، إذا أرادوا المبالغة فى صفة القادر بالقدرة . فهـذا الاسم بُشرى لك ، وفأل بأنك ستغلب البين وتَظهر عليه ، وتبلغ من محبوبك المُراد الذى تذهب إليـه؛ وهذه بُشرى بشّرك بهـا مَن يَستقلّ ما أنفذه إليك من هبته، ويَسألك إقالة عَثرته .

الخـوارزمى : سـيأتى .

٣(كَمَا قَالُوا عَلِـيمٌ إذْ أَرَادُوا تَنَاهِى العِـلْمِ فى اللهِ الجَلِيـلِ)

التـبريزى : ... ...

البطليـوسى : فَعِيل، صيغة استعملتها العرب على ثمانية أوجه : أحدها أن تكون أصـلا فى بابها لا يذهب بها إلى بنـاء آخر، كقولهم ظَريف وشَريف . والثـانى أن يكون بمعـنى فاعل ، كقولهم عَلـيم بمعنى عالم ، وقَدير بمعـنى قادر . والثالث أن يكون بمعنى مَفعول ، كقولهم قَتيل بمعنى مقتول، وجريح بمعنى مجروح . والرابع أن يكون بمعـنى مُفعِل المكسور العين، كقولهم داء وَجيع ، بمعنى مُوجع، وعذاب أليم بمعنى مؤلم . قال جرير :

ونَرفع من صُـدورِ شَمَـرْدَلاتٍ يصـكّ وجوهَهـا وهَجٌ ألـيمُ

والخامس أن يكون بمعنى مُفْعَل المفتوح العين، كقولهم سكّين حديد، ورُبٌّ عَقِيد، بمعنى مُحَدّ ومُعْقَد . والسادس أن يكون بمعنى مُفاعِل المكسور العين . والسابع أن يكون بمعنى مُفاعَل المفتوح العين ، كقولهم فلان جَليس فلان ، أى مُجالَسه، ونَديمه، أى مُنادَمه، وأكيله وشَريبه . قال الله تعالى : ﴿ وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ حَسِيبًا ﴾ . وقال الراجز :

رُبَّ شَرِيب لك ذى حُساسِ أَقْعَسَ يَمْشى مشية النِّفاسِ (١)

والثامن أن يكون بمعنى مُفعّل المشدّد العين، ولا أعلم ذلك إلا فى موضعين : أحدهما قول المُخبّل السّعدىّ :

فقلتُ لها فِيئِى إليك فإنّنى حَرام وإنّى بعد ذاك لَبيبُ (٢)

قال أبو عبيدة : معناه ملبٍّ . والثانى قول ساعدة بن جُؤَيّة الهُذلىّ :

فَورّك ليناً لا يثمّم ، نصلُه إذا صاب أوساط العظام صميم (٣)

ترى إثره فى جانبَيه كأنه مَدارج شِبْثانٍ لهنّ هَميمُ

أراد مُصمم .

الخوارزمى : يقول : تلك البِشارة أنّ لَقبَك — أعنى صريع البين — فَعيل بمعنى فاعل لا مفعول . يريد أنك تَصرع البينَ ولا يَصرعك . والبيت الثانى تقرير للبيت المتقدّم .

---

(١) الحساس، بالضم : الشؤم . والنفاس، بالكسر : جمع نفساء . والرجز فى اللسان (حسس) ونوادر أبى زيد ١٧٥ .

(٢) انظر الكلام على البيت فى أمالى ابن الشجرى (١ : ١٦٤) .

(٣) فى الأصل : « رميم » تحريف ، صوابه فى ديوان ساعدة ص ٢٣٠ طبع دار الكتب واللسان (ثمم) . كما أن كلمة « صميم » هى موضع الاستشهاد من البيتين . وورك لينا ، أى حمل عليهم سيفا لينا .

٤ (قَدِ ٱسْتَحْيَيْتُ مِنكَ فَلَا تَكِلْنِي إلَى شَيْءٍ سِوَى عُذْرٍ جَمِيلِ)

التبريزى : ... ...

البطليوسى : ... ...

الخوارزمى : يَعتذر عن إهدائه إليه ذلك المحقَّر .

٥ (وَقَدْ[(١)] أَنْفَذْتُ مَاحَقِّى عَلَيْهِ قَبِيحُ الهَجْوِ أَوْ شَتْمُ الرَّسُولِ)

٦ (وَذَاكَ عَلَى انْفِرَادِكَ قُوتُ يَوْمٍ إذا أَنْفَقْتَ إنْفَاقَ البَخِيلِ)

التبريزى : ... ...

البطليوسى : لم يُرِد أنه أنفذ إليه قَدر قُوت يوم على الحقيقة، وإنما أراد تَحقير ما وجّه به إليه . وجعله قوتَ يوم لمثله، لعلوّ هُمّته وكثرة نَفقته . وقد بيّن ذلك بالبيت الذى بعد هذا .

الخوارزمى : هاهنا يعتذر أيضا . والبيت الثانى يشتمل على مبالغات .

٧ (فَكَيْفَ وَأَنْتَ عُلْوِىُّ السَّجَايَا فَلَيْسَ إلى ٱقْتِصادِكَ مِنْ سَبِيلِ)

التبريزى : السَّجايا : جمع سَجيّة ، وهى الخليقة . والاقتصاد : ضِدّ الإسراف .

البطليوسى : سيأتى .

الخوارزمى : عُلْوِىّ، أى عالى الطّبقة . ومنه قول النُّعمان، وقد غُنِّى بشىء من داليّة النابغة : « هذا شِعْر عُلْوِىّ » . والمُراد به ما ذكرنا . وهو مَنسوب إما إلى عال ٱسم فاعل من علا يعلو، فيكون معدولًا عن القياس ، كالعُلْوى فى المَنسوب إلى عالية الحجاز . وإما الى عُلو، نقيض سُفل، قال الغورى : «سفل الدار نقيض علوها» .

(١) حـ من التبريزى : « فقد » .

٨ ﴿فَهَبْ أَنِّى دَعَوْتُكَ لِلتَّصَافِى   عَلَى غَيْرِ المُعَتَّقَةِ الشَّمُولِ﴾

التبريزى : هَب ، فى معنى اْعدُد . قال الشاعر :

هَبُونى آمرأً منكم أضلّ بعيرَه   له ذِمّةٌ إنّ الذِّمام كَبيرُ

البطليوسى : سيأتى .

الخوارزمى : سقاه الشمول ، قال الأصمعى : هى التى لها عَصفة كعَصفة الشَّمال ، كذا ذُكر فى أساس البلاغة .

٩ ﴿عَلَى رَاحٍ مِنَ الآدَابِ صِرْفٍ   ونَقْلٍ مِنْ بَسِيطٍ أَوْ طَوِيلِ﴾

التبريزى : ابن دريد يقول : نقل ، بفتح النون .

البطليوسى : عُلوى، هاهنا ، منسوب إلى العُلْو ، لأنه إنما أراد عُلو همته ولم يرد نِسْبته إلى العالية . والسجايا : الطبائع والأخلاق . يقول : أخلاقك رفيعة ، فأنت لا تَقتصد فى الإنفاق، فإنما يكفيك ما وجّهتُ به نحوك إذا أنفقت إنفاق بخيل، يقتصر من نَفقته على النَّزر القليل، ويترك مؤانسة إخوانه على المُعتَّقة الشَّمول. ومعنى «هب» اجعل . والعرب تقول: وَهَبنى الله فداك، أى جعلنى الله فداءك . وأراد البسيط من الشّعر والطويل منه . يقول : أنزِل نفسك مِنّى منزلة من لم أُوله نيلاً (٢)، غيرَ أنى جعلتُ مفاوضتى إياه فى الأدب راحًا نادمتُه عليها ونقلا .

وكأنه نظر فى هذا المعنى إلى قول الشاعر :

وإذا الأديبُ مَع الأديب تحاورَا   كانَا مَع الآداب فى بُستانِ

لا شَىء أحسنُ منهما فى مَجلس   يَتَطاعمان جواهرًا بلسانِ

ويَهُزّ أُنسُ القول من عِطفيهما   هز المُدام جوانبَ النَّشوانِ

---

(١) فى الأصل : « معى » .

(٢) ا : « قليلا » .

الخـــوارزمى : الطويل والبسيط ، من بحور العروض .

١٠ (وَقَدْ يُقْوِى الفَصِيح فَلاَ تُقَابِلْ ضَـعِيفَ البِرِّ[1] إلاّ بالقَبُـولِ)

التـــبريزى : يقوى ، من الإقواء فى الشعر هاهنا . ويقال فى غيره : أقوى ، إذا أقفر ، أى صار فى قواءٍ من الأرض ، وهو القِىّ[2] . ويقال : أقوى ، إذا نفد ما عنده ، تشبيهًا بذلك .

البطليـــوسى : يقــول : كما أنّ الفصيح قد يُقوى فى شـعره فيُغتفر إقواؤه ، فكذلك اغتفــرْ لصديقك ما بَعث به و إن قلّ عطاؤه . والإقــواء فى الشعر فيــه اختلاف : فمن العروضيين من يراه اختلاف القوافى ، كقول امرئ القيس :

* وكأنمـا من عاقـلٍ أرمامُ[3] *

وقــوله :

* صَرْعِى عليــك حَــرامُ[4] *

فرفع قافيتى هذين البيتين ، وسائر الشــعر مخفوض القوافى . ومنهم من يرى الإقواء أن يُنتقص من عروض البيت قوّة ، فيكون العروض فى الكامل مفعولن ويكون الضرب متفاعلن ، فيزيد الضرب على العروض زيادة قبيحة . فيقال أقوى فى العروض ، أى أذهب قوتها . وذلك نحو قول الربيع بن زياد :

أفبعد مَقْتــل مالك بنِ زُهيرٍ تَرجُو النسآءُ عواقبَ الأَطهارِ

---

(١) البطليوسى : « قليل البر » .

(٢) القى ، بكسر القاف ، أبدلوا الواو ياء طلبا للخفة . انظر اللسان (٢٠ : ٧٣) .

(٣) صدره كما فى الديوان ١٤٦ :

* فكأنمـا بدر وصـيل كتيفة *

(٤) البيت بتمـامه كما فى الديوان ١٤٦ :

جالت لتصرعني فقلت لهـا اقصرى إنى امرؤ صرعى عليــك حــرام

والخليــل يُسمى هــذا الإقعاد ، ويُســمى الجزء الذى يَعــرض فيه مثــلُ هذا « المقعَد » .

الخــــوارزمى : المراد بالإقواء ما ذكرناه فى « لا وضع للرحل »(١) . وقد أوهم حيث قَرن الإقواء بالفَصيح، أنه يريد به إقواء الشِّعر، وهو اختلاف حركة الروىّ بالرفع والجر فى قصيدةٍ واحدة. وهو من أقويت الحبل، إذا فتلتهَ فتلاً خالفت فيه بين قُواه ، فجعلتَ بعضها أغلظ من بعض . فشبَّه مُخالفة الروىّ بالمُخالفة بين قُوى الحبــل . والإقواء مع الضعيف إيهام آخر . و « تقابل » مع « القبول » تجنيس .

١١ ﴿فَإِنَّ الوَزْنَ وَهْــوَ أَتَمُّ وَزْنٍ يُقَامُ صَــغَاهُ بِالحَرْفِ العَلِيلِ﴾

التــــبريزى : أى بالحرف الذى فيه لين. والمعنى أن هذا الذى أنفذتَه قليل، وهو على قلّته ينفعك، كما أنّ الوزن الطويل يُقوّم صغاه بالحرف الذى فيه لين، وهو ضعيف ساكن . نحو قوله : « فتوضح فالمقراة »(٢) . فلو حذفت منــه ألف مقراة، وهى ساكنة، لظهر فيه زِحاف تُنكره الغريزة .

البطليــــوسى : يقول : الشىء القليل نُقنَع به على قلّته ، كما أن الوزن التــام من الشــعر يُحتاج فى تمــامه إلى حرف العــلة على ضَعفه . وهــذا على ضربين : أحدهما ينكسر البيت بسقوطه، كقول النابغة :

* جَنْبَا أَرِيكٍ فالتِّلاعُ الدَّوافعُ(٣) *

ألا ترى أنك لو حذفت من حروف اللين من هذا الشطر شيئا لفَسد الوزن.

---

(١) يعنى قوله فى تفسير البيت ٢٥ ص ٧٥٦ من القصيدة التى أشار إليها ، وهو : « والدقعاء هى التراب . ونظيره ترب وأرمل وأقوى » .

(٢) جزء من بيت لامرئ القيس . وهو بتمــامه :

فتوضح فالمقراة لم يعف رسمهــا لمــا نسجتها من جنــوب وشمأل

(٣) صدره كما فى ديوانه ص ٤٩ :

* عفــا ذو حسا من فرتنى فالفــوارع *

والثانى أن الجـزء إذا لحقه الحذفُ فى الضرب، أُلزم حرف اللين ليكون عوضاً من الساقط، وذلك نحو مفاعيلن فى ضرب الطويل. إذا لحقها الحذف فصارت فعولن، لم يجز أن يأتى بغير حرف لين، كقوله :

وما كُلُّ ذى لُب بمُؤْتيك نُصْحَه ولا كُلُّ مُـؤتٍ نُصـحَه بلَبيبِ (١)

وإذا لم يدركها الحذف جاز أن تأتى بحرف لين وبغـير حرف لين . فما جاء بحرف اللين قول آمرئ القيس :

ألَا عِمْ صـباحاً أيهـا الطَّللُ البالِى وهَلْ يَعِمَنْ مَن كان فى العُصُر الخالى

ومما جاء بغير حرف لين قول طرفة :

أبا مُنـذر كانت غَرورا صَحيفـتى ولم أُعطكم فى الطوع مالى ولا عِرْضى

وربمـا جاء فعولن بغير حرف لين، وهو عَيب فى الشعر كقوله :

وقد ساءنى سعدٌ وصاحب سعد وماطلهـا فى قَلبهـا بغـرامه (٢)

والصغا : الميل ، يقال : صَغِى يَصْغى ، وصغى يصغَى ، وصغا يصغو ، وقد صغوت إليه وصَغيت وصغِيت .

الخـوارزمى : المُـراد بأتم وزن ، هو الطويل ؛ لأن فى ابيـاته المُستعملة مايرتقى إلى ثمانية وأربعين حرفا . وأما المستعمل من أبيات المديد والبسيط فأقصى مايرتقى إليه آثنان وأربعون حرفا . يقول : مابعثتُه إليك وإن كان محقَّرا لا يُعبأ به، فإنه لا يَبعد أن يُسـد به خَلة ، كما أنّ حرف اللين مع ضَعفه وقلّتـه يُقام به وزن الشعر . وذلك نحو الألف فى مفاعيلن من الطويل، فإنه لو سَقط انكسر البيت .

(١) البيت لأبى الاسود الدؤلى، كما فى الأغانى (١١ : ١٠٥ طبعة الساسى) وشرح شواهد المغنى ١٨٤ حيث ذكر فى الأخير نسبتها أيضا إلى مودود العنبرى .

(٢) فى الأصل : « قبلها » ومثله فى أ : « وماطلها فى » وفى حـ : « وماطلبانى » .

١٢ ﴿فإنْ يَكُ[(١)] ما بَعَثْتُ بِهِ قَلِيلاً فَلِي حَالٌ أَقَلُّ مِنْ القَلِيلِ﴾

التبريزى : ... ...

البطليوسى : يجوز أن يريد أقلّ من القليل الذى بعثتُ به إليك، ويجوز أن يريد أقل مما يقع عليه اسم القليل ، والأول أجود، لأنّ الشىء الكثير قد يُقال فيه إنه قليل بإضافته إلى ما [هو] أكثر منه، لأن القليل والكثير من باب الإضافة . ألّا ترى أنّ الألْفَ يقال إنه كثير بإضافته إلى مادونه ، ويقال إنه قليل بالإضافة إلى مافوقه .

الخوارزمى : ... ...

(١) الخوارزمى : «وإن يك»

[القصيدة السابعة والخمسون]

وقال فى هذا المعنى من الطويل الأوّل والقافية متواتر[١] :

١ (أَوَالِىَ نَعْتِ الرَّاحِ مِنْ شَغَفٍ[٢] بِهَا   لَعَلَّكَ[٣] خَالٌ لِلْمُدَامَةِ أَوْ عَمٌّ) .

التبريزى : همزة النداء . يريد : يا وَالِى نَعت الراح . يعنى أنه يُجيد فى وصف الخمر، لشغفه بها .

البطليوسى : سيأتى .

الخوارزمى : كان بعضُ الناس قد كتب إلى أبى العلاء بشعرٍ نَعتَ فيه الخمر، فيقول: يا مَن نَعت فيما بعث إلىّ من شعره الخمرَ، قد استقصيتَ فى صفتها، حتى أوهمتنا ذلك أنك نسيبُها وقريبُها .

٢ (وَأَنْتَ[٤] أَبُوهَا إِنْ غَدَتْ كَرَمِيَّةً   وَإِنْ سُكِّنَتْ رَاءٌ فَوَالِدُهَا كَرْمُ)

التبريزى : أى إن كانت منسوبةً إلى الكَرَم فأنت أبوها بمعرفتك بها، واختصاصها بك، و إن سكنت الراء من «الكرم» فهى كَرْمية .

البطليوسى : الراح : لفظة مشتركة تقع على معان مختلفة، فمنها الراح التى يراد بها الخمر، ومنها الراح التى يُراد بها الأرتياح والطرب . قال الشاعر :

وَلقِيتُ[٥] ما لقيتْ معدٌّ كُلُّها   وفَقَدتُ راحِى[٦] فى الشَّباب وخالِى

(١) البطليوسى : «وقال أيضا» . الخوارزمى : «وقال أيضا فى المعنى» فى الطويل الأوّل والقافية من المتواتر» . ويشير بكلمة «فى المعنى» إلى المعنى الذى قيلت فيه القصيدة السابقة .

(٢) الخوارزمى والتنوير : «شعف» بالمهملة .

(٣) التنوير فقط : «كأنك» .

(٤) حـ من التبريزى : «فأنت» .

(٥) البيت لجميح بن الطماح الأسدى، كما فى اللسان (روح) .

(٦) فى أ من البطليوسى : «ونسيت راحى» .

أى فقدتُ آرتياحى وخُيلائى بفقدى لشَبابى . وكان هذا الشاعر قد مدح أبا العلاء بشعر آفتتحه بوصف الخمر . وكان لايليق بمَنْصِبِ أبى العلاء ورُتبته، أن يَذكر الخمر فى تَقريظه ومِدْحتِه؛ فقال : يا من حملتْـه شدّة شغفه بالرّاح وعنايتُه بأمرها، على ألا يُخْـلِى شعرَه من وصفها وذكرها ؛ لعلّك خالٌ لها أو عمٌ، فلذلك لا يخلو لك من ذكرها نَظْم . ثم قال : إنما يجب أن تُنسب إليك الراح التى يراد بها الآرتياح إلى الكرم، ويُوصف بها أهلُ السماحة وحلاوة الأخلاق والشِّيم ؛ وأما الراح المعتصرة من العِنَب، فلا يليق بمثلك أن يكون لها إليه نَسَب . والشعراء يُشبّهون الذى يرتاح إلى المعروف بالسكرانِ، كما قال ابنُ الرومىّ :

يُضْحِيهِ ذِهْنٌ ويأبَى صَحْوَه كرمٌ ... مُستحكِم فهو صاحٍ وهو سكرانُ (١)

وقال أبو الطيّب المتنبي :

تُصاحِب الرّاحُ أريَحيّتَـه ... فتَسقط الراحُ دون أدناها (٢)

الخـوارزمى : سُمّى الكَرْم كَرْما ، لأنّ الخمـر المُتخذة منـه تحثّ على السخاء والكَرَم، ذكره ابنُ الأنبارىّ . لمـا ذَكر فى البيت المتقدّم المُدامة — وهى تسمّى بآبنة الكَرْم — فكأنّه قد ذكَرها بآسمها الآخرَ ، وهو آبنة الكَرْم، لا سيمّا وقد جعل واصفَها بمنزلة الخال لها والعمّ، فقد تقرّر كونُها بِنتاً ، فلذلك صَرف الضمير فى قوله « أبوها » إلى البِنت . ونظيره قولُ جَمال العرب الأبيوردىّ :

* الخمر يا أكرم أكفائها (٣) *

(١) انظر ديوان ابن الرومى مصورة دار الكتب المصرية رقم ٩٠٥١ أدب ص ٢٧٥ .

(٢) أى إن أريحيتــه فوق فعل الراح ، وأدنى أريحيه له تجلب من السخاء مالا تجلبــه الراح إذ اجتمعتا . (انظر شرح العكبرى ٢ : ٤٥٩) .

(٣) لم نعثر على هذا الجزء فى ديوانه المطبوع .

فقد حَسُن إضافة الأكفاء إلى الخمر، لأن إضافتها إلى الخمر إضافة لها إلى بنت الكرم معنى . ومحصول معنى البيت أنه يليق بكرمك ومُروءتك أن تكون والدَ بنت الكَرَم، وهو المجد، لا والد بنت الكَرْم، وهو الخمر .

٣(فَكَيْفَ طَرَقْتَ الشَّامَ والشَّامُ دُونَهُ جِبَـالٌ تَرَدَّى بالرَّبَابِ(٢) وتَعْـتَمُّ)

التبريزى : تردّى، يريد: تتردّى، من الرداء . وتعتمّ، من العمامة . والرّباب: السحاب الأبيض . جعل السحاب الأبيض للجبال بمنزلة العمائم .

البطليوسى : سيأتى .

الخوارزمى : سيأتى .

٤(وَمِنْ بَعْضِ جَارَاتِ العِرَاقَيْنِ بَابِلٌ وَعَانَةُ وَالصَّهْبَاءِ عِنْـدَهُمَا جَمٌّ)

التبريزى : يعنى أن العرب كانت تنسبها إلى بابل وعانة . قال المُسيَّب ابن عَلَس :

وكأنّ فاها كلّما نَبَّهتُها عانيةٌ شُجَّت بماء يَرَاعِ(٣)

وقال لَبيد :

إذا مَسّ أسآرَ الصُّقور صَفت له مُشعشعة ممّا تُعَتِّق بابلُ

أراد بأسآر الصقور جمع سُؤر، وهو بقية الشىء . أراد أنه يصطاد الطير، ويأكل الصقرُ ممّا صاده الشىءَ اليسير، ثم يؤخذ ما بقى منه فيأكله هذا المذكور .

---

(١) البطليوسى : « وكيف » .

(٢) أ من البطليوسى : « بالغمام » .

(٣) روايته فى المفضليات (١ : ٥٩) :

ومها يرف كأنه إذ ذقته عانيـة شجت بماء يراع

البطليــــوسى : ســيأتى .

الخــــوارزمى : العراقان والمصران، هما البصرة والكوفة . «بابل» فى «بنى الحسب الوضاح»[1] . «عانة» فى «علالى فإن»[2] . يقول : هب أنه يليق بكرمك أن تكون ممن يشرب و يطرب ، فكيف تركت العــراق وهى مَعدن الخمــر ، ثم قطعتَ المفاوز المتباعدة، والشــواهق المتصاعدة ، حتى أتيت الشام وآثرتها على العــراق ، مع قلّة الخمر فيهــا ؟ ! والفاء فى قوله « فكيف طرقت » تَضرب فى المبالغة بعِرْق . وهذه الفاء تشبه الفاء فيما أنشده الإمام المحقّق عبد القاهر الجُرجانى رحمه الله :

قالوا خراسان أقصى ما يُراد بنــا ثم القُفول فقــد جِئْنا خراسـانا[3]

إلا أن الفاء هاهنا أكمل قسطًا من البلاغة .

٥ ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ الأَوَّلِينَ إِلَيْهِمَا نَمَوْا حَسَبَ الْخَمْرِ الَّذِى رَفَعَ النُّظُمُ﴾

التــبريزى : يريد : رفعه النظم، فحــذف المنصوب . ونموا، من قولهم : نمى الحديثَ ، إذا رفعه .

البطليــــوسى : الطروق : الإتيانُ بالليل . و إنمــا قال « جبال تردى بالغمام وتعتم » لأن الشام يوصف بكثرة الغَيث وشــدّة البرد ، ولذلك قال أبو الطيب :

وعِقَابُ لُبنان وكيف بقَطْعها وهو الشّــتاء وصَيفهنّ شِــتاء[4]

وبابل وعانة : موضعان تُنسب إليهما الخمر . قال آمرؤ القيس :

* من خمر عانة أو كُروم شِـبام[5] *

(١) البيت ١٩ من القصيدة ٤٢ ص ٩٥٦ .

(٢) البيت ٤٧ من القصيدة ١٤ ص ٤٥٨ .

(٣) البيت للعباس بن الأحنف فى ديوانه ١٦٢ ومعجم البلدان (خراسان) .

(٤) العقاب ، بالكسر : جمع عقبة ، وهى المرقى الصعب فى الجبال .

(٥) صدره كما فى الديوان ١٤٥ :

* أنف كلون دم الغزال معتق *

وقال الأعشى :

ببابلَ لم تُعصر فجاءت سُلافة تُخالط قِنْـديدًا ومِسكا مُختَّما[1]

يقــول : تركت العراق المعتدل الهــواء ، الكثير الصهباء ؛ وأتيتَ إلى بلاد الشام الشديدة القر ، القليلة الخمر .

الخـــوارزمى : الضمير فى « إليهما » لبابل وعانة .

٦(فإيَّاكَ والكَأْسَ الَّتِي بِتَّ نَاعِتًا فَمَا شُرْبُهَا إلَّا السَّـفَاهَةُ والإِثْمُ)

التـــبريزى : ... ...

البطليـــوسى : يقول : لا تحقِّق وصفَك للكأس بُشربك إياها، فإنّ الشاعر قد يَصف أمُورًا لا يستحسنها ولا يرضاها ، بل لأنه وجد سبيلًا مسلوكةً فسلكها واقتفاها . وإنمـا أراد بهذا الاعتذارَ له لِمَـا أَتى به ، وتنبيهَه على خَطِئه فيما فعل وسُــوء أدبه .

الخـــوارزمى : « الكأس » مع « الإثم » إيهام .

٧(وَأَحلِفُ مَا حطَّتْ مَكَانَكَ غُرْبَةٌ وَلَا سَوَّدَتْ عَلَيْكَ أَثْوابُكَ السُّحْمُ)

التـــبريزى : السُّحم : الســود . وكان هذا الشاعر قد لبس الســواد كما يلبســه الغُرباء[2] . وذَكَر ذلك فى شــعره إلى أبى العــلاء ، مع ما ذَكَره من شكايته من الزمان .

البطليـــوسى : ... .

الخـــوارزمى : أثوابك السُّحم، أى السود . جعل سَــواد الثياب كناية عن انساخها . وحُكى أنّ الشافعى شَخص إلى سُرّ من رأى ، فدخلها وعليه أطْمار رثّة ،

(١) البيت فى ديوان الأعشى ٢٠٠ . والقنديد : العنبر والكافور، وطيب يعمل بالزعفران .

(٢) زاد فى التنوير : « لئلا تتسخ سريعا » .

وطال شَعره ، فتقــدّم إلى مُزيِّن فاستقذره ، فقال له : تَمضى إلى غيرى . فولّى الشافعىّ وهو يقول :

علىّ ثيــابٌ لـــو تُبــاع جميعُها بفَلْسٍ لكان الفَلْس منهنّ أكثرا

وفيهنّ نفسٌ لـو يُقــاس ببعضها جميعُ الورى كانت أجلَّ وأخطرا

فما ضرَّ نَصلَ السَّيف إخلاقُ غِمْده إذا كان ماضٍ حيثُ أنفذتَه بَرى

فإنْ تكن الأيامُ أَزْرت بِبِزّتى فكم مِن حُسامٍ فى غِلافٍ تَكَسَّرا

٨ (فَإِنَّ الغِنَى والفَقْرَ فى مَذْهَبِ النُّهَى[(١)] لَسِيَّانِ بَلْ أَعْفَى مِنَ الثَّرْوةِ العُدْمُ)

التـــبريزى : سِــيّانِ ، أى مثلان . الثَّروة : المــال الكثير ، ومثله الثَّراء . والعُدم : الإعدام .

البطليـــوسى : يقول : إنّ الغنى والفقر ، وإن كان أحدهما عند الناس محبوبًا والثانى مكروها ، فإنهما فيما يُوجِبُ العقلُ مستويان ؛ لأن الإنسان لا يفضُل بكثرة المــال ، وإنما يُفضَّل بشرف الأفعال وكرم الخــلال ، أو بعَقل وعِلمٍ يســود بهما على الأقران والأمثال ؛ بل الفقرُ أرْوَح لصاحبه من الغنى ، وأحسنُ عاقبــةً عند ذوى النُّهى . وهــذا موضع قــد ٱختلف الناسُ فيــه ، فذهب قومٌ إلى تفضيل الفَقر على الغِــنى ؛ وذهب قوم آخرون إلى تَفضيلِ الغِــنى على الفَقــر . وبينهما فى ذلك تنازعٌ لا يَليق بمثل هذا الموضع . والسُّحم : السُّود . وسيّان : مثلان ، واحدهما سىّ . وأعفى : أروح وأقلّ همًّا . والثَّروة : كثرة المــال . والعُدْمُ والعَدَم : الفقــر .

---

(١) ا من التبريزى : « التقى » .

الخوارزمى : أعفى ، أفعل التفضيل من قولهم : « خذ من ماله ما عفا وصَفَا » ، أى فضل ولم يُشَبْ[(١)]. يعنى أن الفقر أسهل مُؤنة من الغِنى . وفى كلام عمر بن عبد العزيز : « ولعمرِى ما البراذين بأعفى من الفرس » . صدق أبو العلاء ؛ فإنّ نفائس الدنيا عند انتقادها بعين المعقول ، ليست سوى تراب ملوّن ومدَر منقوش ، وكُلُّ نفيس هذا مَخْبَره ، فالإعراض عنه خير من الاغترار به والإقبال عليه .

٩ ﴿ وَمَا نِلْتُ مَالًا قَطُّ إلّا وَمَالَ بِى وَلَا دِرْهَمًا إلّا ودَرَّ بِهِ الهَمُّ ﴾

التبريزى : يقال : دَرّ اللبن وغيره ، يَدِرّ ويدُرّ ، ثم يستعمل فى غير اللبن وما يُشبهه .

البطليوسى : سيأتى .

الخوارزمى : قوله « ومال بى » أى أطغانى . وهذا من قوله تعالى : ﴿ إِنَّ الإِنْسَانَ لَيَطْغَى . أَنْ رَآه اسْتَغْنَى ﴾ . فإن قلت : فما الواو الداخلة فى قوله « ومال بى » ، وقوله « ودرّ به » ؟ قلت : هى الواو التى تدخل على الجملة الواقعة صفة للنكرة ، فى نحو : جاءنى رجل ومعه آخر . ألا ترى أنك لو قلت : نلتُ مالًا مال بى ، بدون الواو ، لكان قولك «مال بى» صفة « مالا » ، فكذلك مع الواو . ونظائر هذه الواو فى « ورائى أمامُ »[(٢)] . فإن قلت : فهل يجوز أن يكون قوله « إلا ومال بى » فى محل النصب على الحال ؟ قلت : يمتنع ذاك ؛ لأنّ الحمل عليه يفسد المعنى . وذلك أنه يقتضى أن يكون للمال حالان : حال يميل فيها بصاحبه إلى الطغيان ؛ وحال لا يميل ؛ فيكون المعنى حينئذٍ فى بيت أبى العلاء

(١) فى الأصل : « يشق » .

(٢) البيت ١١ من القصيدة ١٠ ص ٤٠٠ .

أنى ما أصبت مالًا إلا فى حال ميله بى . وذلك بيّن البطلان . ونظيره قول أبى الطيب :

ولا أُعاشر مِن أملاكهم أحدًا إلاّ أحقَّ بضَرْب الرأس مِن وَثَنِ

لو ذهبت فى نصب «أحق» إلى الحال فسد به المعنى ، على نحو ما فسد به فى بيت أبى العلاء . ولقد أحسن حيث جانس فى كل واحد من المصراعين .

١٠ (لَكَ الخيرُ قد أنفذْتُ ماهو مَلْبِسى حَيَاءً وعِنْدَ اللهِ مِنْ قَائِلٍ عِلْمُ)

التبريزى : ... ...

البطليوسى : سيأتى .

الخوارزمى: الرواية فى « أنفذت » ضم التاء على الحكاية . ورواه بعضُهم « أنفدتَ » بفتح التاء على الخطاب ، وهذا سَهْو . لأن الأبيات التى تَرْدُف هذا البيتَ تدفع ذلك ، ولا سيما قوله :

فمنّىَ تقصيرٌ ومنك تفضّل بعُذر فلا حمدٌ علىّ ولا ذمّ (١)

١١ (ولوأنّه أَضْعَافُ أَضْعَافِ مثْلِه مِنَ التّبْرِ لَمْ يَثْبُتْ له فى نَدَاكَ اسْمُ)

التبريزى : ... ...

البطليوسى : جعل المال مشتقا من المَيْل ، كأنه سُمى بذلك لأنه يميل بالإنسان عن الواجب إلى ما ليس بواجب . وزعم أنّ الدرهم سُمى بذلك لأن الهم يدرَ به ، لأن صاحبه يحتاج إلى حفظه وتثميره ؛ ولذلك سُميت الزيادة على الكَفاف فقرا ، وجعلوا الكَفاف هو الغنى فى الحقيقة . وهو الذى أراده النبىّ

(١) البيت ١٣ من هذه القصيدة .

صلى الله عليـه وسلم بقوله : « اللهم إنى أسالك غناىَ وغِنى مولاى » . ولذلك قال سالم بن وابصة :

غِنَى النفسْ ما يَكْفيك من سَدّ خَلَّةٍ فإنّ زاد شيئاً عاد ذاك الغِنى فقـراَ

الخـــوارزمى : لو قال : « له علىّ دراهمُ مضاعفة » ، رُوى عن أبى يوسف أنه يلزمه سِـتّة . ولو قال : « أضعاف مضاعفة » أو « مضاعفة أضعاف » لزمه ثمانية عشر . ولو قال : « له علىّ عشرة دراهم وأضعافها مضاعفة » لزمه ثمانون . نُقل عن فتاوى قاضى خان . قوله « فى نَداك » ، أى فى جنب نداك . وعليـه بيت السقط :

يُؤَجِّج فى شُعاع الشمس نارًا ويقــدح فى تَلهبُّهـا زِنادا[1]

١٢ (وَأَهْوِنْ بِهِ فى رَاحَةٍ أَرْيَحِيَّـةٍ كَآخِرِ ماضٍ لَيْسَ مِنْ شأْنِه الضَّمُّ)

التــبريزى : أى راحته تهتزّ للعطاء ، مفتوحة أبدًا للنــدى ، غير مُنضـمة للبُخل ، كآخِر الفعل المـاضى المبنىّ على الفتح ، الذى لا ينضمّ أبدا ، ما دام مفردا .

البطلــيوسى : ســيأتى .

الخــوارزمى : الأريحية : تأنيث الأَريحىّ ، والنّسـبة فيهما غير حقيقية . أما قولهم : أخذَته الأريحيّة ، فالنسبة فيه حقيقية . عنى بالضم جمعَ المـال والحركةَ المخصوصةَ البنائية معا ، وهذا مليح . ونظير هذا فى « لعلّ نواها »[2] . و « الراحة » مع « الأريحية » تجنيس .

---

(١) البيت ٢١ من القصيدة ١٧ ص ٥٦٥ .

(٢) يريد البيت ١٩ من القصيدة ٤٠ ص ٩٠١ . وهو :

غدير وشـته الريح وشـية صانع فلم يتغير حيــن دام سكونهـا

١٣ (فَفِىَّ تَقْصيرٌ ومنكَ تَفَضُّلٌ ... بِعُذْرٍ فَلا حَمْدٌ عَلَىَّ ولَا ذَمُّ)

التبريزى ... ...

البطليوسى : أهون ، معناه تعجّب . عنى : ما أهونَ ما بعثتَ به . والأريحية : الكريمة التى ترتاح للعروف . وشبّه راحته فى بذلها وإنفاقها لما يحصل فيها ، وأنها لا تنضمّ على شىء لكرمها ، بآخر الفعل الماضى الذى يُبنَى فى أصل وضعه على الفتح فلا يتغيّر عن ذلك إلا أن يعرض له عارض من الإعلال يوجب سكونه ، كقولك رَمَى وغزا ، أو ضمير جماعة مؤنث ، كقولك ضربْن وقتلْن ، أو ضمير جماعة رجال يقتضى ضمه ، كقولك ضربوا وقتلوا .

الخوارزمى : هذا من باب قوله :

على أننى راضٍ بأنْ أحملَ الهوى ... وأخلُص منه لا علىّ ولاليا

١٤ (فلو كُنْتَ شِعْراً كُنْتَ أحسنَ مُنْشَدٍ ... سَلِيمَ القَوافِى لا زِحَافٌ ولا خَرْمُ)

التبريزى : الخَرْم : نقصان حرف من الوتد المجموع من أوّل البيت ، نحو قول أبى الطيّب :

لا يحزُنِ الله الأميرَ فإنّنى ... لآخذُ من حالاته بنصيبِ [1]

البطليوسى : الزحاف : عارض يعرض للسبب خاصة ؛ فإن كان السبب خفيفًا كان زحافه سُقوط الساكن منه ، وإن كان سببا ثقيلا عَرض له نوعان من الزحاف : أحدهما سكون ثانيه ، ويسمى الإضمار إن كان فى الكامل ، والعَصْب إن كان فى الوافر ؛ والثانى حذف ثانيه ، فيسمى الوَقْص فى الكامل ، والعَقْل فى الوافر . وأما العوارض التى تعرض للأوتاد فتسمَّى عِللًا ولا تسمى زحافا .

(١) مطلع قصيدة له فى ديوانه (١ : ٣٣) يعزى بها سيف الدولة عن عبده يماك التركى .

وربما تسامح بعض العروضيين فى ذلك فسمّى جميع ما يعرض للأجزاء زحافا ، والمعروف ما قدّمته .

والخرم : حذف أوّل الوتد المجموع . ولا يكون إلا فى صدر البيت ، ولا يكون فى صدر الشطر الثانى من البيت إلا فى شذوذ، ولا يكون إلا فى جزء أوّله وتد مجموع . وهى ثلاثة أجزاء : فعولن ، ومفاعلتن ، ومفاعيلن . وتختلف أسماؤها بحسب اختلاف مواضعها ، فيسمى فعولن المخروم أثلم، ويسمى مفاعلتن المخروم أعصب، ويسمى مفاعيلن المخروم أخرم. وأمّا الخزم، بالزاى المعجمة، فإنه ضدّ الخرم؛ لأنه زيادة تلحق فى صدر البيت لا يصح وزن البيت إلا بإسقاطها . وتلحق ما أوّله وتد مجموع. وأمّا ما أوّله وتد مفروق وما أوّله سبب ثقيل أو خفيف فلا يمتنع منه شىء من العروض . وأكثر ما يأتى فى صدر الشطر الأوّل من البيت، كقول امرئ القيس :

وكأنّ أبانًا فى أفانين ودقه   كبيرُ أُناس فى بجادٍ مُزمّلِ

وربما جاء فى صدر الشطر الثانى ، وربما جاء فى صدر كل واحد من الشطرين . فما جاء فى صدر الشطر الثانى قوله :

إنّ الذين تكبّروا   ما نطقوا بما جاء الرسول

فهذا البيت لا يصح وزنه إلا بإسقاط « ما » من أوّل الشطر الثانى .

ومما خُزم شطراه جميعا قول طرفة فى بعض الروايات :

هَل تذكرون إذ نقاتلكم   إذ لا يَضُرُّ مُعْدِمًا عدمُه

لا يصح وزنه إلا بإسقاط « هل » من الشطر الأوّل ، و « إذ » من الشطر الثانى .

الخـــوارزمى : الزحاف : أن يخالف السبب الأصـــل بنقصان أو زيادة . وهذا من قولهم : زُوحف عن الأصل ، أى بُوعد عنه وأُخِّر . الخـرم : نُقصان حرف من الوتد المجموع فى الصــدر ، وجُوِّز أيضا فى [غير] الابتداء . وقد جمعهما القائل :

لكنْ عُبيــد الله لمـا أتيتُــه أعطى عطاء لا قليلًا ولا نَزْرا

شُبِّه بما خُرم منه شىء ، أى قُطع . ونقيضه الخزم ، بالزاى ، وهو زيادة حرف أو حرفين أو ثلاثة أو أربعة فى الصــدر خاصة . شُــبِّه بخزم أنف البعير ، وهو أن تزاد عليه الحَلقة المسمّاة بالخِزامة .

[القصيدة الثامنة والخمسون]

وقال ببغداد ، من الطويل الثالث والقافية متواتر[(١)] :

١ ﴿طَرِبْنَ لِضَوْءِ الْبَارِقِ الْمُتَعَالِي   بِبَغْدَادَ وَهْنًا مَا لَهُنَّ وَمَالِي﴾

التبريزى : يعنى الإبل ، طَربتْ لمّا رأت البارق . وَهْنًا ، أى بعد قطعة من الليل .

البطليوسى : أراد أنّ إبله رأت البرق يلمع من شِقّ المَعَرّة ، فطربتْ إلى أوطانها . والطرب : خِفّة تُصيب الرجل وغيره ، لسرور أو جزع ، أو أمر يُقلقه فلا يستقرّ . ويحتمل أن يريد بالبارق البرق بعينه ، ويحتمل أن يريد السحابَ الذى فيه البرق . وأمّا قوله «المتعالى» فإنه يحتمل تأويلين . فإن كان أراد بـ«البارق» السحابَ ، فمعنى «المتعالى» : الذى ارتفع فى جوّ السماء ؛ وإن كان أراد البرق بعينه ، فإنه أراد البرقَ الذى يلمع فى أعالى السحاب فيشق السماء[(٢)] من أحد شِقّيها إلى الشقّ الآخر . والعرب تقول : إنّ البرق إذا كان هكذا لم يكد يُخلف ، فإذا لمع البرق فى أسافلها لم يكد يصدُق . وحكى ابن الأعرابىّ فى نوادره أن شيخا من العرب كان فى بيته ، فنشأت سحابة وكان ابنه تحت السماء فقال له : يا بنىّ كيف تراها؟ قال : أراها قد نكبت وتبهّرت ، وأرى برقها أسافلَها . فقال الشيخ : أخلقَتْ يا بنىّ . ومعنى نَكَبَتْ : عدلت عن القصد . ومعنى تبهرت : تقطعت . وفى «بغداد» لغات ، يقال : بغداذ ، بدال غير معجمة بعدها ذال معجمة ؛ وبغداد ، بدالين غير

---

(١) البطليوسى : « وقال من سقط الزند وهو ببغداد يذكر حنينه إلى وطنه » . وديباجة الخوارزمى كالتبريزى .

(٢) فى الأصل : « السحاب » .

معجمتين ؛ و بغدان ومغدان ، بدال غير معجمة ونون . والوهن والموهن : مقدار ثلث الليل الأول . وقوله « ما لهن ومالى » استفهام فيه معنى التوجع . يريد أنها لمـا حنّت إلى أوطانها حين رأت لمـع البرق ، شجتـه وبعثته على الحنـين . وهذا كما قال الآخر[1] :

حَنّت إلى برقٍ فقلت لهـا قِرِى   بَعْضَ الحنينِ فإنّ شَجْـوَكِ شائقى[2]

الخـوارزمى : بغداد ، بالذال معجمة وغير معجمة و بالنون أيضا . وكان الأصمعى يسمّيها مدينة السلام ، وينهى أن يقال بغداد ؛ لأنه سمع فى الحديث أن « بَـغْ » صنم و « داد » بالفارسية عطية ؛ فكأنها عطية الصـنم . البـاء فى قوله « ببغداد » تتعلق بـ « طربن » ، ولا يجوز أن تتعلق بـ « بالبارق » لأنه كان يلمع لهـا من الشام . « ما لهنّ ومالى » تعجب من حال الإبل وحاله . وهذا لا يتصل بظاهر الكلام السابق ، و إنما يتصل بما دلّ عليه فحواه . يقول : رأت هذه الإبل بعد مضىّ قطعةٍ من الليل سـنا بارقٍ يلوح ، فباتت وهى تطرَب وتخفّ ، إلى أن خشيتُ أن يلوى بها الطرب ، و يطيربهـا الشوق ، فأخذت أُسكنها وأُكفكف من غَرْبِهـا ، وهى لا تسكن ولا تمتنع ، ثم أُعاودها وتدافعنى ، إلى أن قضيت من كثرة معاودتى وشدة مدافعتها العجب . و إسراف هـذه الإبل فى الخفّة إلى أن خشى عليهـا الطيران ، وعكوفُ أبى العـلاء عليها بالتسكين ، و إن لم يكن مداولًا عليه بالمطابقة أو التضمن ، مدلول عليه التزامًا . والدليل على ذلك قوله[3] :

إذا لاح إيماضٌ سترتُ وجوهَها   كأنّى عمـرٌو والمَطِىُّ سَعَـالِى

وكم همّ نِضوى أن يَطيرَ مع الصَّبا   إلى الشـام لولا حَبْسُـه بعِقال

(١) هو عبد الله بن أرطاة المحاربى ، كما فى الأغانى (٢ : ٧٩) بولاق .

(٢) قرى ، من الوقار . وفى أ : « فإن هجرك » وفى حـ : « فإن برقك » صوابهما من الأغانى .

(٣) البيت الخامس والسادس من هذه القصيدة .

ومثل هذا الحذف والالتفات، له موقع حميد ، ومحل مرضيّ ، عند أصحاب علم المعانى .

١ (سَمَتْ نَحْوَهُ الأَبْصَارُ حَتَّى كَأَنَّهَا بِنَارَيْهِ مِنْ هَنَّـا وَثَمَّ صَوَالِى)

التبريزى : أى سَمَتْ الأبصار نحوَ البارق ، حتى كأن الأبصار تصطلى بناريه من جانبيه . وقوله « من هَنّا وثَمّ » كما يقال : جاءوا من هنّا ومن هَنّا ، أى من هذا الموضع وهذا . كما قال ذو الرمة :

هَنّـا وهَنّـا ومِنْ هَنّـا لَهُنَّ بهـا إذا تجـاوَبَ صوتُ الريح هَيْنومُ (١)

هينوم : مِن الهينمة ، وهو الكلام الخفىّ .

البطليوسى : سمت : ارتفعت . يقول : لمّا لمعَ هذا البرق شخصت نحوَه أبصار مَنْ ببغداد وأبصارُ مَنْ بالشام ، فأحدقت به كما يُحدق المصطلون بالنار . وأشار بهذا إلى انتشار البرق واستطارته فى الأفق، وحِرْص النفوس عليه ، وشدّة تشوُّفها إليه ؛ لأن المصطلى بالنار يؤجّجها ويُذْكيها ، لِماله من الرغبة فيها . وقوله « من هَنّا » أراد ما يلى بغداد ، وقوله « وثَمّ » أراد ما يلى الشام ؛ لأن « هَنّا » إشارة إلى ما قرب، و«ثم» إشارة إلى ما بعد . وإنما ثنّى النار ، لأنه أراد ما يرى منه بشِقّ بغداد وما يرى منه بشق الشام .

الخوارزمى : تثنية النار من حيث إن البرق كان يلوح فى كلا طَرَفَى السحاب .

---

(١) فى ديوانه ٥٧٥ — ٥٧٦ :

للجن بالليل فى حافاتها زجل كما تجاوب يوم الريح عيشوم

هنا وهنا ومن هنا لهن بها ذات الشمائل والأيمان هينوم

٣(إِذَا طَالَ عَنْهَا سَرَّهَا لَوْ رُءُوسُهَا   تُمَدُّ إِلَيْهِ فى رُءُوسِ عَوَالِى)

التبريزى : قال أبو العلاء : معناه أنّ البرق إذا طالها ودّت أنّ رءوسها تُقْطَع فتُجْعَل فى رءوس عوالٍ حتى تستمتع بالقرب منه . فكأن وجه الاستمتاع بالقرب منه أنه جاء من وطنها .

البطليوسى : يقول : إذا ما امتدّ البرق إلى ناحية الشام وغاب عن أبصارها فلم تَرَه، تمنّت أن تُقْطَع رءوسها وتُرْفَع فى عَوالى الرماح لتنظر إليه ، لشدّة حنينها إلى وطنها وحرصها على القدوم عليه . والعوالى : صدور الرماح . وإنما ذكر الطولَ لأنهم يجعلون مسافةَ ما بين المشرق والمغرب طولَ الفلك ، ومسافةَ ما بين الجنوب والشمال عرضه ، وهو ما مال عن معدّل النهار جنوبا وشمالا .

الخوارزمى : يقول : أبصار هذه الإبل قد سمتْ إلى ذلك البارق ، وكلّما بعُد عنها وارتفع تمنّت أن تُقْطَع رءوسها وتُرْفَع إليه على فروع الرماح . ومحصول معنى البيت شدّة اشتياق الإبل إلى الوطن .

٤(تَمَنَّتْ قُوَيْقًا والصَّرَاةُ حِيَالَهَا   تُرَابٌ لَهَا مِنْ أَيْنُقٍ وجِمَالِ)

التبريزى : قُوَيْق : نهرٌ على باب حَلَب . والصراة : ببغداد . تعجَّب منها كيف تمنَّى قويقا وهى عند الصراة ببغداد ، وهى أفضل وأطيب من قويق . وقوله « تراب لها » دعاء عليها .

البطليوسى : قويق : نهر حلب ، وهو نهر صغير . والصراة : مجتمع دجلة والفُرات . وحيالَها : قريبًا منها . وقوله « تراب لها » دعاء عليها حين آثرت قويقًا على الصَّراة ، جهلًا منها . وأكثر ما تقول العرب فى هذا المعنى :

تُرْبًا له ، وتُرْبٌ له ، نصبا ورفعا . وقد يقولون : تُراباً وتراب ، وهو قليل في كلامهم . قال الشاعر :

لقد ألَبَّ الواشون إلبًا لبيننا فتُرْبٌ لأفواه الوُشاةِ وجَنْدَلُ

وقال آخر :

ترابٌ لأهلي لا ولا نعمةٌ لهم لَشَدَّ إذن ما قد تَعَبَّدنِي أهلي

والمراد بقولهم «تُرْبًا له» الخيبة مما يأمُله. وقيل: المراد به أن يُصْرَع و يُقْتَل فيسقُط على وجهه وفمه ؛ كما قال الأشعث :

تناولتُ بالرمح الطويل ثيابَه فخَرَّ صريعاً لليدين وللفمِ

و إنما قال «تراب لها» ، فرفع ، لأن الرفع فى هذا أبلغ من النصب و إن كان النصب أكثر استعمالا ؛ لأنه إذا نصب فإنما هو داعٍ وسائلٌ أن يقع بها ذلك ، و إذا رفع جعله بمنزلة الشيء الذى قد وقع وثبت ، و إن كان لا ينفك من معنى الدعاء رفعًا ونصبا .

الخوارزمى : قويق، فى «ابقَ فى نعمة»[1] . الصراة ، فى «تفديك النفوس»[2] .

قوله « تراب لها » بُعْد . إنه فى مقام الالتفات مليح ؛ لأنه يريد أن هذه الإبل غير منصفة ، ترغب عن الصراة وهى حاضرة وماؤها ماؤها ، إلى قويق وهو عنها غائب . فلا شربت بعد هذا ماء ، بل كان لها بدل الماء التراب . ومن هذا الباب بيت العراقيّات :

أُفقى من جوًى يأيها المهرُ إننى وإيّاكَ فى أهل الغضا غُرُبانِ[3]
يشوقك ماءٌ بالأباطح سَلْسلٌ وقد نشِجتْ بالأبرقين شِنَانِى[4]

(١) البيت ٢٦ من القصيدة ٤ ص ٢٣٥ .
(٢) البيت ٢٤ من القصيدة ٣٣ ص ٧٨٥ .
(٣) الغرب، بضمتين : الغريب .
(٤) ديوان الأبيوردى ٣٣٨ . ونشجت : غلى ما فيها . والشنان : جمع شن ، وهي القربة الخلق الصغيرة .

٥ ﴿إذا لاحَ إيمَاضٌ سَتَرتُ وُجُوهَهَا كأنّيَ عَمْرٌو والمَطِيُّ سَعَالِي﴾

التبريزى : كانت العرب تذكّر الغُول والسِّعْلاة ، ويدّعون أنهم ينكحونها . ومن ذلك ما زعموا أن عمرو بن يَرْبوع بن حنظلة بن مالك بن زيد مناة بن تميم تزوج السعلاة . فقال له أهلها : إنك ستجدها خير امرأةٍ ما لم ترَ برقًا . كأنهم حذّروه من حنينها إلى وطنها إذا رأت البرق . فكان عمرو بن يربوع إذا لاح البرقُ سترها عنه . وولدت له أولادا ، فغفَل ليلةً ولاح البرق ، فقعدت على بكرٍ له وقالت :

أَمْسِكْ بَنِيكَ عمرُو إنى آبِقُ بَرْقٌ على أرض السَّعالِى آلِقُ(١)

وسارت عنه فلم يرها بعد ذلك ، فقال شعرا جعل السعلاة فيه كالحبيب المذكر فيه :

رأى برقًا فأوضع فوق بَكْرٍ فلا بك لا أسال ولا أغاما(٢)

أوضع ، أى حمل بكره على الوضع ، وهو ضرب من السير . وقوله « لا أسال ولا أغاما » أى لم يأت ذلك البرق بغيم ولا سيل . قال الراجز يهجو بنى عمرو ابن يربوع :

يا قَبَح الله بنى السِّعلاةِ عَمْرو بن يربوع شِرارِ النَّاتِ

* ليسوا بأخيارٍ ولا أكيات *

يريد « الناس » « وأكياس » بجعل السين تاء ، لتكون مع تاء السعلاة . وهذا عند أهل العلم من عيوب الشعر . وبعضهم يسميه البدل ؛ لأنه أبدل من الحرف

(١) انظر نوادر أبى زيد ١٤٧ .

(٢) كذا . والرواية فى نوادر أبى زيد ١٤٦ : « ما أسال وما أغاما » . وكذلك فى البطليوسى ، كما سيأتى .

سواه . ومعنى البيت أنه يقول : كلّما لاح البرق سترتُ وجوه هذه الإبل، لئلا تفعل معى فعل السِّعْلاة مع عمرو .

البطليوسى : لاح : ظهر ولمَع . والإيماض : لمع البرق . و يعنى بعمرو ، عمرو بن يربوع بن حنظلة . والسّعالى : جمعُ سِعْلاة، وهى ساحرة الجنّ . و إنما ذكر هذا لأن العرب كانت تزعم أنّ عمرو بن يربوع تزوج سِعلاة، فقال له أهلها : إنك ستجدها خير امرأة ما لم تر برقًا فتحنّ إلى وطنها . فكان عمرو بن يربوع إذا رأى غيمًا فى السماء سترها، لئلا يلمع برقٌ فتراه . فلم تزل معه حتى أولدها ، وظنّ لطول الصحبة وما لها منه من الذريّة أنها لا تفارقه، فغفل عن حفظها. فرأت برقًا قد لمع ، فاستوت على بكر(١) من الإبل وقالت :

أَمْسِكْ بَنِيك عمرُو إِنّى آبق   برقٌ على أرض السعالى آلِقُ

ثم مرّت فلم يرها بعدُ . فقال فى ذلك عمرو شعره الذى يقول فيه :

رأى برقًا فأَوضَعَ فوقَ بكْرٍ   فلا بك ما أسالَ وما أغاما

ولذلك قال بعض الرجّاز يهجو عمرو بن يربوع :

يا قاتل الله بنى السِّعْلاة   عمرو بن يربوع شِرارِ النّاتِ

أراد «الناس» .

الخوارزمى : فى حكايات العرب أنه تزوج عمرو بن يربوع بن حنظلة بن مالك بن زيد مناة بن تميم سِعلاة ، فقيل له : ستجدها خيرَ امرأة ما لم ترَ برقا . كأنهم حذّروه حنينها إلى وطنها إذا رأت البرق . فكان عمرو إذا لاح برق سترها عنه، وولدت له أولادا . ثم لاح البرق ليلةً وغفل عمرو، فقعدت على بكر له ، وقالت:

أَمْسِك بَنِيك عمرُو إِنّى آبقُ   برقٌ على أرض السَّعالِى آلِقُ

(١) أ من البطليوسى : « فوق بكر » .

وسارت عنه فلم يرها بعد ذلك . قال الراجز يهجو بنى عمرو :

يا قبّح الله بنى السعلاة عمرو بن يربوع شرار النات

* ليسوا بأخيار ولا أكيات *

يريد « الناس » و « والأكياس » ، فأبدل التاء من السين . ونظير هذه الحكاية ما حكى لى بعض العلماء البناكتية[1] ، أنه قد اصطاد فيما مضى من الزمان بعض الأمراء الروذبارية[2] جارية بحرية جميلة ، فى سَيْحون ، فوكل لها من يحفظها ويرقُبها ويتعهّدها بإدخالها فى الماء ، حتى إذا بقيت عنده مدّة ، وولدت له أولادا أمنوا فرارها وتغافلوا عنها ، فانتهزت[3] الفرصة ورمت بنفسها إلى سيحون فغابت ثم لم تعد . قال الحاكى : والذى حدّثنى بهذه الحكاية كان من نواقل تلك الجارية البحرية . انتهى كلام البناكتىّ .

هذه الحكاية إن كانت صدقا فذاك ، وإلا فقد عارضت كذبا بكذب .

٦(وَكَمْ هَمَّ نِضْوٌ[4] أَنْ يَطِيرَ مَعَ الصَّبَا إِلَى الشَّامِ لَوْلَا حَبْسُهُ بِعِقَالِ)

التبريزى : ... ...

البطليوسى : سيأتى .

الخوارزمى : يقول : كأنّ الهزيل من هذه الإبل ، لشدّة هُزاله وغاية خفّته وفرط اشتياقه إلى الوطن ، تطير به الريح ، وإن كانت لينة الهبوب .

---

(١) البناكتية : نسبة إلى « بناكت » بالفتح وكسر الكاف وآخره تاء مثناة ، وهى مدينة مما وراء النهر خرج منها طائفة من أهل العلم .

(٢) الروذبارية : نسبة إلى « روذبار » وهى ناحية من طسوج أصبهان .

(٣) فى الأصل : « فانتهت » .

(٤) فى الخوارزمى والديوان المخطوط : « نضوى » .

٧(وَلَوْلَا حِفاظِى قُلْتُ لِلْمَرْءِ صَاحِبِى ... بِسَيْفِكَ قَيِّدْها فَلَسْتُ أُبَالِى)

التبريزى : يقال : قيّد راحلته بالسيف ، إذا ضربها به ؛ لأنه يمنعها من المشى إذا عقرها ، فكأنها مقيدة . قال ابن مُقْبِل :

يا صاحبىّ على ثاج سبيلُكما[1] ... علمًا يقينًا ألمّا تعلما خبرى
أنّى أُقيّد بالمأثور راحلتى ... ولا أُبالى وإن كنّا على سفر

المأثور : السيف ؛ قيل سمى بذلك لأجل إثره ، أى فرنده . وقيل : المأثور : الذى فيه أثَر ، أى ثلم . وفى صفة ناقة عقرت ما أنشده الأُشناندانى :

لاذتْ ولمّا تَلُذْ منه براكبها[2] ... حتى اتّقاها بنِكْلٍ غير مسمور
ثم اشتلاها بخلّى عن شطائبها ... مُعوّدٌ ضَرْبَ أعناق البهازير

راكبها : سنامها . والمعنى أن الرجل كان إذا رأى ناقة وراكبها ، أى سنامها ، كره أن يعقرها . واشتلاها ، أى أخذ بقية أشلائها ، أى لحمها . والنكل[3] : القيد . أى إنه رجل كريم لم ترغّبه الناقة فى ترك عَقْرها لحسنها وعظم سنامها ، فلم يعصمها ذلك منه . والشطائب : قطع السنام المستطيلة . والبهازير : جمع بُهْزُرة أو بُهزورة ، وهى الناقة العظيمة[4] . وهذا معنى يتردّد فى شعر العرب . يقال : أخذت له الإبل

(١) ثاج : عين من البحر بن على ليال . وكان تميم بن أبى بن مقبل العجلانى مر بثاج على امرأتين فاستسقاهما فأخرجتا إليه لبنا ، فلما رآتاه أعور أبتا أن تسقياه ، فقال هذين البيتين . فلما سمع أبوهما قوله قال : ارجع معى إليهما . فرجع معه ، فأخرجهما إليه وقال : خذ بيد أيتهما شئت ، فاختار إحداهما فزوجه منها . انظر معجم البلدان لياقوت فى رسم (ثاج) . والذى فى أصول التبريزى : «ثأد» بالدال المهملة تحريف .

(٢) انظر معانى الشعر للأشناندانى ١٣٠ . حـ : « مسبور » .

(٣) بكسر النون ، وهو القيد . وفى معانى الشعر للأشناندانى ص ١٣٠ : يعنى السيف ، يريد أنه ضرب قوائمها فصار كأنه قيد لها » .

(٤) حـ : « الغليظة » .

سـلاحها ورماحها ، إذا كانت سمـانا فزهّدته فى عقرها . ومن ذلك قول ليـلى الأخيليـــة :

ولا تأخُذ الشَّوْلُ الجِلادُ سلاحَها　　لتـوبةَ فى صِرِّ الشـتاء الصَّـنَابِر (١)

البطليـــوسى : النضو : البعير الذى أنضاه السفر، أى هَزَله وأضعفه . والصَّبا : الريح الشرقيـة . والحفاظ : مصدر حافظ على الشىء، إذا لازمه ورعاه . وأراد بالحفاظ هنا رعاية الصحبة، والإبقاء على ذى الذِّمام والحرمة . يقول : لولا رعايتى لمن يصحبنى، وأنّ لهـا علىّ حقّا لِقَطعى بها الفلوات، وتخليصها لى من الهلكات؛ لأمرت صاحبى أن يعـرقبها بالسيف ، ولم أبال بمـا أصابها من الحيف . وسمّى عرقبتها بالسيف تقييدا، كما قال الآخر :

لحزّ وظيفَ القَرْمِ فى نصف ساقِهِ　　وذاك عِقـالٌ لا يُنَشَّطُ عاقِــلُهُ

الخــوارزمى : قوله « صاحبى » بدل من « المرء » . ومعنى البيت من قول ابن مقبل :

إنى أُقَيِّـد بالمأثور راحلتى　　ولا أُبالى وإن كنّا على سَفَر

وما ألطفَ بيتَ العراقيات :

فتًى سَيْبُه قيدُ الثناء وسيفُه　　لأُدْمِ المَتَالى فى الشتاء عقالُ (٢)

وقد ملّح فى استعارته التقييد للعرقبة ، وأحسن حيث قدّم قوله « بسيفك » على « قيّدها »، ليعلم فى أوّل الأمر أنه يريد بالتقييد العرقبة .

٨﴿أَأَبْغِى لَهَـا شَرًّا وَلَمْ أَرَ مِثْلَهَا　　سَـفَائِرَ لَيْـلٍ أَوْ سَـفَائِنَ آلِ﴾

التــبريزى : بعض الناس يجعل الآل فى أوّل النهار، والسراب فى الهاجرة؛ وبعض النـاس لا يفرّق بينهما ، وهو الصحيح؛ لأن الأصل واحد . والسفائر :

(١) انظر قصيدة هذا البيت فى الأغانى (١٠ : ٧٥ — ٧٧) .

(٢) ديوان الأبيوردى ٢٥٣ . والمتالى : جمع متل ومتلية ، وهى الناقة يتلوها ولدها ، أى يتبعها .

جمع سفيرة، كأنها سفيرة إليه، أى مرسلة . والنوق تشبَّه بالسفين ، فيجعل الآل لها كالماء؛ لأن الآل يرفع الشخوص .

البطليوسى : سيأتى .

الخوارزمى : هذا استفهام إنكار. « سفائر ليل » منصوب على أنه عطف بيان من قوله «مثلها» . ويحتمل أن يكون انتصابه على أنه مفعول «أر» . و«مثلها» منصوب على الحال من «سفائر ليل» . السفائر : جمع سفيرة، تأنيث سفير، وهو الذى يسفِر بين القوم ليصلح ما بينهم[1] . والمراد بها فيما نحن بصدده : متردّدات ليل . ونحوه بيت السقط فى صفة حُمر الوحش :

* ولا قَلِقاتُ الليل باتت كأنّها[2] *

و«السفائر» مع «السفائن» تجنيس المضارعة .

٩ (وهُنَّ مُنِيفَاتٌ إذَا جُبْنَ وَادِيًا تَوَهَّمْتَنَا مِنْهُنَّ فَوْقَ جِبَالِ)

التبريزى : جُبْن، أى قَطعن . وهنّ منيفات : مثل الجبال . وفى البيت من الصنعة أن الوادى ضدّ الجبل .

البطليوسى : جعلها سفائن للآل ، لأنّ السراب وهو شبه الماء ، يرى فى نصف النهار . وهو نحو قول آمرئ القيس :

فشبَّهتُهم فى الآل لمّا تكمَّشُوا حدائقَ دَوْمٍ أو سفينا مُقَيَّرا

وأمّا قوله «سفائر ليل» فيحتمل ثلاثة أوجه : أحدها أن يكون من قولهم : سفرت الإبل وأسفرت، إذا ذهبت على وجوهها . والثانى أن يكون من قولهم :

---

(١) يقال سفر بين القوم يسفر (وزان نصر وضرب) سفرا ، بالفتح ، وسفارة كسحابة وكتابة . وفى الأصل : « يسافر » تحريف .

(٢) صدر البيت ٢٢ من القصيدة ١٤ ص ٩٢٠ . وعجزه :

* من الأين والإدلاج بعض القنا اللدن *

سَفَرتُ البعير، إذا جعلتَ على أنفه السِّفار؛ وهى حديدة أو وترملوى، لتُـذلّه وتروضه، وإنما يُفعل ذلك به إذا كان صعبا، فكأنه أراد أن هذه الإبل تُذلّ الليل وتهوّن صعوبته على راكبه؛ فيكون كقول الراجز فى صفة الإبل (١) :

بنات وَطّاءٍ على خدّ الليلْ   لأُمّ من لم يتخذهن الويلْ

ونحو من هذا قول حبيب :

فضربْتَ الشتاء فى أَخْدَعَيْه   ضربةً غادرته عَوْدًا رَكوبا

فيكون فى هذين الوجهين قد بنى من سَفَر اسما على زنة فَعُول، على جهة المبالغة، ثم جمعه على فعائل، كما قيل، رسول ورسائل، بمعنى الرسالة، وركوب وركائب. والوجه الثالث أن يكون «سفائر» جمع سفير، وهو الرسول الذى يمشى بين القوم فى الصلح؛ فلما كانت الإبل تهوّن على راكبها ركوب الليل وتزيل عنه صعوبته وتوصله إلى ما يريده، جعلها كالسفراء الذين يصلحون بين القوم حتى يزول ما بينهم من الأحقاد. والمنيفات : المشرفات الخَلْق. يقول : إذا ركبناها فكأننا فوق جبال، لارتفاع خَلْقها؛ كما قال أبو الطيب :

* كأنه فى رَيْد طودٍ شاهق * (٢)

وجُبْنَ : خرقن وقطعن.

الخوارزمى : فى هذا البيت لطيفة. وذلك أن الإبل لم تشبَّه فيه على الإطلاق بالجبال، بل شبِّهت بها وهى فى الوادى. يريد أن هذه الإبل لارتفاعها كلما هبطت واديا رأيتها بمنزلة الجبال المحيطة بذلك الوادى.

(١) انظر ما سبق فى حواشى ص ٨٠٨.

(٢) يصف الفارس فوق فرسه. ديوان المتنبى (١ : ٢٦٠).

١٠ (لَقَدْ زَارَنِي طَيْفُ الخَيَالِ فَهَاجَنِي فَهَلْ زَارَ هٰذِى الإِبْلَ طَيْفُ خَيَالِ)

التبريزى : المراد : لقد زارنى طيفُ خيالٍ كالذى يراه الناس فى النوم ، فهل الإبل يزورها الخيال كما يزور غيرها من الإنس .

البطليوسى : يقول : قد أطربنى لمع البرق كما أطربها ، ولكنه لم يبلغ بى من النِّزاع إلى الوطن ما بلغ بها ؛ وإنما بعث وجدى وهاجنى ، طيف خيالٍ زارنى ؛ فهل زار هذه الإبل طيف خيال فى نومها بعثها على النزاع ، وزاد فيما هاجه لها البرق من الشوق والالتياع ؛ فلذلك أفرطت فى الحنين إلى أوطانها ، ولم يسكن لاعج لوعتها وأحزانها .

الخوارزمى : ... ...

١١ (لَعَلَّ كَرَاهَا قَدْ أَرَاهَا جِذَابَهَا ذَوَائِبَ طَلْحٍ بِالْعَقِيقِ وَضَالِ)

التبريزى : الضال : السِّدر البرىّ الذى ليس على ماء ، والعُبْرىّ منه : ما كان على نهر . قال ذو الرمة :

قطعتُ إذا تجوّفت العَواطِى ضروبَ السِّدْر عبريًّا وضالاً (١)

العواطى : جمع عاطٍ وعاطية ، وهى التى تعطو الورق من الشجر ، أى تتناوله . ويقال : تجوّف الوحشى الشجرة ، إذا لجأ إليها من شدّة الحر . والمعنى : لعل هذه الإبل قد أراها كراها أنها فى موضع يسرّها أن تكون فيه ، كما أن رُكبانها قد رأوا مثل ذلك فى النوم .

البطليوسى : عنّف الإبل أوّلا لكثرة نزاعها وطربها ، ثم عاد يطلب لها العذر فى باعث لوعتها وسببها ، فقال : لعلها نامت فرأت فى منامها مَسْرَحها

(١) ديوان ذى الرمة ٤٤٠ . وتجوّفته : دخلت فى جوفه .

بالعقيق كما عهدتْ ، وتَناوُلَها فروع الطلح والضال كما تعوّدت ؛ فهاجَ لها من الشوق أكثرَ ممـا هاجه لامعُ هـذا البرق ؛ فلِمَ أُعنِّفُها فى إفراط حنينها ، ولا أَعْذِرها فيما تُبـديه من صبابتها وشجونها ؛ وليس من البعيد أن يتخيـل فى النوم سائرُ الحيوان كالذى يتخيل الإنسان . والكرى : النوم . و«الجـذاب» مصـدر جاذبَ الشىءَ يُجاذبه . والجذاب والمجاذبة إنمـا يكون من اثنين فصاعدا . وكان يجب أن يقول «جذبها» . ففى هذا وجهان : أحدهما أن المفاعلة قد تكون من واحد ، كقولهم : عافاك الله ، وطارقت النعل . والثانى أن الإبل إذا رعت ورق الشـجر فربمـا كان الغصن فى موضـع لا تُدركه عفوًا حتى تتكلف مشقة فى جذبه إلى أنفسها ، وربمـا أفلت الغصن من أفواهها بعـد أن تَناولته فعاد إلى موضعه ، فصار ذلك بمنزلة المغالبـة والمعالجة . والذوائب : الأعالى . والعقيـق : اسم واد . والطلح والضال : ضربان من الشجر .

الخـوارزمى : « ذوائب طلح » منصـوب على أنه مفعول « جذابها » . العقيق، فى «ليت الجياد»(١) . والبيت الثانى تقرير للبيت المتقدّم .

١٢ (ومَسْرَحِها فى ظِلِّ أَحْوَى كأَنَّها إذَا أَظْهَرَتْ فيه ذَوَاتُ جِجَالِ)

التـبريزى : الهاء فى «مسرحها» عائدة على الإبل . والمسرح، عطف على «الجذاب». أى ذكّرها ما رأته أوطانَها التى كانت ترعى فيها الطلح، وهو ضرب من العِضَاه . والإبل توصف بالرِّعية؛ يقال : إبل طِلَاحيّة وطُلَاحيّة ، إذا كانت ترعى الطلح . وذكر سكونها وهى ترعى فى ظلّ شجر أحوى، أى من خضرته يضرب إلى السواد . يقول : كأن هـذه الإبل إذا أظهرت فيه ، أى إذا كانت فى وقت

(١) البيت السابع من القصيدة ٢٩ ص ٧٣٤ .

الظهيرة — وهو نصف النهار — فكأنها مستترات بحجال[1] . ويجوز أن يروى « إذا ظهرت » من الظهور للعين . أى هذا الشجر يسترها من الشمس ، فهى حسنة الحال فى رِعْيِها وقلة ممارستها الحز .

البطليوسى : المسرح، يكون مصدرا من سَرَحتِ الماشية ، ويكون اسم الموضع الذى تَسرَح فيه. وأراد بـ«الأحوى» نباتًا قد اشتدت خضرته حتى خالطها سواد . وأظهرت : دخلت فى الظهيرة، وهى القائلة. والحِجَال : الستور . أراد أنه مكان مخصب كثير الشجر ، فهى تستظل بأفنانه من حر الشمس ، كأنهن نساء فى حِجال . كما قال ذو الرمة :

إذا ذابت الشمسُ اتقَّى صَقَراتِها بأفنان مَربوع الصريمة مُعْبِلِ[2]

الخوارزمى : شَعر أحوى : أسود ؛ ورجل أحوى : شابٌّ أسود الشعر، وعنى بـ«أحوى» هاهنا شجرًا يضرب بخُضْرته وشدّة ريّه إلى السواد . وسمِّيت قرى العراق سوادًا لخضرتها . ومنه : (مُدْهَامَّتانِ) . فى أساس البلاغة : « أظهرنا : دخلنا فى وقت الظهر . ونحوه أهجرنا[3] . قال الراعى :

أخاف الفلاةَ فارمى بها إذا أعرض الكانسُ المُظْهِرُ »

يقول : لعل الحُلُم قد ذكّر هذه الإبلَ رعيَها تحت الظلال، واحتجابَها بتلك الشجر كأنها غوانٍ قد استترن بالحجال . وهذا من قول مضرّس الأسدىّ :

ويومٍ من الشِّعْرَى كأنّ ظباءه كواعبُ مقصورٌ عليها سُتورُها[4]

(١) أ من التبريزى : « فى حجال » .

(٢) ديوان ذى الرمة ٥٠٤ . ذابت : اشتد حرها . والصقرات : شدة وقع الشمس . والمعبل : المورق .

(٣) هاتان الكلمتان ليستا فى النسخة المطبوعة من أساس البلاغة .

(٤) انظر الحيوان (٥ : ٧٨) حيث أورد قرينين لهذا البيت .

قال القُتَبى : يريد أنها قد كنستْ . وللظباء مَكْنَسانِ : مكنس الضحى ، ومكنس العشىّ . وقوله « مقصور عليها ستورها » يريد سترت أبدانَها غصون الأَرْطَى .

١٣ ﴿حَلُمْنَا بِأَسْنَانِ الكُهُولِ وَهٰذِهِ   شَوَارِفُ تَزْهَاهَا حُلُومُ إِفَالِ﴾

التبريزى : الشوارف : جمع شارف ، وهى المُسِنّة من النوق . وتزهاها : تستخفّها . والإفال : جمع أَفِيل ، وهو الصغير من الإبل ، مثل فَصِيل وفِصال . والمعنى أنّ هذه الإبل يجوز أن تكون قد رأت هذه المواضع فى النوم ، فهاج لها ذلك حنينًا مطربا ، كما أنّنا حننّا إلى الأوطان ، إلا أنّنا حَلُمنا — من الحِلْم — لأنّا مكتهلون — من التّكهل ، إذ كان الكهل يجب أن يتوقّر ، وهذه النوق شوارف وهى من خفّتها كأنها إفال ، ولم تجر مجرانا فى صبرها عن الحنين . أى حَلُمْنا ونحن كهول ، وهذه قد خفّت وكان سبيلها أن تحلُم ؛ لأنها مسنّة .

البطليوسى : يقال : حَلُمَ الرجلُ يحلُم حِلْمًا ، إذا عقل . والشوارف من الإبل : المسنّة . والإفال : الصغار ، واحدُها أفيل . قال الراجز :

* فإنّمـا القَرْمُ من الأفيـلِ[1] *

وتزهاها : تستخفّها وتُقلقها . وأكّد بهذا الذى ذكَرَه عذرَ الإبل فيما أبدته من إفراط النزاع ، فقال : نحن كهول أفادتنا السنّ معرفةً بالدهر ، فزال عنا جهل الغَرارة والصِّبا ، وصرنا من ذوى الحلوم والنُّهى ؛ وهذه الإبل لم تُفِدها أسنانها حِلْماً ، ولا كسبها الزمانُ معرفة وعلما ؛ فالشوارف منهـا كالصغار فى أحلامها وطباعها ، فلذلك تفرط فى حنينها ونزاعها . وهذا نحو قول الآخر :

لا تصبِر الإبلُ الجِـلادُ لفُرْقةٍ   حتى تحِنّ ، ويصـبِرُ الإنسانُ

(١) انظر الحيوان (١ : ٨) .

الخـــوارزمى : حَلُمنا ، من الحِلْم ، بكسر الحاء . فى أمثالهم : « أحَنّ من شارف »[1] لأن المسنّة من النوق أشدّ حنيناً إلى ولدها من غيرها . الحلوم : جمع حُلْم بالضم ، وهو ما يراه النائم . الإفال ، فى « أعن وخد القلاص »[2] . المصراع الأخير ينظر فى قوله :

* فهل زار هذى الإبل طيف خيال *

يقول : نحن مع أنّا كهول غير هَرْمَى ، نستعمل الحِلم ولا نجزع بمفارقة الوطن . وهــذه الإبل مع إشرافها على غاية الهرم ، كلما رأت فى النوم مسرحها تصابت ، وترقَّى[3] بها الشوق حتى ذهبت مذهب الفِصال . « وحلمنا » مع « حلوم » تجنيس .

١٤ (تَرَى العَــوْدَ مِنْهَا باكِيًا فَكَأَنَّهُ فَصِيلٌ حَمَاهُ الخِلْفَ رَبُّ عِيَالِ)

التـــبريزى : معنى هذا البيت متعلّق بما قبله . والعَود : المُسِنّ من الإبل ، وكأنّه مع ذلك فصيل قد مُنع من الرضاع ، فحنينه متوالٍ لقلة صبره .

البطليـــوسى : هذا البيت متمم لمعنى البيت الذى قبله . والعَود : الجمل المسنّ . قال الراجز :

* عَودٍ على عَوْدٍ على عَوْدٍ خَلَقْ[4] *

يعنى بالعود الأوّل شيخًا مسناً ، و بالثانى جملا شارفا ، و بالثالث طريقا قديما . والخِلف للناقة ، بمنزلة الضَّرع للشاة والعنز ، وربما استُعمِل كل واحدٍ منهما مكانَ صاحبه . وحَمَاه : منعه الرضاع .

الخـــوارزمى : العَود : هو المسنّ من الإبل ، سمّى بذلك لأنه فى أواخر عمره يعود إلى ما كان عليه فى أوائله من الضعف . الفصيل ، من أولاد الناقة : ما فصل

(١) و بضمتين أيضا .

(٢) البيت ٥ من القصيدة الأولى ص ٣٣ .

(٣) فى المخطوط : « وتزف » .

(٤) البيت فى اللسان (عود) .

عن أمه . وقوله « حماه الخلفَ ربُّ عيال » دليل على صحة هذا الاشتقاق . يقال : حَمَيت المريضَ الطعامَ، يتعدى إلى مفعولين . قال :

* كأنّك يحميك الشرابَ طبيبُ[(١)] *

ولقد أصاب حيث خصّ ربَّ العيال، لأنه لعالته[(٢)] أحوجُ إلى اللبن ، فيكون أمنع للفصيل عن الارتضاع .

١٥ (فآبَكَ هذا أخْضَرُ الجَالِ مُعْرِضًا   وأزْرَقُ فاشْرَبْ وارْعَ ناعِمَ بالِ)

التبريزى : الجال والجُول[(٣)] : الجانب . وآبَكَ : كلمة تقال عند الزجر . وأنشد سيبويه :

آبـكَ أيِّهْ بِيَ أو مُصَـدَّرِ   من حُمُرِ الجِلّةِ جابٍ حَشْوَرِ[(٤)]

أيِّهْ بى ، أى صِحْ : ياه ياه . المصدَّر : العظيم الصدر ؛ وهو معطوف على الياء فى « بى » ، يستشهد به على العطف على المضمر المخفوض[(٥)] . والجِلّة ، معناه القوم الأجِلّاء . ومن روى «الحِلّة» فهو اسم موضع ، وقيل : هى الحِلّة من حِلَل الأعراب. والجاب : الغليظ . والحَشْوَر : العظيم الجنبين . وأنشد أبو زيد :

فآبَكَ هَـلّا والليـالى بِغـرّةٍ   تزورُ وفى الأيام عنـك غفولُ[(٦)]

(١) كذا . والرواية المشهورة : «يحميك الطعام» من بيت لعريقة بن مسافع العبسى فى الأصمعيات ١٥ . وهو تمامه :

تقول سليمى ما لجسمك شاحبا   كأنك يحميـك الطعام طبيب

(٢) العالة ، هنا : جمع عيل وعيال ، وهو من تتكفل بهم .

(٣) ويقال : «الجيل» أيضا بالكسر .

(٤) انظر اللسان (أوب) . والتأييه : التصويت بالإبل ودعاؤها .

(٥) يريد بدون إعادة الجار .

(٦) رواية اللسان (أوب) : « تلم وفى الأيام عنك » مثل رواية الخوارزمى .

ومُعْرِضا ، أى مُمْكنا . وأزرق، أى ماء صافٍ . فاشرب أيها العَود وارع، واسلُ عن بلادك الأُوَل ودع حنينك إليها .

البطليوسى : آبك، كلمة تستعملها العرب فى الزجر عن الشيء أو الحضّ عليه . ومعناها عاوَدَك ما تكره؛ من آب يؤوب، إذا رجع . والفاعل مضمر، تُرِك ذكره حين فُهم المراد به . قال الشاعر :

فآبكَ هلّا والليالِى بغِرّة ... شكوتَ وفى الأيام عنك غفولُ

وقال الراجز :

آبكَ أيِّهْ بِىَ أو مُصَدَّرِ ... من حُمُر الجِلّة جأْبٍ حَشْوَرِ

والجال والجُول : ناحية البئر والنهر . وجعله أخضر لخصبه وكثرة نباته . ومُعْرِض : ممكن غير ممنوع . والأزرق : الماء الصافى . يقول للجمل العود إذ رآه قد أكثر الحنين إلى وطنه : أبعدك الله! مالك تحنّ وهذا مرعى مونق، وماء أزرق، فلينعم بالُك، وليزُلْ حنينُك و بلبالك .

الخوارزمى : فى أساس البلاغة : «آبك ما رابك ، دعاء سوء . وتقول لمن أمرته بخُطّة فعصاك ثم وقع فيما يكره : [آبك ، أى] (١) آبك ما تكْره . قال رجل من بنى عقيل :

أخبرتَنى ياقلب أنك ذو غَرًى (٢) ... بليلى فذُقْ ماكنت قبلُ تقول

فآبَكَ هَلّا والليالى بغِرّة ... تلمّ وفى الأيام عنك غُفولُ»

ترك الإخبار عن العَود إلى خطابه . جال البئر وجُولها : أى جانبها الذى يجول بها، أى يحيط . وعنى بأخضر الجال، روضًا . أعرض لك الشيءُ، إذا أمكنك من

(١) التكملة من الأساس .

(٢) الغرى، بالفتح : الولوع .

من عُرْضه، أى جانبه . وانتصاب قوله «مُعْرضا» على الحال ، والعامل فيه مافى «هذا» من معنى الإشارة . ونحوه : ﴿هَذَا بَعْلِي شَيْخًا﴾ . عنى بـ«ـأزرق» ماءً يضرب إلى الزُّرقة لونه ، لشدّة صفائه . ومعنى البيت من قولهم : هم بين روضة وغدير . يريد تمتّع بهما رعياً وشرباً ، واسلُ عن مراتع بلادك ، ولا تُخطرها بفؤادك . وهذا البيت يلاحظ قوله :

* تمنتْ قويقا والصراةُ حيالها (١) *

١٦ (سَتَنْسَى مِيَاهًا بِالفَلَاةِ نَمِيرَةً كَنِسْيَانِهَا وِرْدًا بِعَيْنِ أُثَالِ)

التبريزى : عين أُثال، مشهورة، تَرِدُها الوُحوش . والمعنى أن هذه الإبل ستنسى المياه النميرة التى تنجع فى الشاربة، كما نسيت مشربها من عين أثال .

البطليوسى : يقول : سيعقب حنينَها السلوُّ والنسيان ، كما نسيت عينَ أُثال حين طال عليها الزمان . وهذا ينظر إلى قول الآخر :

تَسَلَّ سُلُوَّ العاقلين فإنّنى أُعيذُك أن تسلُو سلو البهائم

والنمير : الماء الذى ينجع فى الأجسام ويُنَمّيها ، عذباً كان أو غير عذب . وأُثال : جبل معروف .

الخوارزمى : الضمير فى «ستنسى» للإبل . قال الغورى : أُثال، اسم جبل، و به سمّى الرجل أثالا . وقيل : أُثال : ماء، وقيل واد . وهو فى الوجوه مضموم الفاء . وفى المصراع الثانى تصريح بأنه قد أقام زمناً بالبدو ، حتى استعذبت ماءَ هذه العين إبلُه .

---

(١) هو من البيت الرابع من هذه القصيدة .

١٧ ﴿وَإِنْ ذَهِلَتْ[(١)] عَمَّا أَجَنَّ صُدُورُهَا فَقَدْ أَلْهَبَتْ وَجْدًا نُفُوسَ رِجَالِ﴾

التبريزى : أى هـذه الإبل قد ألهبت بحنينها نفوسَ رجال وإن ذُهِلت هى عما نحن فيه .

البطليوسى : سيأتى .

الخوارزمى : وجدًا ، منصوب على التميز ؛ لأن إلهاب النفس يحتمل وُجوهًا من الإلهاب ، إلهابها بالنار ، وإلهابها بالعشق ، وإلهابها بالوجد . وإذا صرّحت بإحدى هذه المحتَملات فقد ميّزْت . يقول : هـذه الإبل وإن كانت صدورُها خالية عن العشق والغرام ، فقد أحرقتنا من الوجد بالضِّرام .

١٨ ﴿وَلَوْ وَضَعَتْ فِي دِجْلَةَ الهَامَ لَمْ تُفِقْ مِنَ الجَرْعِ إِلَّا وَالقُلُوبُ خَوَالِ﴾

التبريزى : أى لو وضعت رءوسَها فى دِجلة لتشرب لجمدت الماءَ وسلت عن الماء المذكور ، وخلت قلوبها من الحنين .

البطليوسى : الذهول : الغفلة عن الشىء . وأجَنّ : ستر . يقول : ما فى صدورها من الوجد الباعث لها على الحنين ، قد هاجت به حزنَ مَن سمِعها من الرجال ، فكيف لو أجنّت من الوجد كالذى أُجِنّ ، وأبطنت من الشوق كالذى ابطن . ودِجلة : نهر بغداد . والهامُ : الرءوس . وخوالٍ : خالية من الهم . يقول : لو شربتْ من دجلة لم تُفِقْ من شربها إلا وهى سالية عمّا بها ، ولكنها لا ترضى مشربًا إلا الماءَ الذى عهِدَتْه . وهذا نحو قوله :

وماءُ بلادى كان أنجعَ مشربًا ولو أن ماءَ الكرخ صهباءُ جِريالُ[(٢)]

---

(١) البطليوسى : « نأت » .

(٢) البيت ٤٣ من القصيدة ٥٩ .

الخوارزمى : دجلة : نهر بغداد، سميت بذلك لأنها دجّلت بمائها الأرض، أى غطّت . عنى بالقلوب قلوبَ الإبل . لم تُفق من الجَرْع ، أى لم تمسك عن الشُّرب . وتأمَّلِ الإفاقة هاهنا، فإن عليها فضلَ بهجةٍ وطُلاوة . يريد لو كرعت من دجلة حتّى وجدت لذّة مائها لغرزت فيها الرءوسَ وهى تَعُبُّ ، حتّى كأن بها جنونا ؛ فإذا قطعت جَرْعَها فكأنها أفاقت من الجنون .

١٩ (تَذَكَّرْنَ مُرًّا بِالمَنَاظِرِ آجِنًا   عَلَيْهِ مِنَ الْأَرْطَى فُرُوعُ هَدَالِ)

التبريزى : أى ربّما حنّت هذه الإبل إلى الماء الذى عليه هَدال وهو آجن . والمناظر : موضع . وهَدال : غصون متهدّلة ،وقيل: الهَدال: شجرٌ بعينه . قال الراجز :

يا رُبَّ ماءٍ لك بالأجبالِ   أجبالِ سَلْمَى الشُّمَّخ الطِّوالِ
بغَيْبِغٍ (١) يُنتزَعُ بالعِقالِ   طامٍ عليه وَرَقُ الهَدالِ

يقال للماء القريب : منزع بغيبغ . وكان لعلىّ بن أبى طالب عليه السلام قِربة تعرف بالبُغَيبِغة ، يجوز أن يكون سُمّيت بذلك لأن ماءها قريب .

البطليوسى : يقول : تذكرتْ ماءً مُرًّا بالمناظر ، فهى تحنّ إليه . والمناظر : موضع فى برّيّة الشام . والآجن : المتغيّر الذى قد علاه الطُّحلب . يقال: أجَن الماء يأجِن ويأجُن أجْنا وأُجونا، وأجِن، بكسر الجيم، يأجَن أجَنًا. والأرطى : شجر يُدبغ به . والفروع : الأعالى . والهَدال : الغصون المتهدّلة ، وقيل : الهدال، شجر بعينه . قال الراجز :

يا رُبَّ ماء لكَ بالأجبالِ   أجبالِ سَلْمَى الشُّمَّخ الطوالِ
طامٍ عليه وَرَق الهَدالِ   بغيبغٍ يُنتزَع بالعِقالِ

(١) الرجز فى اللسان (بغغ) .

يريد أنه قريب ممن يريد استقاءه .

الخــوارزمى : هذا المـاء الذى بالمناظر غير ما تقــدّم من الميــاه بالفلاة ، لأن تلك نميرة وهذا مُرّ . المناظر : موضع . أرطى فَعْلى ، دل على زيادة الألف فى آخره قولُهم : أديم ماروط ، أى مدبوغ بالأرْطى . وألفها فى هذا الوجه للإلحاق ، لكونها منونة ، ولقولهم أرطاة . وحكى أبو الحسن : أديم مَرْطّى ، وليس فى كثرة ماروط . فأرطى على هذا القول أفعل ، وينوّن لأنه نكرة ، كأفكَل وأيدَع[1] ، وحكى أديم مُؤَرْطًى . وهذا يحتمل أن يكون مُفَعْلى كُسَلْقى ، ومُؤَفعلا ، كقوله :

* فإنه أهلٌ لأن يُؤَكْرَما[2] *

والاختيار هــو الأول . عنى بالهَدال الشجرَ المتثنّى لنَعْمته ، مِن تهدُّل النَّبْت وأغصان الشجر . وأصــل التركيب هو الاسترخاء . وهذا البيت فى مقام التعليل لترك وضعها الهــامَ فى دجلة . يقــول : لم تشربْ من ماء دجلة لأنهــا تذكّرت بالمناظر ماءً مُرًّا .

٢٠ (وَأَعْجَبَهَا خَرْقُ[3] العِضَاهِ أُنُوفَهَا   بِمِثْـلِ إِبَارٍ حُدِّدَتْ وَنِصَالِ)

التــبريزى : المعنى أنّ هــذه الإبل حنّت إلى موضعٍ تخرق العِضاهُ أنوفَها فيه . والعِضاه : كلّ شجرٍ له شوك ، وشوكُها كالإبَرِ والنّصال .

البطليــوسى : العِضاه : كل شجرٍ له شوك ، وهو أنواع كثيرة ، فمن أشهره الطلح والسَّلَم ، والشَّبهَان والكَنَهْبَل ، واحدته عضة : قال الراعى :

وخَادَعَ المجدَ أقوامٌ لهم وَرَقٌ   راحَ العِضاهُ له والعرقُ مدخولُ

---

(١) الأفكل : الرعدة . والأيدع : صبغ أحمر .

(٢) انظر الإنصاف ٤ ، ١٠٥ .

(٣) الخوارزمى : « خرت » بالتاء . والخرت : الثقب والشق .

و إبار : جمع إبرة ، وأكثر ما يقال إبَرٌ . والنصال : جمع نصل ، وهى شَفْرة السّهم . و يستعمل أيضا فى السيف والرمح . يقول : اعتادت هذه الإبل رعى العضاه الخشنة ، ونشأت على شرب المياه المرّة الآجنة ، فهى لا تُقبِل على سواها ، و إن كانت قد وجدت مرعًى أفضل من مرعاها . ولهذا قالت الحكماء: « كادت العادة تكون طبيعة ثانية » .

الخوارزمى : العضاه : جمع عضة ، وهى كل شجرة تعظُم ولها شوك . ولامها ذات وجهين ، بدليل قولهم عضاه وعضوات ، ونظيرها سنة ، وهى فى «أعن وخد القلاص »[1] . أنوفها ، منصوب على أنها مفعول «خَرْت العضاه» . يقول : يسرّ هذه الإبلَ أن ترعى بباديتها أغصان العِضاهِ والضّال ، و إن مزّقت أنوفَها بمثل الإبر والنصال .

٢١ (تَلُونَ زَبُورًا فِى الحَنِينِ مُنَزَّلًا عَلَيْهِنَّ فِيهِ الصَّبْرُ غَيْرُ حَلَالِ)

التبريزى : أى كأنّهن فى حنينهنّ يتلُون زبورا أُنزِل عليهنّ ، والصبر محرّم فيه . فكأنّهُ زبور داود يذكر فيه الحلال والحرام .

البطليوسى : جعلها لفَرط حنينها ونِزاعها ، وقلة صبرها عن أوطانها و بِقاعها ؛ كأنها تتلو زبورًا أُوحى إليها ، وحُرِم فيه الصبر عليها . وخصّ الزبورَ بالذكر لِمَا روى فى الحديث فى مزامير داود « أنّه كانَ إذا قَرَأ أصغَتْ إليه البهائم ، لحُسْنِ صوته » . وحنين الإبل يشبَّه بالمزامير ، لأنه يُشجِى مَن يسمعه . و بذلك فُسر قولُ عنترة فى صفة الناقة :

بركَتْ على ماء الرِّداع كأنما بركَتْ على قَصبٍ أجشَّ مُهَضَّمِ

(١) البيت ٥ من القصيدة الأولى ص ٣٢ .

قالوا: معناه أنها لما بركت أنّت، فكأنّ معها قصبًا تزمر فيه. قال الأصمعي: أراد القصب الذي يقال له بالفارسية نرمناى. والأجش: الذي فيه بُحّة. المهضّم: الذي شُدِخ طرفه ليُزمَر فيه.

الخوارزمي: لم يعن بزبورٍ زبورَ داود عليه السلام، بل زبورًا آخر منزّلا على الإبل. أثبت للإبل زبورًا كما أثبت لهنّ شعرا في قوله:

* وأنشدن من شعر المطايا قصيدة (1) *

شبّه حنين الإبل بالزّبور لأن قارئيه كأنّهم يزمزمون به زمزمةً شبيهةً بالحنين، ولأنّ حنين الإبل صوتٌ معه يمتنع صبر الإبل، فكأنها به تستفيد حُرمة الصبر، كما أن الزبور أصواتٌ تستخرج الحلالَ والحرام. وخصّ الزّبور لأنه يسمّى مزاميرَ آل داود.

٢٢ (وأَنْشَدْنَ منْ شِعْرِ المَطَايا قَصِيدَةً وأَوْدَعْنَهَا في الشَّوْقِ كُلَّ مَقَالِ)

التبريزي: معناه أنّ هذه الإبلَ كأنّها أنشدت قصيدةً من شعر المطيّ، قد أودعتْها كلّ مقالٍ في الشوق.

البطليوسي: وهذا نحوٌ مما ذكره فيما تقدّم، وذلك أنّ صوتَ الإبل يسمّى سجعا، كما يسمّى الكلامُ الذي له فواصل ترجع إلى حرف واحد، فسماه شعرًا إذْ كان يرجع إلى مقاطعَ على مثالٍ واحد، كما يرجع الشعر. والعرب تقول: سجعت الناقةَ، إذا مدّت حنينَها على جهةٍ واحدة. وكذلك الحمام. قال قيس بن ذَريح:

تداعَتْ له الأحزانُ من كلّ وجهةٍ فحنّ كما حنّ الظُّؤار السّواجعُ (2)

(1) البيت التالي لهذا البيت.

(2) أ: «الصوار» محرفة. والظؤار: جمع ظئر، وهي العاطفة على ولد غيرها المرضعة له.

وقال متمم بن نُويرة :

يذكّرن ذا البثِّ القديم بَثّه ... إذا حنّت الأولى سجعْن لها معا (١)

الخوارزمى : سيأتى .

٢٣ ﴿أمِنْ قِيلِ عَوْدٍ رازِمٍ أمْ روايَةٍ ... أتتْهنّ عن عَمٍّ لهنّ وخالِ﴾

التبريزى : يقول : أهذه القصيدةُ من شعر هذا العَوْد الرازم ، وهو الذى لا يقدر على القيام ، أم روايةٌ روتها الإبلُ عن عمٍ أو خالٍ لهنّ .

البطليوسى : القِيل والقول والقال ، بمعنى واحد . والعَود : الجمل المسنّ . والرازم : الذى لا يقدر على القيام من شدّة الإعياء . يقال : رَزَم رزوما . وإنما خصّ العَود من الإبل بقول الشعر دون البِكارة (٢) لمعنيين : أحدهما مكانتُه من السنّ ، فجعله لذلك بمنزلة من يُصغَى إلى قوله من الكهول . والثانى أنّ العرب تسمّى الجمل البازلَ الذى قد اعتاد الأسفارَ عالمًا . وروى أن ابنة الخُسّ قيل لها : أىُّ الإبل خير ؟ فقالت : « العالم السَّجْل ، الراحلة الفَحْل » . فلمّا كان يوصف بالعلم كانت نسبةُ الشعر إليه أولى وأليق بما ذهب إليه من هذا المعنى . وهذا من الحِذق بمقاطع الكلام ، وتوفيةِ الشعر ما يليق به من الأقسام . وخصّ الرازمَ وهو الساقطُ من الإعياء ، لأنه إذا أعيا حنّ ، فبعث الإبل على أن تحنّ إلى حنينه .

الخوارزمى : يعنى أذلك الشعرِ من قِيل عَود ؟ الرازم والرازح ، من وادٍ واحد . الرواية فى « رواية » هى النصب ، وانتصابها على التمييز . يقول : أبعير من هذه

---

(١) فى المفضليات (٢ : ١٠) : « ذا البث الحزين » ، وقبله :

وما وجد أظآر ثلاث روائم ... أصبن مجرا من حوار ومصرعا

(٢) البكارة ، بالكسر والفتح : جمع بكر ، وهو الفتى من الإبل .

الإبل مسنٌّ لاغب قد أنشأ هذه القصيدة ، أم عن أسلافِ هذه الإبل رويت ؟ وخصّ المسنّ لأنه أعلم ، واللاغبَ لأنّ استراحتَه بالحداء أكثر ، فيكون أحرص على إنشاء الشعر .

٢٤ (كَأَنَّ المَثَانِيَ والمَثَالِثَ بالضُّحَى   تَجَاوَبُ في غِيدٍ رُفِعْنَ طِوَالِ)

التبريزى : الغِيد الطوال : الأعناق من الإبل . والمثانى والمثالث ، من أوتار العود الذى يُغنَّى به .

البطليوسى : يقول : كأنّ فى أعناقها الغِيد ، وهى اللينةُ ، عيداناً يغنَّى فيها ، لأصواتها الشجية . وذكر المثانىَ والمثالث دون الزِّير والبَمّ ، لأنه قد علِم السامعُ أن بعضَ الأوتار مفتقرٌ إلى بعض . وهذا نحوُ ذكره المثانى وحدَها فى صوت الحمامة ، حين قال :

رأت زَهَرًا غضًّا فهاجت بِمِزْهَرٍ   مَثانيــه أحشاءٌ لُطِفْنَ وأوصالُ (١)

وخصّ الضُّحى بالذّكر لأنّهم يسيرون طول لَيْلهم ، و يعرِّسون فى السحر تعريسةً خفيفة ، ثم يثيرون الإبل من مباركها للنهوض ، وهى محتاجةٌ إلى الراحة ، فيكثر حينئذ أنينُها .

الخوارزمى : أوتار العود أربعة : الزِّير والمَثْنَى والمَثْلَث والبَمّ . فى غيد ، أى فى أعناق مِيلٍ من اللغَب والفُتور . يقال : هم من النعاس غيدٌ ، أى مِيلُ الأعناق ، وهو يتغايَدُ فى مِشيته ، أى يتمايل . شبّه ما ترجّعه الإبلُ فى حلوقها من الحنين برنّات المزامير .

(١) البيت ٢٧ من القصيدة التالية .

٢٥ (كَأَنَّ ثَقِيلًا أَوَّلًا تُزْدَهَى بِهِ ضَمَائِرُ قَوْمٍ فى الخُطُوبِ ثِقَالِ)

التبريزى : معناه أن التقيل الأول ضربٌ من الغناء . وتُزْدهى ، أى يستخفّ أحلام قوم ثقال، أى حكماء .

البطليوسى : يقال : ازدهاه الشيءُ يزدهيه ، إذا استخفّه وحرّكه . وإنما قال هذا تتميما للبيت الذى قبله ، فذكر الثقيلَ الأوّلَ من الغناء لذكره المثانى والمثالث . وخص الثقيل الأوّل بالذكر لأن الّصنعة فيه أكثر ، وإيقاعاته أشدّ الإيقاعات ترسلا؛ لأن أجناسَ الأغانى التى يدور عليها الغناء والإيقاع ثمانية (١) : الثقيل الأوّل وخفيفه، والثقيل الثانى وخفيفه، والرمل وخفيفه، والهزج وخفيفه. فالثقيل الأوّل : ثلاث نقرات متساويات الأقدار، على مثال مفعولن : «مف» نقرة واحدة ثقيلة، «عو» نقرة واحدة ثقيلة، «لن» نقرة واحدة ثقيلة . وأما خفيف الثقيل الأوّل فثلاث نقرات متواليات أيضا، إلا أنها أحثُّ وأسرع . وأما الثقيل الثانى فقد اختلف المغنُّون فى إيقاعه ، فكان بعضهم يُوقعه أربعَ نقراتٍ، ثلاث متساويات، والرابعة أثقل منهنّ، على مثال مفعولاتن . ومنهم من يوقعه أربع نقرات متساويات لاخفافٍ محثوثاتٍ ولاثقالٍ ممسكات، على مثال مفعو مفعو . وأما إسحاق بن إبراهيم الموصلى فكان يوقعه ثلاث نقرات : نقرتان منها متساويتان ممسكتان، وواحدة ثقيلة على مثال مفعولان. وأما خفيف الثقيل الثانى فأسرع منه، وهو نقرتان خفيفتان ونقرة واحدة ثقيلة، وهذا هو الذى يسمى الماخورى، وهو عكس الرمل، ووزنه مفعولان . وأما الرمل فنقرة ثقيلة يتبعها اثنتان محثوثتان على زنة «لات مفعو» . ونظيره من الكلام :

* مَلَّ وَصْلِى صَدَّ عَنِّى *

(١) انظر ما سبق من بيان الخوارزمى لهذه الأجناس فى ص ١١٠٩ ، وقد عدها سبعة .

وأما خفيف الرَمَل فإنه مخالف لجنسه، وذلك أن خفيف كل جنس مثلُ ثقيله، إلا أنه أخفّ منه فى الإيقاع. وأما الرمل فلم يجئ خفيفه على عدد نقراته، وإنما استعمل نقرتين نقرتين، بينهما فصل، على مثال «فَعْلُن فعلن». وأما الهزج فنقرة ثقيلة وأخرى خفيفة على مثال «فاعلن». ونظيره من الكلام: «قال لى». وخفيف الهزج مثله إلا أنه أسرع إيقاعا منه. وإنما ذكرنا الأغانى على الصفة التى جرت بها العادةُ عند أهل زماننا. وأما العادة القديمة فصفة أخرى غير هذه.

الخوارزمى: الثقيل الأول فى «سنح الغراب لنا»[1]. يقول: هذه الإبل بحنينها تُطرِب القومَ، حتى كأنهم بالثقيل الأول يحرّكون، وإن كانوا حلماءَ متوقّرين. و«الثقيل الأول» مع «الثقال» تجنيس.

٢٦ (بَكَى سَامِرِىُّ الجَفْنِ أنْ لاَمَسَ الكَرَى ... لَهُ هُدْبَ عَيْنٍ[2] مَسَّهُ بِسِجَالِ)

التبريزى: أى كأنه سامرى الجفن، إن مسه النوم اغتسل بالدمع. وهذا مبنىٌّ على قوله سبحانه فى قصة السامرىّ: ﴿فإنّ لَكَ فِي الحَيَاةِ أن تَقُولَ لا مِسَاسَ﴾. ويقال إن للسامرة بِرْكة، فإذا لصق بهم غيرُهم مضَوا إلى تلك البركة، فألقَوا فيها أنفسَهم يتطهّرون بذلك. فكأنّ الجفنَ قد اعتقد هذا فى الجفن الآخر، فإنْ نام والتصق به غسله بسِجالٍ من الدمع. وهدب العين: ما على الشَّفر من الشعر.

البطليوسى: السجال: جمع سَجْل، وهى الدّلو مملوءة ماء، ولا تسمَّى سجلا وهى فارغة. وهذه استعارة مليحة انتزعها من أمر السامرية من اليهود، وذلك أن موسى عليه السلام لمّا قال للسامرىّ صانع العجل: إنّ لَكَ فِي الحَيَاة

(١) البيت ٦ من القصيدة ٥٢ ص ١١٠٩.

(٢) الخوارزمى والتنوير: «هدب جفن».

أنْ تَقُولَ لا مِسَاسَ . ابتلاه الله عزّ وجل وذريّته بالتقذُّر، فاذا لامَسَ رجلٌ منهم إنسانًا اغتسل . فأراد أبو العلاء أنّ جفنَ هذا المشتاق لا ينام، فكأنه يعتقد فى ملامسته النومَ له ما تعتقده السامرية فى ملامسة من لامسهم، فإذا باشره الكَرَى بكى ليغتسل بِسجال من الدمع . والباء فى قوله «بسجال» متعلّقة بـ «بكى» . وفى البيت تقديم وتأخير . و«أنْ»(1) مفعول من أجله، كأنه قال من أجل . وخص هدب العين، إشارة إلى قلة نومه، وأن النوم لم يدخل فى جفنه .

الخوارزمى : السامرىّ، هاهنا منسوب إلى السامرىّ الذى أضلّ بنى اسرائيل . ومتى نسبت إلى المنسوب فصورة المنسوب والمنسوب إليه واحدة . ألا ترى أنك إذا نسبت إلى الشافعىّ قلت شافعىّ، بغير تفاوت بينهما . ثم ذلك السامرىّ منسوب إلى السامرة، وهم قوم من اليهود يخالفونهم فى بعض دينهم . واسم السامرىّ فيما ذكر الغورى : موسى بن ظفر . ومن حديثه أنه أخذ تربةً من موطئ «حيزوم» وهو فرسُ جبريل عليه السلام، فنبذها فى حفرة فيها حَلْى بنى إسرائيل، فأخرج عجلًا جسدًا له خُوار، فابتُلى بترك مخالطة الناس؛ فكان إذا اتّفق بينه وبين غيره مماسّة حُمّ الماسّ والممسوس . وذلك فى معنى قوله تعالى : ﴿ فاذْهَبْ فإنّ لَكَ فِى الحَيٰوةِ أنْ تَقُولَ لا مِسَاسَ ﴾ وبقى فى أولاده ذلك . ويقال إنّ للسامرة بِرِكَةً إذا مسّ واحدٌ منهم سواهم وقَع فيها، وهم يسكنون بيتَ المقدس وقَرَياتٍ من أعمال مصر . أن لامس، أى بأن لامس . والفرق بين اللمس والمسّ، أن اللمس لا يكون إلا بحاسّة، والمس يكون بها وبغيرها؛ لأن الحجر يماسّ الحجر ولا يلامسه . السجال، فى «أعن وخد القلاص»(2) . يقول : بكى رجل، جفنُه من غلاة السامرة،

(1) أراد المصدر المؤول من «أن» ومدخولها .

(2) البيت ٢٧ من القصيدة الأولى ص ٦٤ .

بحيث يُفيض على هدبه دلاءً من الماء، إذا لمسته يد الإغفاء . يريد: إنى لما بى من النزاع إلى الوطن لا يمر بأطراف عينى الكرى ، و إنْ مرّ بها رأيتُ فى النوم وطنى، لكثرة ما أمثّله فى اليقظة، فإذا انتبهت بكيتُ شوقا إليه. الرواية : «هدب جفن » ويروى « هدب عين » .

٢٧ ﴿فَلَيْتَ سَنِيرًا بَانَ مِنْهُ لِصُحْبَتِى بِرَوْقَىْ غَزَالٍ مِثْلُ رَوْقِ غَزَالِ﴾

التبريزى : سَنير : جبل بالشام . وفى طريق العراق موضع يعرف بقرنى غزال، على شطّ الفرات . والمعنى: ليت هذا الجبل بدا لصحبتى منه بالموضع الذى يعرف بقرنَىْ غزال، مثلُ رَوق غزالٍ الذى هو من الغزلان، التى هى أولاد الظّباء .

البطليوسى : سَنير : جبلٌ بالشام فى طريق العراق، فى موضع يعرف بروْقَىْ غزال على شطّ الفرات . والرّوق : القرن . والصُّحبة : الأصحاب .

الخوارزمى : سنير ، فى « أليس الذى قاد الجياد »(١) . قرنا غزال : موضع فى طريق العراق على شط الفرات، إلا أنه أقام الروق هاهنا مُقام القرن طلباً للتجنيس . قال الجوهرى : الصُّحبة : جمع صاحب ، مثل فاره وفُرْهة . الباء فى «بروقى غزال» يتعلق بقوله «بانَ» . مثلُ روقِ غزالٍ، مرفوع على أنه فاعل «بان» . لمّا ذكر فى البيت المتقدم اشتياقه إلى وطنه بالشام، تمنّى فى هذا البيت أن يَظهر لأصحابه وهُم بقرنَىْ غزالٍ، من هذا الجبل الكائن بقرب الشام، وهو سنير، مثلُ قرن الظبى شىء يسير، فتقرّ بقرب الوطن عيونُهم، وتهدأ بتولّى السفر نفوسُهم . وخصّ أصحابه دون نفسه إشارةً منه إلى عماه .

٢٨ ﴿وَمَنْ لِى بِأَنِّى فِى جَنَاحِ غَمَامَةٍ تُشَبِّهُهَا فِى الْجُنْحِ أُمَّ رِئَالِ﴾

---

(١) البيت ١٨ من القصيدة ٤٩ ص١٠٧٦ .

التبريزى : أُمّ رِئال : نَعامة . وآستُعير للغَمامة جناح الطائر، لأنّ بعض السحب يُشبّه بالنّعام . قال الشاعر (١) :

كأنّ الرَّبابَ دُوينَ السّحابِ نَعامٌ تَعَلَّقَ بالأرجُلِ

البطليوسى : الغمامة : السحابة . والجِنح والجُنح، بكسر الجيم وضمها : إقبال الليل . يقال جَنح الليل، إذا أقبل . وأُم الرِّئال : النّعامة، والرِّئال فراخها، واحدها رَأْل . يقول : من أين لى أن أركب على جَناح سحابة تُسرع بى كإسراع النّعامة إلى فِراخها إذا رأت الليل قد أقبل، حتى تُوصلنى إلى موطنى . و إذا كان للنعامة فِراخ ورأت الظلام قد أقبل، كان أَسرع لعَدْوها (٢) . والعرب تُشبّه السحاب بالنّعام . قال عبد الرحمن بن حسان :

كأنّ الربابَ دُوينَ السّحابِ نَعامٌ تعلّقَ بالأرجُلِ

الخوارزمى : استعار الجناح للغمامة ، لأنه شبّهها فى سُرعة المُرور بالنعامة . والدليل عليه هو المصراع الثانى . وأما قولُه :

كأنّ الربابَ دُوينَ السحاب نَعام تعلّق بالأرجُلِ

فقد شبّه السحاب بالنعامة فى الشكل . يقال : شبّهته بالشيء وشبهته الشيءَ . وخصّ تلك الغمامةَ بكونها فى الجُنْح ؛ لأنه يريد بها الغمامةَ التى طَرِبت ببرقها الإبلُ وَهْنًا ببغداد . و « الجَناح» مع « الجُنح» تجنيس .

(١) هو عبد الرحمن بن حسان بن ثابت، كما سيأتى فى شرح البطليوسى، وكما فى اللسان (ربب) عن الأصمعى ، ومعجم الأدباء (١٦ : ٥٩) عن أبى عبيد . ونسبه الحصرى فى زهر الآداب (١ : ١٧٧) إلى حسان بن ثابت . والبيت منسوب فى الكامل ٤٨٥ ، ٧٥٨ وكذا فى شرح المفضليات ٢٤٨ إلى المازنى . والمازنى الذى عناه، هو عروة بن جلهمة المازنى، كما فى اللسان .

(٢) حـ : « أشدّ لعدوها » .

٢٩ (تَهَادانِيَ الأَرْوَاحُ حَتَّى تَحُطَّنِي عَلَى يَدِ رِيحٍ بالفُرَاتِ شَمَالِ)

التبريزى : ... ...

البطليوسى : الأرواح : جمع ريح . والشمال: الريح [التى تُقابل] الجنوبية. وإنما اختصّ الريحَ الشمال هاهنا بالذكر جريًا على مذاهب العرب ؛ لأن وطنه الذى حَنّ إليه إنما كان بالشام، وكانت العرب تُسمى الريح الشّمال شآمية، والجنوب يمانية، وشُهرا بذلك حتى صارا كالعلمين لهما . قال ذو الرّمّة :

تَلُوث على مَعارفنا وتَرمى محاجرَنا شآميةٌ سَمومُ (١)

قال أبو عمرو بنُ العَلاء : أراد الشمال . وقال جرير فى الجَنوب :

وحَبّذا نَفحاتٌ مِن يَمانية تأتيك مِن جَبَل الرّيّان أحيانا (٢)

هَبّت جَنوبًا فذكرى ما ذكرتكم عند الصّفاة التى شَرقىّ حُورانا

وقال أبو حنيفة فى كتاب الأنواء : إنما قالوا للجَنوب يمانية وللشمال شآمية، لأن مهبّهما بالحجاز ونجد كذلك . فالشمالُ تأتيهم من قِبَل الشام، والجنوب من قِبَل اليمن . قال : وليس هذا بلازم لكل بلد ، لا تكون الشمال ببلد الروم شآمية ولا الجنوب ببلاد الزّنج يمانية . قال أبو حنيفة : والمُنَجّمون يجعلون مهبّ الشّمال من القُطب الأعلى، ومهبّ الجنوب من القُطب الأسفل،ومهبّ الصّبا من وسط المشرقين، ومهبّ الدّبور من وسط المغربين .

الخوارزمى : أى تتجاذبنى الرياح . وهذه الجملة فى محل الرفع على أنها خبر ثانٍ لأنّ المذكورة فى البيت المتقدم .

(١) فى شرح ديوانه ٥٩٢ : «اللوث : الطى . والمعارف : الوجوه . يقول : تلثم . والمحجر : ما حول العين » .

(٢) فى ديوان جرير ٥٩٦ : « من قبل الريان » .

٣٠﴿ فيا برقُ ليس الكرخُ دارِى وإنّما رمانى إليه الدهرُ منذُ ليالِى ﴾

٣١﴿ فهل فيك من ماء المعرّة قطرةٌ تُغيثُ بها ظمآنَ ليسَ بسالِ ﴾

التبريزى : ... ...

البطليوسى : أراد أنّ البرق لمـا لمع من شِقّ الشام كان كأنه قـد استدعاه إليه بلَمَعانه ، وعنّفه على تركه الرُّجوع إلى أوطانه ، فقال : لا تحسب أيها البرق أنى اتخذت الكرخ دارًا ، ورضيتُه لنفسى قرارا ؛ وإنمـا أنا مُزمِعٌ للرحيل منه ، متوجّع لفراق الشام غير سالٍ عنه .

الخـوارزمى : الكرخ ، فى «يرومك والجوزاء»[1] . والمعرة ، فى « أعن وخد القلاص »[2] . وفى هـذين البيتين من اللطف والرقـة ما يُزرى على المـاء الزلال ، ويُثنى على مُنشئهما بلسان الحال .

٣٢﴿ دعا رجبٌ جيشَ الغرامِ فأقبلتْ رِعالٌ تَرودُ الهمّ بعـدَ رِعالِ ﴾

التبريزى : معناه أنّ رجبًا لمّـا أهلّ دعا جيش الغرام فأقبلت رعالُه ، أى قِطَعه ترودُ الهمّ ، أى تكون له كرائد الكلأ .

البطليوسى : سـيأتى .

الخـوارزمى : سـيأتى .

٣٣﴿ يُغِرْنَ على الليل إذ كلُّ غارةٍ يكونُ لها عندَ الصّباحِ توالِى ﴾

التبريزى : أى هذه الرعال التى دعاها رجبٌ تُغِير علىّ ليلًا ، والغارة إنمـا تكون عند الصباح ، وقلّما تستعملها العرب فى غير الصُّبح . وتَوالى : جمع تالية . يقول : الغارة يتلو بعضُها بعضًا عند الصباح .

(١) البيت ٤١ من القصيدة ١٥ ص ٤٩٧ .

(٢) البيت ٤٠ من القصيدة الأولى ص ٧٨ .

البطليـــوسى : الجيش: العسكر . والغرام : أشدّ العذاب وأوجعه . والرِّعال: جماعاتُ الخيل تتقدّم غيرَها وتسبقها ، واحدها رَعْلة ورَعيل ؛ وتكون أيضا من غيرالخيل . وإنمـا أراد هاهنا الخيلَ، لذكره الإغارة، والإغارة إنما تكون بالخيل فى غالب أمرها ، وربما كانت بغيرها ، كما قال قُريط العَنبرىّ :

* شَدُّوا الإغارةَ فُرساناً ورُكبانا * (١)

وقوله «ترود الهمّ» ، أى ترتاده لى، كما يُرتاد الكلا . أى تطلب الهموم حيث كانت وتخصّنى بها . وهذا ينظر إلى قول أبى الطيب :

أَوْحدنَنى ووجدن حزنًا واحدًا   مُتنـاهيا فجعلنَـه لِىَ صاحبـا

وقوله « يُغرن علىّ الليل » أى يُغرن على صـبرى فينتهبنه كما تُغـير الخيل على السَّوام فيكتسحنه . وخصّ الليل بالذكر لأن حُزن المَهموم يتضاعف فيه، لعدمه من يُؤنسـه ويسلّيه . وإنمـا يريد أنه كان يرجو الصَّـدَر إلى وطنه قبل دخول رجب ، لأنه شهر معظَّم يُتقرّب فيـه إلى الله تعالى بالأعمال الصالحة ؛ فلما وافَى رجب وهو فى بلد غربة زاد همُّـه ، وتضاعف غَمُّـه . وكان المعرّى متديّنا كثيرَ الصيام والصدقة ، تُسمع له بالليل هَينمة لا تُفهـم ، وكان لا يقرع أحد عليـه البـاب حتى تطلُع الشمس، فإذا سمـع قرع البـاب علم أنّ الشمس قد طلعت، فقطـع تلك الهينمة وأَذن فى الدخول عليـه ، وكان لا يَرى أ كل اللحم ولا شُرب المُسكر ولا النّكاح، وكان ذا عفـة ونزاهة نَفْس ، إلا أنه كان مُخالفا لمـا عليـه أهـلُ السنّة .

---

(١) من أوّل مقطوعة فى الحماسة. وصدره :

* فليت لى بهم قوما إذا ركبوا *

الخـــوارزمى : الرِّعال، فى «أعن وخدِ القلاص»[١]. عنى بالتَّوالى التتابع . كان أهلُ الجاهليَّة كلمـا دخل رجب أمسكوا عن الحـرب ، ولذلك يُسمونه شهرَ الله الأصمّ ؛ لأنه كان لا يُسمع فيه صوتُ مستغيثٍ، ولا قَعقعة سلاح ، ولا حركة قتـال . يقول : لـمّـا بدا هـلالُ رجب مُـذكِّرًا لى وجه حبيبى تألّب علىَّ جيشُ الغرام . أمره عجيب مستغرب؛ لأن سائر الجيوش متى دخل شهر الله الأصم امتنعت عن المحاربة ، وهذا الجيش فيـه قد استأنف معى المحاربة ، ولأنه ما من غارة إلا وهى تكون عند الصباح ، ولا كذلك غارة هـذا الجيش ، فإنها تكون طول الليل . وهذا لأن الهموم والوساوس تتضاعف ليلا .

٣٤ (وَلَاحَ هِلَالٌ مِثْلُ نُونٍ أَجَادَهَا ... بِجَارِى النُّضَارِ الكَاتِبُ ابنُ هِلَالِ)

التـــبريزى : يريد : علىّ بن هلال، المعروف بابن البوّاب[٢] .

البطليـــوسى : لاح : ظهر . والنُّضار : الذهب . وأراد بابن هلال : علىَّ بن هلال المعروف بابن البوّاب ، وكان ورّاقا يكتب المصاحف . وهذا شـبيه بقول الآخــــر :

هذا الهــلالُ لائحًـا فى المغـربِ ... كالنُّونِ قد خُطَّت بمـاء الذَّهبِ

الخـــوارزمى : ســيأتى .

٣٥ (فَذَكَّرَنِى بَـــدْرَ السَّمَاوَةِ بَادِنًا ... شَفًا لَاحَ مِنْ بَدْرِ السَّمَاءَةِ[٣] بَالِ)

التـــبريزى : كنى عن المحبوبة ببدر السماوة . وذكَّر فقال : بادنا ولم يقل بادنة . بدر السَّماوَة : إنسان يسكن فيهـا . والسَّماوة ، هى التى يُقال لهـا سماوة كَلْب .

(١) البيت ٢٠ من القصيدة الأولى ٥١ .

(٢) عقد ياقوت وابن خلكان له ترجمة مسهبة ، توفى سنة ٤١٣ ببغداد .

(٣) البطليوسى : « السماءة » .

والسَّماءة، يريد بها السماء ، يقال : سماءة وسماء . وشفا الشيء : بقيته . يقال : ما بقى منه إلا شفًا ، أى بقية قليلة .

البطليوسى : أراد بـ«السَّماوة» الأولى سَماوةَ كَلْب ،وهى موضع من بلادهم . وبـ«السَّماوة» الثانية السماءَ نفسَها . وأراد بـ«البَدْر» الأول محبوبتَه، وبـ«البدر» الثانى القمر . والبادن : السمين العَبْل الجسم . وشَفا كلّ شيء : طَرَفُه؛ يقال : ما بقى من الشمس إلا شَفا . قال الراجز (١) :

ومَرْبأ عالٍ لمن تَشَوّفا أشرفتُه بلا شَفًا أو بشفا (٢)

الخوارزمى : عَنى بالهلال هلالَ رجب . وعلىّ بن هلال الكاتب المعروف بابن البوّاب ، كان فى صَنعة الخط آية . وسمعتُ بعض الحكماء السيّاحة يقول : إنه أحد منوِّعى الخط ، وأصولُ هذه الخطوط المتداولة بين الناس من طرائقه . «السماوة» فى «ورائى أمام» (٣) . بادن : اسم فاعل من بَدُن ، إذا ضخُم. شفا كل شيء: حرفه . يقال للرجل عند موته ، وللقمر عند انمحاقه ، وللشمس عند غروبها : ما بقى منه إلا شفا ، أى قليل . قال الجوهرىّ : وتثنيته شَفَوان . قال الفرّاء : السماء كأنها جمع سماوة وسماءة ، وعليه فيما قيل قوله تعالى: ﴿ ثُمَّ استَوَى إلى السَّماَ فَسَوّاهن ﴾ . عنى بـ«بدر السَّماوة» المحبوب . ويَشهد له بيتُ السقط :

* وأهوى لجرّاك السماوة والقَطا (٤) *

وبـ«بدر السماءة» الهلالَ .

---

(١) هو العجاج ، كما فى اللسان (شفى) .

(٢) بلا شفا ، أى وقد غابت الشمس . أو بشفا : أى وقد بقيت منها بقية .

(٣) البيت ١١ من القصيدة ١٠ ص ٤٠٠ .

(٤) البيت الرابع من القصيدة ٥٩ . وعجزه :

* ولو أن صنفيه وشاة وعذال *

٣٦ (وَقَدْ دَمِيَتْ خَمْسٌ لَهُ عَنَمِيَّةٌ ... بإِدْمانِهَا فى الأَزْمِ شَوْكَ سَيَالِ)

التبريزى : المعنى أن هذا الذى يُشَبَّه ببدر السماء قد دَميت خَمْس من بنانه مخضوبة، فهى تُشَبَّه بالعَنَم، وهى أغصان حُمر تَنبت فى جوف الشجرة. والأَزْم : العضّ. وأدْمن الشىء، إذا لزمه. والسَّيال : شجر له شوك يُشَبَّه به ثغر الإنسان. قال الأعشى :

وكأنّ الرّاحَ الذكىّ من الإسْـ ... ـفِنْط ممزوجةً بماءِ زُلالِ[1]

باكَرَتْها الأعرابُ فى غَلَس الصُّبـ ... ـح فتجرى خلالَ شَوْك السَّيالِ

و«شوك سيال» منصوب بـ«الإدمان». والمعنى أنّ بهن الدمَ[2].

البطليوسى : دميت : سال منها الدم. وأراد بـ«الخَمس» أصابعَه، ونَسبها إلى العَنَم لحُمرتها. واختُلف فى العنم، فقال الأصمعىّ : هو دُود أحمر؛ وقال أبو عُبيدة : هو نَبات أحمر ناعم. وكان يَروى بيتَ النابغة :

* عَنَمٌ على أغصانه لم يُعقَدِ[3] *

والأَزْم : العضّ بالأسنان، ثم يُستعار فى غير ذلك. والسَّيال : شجر له شَوك تُشبَّه به الأسنان، ولذلك قال امرؤ القيس يصف ثَغرا :

مَنابتُه مثلُ السُّدوس ولونُه ... كشَوك السيال وهو عَذْب يَفيصُ[4]

(١) رواية الديوان ٥ : «وكأن الخمر العتيق».

(٢) فى الأصل : «أن به الندم».

(٣) ويروى : «عنم يكاد من اللطافة يعقد». وصدره كما فى الديوان ٣٠ :

* بمخضب رخص كأن بنانه *

(٤) أنشده فى اللسان (سدس، فيص). وهو من قصيدة فى العقد الثمين ص ١٣٦. والسدوس، بالضم : الطيلسان الأخضر، وقد يفتح. ويفيص : يحيد.

والإدمان : الدوام على الشيء والمُلازمة له . يقول : ذكّرنى شفا البدر حين طلَع، بَدرِىَ الذى غادرتُه بسماوة كَلْب حين ودّعنى للفراق ، وعضّ بنانَه أسفًا وتوجعًا لمفارقتى إياه حتى أدماها . ومن شأن المتأسّف والمتحسّر أنْ يَعَضّ بنانه، وكذلك المُغتاظ . قال صخر الغىّ :

قَـدَ أفـنى أناملَه أزمُـه ... فأَمسى يعضّ علىّ الوَظيفا

ونصب «الشوك» بـ«الإدمان» ،أى دَميت بنانُه العنميّة لملازمتها أسنانه التى يَعَضّها من الأسف .

الخـوارزمى : أبو سعيد : العَنم : نَشأة تَنبت بين غُصون العِضاه، فتكون قدرَ الذراع ونحوها وهى مُجزة . متهـم(١) وليست بنَجد، وهى تحمل حملًا كالعُنّاب، فيهـا تُشَبّه أطراف البَنان المُخضّب إذا احمرّت . وقال الخارزَنجى : وإنما يُعنم من العِضاه السَّلم والسَّيال . وبنان مُعَنَّم ، أى مخضوب . أدمن الأمرَ، إذا لزمه . الضمير فى «إدمانها» لـ«خمس» . الأَزم، فى «بنى الحَسب الوضّاح»(٢) . فى أساس البلاغة : «كأن ثغرها شَوك السَّيال» . قوله «وقد دَميت خمسٌ له عنميّة» جملة فى محل النصب على الحال من قوله «بدر السماوة» . يقول : ذكّرنى الهلالُ حبيبتى، وقد عضّت من الندم علىّ أناملَها عند الفراق. ما كانت مخضوبة بالحنّاء، بل خَضبها العضّ بإدمانه .

٣٧ (تَقُولُ ظِباءُ الحَزْمِ(٣) والدَّمعُ ناظِمٌ ... عَلَى عَقْدِ الوَعْسَاءِ عِقْدَ ضَلالِ)

(١) كذا فى الأصل . وفى اللسان : «العنم شجرة حجازية لها ثمرة حمراء يشبه بها البنان المخضوب» .

(٢) البيت ٣٣ من القصيدة ٤٢ ص ٩٦٥ .

(٣) البطليوسى : «الحزن» بالنون .

التبريزى : الحزم : ما غلُظ من الأرض . والعَقَد : الرمل المتعقّد . والوعساء : رملة صُلبة يَسهل المشىُ فيها . وعِقد ضلال ، أى إنه من دمع ، وإنما يَبكى الإنسان لضلاله وقلّة صبره .

البطليوسى : وفى بعض النسخ : «ظباء الحزم» بالميم ، وهما سواء ، وكلاهما المرتفع من الأرض . والعقَد ، بفتح القاف وكسرها : ما تعقّد من الرمل واحدته عَقَدة وعَقِدة . قال ذو الرمّة :

حتى نِساء تَميم وهى نازحةٌ بقُلّة الحَزْم فالصمّان فالعقَدِ (١)

والوَعساء : رَملة ليّنة تَغيب فيها الأرجل . ويقال أيضا : أوعَس ، يُذْهَب به إلى الرمل . وجعله عِقد ضلال ، لأنه ليس بعِقد على الحقيقة ، وإنما هو دَمع .

الخوارزمى : سيأتى .

٣٨ (لَقَدْ حَرَمَتْنَا أَثْقَلَ الحَلْيِ أُخْتُنَا فَمَا وَهَبَتْ إِلَّا سُمُوطَ لَآلِ)

التبريزى : أى ظباء الحزْم ادّعت أُخوّة هذه المرأة ، فظنّت أنّ الدمع لؤلؤ قد آثرتهنّ به ، وحرمتهنّ أثقل الحَلى ، أى الأَسْورة والخلاخيل .

البطليوسى : وصف أنّ هذه المذكورة بكت للفراق ، فلما رأت الظباءُ دموعَها تتناثر على الرمل ، توهّمت أنه دُرّ وهبتْه لها ، وبخلت عليها بالثّقيل من حَليها . وأراد بالثقيل من الحلى ما كان من سِوار ودُملوج وخَلخال ونحو ذلك . والسُّموط : الخُيوط التى يُنظم فيها الدرّ ، واحدها سِمط . وجعلها أُختًا للظباء لشبهها بها . والعرب تستعمل الأُخوّة بمعنى المُجانسة والمُشابهة ، فيقولون : هذا الثوب أخو هذا الثوب ، وهذا الدِّرهم أخو هذا الدرهم . وقال المُفسرون فى قوله تعالى :

(١) رواية الديوان ١٤٨ :

حتى نساء تميم وهى نائية بقلة الحزن فالصمان فالعقد

﴿ يَا أُخْتَ هَارُونَ مَا كَانَ أَبُوكِ امْرَأَ سَوْءٍ ﴾ إنّ معناه: يا شبيهة هارون . وهارون، رجل كان موصوفًا بالعفّة والصلاح، ولم يكن لمَريم أخ يقال له هارون . وعلى هذا المعنى قالت قريش للنبيّ صلّى الله عليه وسلّم : « هــذا أخُو أبِي كَبْشة » ولم يكن أخًا له من النَّسب ، و إنمـا كان رجلًا من العرب عَبَد الشِّعْرى العَبور فى الجاهلية، وخالف العربَ فى عبادة الأصنام، فلما ظهر النبيّ صلّى الله عليه وآله وسلم وخالفهم فى عبادة الأوثان، قالوا : هذا أخو أبى كَبشة ، أى شبيهُه فى الخلاف . كذا جاء فى بعض التفسير .

الخــوارزمى : الحــزم : أرفع من الحــزن . العِقــد، بالكسر : ما تعقّد من الرمل، الواحدة عَقِدة . عقد ضلال، أى عقدا يضلّ به الرائى، إذ يظنّه دُرًّا وليس به، لأنه دمع . يقول : بكت الحبيبةُ عند التَّرحال بدموع ظنّها الظباء سموطَ لآل، فقالت : كيف متّعْتنا بهـا أختُنا دون السّوار والخَلخال . ولقــد أصاب حيث آثر الحــزم على الحزن ، لأنه يُوهم أنه يريد به الكياســة ، يعنى أنّ ذلك الدمعَ لفرط مُشابهته الدرّ ممـا يَشتبه على ظباء الكياسة فكيف ظباء البَلَه . وفى البيت إيماء إلى أنّ الحبيبة من الظباء . و « العَقِد » مع « العِقد » تجنيس .

٣٩ ﴿ فَإِنْ صَلُحَتْ للنَّاظِمِينَ دُمُوعُنَا فَأَنْتُنَّ مِنْهَا وَالْكَثِيبُ حَوَالِي ﴾

التــبريزى : الكثيب : الرَّمل ما اجتمع وكَثُر، والجمع كِثبان وكُثبان . والمعنى أن دموعنا إن صلحت للناظمين، فأنتنّ يا ظباء حوالٍ بها، والكثيب أيضا معكن .

البطليــوسى : ســيأتى .

الخــوارزمى : هــذا البيتُ من قول المرأة الباكية . وهو فى مقام الجواب عن قول الظباء .

٤٠ (جَهِلْتُنَّ أَنَّ اللُّؤْلُؤَ الذَّوْبَ عِنْدَنَا رَخِيصٌ وأَنَّ الجَامِدَاتِ غَوَالِ)

التبريزى : الجامد غال، لأنه لايخرج من البحر ولا يُقدر عليه، والذّوب رخيص، لأنه الدمع .

البطليوسى : يقول : إن كانت دموعنا التى تُسكب وتُسجم ، درًّا يُحلّى به ويُنتظم، وصح منكن هـذا الظن والتوهّم ؛ فقد أَفَضْنا منها لشدة الشوق والنحيب، مايكون حليًا لكُنّ وللكثيب ؛ لأن اللؤلؤ الذائب عندنا رخيص مَبذول ، وأما اللؤلؤ الجامد فغالٍ قليل . وأراد باللؤلؤ الذائب الدمع . ويجوز فتح «إن» وكسرها ، فمن فَتحها جعلها فى موضع نصب بالفعل الذى قبلها . ومَن كسرها استأنفها وعلّق الفعل عن العمل . والذوب : مصدر وُصف به ، كما يوصف بالمصادر ، فى نحو قولهم : رجلٌ عَدْلٌ ، أى عادل؛ وصوم، أى صائم . وقوله «وأن الجامدات» ، أراد : وأن اللآلئ الجامدات ، فحذف الموصوف وأقام صفته مقامه .

الخوارزمى : عنى بـ«اللؤلؤ الذوب» الدموع . وهذا من قول المرأة الباكية أيضا .

٤١ (فلو كَانَ حَقًّا مَاظَنَنْتُنَّ لاغْتَدَتْ(١) مَسَافَةُ هَـذَا البَرِّ سِيفَ أُوَالِ)

التبريزى : السِّيف : شاطئ البحر . وأُوال : جزيرة يُستخرج عندها اللؤلؤ من البحـر فى بلاد الأحساء . والمعنى أن ظُنونكنّ لو كانت حقًا ، لكانت مسافة هذا البر مثل سِيف أُوال ، لكثرة اللؤلؤ بها .

البطليوسى : أُوال : جزيرة بالأحساء يُستخرج فيها اللؤلؤ من البحر، وهى التى ذكرها النابغة الجعدىّ فى قوله :

مَلَكَ الخَوَرْنَقَ والسَّدِيرَ ودانَهُ ما بين حِمْيَرَ أهلِها وأُوالِ(٢)

(١) الخوارزمى والتنوير : « ولو » .
(٢) أنشده فى اللسان (أول) . وفى ا : « حمير أهله » .

وسِيف كل بحر : ساحله . والمسافة : الفـلاة التى يُساف فيها التراب ؛ أى يَشَمّه الدليل فى الليل إذا ظنّ أنه قد أخطأ الطريق . هـذا أصلُها ، ثم كثُر ذلك حتى سَمّوا كل فلاةٍ مسافة . وهـذا البيت تُتمِّم للمعنى الذى تقـدّمه ، يقول الظباء التى توهّمت الدمعَ الذى انسكب وقَطر، لؤلؤًا تساقط وانتثر: لو كان ما توهمتنّ حقًّا ، وما ظننتنّ صدقا، لصارت مسافةُ هذا البَرّ بحرًا تُستخرج منه اللآلى ، كما يستخرج بسيف أُوال ، لكثرة ماسُكب فيها من دُموع العشّاق ، الباكين من الصدود والفراق .

الخـــوارزمى : السِّيف ، فى « بنى الحسب الوضّاح »[1] . أُوال ، على وزن غُراب : جزيرة بالبحرين ، عندها يُستخرج اللؤلؤ من البحر . قال ابن مُقْبِل :

* وكأنهـا سُفُنٌ بسيف أُوالِ[2] *

قال بعض الأدباء : والرواية فى بيت أبى العـلاء فتح الهمزة . واشتقاقه من الأَوْل ، وهو الرجوع ؛ لأنّ المـاء بعد انكشافه عنه يؤول إليه .

٤٢ (أ إخوانَنا[3] بَيْنَ الفُراتِ وجِلَّقٍ يَـدَ اللهِ لا خَبَّرْتُـكُمْ بِمُحَـالِ)

التـــبريزى : يَدَ الله : قسم ، والتقدير : أحلف بيـد الله ، أى بيمين الله ، أى لا خبّرتكم إلا بيقين . وجلّق : دمشق .

البطليـــوسى : وقع فى أكثر نسخ السقط : « أإخواننا » ، وفى بعضها : « أجيراننا » . والفرات : نهر بين العراق والشام . وجلّق : نهر بالشام مما يلى بلاد الروم . ويد الله : كلمة تُقسِم بها العرب ، فيقولون : يَدَ الله لا فعلت كذا وكذا . ومعناه : لا أفعله

(١) البيت ٢٢ من القصيدة ٤٢ ص ٩٥٧ .

(٢) صدره كما فى معجم البلدان (أول) :

* عمـد الحداة بهـا لعارض قرية *

(٣) البطليوسى : « أجيراننا » .

ما دامت لله يد غالبة على كل يد، وما دامت لله قوة وبَسطة؛ من قولهم: لا يَدَ لى بهذا الأمر. ويقولون أيضا: لا أفعله يدَ الدهر. قال الأعشى:

* يدَ الدهرِ حتى تُلاقى الخِيارا[1] *

فأصل هذه الكلمة أن تكون ظرفًا، ثم يُجرونها مُجرى القسم، كما فعلوا بـ«عوضُ»، وهو من أسماء الدهر.

الخوارزمى: جلّق، فى «لقد آن أن يثنى»[2]. قولهم: يد الله، كيمين الله، وانتصابه على إضمار فعل. قوله «لا خبرتكم» كقوله:

فـوالله لا عتَبتُ بابَك أحمصى فذَرْنى وحَرَّ الأَنْحَى المعضَدَا

قوله «لا خبرتكم بحال» فيما يجىء فى الأبيات المتأخرة بيانه.

٤٣ (أُنَبِّئُكُمْ[3] أَنِّى عَلَى العَهْـدِ سَالِمٌ وَوَجْهِى لَمَّـا يُبْتَذَلْ بسُؤَالِ)

٤٤ (وَأَنِّى تَيَمَّمْتُ العِرَاقَ لِغَيْرِ مَا تَيَمَّمَهُ غَيْـلَانُ عنْـدَ بِلَالِ)

التبريزى: غيلان، ابن عقبة ذو الرمة، قصد بلال بن أبى بُرْدة بن أبى موسى الأشعرىّ. وفيه يقول، وكان قد ولى البصرة فقصده ذو الرمة:

كأنّ النـاسَ حين تمـرُّ حتى عواتِقَ لم تكنْ تَدَعُ الحِجالا

قيـامًا ينظُرون إلى بلالٍ رفاقُ الحجّ تنتظر الهـلالا[4]

---

(١) صدره كما فى الديوان ٣٧:

* رواح العشى وسـير الغـدو *

(٢) البيت ٢٧ من القصيدة ١٨ ص ٦١٥.

(٣) التبريزى: «أؤنبئكم».

(٤) فى الديوان ص ٤٤٣: «أبصرت الهلالا».

وإنما غرضه أنه لم يستجدِ أحدًا بالعراق ولا بغيره .

البطليوسى : التيمُّم : القصد. يقول : قصدت العراقَ على غير الوجه الذى قصده غيلان ، وهو ذو الرمة ، وكان قصد بلال بن أبى بردة وهو قاضى الكوفة وأميرها، مادحًا له وطالبا نَيْله . وفى ذلك يقول :

سمعت : الناسُ ينتجعُون غيثًا فقلت لصَيدَحَ انتجِعِى بلالا[1]

تُناخِى عند خير فتًى يمانٍ إذا النّكباء ناوحت الشَّمالا

الخوارزمى : غيلان، هو ذو الرمة، وهو أحد عشّاق العرب المشهورة ، وصاحبته ميّة بنت قيس بن عاصم . وفى ديوان المنظوم[2] :

تعالَوْا إلى أطلالِ ميّـةَ نَبكِها وسيرةِ غيلان بن عُقبة نَحكِها

ويشبب أيضا بخرقاء من بنى البَكّاء بن عامر بن صعصعة . وسئل جرير عن شعره فقال : « أبعارُ غِزْلان ونُقَط عروس[3] » . بلال كان على البصرة قاضيًا ، وأبوه أبو بردة كان على الكوفة قاضيا ،وأبوه أبوموسى الأشعرى كان لعمر بن الخطاب قاضيا . فهم ثلاثة قضاة فى نسق . بلال هذا، كان من أجداد أبى الحسن الأشعرى صاحب المذهب فى الأصول . وورد ذو الرمّة على بلال، وأنشده لاميّته، فلما بلغ قوله :

سمعتُ : الناسُ ينتجعُون غيثاً فقلت لصَيدحَ انتجِعى بلالا

قال : يا غلام، أعطه حَبْلَ قَتٍّ لصيدح . هى ناقة ذى الرمة .

(١) البيت فى ديوانه ، ٤٢٢ وهو من شواهد الخزانة (٤ : ١٧) . و«الناس» مرفوع على الحكاية .

(٢) يعنى ديوان الزمخشرى . والبيت مطلع قصيدة بالورقة ٩٠ مخطوطة دار الكتب ٥٢٩ أدب .

(٣) نقط : جمع نقطة ، يقال نقطت المرأة خدها بالسواد تحسن بذلك . وفى الأغانى (١٦ : ١١٥) : « وكان عمر بن شبة يقول عمن أخبره عن أبى عمرو : إنما شعره نقط عروس تضمحل عما قليل ، وأبعار ظباء لها مشم فى أولها ثم تعود إلى أرواح الأبعار » .

٤٥ (فَأَصْبَحْتُ مَحْسُودًا بِفَضْلِيَ وَحْدَهُ عَلَى بُعْدِ أَنْصَارِى وَقِلَّةِ مَالِى)

التبريزى : ... ...

البطليوسى : ... ...

الخوارزمى : وحدَه، فى مقام النصب على الحال، وهو مليح .

٤٦ (نَدِمْتُ عَلَى أَرْضِ العَوَاصِمِ بَعْدَمَا غَدَوْتُ بِهَا فِى السَّوْمِ غَيْرَ مُغَالِ)

التبريزى : أى نَدِمتُ على مفارقة أرض العواصم بعد ما بِعتُها رخيصة .

البطليوسى : العواصم : من أرض الشام ، مما يلى حلب . وأراد : ندمت على ترك أرض العواصم ، أو فراق أرض العواصم ، فحذف المضاف . وقوله : «غير مغال» يقول : بعتُها بالرخيص من الثمن جهلًا بها، ولم أعلم قدرَ فضلها حتّى فارقتها .

الخوارزمى : العواصم فى « أعن وخد القلاص »[1] . يريد ندمت على مفارقة هذه الأرض .

٤٧ (وَمِنْ دُونِهَا يَوْمٌ مِنَ الشَّمْسِ عَاطِلٌ وَلَيْلٌ بِأَطْرَافِ الأَسِنَّةِ حَالِ)

التبريزى : أى لكثرة الغبار فيه لا تَبين الشمسُ . ولمّا جعل اليوم عاطلا من الحلى لأجل الغبار ، جعل الليل حاليا ببريق الأسنّة .

البطليوسى : أراد حربًا كانت قد قطعت به عن الرجوع إلى الشام . وجعل اليوم عاطلًا من الشمس لكثرة الغبار الذى يطمس ضوءَ الشمس ويُخفيه ، وجعل الليل حاليًا لما يلمع من الأسنّة فيه . وطابقَ بذكر العُطول والحَلْى ، واليوم والليل؛ وأشار إلى أن الفتنة قد أضرمت البلاد نارا، ومنعت من سلوك السبل ليلًا ونهارا.

الخوارزمى : سيأتى .

(١) البيت ٤٨ من القصيدة الأولى ص ٨٥ .

٤٨ ﴿وَشُعْثٌ مَدَارِيهَا الصَّوَارِمُ وَالقَنَا وَلَيْسَ لَهَا إلَّا الكُمَاةَ فَوالِى﴾

التبريزى : الشُّعث : جمع أشعث ، وهو الذى لا يتعهّد شعره بالدّهن والغَسْل . والمراد أنّ هؤلاء الشُّعثَ يَفْلون رءوسهم بالسّيوف ويطعنون فيها بالرماح ، فهى تجرى عندهم مَجارِىَ مدارِى النساء . ويقال : فلاه بالسيف ، إذا ضربه .

البطليوسى : أراد بـ«الشُّعث» رءوسًا قد شَعِثت لعدم الاغتسال . والمدارِى : الأمشاط ، واحدها مِدْرى . والصّوارم : السُّيوف القاطعة . والقنا : الرماح . والكماة : الشجعان . يريد قوما قد شعِثت رءوسهم لطول مكابدة الحرب ، وممارسة الطعن والضرب ، وأنهم لا يستريحون من الوغَى فتمشطَ رءوسهم وتُفْلَى ، فليس لرءوسهم فوالٍ إلّا الكماة ، ولا أمشاطٌ إلا الأسنّة والظُّبات . والفَلْى ، كلمة مشتركة ، يقال : فَلَيت رأسَه ، إذا سرّحته وأزلتَ قمله ، وفليتُه ، إذا قطعتَه . قال الراجز :

أىَّ وصيفٍ ملكٍ ترانى أَفليهِ بالسّيف إذا استفلانى (١)

الخوارزمى : الضمير فى « دونها » لأرض العواصم . يقول : الطريق من العراق إلى الشام مخوف .

٤٩ ﴿أَرُوحُ فَلَا أَخْشَى المَنَايَا (٢) وَأَتَّقِى تَدَنُّسَ عِرْضٍ أَوْ ذَمِيمَ فَعَالِ (٣)﴾

التبريزى : ... ...

البطليوسى : أراد أن خوفه على عرضه أشدُّ من خوفه على نفسه . وهذا مثل قول أبى الطيب :

---

(١) بدل البيت الأوّل فى اللسان (فلى) :

* أما ترانى رابط الجنان *

(٢) الخوارزمى : « ولا أخشى » .

(٣) البطليوسى فقط : « عرضى أو ذميم فعالى » .

لله قلبك ما يخاف من الردى ويخاف أن يدنو إليك العارُ (١)

وقوله :

يَهُون علينا أن تُصابَ نفوسُنا وتسلَمَ أعراضٌ لنا وعقولُ (٢)

وإنما ذكر الرواح دون الغدوّ لأنه أبلَغُ فى الغرض الذى قصدَه ؛ وذلك أن ذوى الرياء من الناس يجتنبون إتيان شهواتهم بالنهار ويتوخَّوْن بها الليل، ويرون ذلك من الحكمة، حتى قالوا فى المثل : « الليل أستر للوَيْل » . وقال آخر :

لا تلْقَ إلا بليلٍ مَن تَهِم به فالشمْس نمّامةٌ والليل قوّادُ

فأراد أبو العلاء أنه يتوقّى من المعَايب فى الرواح، كالذى يتوقّى منها فى الصباح.

الخوارزمى : يقول : إن الطريق بينى وبين الشام وإن كان مخوفا، فلست خائفا، وإنما أخاف أن يقال اثيم، أو يصدر منّى فعل ذميم . وهذا من قول ابن حارثة (٣) : « المنيّة ولا الدنيّة » .

٥٠ (إذَا مَاحِبَالٌ مِنْ خَلِيلٍ تَصَرَّمَتْ عَلِقْتُ لِحَبْلٍ (٤) غَيْرِهِ بِحِبَالِ)

التبريزى : الحبال، مستعار (٥)، يعنى المودّات؛ قال امرؤ القيس (٦) :

إنّى بحَبْلِك واصلٌ حَبْلِى وبِرِيش نَبلك رائشٌ نَبْلى

البطليوسى : تصرّمت : انقطعت . والعرب تسمّى العهدَ والوصلَ حبلاً؛ لأن المتعاهدَين والمتواصلين يتألّفان بهما، كما يتألّف البعيران والثوران إذا شُدّا

---

(١) ديوان المتنبى (١ : ٢٩١) . وفى أ : « أن يدنى » وتقرأ بالبناء للفعول .

(٢) فى ديوان المتنبى (٢ : ٨٨) : « أن تصاب جسومنا » .

(٣) هو أوس بن حارثة، كما فى جمهرة الأمثال للعسكرى ص ١٨٧ .

(٤) الخوارزمى والتنوير : « بحبل » .

(٥) فى الأصل : « مستعار من المودات » .

(٦) من قصيدة له فى ديوانه المخطوط برقم ٧٧٢٧ أدب، وليس فى ديوانه المطبوع . وقد أنشد البيت فى اللسان (حبل) .

بالحبل . ولذلك قالوا للصاحب : قرين، وهو بمعنى مقرون، شُبِّه بالبعير يُقرَن ببعير مثله . ولذلك قال رؤبة :

* وحَلَّ هَيْفُ الصَّيفِ أقرانَ الرِّبَق (١) *

أراد أن الهيف ، وهي ريح حارّة ، لما هبّت نَشَفت المياهَ ، وأيبست النباتَ ، فافترقوا يطلبون النُّجعة، كما تفترق البَهْم إذا قطعت أرباقها. وهذا البيت شبيهٌ بقول امرئ القيس :

إذا قلت هذا صاحبٌ قد رضيتُه وقـرّت به العينان بُدِّلتُ آخرا

الخوارزمى : هذا من قول الأمير أبى فراس :

إذا لم أجـد من خُلّةٍ ما أُريده فعندى لأُخرى عَزْمةٌ وركابُ

٥١ (وَلَوْ أَنَّنِي فِي هَالَةِ الْبَـدْرِ قَاعِدٌ لَمَـاهَابَ يَوْمِي رِفْعَتِي وَجَلالِي)

التبريزى : الهالة للبدر، وربما استعملت فى الشمس. وأنشد ابن الأعرابى :

كأنها البـدر فى طُفاوته أو هالة الشمس عند تشريق

البطليوسى : الهالة : الدارة التى تُرى حول البدر إذا حال دونه غَيم. فإن كانت للشمس فهى طُفَاوة . وهاب : خاف . يقول : لو كنتُ قاعدًا فى هالة البدر لم يُنْجنى ذلك من منيّتى ، ولا هابتنى من أجل جلالى ورِفْعتى . وهـذا نحو قول أبى ذؤيب :

ولو أننى استودعتُه الشمسَ لارتقتْ إليـه المنـايا عينُها أو رسولُها

الخوارزمى : قال الغورى : الهالة : دارة القمر . يومى ، أى يوم منيّتى . و « هالة » مع « هاب » تجنيس .

(١) ديوان رؤبة ص ١٠٥ .

[القصيدة التاسعة والخمسون[1]]

وقال أيضا فى بغداد فى الأول من الطويل والقافية متواتر[2] :

١ (مَغَانِي اللِّوَى مِنْ شَخْصِكَ الْيَوْمَ أَطْلَالُ وَفِى النَّوْمِ مَغْنًى مِنْ خَيَالِكَ مِحْلَالُ)

التبريزى : المغانى : جمع مَغْنى ، وهو المنزل . واللِّوَى : منقطع الرمل . ومِحلال : مفعال من الحلول . ومعنى «محلال» ، أنه يُحَلّ فيه كثيرا . والمعنى أنّ مغانى اللوى قد خلَتْ من شخصك فهى خالية منه ، وفى النوم مغنًى محلال من خيالك .

البطليوسى : المغانى : المنازل ؛ سمّيت بذلك لأنها يُغْنَى بها ، أى يقام بها ، واحدها مَغْنى . والأطلال : الآثار الشاخصة ، واحدها طَلَلٌ ؛ فإن لم تكن آثارًا شاخصة قيل لها رسوم ، واحدها رَسْم . ويستعمل الرسم أيضا فى كل أثر كان له شخصٌ أو لم يكن . والمحلال : المنزل الذى يُحَلّ به كثيرا . يقول : مغانيك التى نشاهدها فى اليَقظة خاليةٌ منك ، وأمّا فى النوم فإنها عامرة بك ؛ لأنا لا نزال نرى خيالكِ فيها على ما كنا نعهده منك . وهذا نحوٌ من قول محمد بن هانئ :

عَيناكِ أم مَغناكِ موعدُنا وفى وادِى الكرى ألقاكِ أم واديكِ
مَنَعوكِ من سِنَةِ الكَرى وسرَوْا فلو عثَروا بطيفِ طارقٍ ظنّوكِ

الخوارزمى : ضمّن الأطلال معنى الخلو ، فعدّاها بمن . مكان محلال : يُحَلّ كثيرا . ونظيره : طريق ميتاء ، يؤتى كثيرا . «من» فى قوله «من خيالك» متعلق بـ«مغنًى» . ونحوه قول ذى الرمّة :

* أأنْ توسّمْت من خَرقاءَ منزِلةً[3] *

(١) هذه القصيدة وشرحها ساقطة من نسخة حـ من التبريزى .

(٢) البطليوسى : « قال أبو العلاء » . الخوارزمى : « وقال أيضا بمدينة السلام فى الطويل الأول والقافية من المتواتر » .

(٣) ويروى : «ترسمت» و «توهمت» كما فى ديوان ذى الرمة ٥٦٧ . وعجزه :

* ماء الصبابة من عينيك مسجوم *

وقـــوله :

* ألا حيِّ رسمًا من سُعادَ وأربُما *

ويجوز أن يتعلق بـ«محلال» . يقول : منازلك باللوى خاليسة منك ، وخيالك في النوم منزل به آهل . يريد : مذ رميتنا بزيالك ، يكثر بنا حلولُ خيالك ، والمصراع الثاني مستفاد من قولهم : « آنَسُ من الطيف » .

٢(مَعَانِيكِ شَتَّى وَالعِبَارَةُ وَاحِدٌ فَزَنْدُكِ مُغْتَالٌ وَطَرْفُكِ مُغْتَالُ)(١)

التبريزي : المغتال الأول، من اغتاله ، إذا أهلكه ؛ والثاني من قولهم : ساعد غَيْلٌ ، إذا كان ممتلئا . قال الراجز :

لَكَاعِبٌ مائــلةٌ في العِطفَيْنْ بيضاءُ ذاتُ ساعدَينِ غَيلَيْنْ

أهْوَنُ من ليلى وليلِ الزَّيْدَيْنْ وعُقَبِ العِيس إذا تمطَّيْنْ(٢)

وعُقَب : جمع عُقْبة ، وهو أن يركب الرجلُ ساعةً وصاحبه ساعة أخرى ، وهي المعاقبة . وتمطَّين ، أي تمدّدن . ويقال : تمطّى ، أي تمدّد . قال الراجز :

إذا تمطَّيْنَ على القَيــاقِي لاقَيْنَ منّى أُذُنَى عَناقِ(٣)

القيــاقى : جمع قِيقاءة ، وهي الفلاة . ويقال بمعناه : زِيزاءة وزَيازٍ ، وجِلذاءة وجَلاذٍ. وقوله « لاقين منه أُذُنَى عَناقٍ» يعنى الداهية . مثله لعبد المحسن الصُّوري(٤) :

بدائـعُ من أفعالهنّ البــدائعُ ويتّفقُ اللفظانِ والخُلفُ واقعُ

---

(١) الخوارزمي : « فطرفك مغتال وزندك مغتال » .

(٢) الأشطار الأربعة في اللسان (غيل) . وفي اللسان : «وليل الزيدين» .

(٣) البيتان في اللسان (عنق ، قيق) .

(٤) ترجم له في الوفيات ، وذكر أنه توفي سنة ٤١٩ .

البطليوسى : شتّى : مختلفة ، واحدها شَتِيت . والزّند : ما انحسر عنه اللّحم من الذراع . والمغتال : السمين الكثير اللحم؛ يقال : ساعدٌ غَيل ومُغتال . أنشد ابن الأعرابىّ فى نوادره :

يا مىَّ يا ذاتَ الوِشاح الجَـوّالْ والساعد الفَعْم الروىّ المغتالْ

وقال حُميد بن ثَورٍ فى الغَيل :

فلمّا نزعن اللِّبس عنه مسحنَهُ بأطراف طَفْلٍ زان غَيلا موشَّما[1]

وقوله «وطرفك مغتال» أى يغتال النفوس ويُهلكها . يقال : غالته المنيّة واغتالته، إذا ذهبَتْ به . وأراد : والعبارة لفظ واحد ، فلذلك ذكّر .

الخوارزمى : المغتال الأول ، اسم فاعل من اغتاله ، أى أهلكه من حيث لا يدرى . وألفه منقلبة عن الواو . والثانى، هو الممتلئ . ووجه تعلّق هذا البيت بما قبله : أمّا مغانيك فلم يبق منها سوى أطلال ، وأما معانيك فهى على أكمل حال .

٣ ﴿وَأَبْغَضْتُ فِيكِ النَّخْلَ والنَّخْلُ يانِعٌ وأَعْجَبَنِى فى حُبِّكِ[2] الطَّلْحُ والضَّالُ﴾

التبريزى : يقال: يَنَع الثمر وأينع، فهو يانع، إذا أدرك . والضّالُ : سِدر البرّ . والمراد أنِّى اخترت الطّلحَ والضالَ على أنّ ثمرهما ليس بنافع للا نيس، من أجل أنك تحُلّين فيهما، وأبغضتُ النخلَ اليانع لأنك لا تقرُبين منه .

البطليوسى : يقول : أحببتُ الطلحَ والضالَ لأنّك تنزلين فى منابتهما ، وأبغضت النخلَ اليانعَ وهو الذى طاب ثمره، لأنك لا تنزلين فى منابته . وإنما أراد أنها متبدِّية تنزل الفلواتِ حيث يكون الطلحُ والضالُ، ولا تنزل الحواضرَ

(١) البيت فى اللسان (لبس) . وفى حـ : «نزعنه * بأطراف» .

(٢) التبريزى و ا من البطليوسى والتنوير : «من حبك» .

والمواضعَ التى فيها النخل . والضال من السِّدر : ما ينبت فى البرارىّ على غير ماء، وما ينبت منه على المـاء قيل له عُبْرِىّ . قال ذو الرمّة :

قطعتُ إذا تجوّفَتِ العَواطى ضُروبَ السِّـدرِ عُبرِيًّا وضالا[1]

والعواطى : الظباء التى تَعطُو إلى الشجر، أى تمدّ أعناقَها إليها . وهذا يدلّ على أنها تنبُت فى الفلوات . وقال أبو حنيفة : منابت الضالِ القِيعانُ ، وقد ينبُت فى الجبال، ولا ينبت الطَّلْحُ إلا بأرض غليظة شديدة حَصِبة، أى كثيرة الحصباء، ولا ينبت الطّلح فى الجبـال ولا الرمال . قال : وقد أخبرنى بعضُ الأعراب أنّ الطلح قد ينبُت فى الجبال، وهو أعظَمُ من العضاه . وهذا نحوُ قول أبى الطيب :

سُهادٌ أتانا منـكِ فى العين عندنا رقادٌ، وقُلّامٌ رَعى سِربكم وَرْدُ[2]

الخـــوارزمى : ســيأتى .

٤(وأَهْوَى بِجَراكِ السَّماوَةَ وَالقَطَا وَلَوْ أَنَّ صِنفَيْـهِ وُشَاةٌ وَعُذَّالُ)

التــــبريزى : يقال : فعلت ذلك من أَجْلك و إِجْلك، وأَجْلاك و إِجْلاك ، و إجلالك، ومن جَلَلِك وجَلَالِك، ومن جرّاكَ وجَرّائك، بمعنًى . وصنفا القطا : الكُدْر والجُون . و إنّما أبغض النخلَ وأحبّ السماوةَ والقطا لأجلها، لأنها بدويّة لا تسكن الحضَر .

البطليـــوسى : السماوة : موضـعٌ فى بلاد كلب، وقيل : هو فلاةٌ بالشـام والموصل تألفها القطا، فلذلك ذكَرها . والقطا أكثر طيرِ بوادى الأعراب؛ ذكر ذلك أبو حاتم . ولذلك قال أبو الطيّب :

---

(١) ديوان ذى الرمة ص ٤٤٠ .

(٢) أى السهاد إذا كان لأجلكم فهو رقاد عندنا فى طيبه ، والقلام على خبث ريحه إذا رعته إبلكم فهو عندنا بمنزلة الورد . انظر شرح العكبرى (١ : ٣٣٨) .

فالعُرْبُ منـه مع الكُدْرِيّ طائرةٌ   والروم طائرةٌ منـه مع الحَجَـلِ (١)

ويقال : فعلت ذلك من جَرَاك بالقصر ، وجرائك بالمدّ ، أى من أجلك . كذا حكى اللِّحيانى . والمشهور فيه القصر . وأنشد :

أمِن جَرَّى بنى أسـدٍ غَضِبتمْ   ولو شـئتم لكانَ لكم جِـوارُ

ومِن جَرائنـا صرتم عبيـدًا   لقـومٍ بعـد ما وُطِئَ الخِيـارُ (٢)

وإنمـا قال «ولو أن صنفيه» لأن القطا جنسان : كُدرِىّ وجُونِىّ . فالكُدرِىّ غُبْر الألوان ، رُقْش الظّهور والبطون ، صُفْر الحلوق ، قصار الأذناب . والجُونِىّ منها سـود البطون ، سـود بطون الأجنحة والقوادم ، بيض الصـدور غُبْر الظهور ، وفى عنق كلّ واحدة منها طوقانِ أصفرُ وأسـود . والقطاة الجُونية تَعـدِل قطاتين من الكُدرِيّة . ويقال لجنس الكُدرِىّ منها عربِىّ ؛ لأنه أكثر فى بلاد العرب من الجُونِىّ .

الخـوارزمى : النضر عن أبى دبيس : يقـال للشّجَر إذا كان رطبًا شـديد الرطوبة رخصًا تميله الريح يمينًا وشمالا من رطوبته : إنّه ليَانع ، وقد أَيْنَع ويَنَع . نقله الخارَزَنجِىّ . ومنه بيت السقط :

* خطيبٌ تَنَمَّى فى الغضيض من اليَنْعِ (٣) *

الطّلح والضالُ ، من شجر العِضاه . السماوة فى «ورائى أمام» (٤) . عنى بصنفى القطا هاهنا الكُدرِىّ والجُونِىّ . وتُعدَلُ جونيّـةٌ بكدريّتين . يقـول : من أجلكِ أبغضتُ الحضَر وأحببت البَدْو . والمعنى من قول الأمير أبى فراس :

(١) ديوان المتنبي (٢ : ٧٠) .
(٢) البيتان فى اللسان (جرر) .
(٣) البيت ١٠ من القصيدة ٦٢ . وصدره :
* ترى كل خطباء القميص كأنها *
(٤) البيت ١١ من القصيدة ١٠ ص ٤٠٠ .

ولـولا أنتَ ما قَلِقتْ ركابى ... ولا هبّتْ إلى نجـدٍ رياحى

ومن جَرّاكَ أُوطِنْتُ الفيـافِى ... وفيـك غُذِيتُ ألبـانَ اللّقاحِ

وحُسْنَ إسـنادُ الوِشاية إلى القطا، لأنّه عنـد الصِّياح يُسمّى نفسَـه، فكأنه بهـا يَشِى.

٥ (حَمَلتِ مِنَ الشّامَينِ أَطيبَ جُرْعَةٍ ... وَأَتْرَزَهَا وَالقَوْمُ بالقَفْرِ ضُلّالُ)

التـبريزى : يريد بقوله « أطيب جرعة » ريقَها .

البطليـوسى : سـيأتى .

الخـوارزمى : أخبرنى بعضُ الشـعراء الشاميّة أن الشـام شامان : أعلى وأسفل . أما الأعلى فمن حلب وحَماة وحِمْص وشَيْزَر وكَفْر طاب وخُناصرة وقَاصِرين إلى الرَّحْبة . وأما الأسفل فمِن بيت المقدس وعَسقلان ونابُلس وعَكّة وصُور إلى طَرَابلُس . عنى بـ«أطيب جرعة» ريقَ المحبوبة . قوله « والقوم بالقفر ضُلّال » يريد أنّ حَمْلك الريق إلينا من الشامَين إنمـا كان فى النوم ليـلًا ، بحيث عَدل عن الطريق الرفاق ، ولم يهتدوا لأنه شُغل بالتّهويم الآماق .

٦ (يَلُوذُ بِأَقْطَارِ الزُّجَاجَةِ بَعْـدَ مَا ... أُرِيقَتْ لِمَـا أَهْدَيْتِ فى الْكُثْرِ أَمْثَالُ)

التـبريزى : المعنى أنك حُبِيتِ بريق وهو من أطيب الجُرَع ، وهو قليـل جدًّا ؛ لأن الزجاجة إذا أُريق ما فيها بقى من آثار الراح بجوانبها ما هو أمثال الجرعة (١) التى أُهديتِ ؛ لأن آثار الراح بقية مِنها . والجرعة التى حُملت متوهَّمة لا حقيقة لها . والمراد أنّ الخيال يُرِى الإنسانَ أنه يُقبـله ويَشرب ريقَه ، وليس ثَمّ ريق البتّة . والذى يبقى فى الزجاجة بعد أن تفرغ أكثر مما أهديتِ بأضعاف . وفاعل « يلوذ » « أمثـال » .

(١) فى الأصل : «مثقال الجرعة» .

البطليوسى : الجُرعة ، بضم الجيم : قَدْر ما يُجرع من الماء ونحوه مرةً واحدة . والجَرعة، بفتح الجيم : المرة الواحدة من الجَرْع ، وقد قيل هما بمعنى واحد . وصفها أنها زارتْه فى النوم من الشام وهو بالعراق ، فلَثِمتْه وأهدت إليه من ريقها جرعةً نَزْرة، أى قليلة، وأصحابُه بالفَلاة قد ضلّوا عن طريقهم . وثنّى الشامَ لأنه أراد موضعين منه، فسمّى كلَّ واحد منهما شامًا، كما قالوا الشامات، يريدون بلاد الشام وقُراه . وأَقطار الزجاجة : نواحيها . يقول : إذا فُرِّغ ما فى الزجاجة تعلّق بجوانبها أمثال ما أهديتِ إلينا من ريقك . والزجاجة لا يتعلق بجوانبها من الخمر والماء إذا فُرِغت إلا شىء لطيف لا يُحَسّ. فإذا كان على قلّته أمثالًا لما ناله من ريقها، كان ما ناله من ريقها شيئًا غير موجود . وإنما خص الزجاجة بالذكر لأن الذى يتعلّق بها من الخمر والماء أقلّ مما يتعلّق بغيرها ، ولأنّ فم المرأة يُشَبَّه بالزجاجة من حيث كان ريقُها مُشبّهًا بالخمر . قال ذو الرمّة :

ودَاعٍ دعانِى للنَّدَى وزُجاجةٍ تحسّيتُها لم تَقْنِ ماءً ولا خمرا[(١)]

أراد فم امرأة قبّله . و « أمثال » مرفوع بـ«يلوذ» . وفى «أُريقت» ضمير مرفوع يرجع إلى «الزجاجة» . وإنما ذكر الضّلال فى القفر، لأنّ القوم إذا ضلّوا فى القفر وأشرفوا على الهلاك، يشغلهم ما هُم فيه عن تذكّر أحبابهم . فأراد أنّ ما كان فيه لم يشغله عن الفكر فيها والتصوّر لها ، حتى أدّى ذلك إلى أن رآها فى نومه . والعرب يَمدحون أنفسهم بتذكّر أحبّتهم فى مواطن الشدائد ؛ لأن فى ذلك دليلًا على صحة المودّة وثبات الجأش والجُرأة . ولذلك قال أبو عطاء السِّنْدىّ :

ذكرتُك والخَطّىُّ يَخطِر بيننا وقد نَهِلتْ منّا المُثقَّفة السُّمْرُ

(١) رواية الديوان ١٧٩ : « لم تقر ماء ولا خمرا » .

وقال هُدْبة بن خَشْرَم :

ولمّا دخلتُ السجنَ يا أُمَّ مالكٍ ذكرتكِ والأطرافُ فى حَلَقٍ سُمْرِ

الخوارزمى : الضمير فى «أريقت» للزجاجة . «أمثال» مرتفع على أنه فاعل «يلوذ» . يقول : إذا كُفِئت الكأسُ حتى هُريق ما فيها من الخمر، فما يلترق بكل جانب من جوانبها من البِلّة، مثلُ ريقك فى الطعم والقِلّة . كأنه استقلّ رِيقتها لأنه استطابها، أو لأنه ترشّف فى المنام رِيقها ولا ريق، فما يلترق بأطراف الزجاجة بعد إراقة الخمر أكثرُ من ذلك الريق . وفحوى البيت ينطوى على تشبيه فمها بالكأس .

٧ (فَسَقْيًا لِكَأسٍ مِنْ فَمٍ مِثْلِ خاتَمٍ مِنَ الدُّرِّ لَمْ يَهْمُمْ بتَقْبِيلِهِ خَالُ)

التبريزى : معناه أنّ فمك مثل خاتَم . والمُراد أن ثغرها من الدرّ . لم يهمم بتقبيله خال ، يحتمل وجهين : أحدهما ، لم يكن فيه خال ، أى شامة تغيّر لونه . والآخر أن يكون الخال الرجلَ المُختال لعِظم شأنه . ولم يَهم بتقبيله لأنه لا يصل إليه .

البطليوسى : هـذا البيت يؤكِّد ما ذكرناه من تخصيصه الزجاجة بالذكر ، من حيث كان الريق يُشَبَّه بالخمر . ألا تراه قد جعل فمها كأسا من الدرّ ، لأن الأسنان تُشَبَّه بالدر فى شكلها وصفائها . وتشبيه الفم بالخاتَم معنًى مطروق كثير . قال الشاعر :

ترى فيــه لامًّا وردةً فوق وردةٍ (١) وفصًّا من الياقوت من فوق خاتَمِ

والخال : المتكبِّر المختال . أراد أنه ممنوع لا يوصَلُ إليه . وفى قولهم : «رجل خال» ثلاثة أقوال : قيل وزنه فَعِلٌ ، بكسر العين ، وأصله خَوِلٌ ، على مثال بَطِرٍ وأَشِرٍ ، فانقلبت الواو ألفًا لتحرّكها وانفتاح ما قبلها . وقيل هو اسم فاعل : من خال يَخُول ، إذا تكبّر ، وأصله خائل ، فقُلِب فقيل خالٌ ، كما قيل لاثٌ ، وهو مقلوب من لائث .

(١) ا : «بردة فوق بردة» .

وهــذا القول فيه نظر؛ لأنه كان ينبغى أن يكون منقوصًا ، بمنزلة قاض . غير أن العــرب ربمــا رفعت المنقوص كأنه غلطٌ منهــم ، وذلك نادر لا يكاد يُعــرف . أنشد ثعلب :

لهــا ثنايا أربعٌ حِسانُ وأربعٌ فثغــرُها ثَمــانُ

والقول الثالث أن الخــال هو التكبّر نفسُه، يقال : رجلٌ فيه خالٌ وخُيَلاء . فإذا قالوا رجل [خالٌ]، فكأنهم أرادوا ذو خال، فحُذِف المضاف، كقولهم رجلٌ عدلٌ . والخال بمعنى التكبر مشهور فى اللغة . كما قال النابغةُ الجعدى :

يا بن الحَنا إنه لولا الإلٰهُ وما قال الرسولُ لقد أنسيتُك الخالَا

وإنما قال «فسَقيا» ولم يقل «فرَعْيًا» والوزن واحد، لأنّ لفظة السقى ها هنا أليق؛ لأنه وصف أنّهــا سقتْه فى النوم من خمر ريقها بكأس ثغرها، فدعا لها بمثل ما فَعلته، فقال: سقى الله كأس ثغرها من ريق أحِبّتها كما سَقَانى، وأرواه كما أروانى. وقد سلك أبو الطيّب هذا المسلك، وإن اختلف المعنى فقال :

سَــقى ابنُ علىٍّ كلَّ مُزْنٍ سَقتكُمُ مُكافاةً يغــدو عليها كما تغــدو (١)

فدعا للسحاب بالسُّقيا وإن كان السحاب ممــا يَسْقِى ، طلبًا لتشاكل الألفاظ، وتطابق المقاصد والأغراض .

الخــوارزمى : الخال، هو المختال، وعنى به ها هنا المَلِكَ المتكبّر. شبّه فاها فى الطعم والاستدارة بالكأس، إلا أنّ الكأس أبدًا تكون منفرجةَ الفم غير ضيّقة، فتدارك ذلك بأن شبّه فاها مرةً ثانية بالخاتَم ، لكنّ الخاتَم إنمــا يكون من أشياء لا تُشابه الثغر، فتلافَى ذلك بأن جعل الخاتَم من الدرّ. ثم الكأسُ فى الغالب تكون

(١) فى ديوان المتنبى (١ : ٢٣٩) : « يغدو إليها » .

مبتذلةً بحيث يكرع فيها من أهــل المجلس كلّ أحد حتى كأنه يقبّلها ، فلحق ذلك بوصفه الفم بأنه لم يقبِّله ملك عظيم الشأن فكيف غيره .

٨(صَحِبَتِ كَرَانَا والركابُ سَفَائِنٌ كَعَادِكِ فِينَا وَالرَّكَائِبُ أَجْمَالُ)

التـــبريزى : الكَرى : النوم . وقوله « كعادِكِ » : جمع عادة ؛ قال القُطامىّ :

تَجِيَّـةً وحِفـاظًا إنهـا شِـيَمٌ كانت لقومىَ عاداتٍ من العادِ (١)

أى صحبْتِنا فى البحر ، كما صحبْتِنا فى البر ، أى طَرقتِ ونحن نيـام وركائبنا سـفائن فى الفرات ، كما جرت عادتك أن تطرقينا فى البرّ والركائب أجمال .

البطليـــوسى : إنمـا قال هذا لأنه كان انحدر إلى بغداد فى زَورق . يقول : زُرتِنا فى النـوم ونحن فى البحـر نركب السـفن ، كما كنت تزورينا فى البرّ ونحن نركب الإبل . يريد أنّ خيالَهـا يصحبه أينمـا ذَهب ، ويقفو أثره أيّةً سـلك ؛ كما قال فى موضع آخر :

لو حَطّ رَحْلِيَ فوق النجم رافعُه أُلفيتُ ثَمَّ خيـالًا منك مُنتظِرى (٢)

والكرى : النوم . والرِّكاب : الإبل ، واحدها : راحلة من غير لفظهـا ؛ وقد قيــل إن واحدها رَكوبة . فأما الرَّكائب : فجمع رَكوبة ، وهى النـاقة تُركب أو الجمل . وعاد : جمع عادة ، كما يقال شامة وشام .

الخـــوارزمى : العاد : جمع عادة ؛ قال القطامىّ :

* كانت لقومىَ عاداتٍ من العاد *

أى صحبْتِنا الآن فى البحر كما صحبْتِنا فى البر .

---

(١) ديوان القطامى ١٣ .

(٢) البيت ٥ من القصيدة ٢ ص ١١٩ .

٩﴿ أَعُمْتِ إِلَيْنَا أَمْ فِعَالَ ٱبْنِ مَرْيَمٍ فَعَلْتِ وَهَلْ تُعْطَى النُّبُوَّةَ مِكْسَالُ ﴾

التبريزى : يقول : إنّا جهلنا : أعُمتِ إلينا من المـاء كما يعوم السابح ، أم مَشيت على المـاء كفعل عيسى ، والنساء لا يُنبَّأن[(١)] . والمِكسال : الكثيرة الكسل ، والنساء يُوصفن بذلك .

البطليوسى : يقول : كيف وصلتِ إلينا ونحن فى الزورق : أعُمت فى المـاء كما يعوم السابح ، أم أُوتيت نبوّةً فمشيتِ على المـاء كما كان يمشى عيسى بن مريم . وقوله «وهل تعطى النبوّة مكسال» ، يحتمل أن يريد أن النبوّة ليست للنساء ، ويحتمل أن يكون نَفَى النبوّة عن ذوات النَّعمة والرفاهيـة منهنّ . وهـذه مسألة كان قد وقـع فيها خلاف وتنازع بين فقهاء الأندلس ، وكان منشأ الخلاف فيها من فقهاء قُرطبة ، فأجاز بعضُهم ذلك ، وأبطله بعضهم . واحتجّ مَن أبطله بقوله تعالى : ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ إِلَّا رِجَالًا نُوحِي إِلَيْهِم ﴾ . وقال الذين أجازوا ذلك : ليس فى هذه الآية حُجّة ؛ لأنه يمكن أن يكون أراد الرجال والنساء ، وغُلِّبَ المذكر على المؤنث ، كما قال فى مَريم : ﴿ وَكَانَتْ مِنَ الْقَانِتِين ﴾ ولم يقل « من القانتات » . ومع هذا فقد قالوا للمرأة رَجُلة ، وأنشد أهلُ اللغة فى ذلك :

كُلّ جارٍ ظَـلّ مُغتبطًا غيرَ جيرانِ بنى جَبَـله
خرقـوا جيب فتـاتِهمُ لم يبالوا حُرمـةَ الرجله

واحتجوا فى إثبات نبوّة النساء بقوله تعالى : ﴿ وَأَوْحَيْنَا إِلَى أُمِّ مُوسَى أَنْ أَرْضِعِيهِ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِي الْيَمِّ ﴾ . ولم تكن أُمُّ موسى لتُلقِىَ ابنَها فى اليم إلا بوحى صحيح ، وأن الله تعالى قد ذكر مريم فى جملة الأنبياء فى سُورة ﴿ كهيعص ﴾ ، ثم قال بعقب

(١) فى ء من التبريزى : « أم مشيت كما يقال إن عيسى بن مريم عليهما السلام كان يمشى على المـاء » .

ذكرهم : ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ﴾. قالوا : وإنما الممتنع من النساء الرسالة خاصة ؛ وأما النبوّة فإنما هي إخبار عن الله تعالى ، فممكن أن يكون ذلك في الرجال وفي النساء . وهذا القول أظهر القولين .

الخوارزمي : كان عيسى عليه السلام يمشي على الماء . كسلُ المرأة : كناية عن كونها مخدومة منعّمة . يريد لا يجوز أن يكون النبيّ امرأة ، فكيف إذا كانت منعّمة ؛ إذ النبيّ إنما كان رجلًا كثيرَ الرياضة والمجاهدة .

١٠ ﴿كأنّ الخُزَامَى جُمِّعَتْ لكِ حُلّةً   عَلَيْكِ بِهَا في اللَّوْنِ والطِّيبِ سِرْبَالُ﴾

التبريزي : المعنى : كأنّ الخزامى ، وهي نبت طيّب الرائحة ، جُمّعت لك منها حلّة ، فهي طيّبة الرائحة ، حَسنة اللون . والخُزامى : خيريّ البرّ . و«حلة» : منصوبة على الحال . والخُزامى لها رائحة طيبة .

البطليوسي : سلك أبو العلاء في هذا البيت مَسلك العرب ؛ لأنهم كانوا يمدحون الخُزامى ويعدّونها من جملة الطيب . ألا ترى إلى قول امرئ القيس :

كأنّ المُدام وصوبَ الغَمام   وريحَ الخزامى ونَشْر القُطُرْ

فقرنها بالقُطر ، وهو العود . وحكى أبو حنيفة أنّ أبا زياد الكلابيّ قال : لم نجد من الزَّهر زهرةً أطيب نفحةً من زهر الخُزامى ؛ وأنشد :

لقد طَرقتْ أمُّ الظباءِ صحابَتى[1]   وقد جَنحتْ للغَور أيدى الكَواكِبِ[2]

بريحِ خُزَامَى طَلّةٍ من ثيابِها   وذِى أرجٍ من جيّد المسكِ ثاقب[3]

وقال بعض الرواة : الخُزامى : خيريّ البر . ذكر ذلك أبو حنيفة وغيره .

---

(١) في اللسان (خزم) : « صحابتى » .

(٢) في اللسان : « أخرى الكواكب » .

(٣) في اللسان : « ومن أرج » .

الخــــوارزمى : الخزامى : خِيرِىّ البرّ، وهو نور أبيض يضرب إلى الحمرة، ويُشــبه الخدود ، لمخالطة الحُمرة البياضَ، وله رائحــة طيبة . جَعل حُلّتها حمراء ، لأنّ لباس الملوك الأحمر . قال أبو الطيب :

مَنِ الجـآذرُ فى زىّ الأعاريبِ حُمــر الحُلَى والمَطايا والجَــلابيبِ

الباء فى « بهــا » للأداة . والضمير فيــه يرجع إلى «حلّة» . يريد : حُلّتك تُشبه الخزامى فى لونها وطِيبها؛ فعليك بتلك الحُلّة فى لون الخُزامى وطيبها سِرْبالٌ عجيب.

١١ ﴿عَجِبْتُ وقَدْ جُزْتِ الصراةَ رِفَلّةً ومَاخَضِلَتْ مِمّا تَسَرْبَلْتِ أذْيالُ﴾

التــبريزى : الرِّفَــلّة : الطويلة الذيل، فهى تَرْفُل فيــه ، أى تُغطِّى قدمها فى المشى . وخضِل الشىء : إذا ابتــلّ؛ أى كان يجب إذ جزت الصراة على تلك الحال أن يَخضلّ ذيلك، أى يبتلّ .

البطليــــوسى : الصَّراة : مُجتمع دجلة والفُرات . والرِفَلّة : الطويلة الذّيل . يقال : فرس رِفَلٌّ ورِفَنّ، باللام والنون . قال النابغة الذبيانى :

بكُلِّ مُدجّجٍ(١) كالليث يَسمو إلى أوصال ذَيّالٍ رِفَنِّ

وخَضِلت : ابتلّت . يقول : كيف جُزت الصراة ولم تبتلّ أذيالك .

الخــــوارزمى : عنى بـ « الرفلة » : الطــويلة الأذيال المُتبخترة ؛ وهو من : رَفَل فى ثيابه .

١٢ ﴿مَتَى يَنْزِلِ(٢) الحَىُّ الكِلَابِىُّ بَالسَّا يُحَيِّــكِ(٣) عَنِّى(٤) ظاعنُون وقُفّالُ﴾

(١) فى ديوان النابغة واللسان (رفن) : « بكل مجرب » وهو الذى ذاق حلو الحروب ومرها . ويروى « بكل محرب » بالحاء المهملة والراء المشددة المفتوحة ، وهو المغضب .

(٢) حـ من البطليوسى : « متى نزل » .

(٣) فى الخوارزمى : « يحيك » بالجزم، وهو الأفصح .

(٤) فى أ من البطليوسى والخوارزمى : « عنا » وفى حـ من البطليوسى « منا » .

التبريزى : بالس : موضع . وقُفّال : جمع قافل، وهو الراجع من السفر.

البطليوسى : بالس : موضع . وذكر الحىّ الكلابىّ، لأنها كانت منهم . و «يُحييك» : يحمل إليك التحيّة من عندنا . والظاعنون : المسافرون . والقُفّال : الراجعون من السفر . يقول : إذا نزل حيك ببالس ، فقرُبْتِ من ديارنا، أهدينا إليك التحيّة مع مَن ظَعَن من عندنا نحوك، ومع من ورد علينا من قِبَلك ثم قفل إليك.

الخوارزمى : عنى بـ«الحىّ الكلابى» قبيلةَ الحبيبة . بالس، على وزن دارس : مدينة على شطّ الفُرات . يقول : متى رجعتِ عن البدو إلى الحضر ، كثُر الوارد من ذلك الطَّرَف علينا، ومن هذا الطَّرف عليكم، فحينئذ نُحمِّل كل صادر ووارد تحيتَنا إليكم . كأنه يعتذر إليها من إغباب الرُّسل . و «الحىّ» مع «يحيِّك» تجنيس.

١٣ (تَحِيّةَ وُدٍّ ما الفُرَاتُ وَمَاؤُهُ بِأَعْذَبَ منْهَا وَهْوَ أَزْرَقُ سَلْسَالُ)

التبريزى : سيأتى .

البطليوسى : التحيّة : السلام، وأضافها إلى «الود» ليعلم أنها تحيّة ذى صبابة وعَلَق ، لا تحيّة ذى تصنّع ومَلَق . وشبّهها فى رقّتها وحلاوتها لما فيها من الصبابة بماء الفُرات، وهو نهر العراق . والأزرق من الماء : الصافى؛ يقال : نُطفة زرقاء. قال زُهير :

فلما وَرَدْنَ الماءَ زُرْقًا جِمامُه وَضعنَ عِصِىَّ الحاضِرِ المُتَخَيِّمِ

ويقال : ماء سَلسَلٌ وسَلسال وسُلاسِل وسَلْسبيل ، إذا كان عَذْبا . والعرب تشبِّه حُسن الكلام ورَوْنَقه بحُسن الماء ورونقه .

الخوارزمى : الضمير فى « منها » للتحية .

١٤ (فَإِنْ زَعَمُوا أَنَّ الهَجِيرَ اسْتَشَفَّهُمْ إلَيْهَا فَمِنْهَا فى المَزَايِدِ أَسْمَالُ)(١)

(١) قال صاحب التنوير : «وهذا البيت لا ارتباط له بما قبله . فلعل فى الموضع محذوفا كما هى عادة صاحب الديوان فى حذف بعض أبيات القصيدة» .

التبريزى : المراد بـ«الأسمال» : بقية الماء . المعنى : أنك يحييك الظاعنون والقفّال تحيّةَ ودٍّ، ما الفراتُ بأعذب منها . فإنْ زعموا أنّ الهجير، وهو شدّة الحرّ، استشفّهم، أى شوّقهم إليها فشربوها، فقد بقيت منها بقيّة فى المَزاد .

البطليوسى : الهَجير والهاجرة : شدّة الحرّ . ويقال : آستشففتُ ما وراء الثوب، إذا وصل إليه بصرُك ولم يَحجبه عنك الثوبُ لرقّته؛ وآستشففت ما فى الإناء، إذا شربتَه كلّه ولم تَدع منه إلا شُفافة(١)، وهى البقية اليسيرة تَبقى من الماء؛ واستشفّنى الشىء وشفّنى، أى آنحلنى، فلم يُبقِ منّى إلا شُفافة . والمَزايد : جمع مَزادة، وهى القِربة التى يُحمل فيها الماء، وقياسها ألّا تُهمز، لأنّ الياء فيها أصلية، وإنما يُهمز ما كان حرف لين زائدا، نحو رسالة ورسائل، وسفينة وسفائن . والأَسمال : بقايا الماء، واحدتها سَملة(٢) . وهذا معنى مليح، لا أحفظ فيه شيئًا لغيره . يقول : أُحمِّل الظاعنين إليك منّى تحية أحلَى من ماء الفرات وأعذبَ، وأشفَى منه للغُلّة وأطيب؛ فإنْ زعموا أنّ الهجير جهَدهم حتى أَحوجهم إلى شربها، ففى مَزايدهم منها بقايا تُروِى غُلّتك، وتُبرد لَوعتك؛ فإنى قد حمّلتهم منها ما يُرويهم ويَفضل عنهم . والعرب تَجعل التشوّف إلى سماع الأنباء ممن تُحبّه ظمأ، والتشفّىَ بما يَرِد عليهم من ذلك رِيًّا، فيقولون : ظَمِئتُ إلى لقائك، وعَطِشت إلى لقائك؛ ويقولون : رويتِ بالخبَر، وثَلِجتْ نفسى بالأمر؛ لأنّ المُهتمّ بالشىء يَجد لوعةً فى نفسه، فإذا ورد عليه ما يسرّه سكنت تلك اللوعةُ؛ فشُبّه ذلك بالماء والثّلج، اللذين من شأنهما أن يُطفئا النار، وكذلك كلُّ شىء تَستحسنه النفسُ ويحلو موقعُه منها . ومن مَليح ماقيل فى هذا قول المُطّوِّعىّ :

كَلامُ الأميرِ النّدْبِ فى ثِنْىِ نَظْمه ... ينوبُ عن الماء الزُّلالِ لمن يَظْمَا

(١) كذا . ولم تذكر المعاجم هذا القيد .

(٢) الأسمال : جمع سمل . والسمل : جمع سملة، بالتحريك وبالضم .

فنَرْوَى متى نَروِى بدائعَ نَشْره ونَظْمًا إذا لم نَروِ يوماً له نَظْما

وقول أبي تمام :

يَستنبط الروحُ اللطيفُ نَسيمَها أرجًا وتُؤكل بالضمير وتُشرب (١)

الخوارزمي : قوله « أن الهجير استشفّهم » (٢)، مثل قول ذى الرمة :

* إذا شربتَ ماءَ المطىّ الهواجرُ (٣) *

المَزايد، بالياء الصريحة . يقال : مزادة وَفْراء، ومزايد وُفْر، وهي الراوية تُقام بجلد ثالث يُزاد بين الجلدين . كذا ذكر في أساس البلاغة . يقول : متى زعم حاملو تلك التحيّة أنّ الهجير قد يَبّس بإنضاب ما بها من البلل والرطوبة أبدانَهم ، حتى عَطِشوا لعوز الماء إلى شُرب تلك التحيّة ، لأنها لِلُطفها ورقتها بمنزلة الماء، فعندنا من جِنس تلك التحيّة بقايا في الأَداوَى . يريد أنّا نبعث إليك تحيّةً أخرى ، ثم نبعث إليك . ويحتمل أن يكون المعنى : متى زعموا أنّ الهجير قد شَرِب شُفافة أبدانهم حتى تجاوزها إلى شُرب تلك التحيّة . وقوله « إليها » حينئذ في محل النصب على الحال .

١٥ (أَتَعلَمُ ذاتُ القُرْطِ والشَّنْفِ أنّني يُشَنِّفُنِي بالزَّأْرِ أَغْلَبُ رِئْبالُ)

التبريزى : الرِّئبال من الأسود : الذى يُولد وحدَه ، فهو أقوى له ؛ لأنه لم يُشارَك في بطن أمه . وقيل : الرئبال من الأُسد مثل القارح من الخَيل. وقيل:

(١) قبله كما في الديوان :

ضربت به أفق الثناء ضرائب كالمسك تفتق بالندى وتطيب

(٢) قبله في النسخة المطبوعة من الخوارزمى : «قولهم حسبة أسمال جمع سمل، وهو الماء القليل» . وصدر هذه العبارة محرّف .

(٣) صدره كما في ديوانه ص٢٤٧ :

* إذا القوم راحوا راح فيها تقاذف *

هو الذى يَترَبَّل لحمه، أى يكثر، وجمعه : رآبيل وريابيل، بالهمز وغير الهمز . وأما رآبيل العرب، فهم الذين كانوا يَغزون على أرجلهم، ويَختطفون ما قدَروا عليه من أموال الناس، مثل تأبط شرًّا، والشَّنْفَرَى، وعمرو بن بَرّاق . والشَّنف، يكون فى أعلى الأذن، والقُرط فى أسفلها . والزأر : مصدر زَأر الأسد يَزأر زَأْرا . أى أسمع زئيرَ الأُسد، فكأنه شَنْف فى أذنى، لقُربه منّى .

البطليوسى : القُرط : ما عُلِّق فى شحمة الأذن . والشَّنف : ما عُلِّق فى طرفها . والزَّأر والزئير: صوت الأسد . والأَغلب : الغليظ العُنق . والرِّئبال، يهمز ولا يهمز، وهو الكثير اللحم، من قولهم تربّل لحمه، إذا كَثُر . وقيل : هو الذى يولد وحدَه، فهو أقوى له، لأنه لم يُزاحَم فى الرّحم . وقيل : الرِّئبال من الأُسد بمنزلة القارح من الخيل . يقول : أتعلم ذات القُرط والشَّنف أنه لا يُشَنِّف أُذنى إلا زئير الأسد، فما أبعدَ حالى من حالها . وإنما يريد أنه يألَف الفلوات، فلا يزال يسمع زئير الأسد، فزئيرها ملازم لأذنه كملازمة الشَّنف . وهذا نحو قول الراعى يصف قانصًا :

تَبِيت الحَيّـةُ النَّضناض منه ... مكانَ الحِبِّ يَستمع السِّرارا (1)

قال قوم : الحِبّ هاهنا : القُرط . وقيل : هو الحبيب . وقال بشّار فى نحو هذا، وإن كان ليس مثله من جميع وجوهه :

وكيف تَناسِىَّ الذى مِن حديثه ... بأذنى وإنْ غُيِّبْت قرطٌ معلَّق

الخوارزمى : الشِّنف : ما عُلِّق فى أعلى الأُذن . كذا ذكره الغورى . والقُرط : ما عُلِّق فى شحمة الأذن من خَرَز أو ذهب . ذكره أيضا الغورى . وفى جامع الغورى : الرِّئبال : هو الأسد . وعُنِى به هاهنا رجل جرىء متربّص بالشر، ممن يَعتنى بهذه المرأة

(1) الحيوان (٤ : ٢١٥) واللسان (حبب، نضض) وأمالى القالى (٢ : ٢٣) .

من أقاربها . يقال : لصٌّ رِئْبال ، وخرج فلان يترأبل ؛ ومنه قيل لتأبط شرًّا وسُلَيْك المقانب والمُنتشر[1] بن وهب : ريابيل العرب . ومعنى المصراع الثانى أنه يهدّدنى ذلك الشجاع، لأنه يتّهمنى بحبّها، فيبقى فى أذنى تهديدُه، فكأنه يجعله شنفًا لى . ونحوه بيتُ السقط :

كأنّ كلَّ جواب أنت ذاكُرُه شِنْفٌ يُناط بأذن السامع الواعى[2]

وفى نجديّات الأبيوردى :

يذود الكرى عنّا حديثٌ كعقدها فلما افترقْنا صار كالقُرط للأُذْن[3]

والبيت الثانى تقرير للبيت المتقدم .

١٦ ﴿فَيَادَارَهَا بِالحَزْنِ إِنَّ مَزَارَهَا قَرِيبٌ وَلٰكِنْ دُونَ ذٰلِكَ أَهْوَالُ﴾

التـبريزى : المعنى أنّ دار هذه المرأة قريبة منّا ولكنّ دونها أهوالا .

البطليـوسى : سـيأتى .

الخـوارزمى : كأنه يعتذر إليها من ترك زيارتها .

١٧ ﴿إِذَا نَحْنُ أَهْلَلْنَا بِنُؤْيِكِ سَاءَنَا فَهَلَّا بِوَجْهِ المَالِكِيَّةِ إِهْلَالُ﴾

التـبريزى : النُّؤى : الحاجز الذى يُعمل حول البيت فلا يدخله ماءُ المطر ، شبّه بالهلال . والمَعنى أنا إذا نظرنا إلى نؤى بيتك والمنزلُ خال ساءنا . ويقال : أَهَلّ الرجل، إذا رأى شيئا فقال: لا إله إلا الله، وأهلّ الرجل، إذا نظر إلى الهلال، أو دخل فى الهلال ، يعنى الشهر . قال الشاعر :

إذا ما سلختُ الشهرَ أَهللتُ غيرَه كفى حزنًا سَلْخى الشهورَ وإهلالِى

(١) فى الأصل : « المنسر » تحريف .

(٢) البيت ٢٧ من القصيدة ٣١ ص ٧٥٨ .

(٣) البيت فى ديوانه ص ٣٦٩ .

أى فهلّا يكون بوجهك أيتها المـالكيّة إهلال ، أى فرح ، كما يَفرح من نَظر إلى وجه الهلال، لا سيما إذا كان هلالَ فِطر ؛ لأنّ شُرّاب الراح يشُقّ عليهم تركُها فى شهر رمضان . ولذلك قال ابن المُعْتَزّ ، وذكر هلال الفطر :

كأنّهُ قَيْــدُ فِضّـــةٍ عَسِرٌ فُكّ عن الصـائمين فابتهجوا

وقال أيضا :

أهــلًا بشَهــرٍ قد أنار هــلالُه فالآنَ فاغْدُ إلى المُدام وبَكِّرِ

البطليــوسى : الحَزْن والحَزْم: ما ارتفع من الأرض وغَلُظ. والمَزار: الزيارة، ويكون المزار الموضعَ الذى يُزار فيــه، وهو المُراد هاهنا . والأهوال : المَخاوف . والإهلال : أن يَرفع الرجلُ صوتَه بذكر الله تعـالى عنــد رُؤية شيء يطرأ عليه . النُّؤى : حاجز يَمنع المـاءَ أن يدخل الخِباء ، فربمـا كان حفيرًا ، وربما كان شيئا شاخصًا عن الأرض . يقول : إذا رأينـا نُؤيَك وأهلناه، عزّ علينا ألا نَرى فيه وَجهك فنُهِلّ به .

الخــوارزمى : الإهلال فى الأصل : أن يبصر الرجل الهلالَ فيقول : لا إله إلا الله . النُّؤى : حَفيرة تُجعــل حول الخِباء ، لئــلّا يدخلَه ماءُ المطر . الخطاب فى قوله « بنؤيك» للدار . جعل الحَبيبة فى الأبيات المتقدّمة كِلابيّة ، وفى هــذا البيت مالكيّة ؛ لأنه عنى بكلاب كلابَ قــريش ، ومالكٌ ، من أجداد هــذا . وهو كِلاب بن مُرة بن لُؤىّ بن غالب بن فِهر بن مالك بن النّضْر . يقول : متى ركبنا إليها السفر ، واقتحمنا لزيارتها الخطر ، ثم لم نَحظَ منها إلا بأن نَرفع أصواتنا بلا إله إلا الله عند رُؤية وجهها الشبيه بالهلال فى الحسن ، [ساءنا ذلك](١) . يريد أنها مُمتنعة قد اَقتنعنا بالنظر إلى وَجهها ولا نَظفر بذلك .

(١) زيادة من التنوير .

١٨ ﴿تُصَاحِبُ فى البَيْدَاءِ ذِئْبًا وذَابِلًا كِلَا صَاحِبَيْهَا فى التَّنُوفَةِ عَسَّالُ﴾

التبريزى : فى «تصاحب» ضمير عائد إلى المرأة، أى إنها تَصحب هذين، وكلاهما عسّال ؛ لأنه يقال عَسَل الذئب ، [إذا] اضطرب فى مشيه . وأنشد أبو زيد (١) :

والله لولا وَجَــعٌ بالعُرْقوبْ لَكنتُ أبقى عَسَلًا من الذِّيبْ

وكذلك عَسَل الرمح، إذا اضطرب مَتْنه .

البطليوسى : البَيداء : الفَلاة التى تُبيد من يسلكها . والذابل : الرمح الذى قد ذَهبت عنه الرُّطوبة التى كانت فى عُوده واشتدّ. والتَّنوفة : القَفْر. والعَسَلان: حركة فى اضطراب، ويُوصَف به الرُّمح والذئب جميعا؛ فيقال: رمح عسّال، وذئب عسّال . قال الشاعر :

* وأسمر مثل ظهر الأَيْم عسّال *

والأيم : الحية . وقال الفرزدق فى الذئب :

وأطلسَ عسّالٍ وما كان صاحبا دعوتُ بنارى مَوْهِنًا فأتانى

وإنما أراد أنها تسكن الفلوات التى تألفها الذئاب ، وأنّ قومَها أعزّةٌ يمنعونها ممن أرادها بالرِّماح؛ كما قال أبو الطيب :

تَحول رِماحُ الخَطِّ دون سِبائه وتُسْبَى له من كُلِّ حىٍّ كرائمُهْ

ويجوز أن يكون شَبّه قومها بالذئاب، والعربُ تُسَمّى الصعاليك ذُؤْبانا .

الخوارزمى : الذئب ها هنا هو الذئب الحقيقى لا المجازىّ، بدليل قوله : «عسّال» . التنوفة، فى «ليت الجياد خرسن» (٢) . عسلان الرمح : اهتزازه واضطرابه . وعسلان الذئب : خَبَبه . يريد أنّ هذه الحبيبة بدوية منيعة .

(١) فى نوادره ص ١٤ . (٢) البيت الأول من القصيدة ٢٩ ص ٧٢٩ .

١٩ (إذا أَعْزَبَ الرُّعْيانُ عَنْها سَوامَها   أُرِيحَ عَلَيْها اللَّيْلَ هَيْقٌ وذَيَّالُ)

التبريزى : أى صِيدَ لها النعامُ وبقر الوحش . والهَيْق : ذكر النعام . والذَّيّال : الثور الوحشىّ؛ قيل له ذلك لطول ذنبه. ويقال : أعزب الراعى إبلَه ، إذا أبعدها ، وعَزَبت هى تعزُب عُزوبًا . ومعناه أن السوامَ إذا عَزَب عنها ، أى بَعُد، صِيدَ لها النعام . وأُريح : أُتِىَ به فى الرَّواح .

البطليوسى : الإعزاب : إبعاد الماشية عن البيوت وطلبُ المَرعى بها ، يقال عَزَبت الإبلُ، وأعزبها أهلها . والسَّوام : المالُ المُرسَل فى المرعى . وأُريح : رُدّ بالعشى. والهَيق: الذكر من النعام . والذَّيّال : الثور الطويل الذَّيل . يقول : إذا عزبت عنها الإبل فلم يكن معها ما يُنحر لها، صِيدَ لها بقر الوحش والنعام، فهى أبدًا فى خِصْب من عيشها . وإنما قال هذا لأن القوم إذا عَزَبت عنهم إبلهم ، كانوا فى شظَف من عيشهم ، حتى تعود إليهم . ألا ترى الى قول حُجَيّة بن المُضَرِّب[(1)] :

فقُلت لعبدَيْنا أرِيحَا عليهمُ   سأجعل بيتى مثلَ آخرَ مُعزِب

فذكر أن هذه المرأة لاتُبالى بعزوب إبلها عنها، لكثرة ما تُؤتَى به من الصيد . وهذا البيت ينظُر إلى قول أبى الطيِّب :

له مِن الوحش ما ٱختارت أسِنّتُهُ   عيرٌ وهَيْقٌ وخَنْساءُ وذَيّالُ

وفى قوله « اذا أعزب الرعيان عنها سوامها » وصف لأهلها بأنهم أعزّة ، فإبلهم تذهب حيث شاءت ، لا تُمنع من ماء ولا مرعًى ، وليسوا كالأذلّاء الذين لا تُبعد إبلُهم عنهم خشيةَ الإغارة عليها . كما قال الأخنس بن شِهاب :

(١) قال الآمدى فى المؤتلف ٨٥ : «شاعر جاهلى فارس» . وانظر قصة البيت التالى فيه ص ١٨٣ .

وكُلُّ أناسٍ قاربوا قَيدَ فَحْلِهم [(١)] ... ونحنُ خَلعنا قيدَه فهو ساربُ

الخـــوارزمى : الرُّعيان : جمع راع ، ونحوه الركبان ، جمع راكب ؛ والشبّان ، فى جمع شابّ ؛ والبغيان ، فى جمع باغ . يقال : خرجوا بُغيانا لضَوالّهـم [(٢)] .الهيق ، هو الظليم . الذيّال ، هو الثور إذا كان سابغ الذَّنَب . يقول : هـذه الحبيبة مخدومة مُتنعِّمة ، بحيث إذا لم يُرِحْ إليها النَّعَم صِيد لهـا النعام و بقر الوحش .

٢٠ (تُسِيءُ بِنَا يَقْظَى فَأَمَّا إِذَا سَرَتْ ... رُقَادًا فَإِحسَانٌ إِلَيْنَا وَ إِجْمَالُ)

التـــبريزى : أى تُهاجرنا فى اليقظة ، وتواصلنا فى النوم .

البطليـــوسى : يقول : تجود علينا فى النوم بما تَبخل به فى اليقظة . ومثلُه قول قيس بن الخَطيم :

ماتمنعى يَقْظَى فقد تُؤتينه ... فى النوم غيرَ مُصَرَّدٍ محسوبِ

ونحوه قول خارجةَ بن فُليح المللى :

ألَا طَرقتنا والرِّفاقُ هُجـودُ ... فباتت بعلّات النَّوال تَجُودُ [(٣)]

الخـــوارزمى : عدّى «الإساءة» بالباء، وهو فى « ياراعى الود » [(٤)] .

٢١ (بَكَتْ فَكَأَنَّ العِقْدَ نَادَى فَرِيدَهُ ... هَلُمَّ لِعَقْدِ الحِلْفِ قُلْبٌ وَخَلْخَالُ)

التـــبريزى : يعنى أنه دمع غزير وَصَـل إلى موضع القُلب والخلخال؛ لأن الدمع إذا وُصِـف بالكثرة، قيـل قد قَطر على القدم . والقُلْب يستعمل فى معنى السِّوار والدُّمْلُج [(٥)]. قال الشاعر :

---

(١) البيت من قصيدة له فى المفضليات (٢ : ٣) .

(٢) هذه العبارة مقتبسة من أساس البلاغة (بغى) .

(٣) البيت من أبيات فى أمالى القالى (١ : ١٤) .

(٤) البيت ١٦ من القصيدة ٤٥ ص ١٠٣٥ .

(٥) هو خالد بن يزيد بن معاوية ، يقوله فى رملة بنت الزبير بن العوام . انظر الأغانى (١٦ : ٨٩ بولاق)

تجول خلاخيلُ النّساء فلا أرى لرملةَ خلخالًا يجــول ولا قُلْبا

والمعنى أنّ دمعها سال ، حتى وصــل إلى الخلخال والســوار ، وكأنّ الخلخال والقُلْب دَعَوا العقد الذى فى عُنقها ، لأنّ دمعها يُشبهه ليحالفه . وهذا من دعاوى الشعراء . والقُلب والخلخال ، مرفوعان بـ«نادى» . هذا كلامه . وقوله « بكت » يدلّ على انقطاع العِقــد ، وانتثار الدرّ ؛ لأن الحــزن إذا اشتدّ بصاحبه ، وُصف بامتلاء جوانحه وأعضائه منه ؛ والدليل عليه قوله فيما يجيء بعد إن شاء الله :

تَداعَى مُصعِدًا فى الجِيد وجدٌ فغَال الطّــوقَ منهــا بآنفصامِ (١)

وأخذ منه ابن أبى حُصَيْنَة فقال :

دعُونى أدَعْها وَهْى بى مُستهامةٌ تَنفّسُ حتى يَقطع النَّفَسُ العِقدَا

فكأنّ معنى نداء القُلْب والخلخال الفريد، أنّ الحزن لمّــا اشتدّ فانقطع العقد واختلط الدمعُ بالدرّ، وحصل عند القُلب والخلخال، ناديا فريدَ العِقد : هلم لعَقد الحِلف، لأن الكُلّ حَلْى، وإن لم يكن العِقد من جنس القُلب والخلخال .

وهاهنا وجه آخر حسن ، وهو أنّ يكون المراد بالفريد هاهنا شَذْرة من الذّهب تكون واسطة فى العِقد، وإن كان أصــل الفريد الدُّرّة الكبيرة فى وســط العِقد . والأجود أن تكون الواســطةُ غيرَ الدُّرّ. والفريد هاهنا ذهب ، والقُلْب والخلخال ذهب ، وهــذا العقد لمّــا انتثر درّه واختلط بالدمع ، لاّشتباه أحدهما بالآخر، بقى الفريد وحده؛ لأنه ليس من جنسها، بل هو من جنس القُلب والخلخال، فناداياه لذلك .

البطليــــوسى : القُلب والسّوار، لليد ، والخَلخال والحِجل، للرجل . والمِعضد والدّملوج والدُّملُج، للعَضد . وقد فصّل ذلك أبو الشِّيص فأحسن بقوله :

(١) البيت ١٢ من القصيدة ٦٤ .

لولا التمنطُقُ والسّوار معًا والحِجْل والدُّملوج فى العَضُدِ
لَترايلتْ من كُلِّ ناحيـةٍ لكنْ جُعلن لها على عَمَـدِ

وأنشد يعقوب :

لَعمــرى لَنِعْمَ الحىُّ حىُّ بنى كعبٍ إذا نزل الخَلخالُ مــنزلة القُلْبِ

يريد إذا فاجأت الغَـارة فدَهِشت المرأة فلبست خلخالهَـا مكان قُلبها . وقيـل : إذا أرادت أنها تمُدّ يديها لتنزعَ خلخالها ، فيلتقى خلخالُها وقلبها . والفريد : حَلى يُصنع من ذهب . والحِلْف : المُحالفة والمُعاقدة . ومعنى بيت أبى العلاء أنها بكت للفراق فسقط دمعُها على قُلبها وخلخالها ، فكانّ قُلْبها وخلخالها أرادا عَقد حلف مع عِقدها ، فناداه ليُقبل نحوهما ، فتناثر . و إنما أراد تشبيه تناثُرِ عقدها . والقُلب والخلخال ، مرفوعان بـ«ـنادى» . والتقدير: فكأنّ العِقد نادى قُلب وخلخال فَريده : هلُم لعَقد الحِلف . وفى الكلام ضمير محذوف ، كأنه قال : قلب وخلخال منها . وأما قوله : «فكأن العقد» ، فإن تقديره على مذهب البصريين : فكأنّ العقد منها ، فحذف الضمير حين فهُم المعنى . وتقديره على مذهب الكوفيين : فكأن عِقدها ، فنابت الألف واللام مناب الضمير . وأما قوله : «قلب وخلخال» ، فالضمير محذوف عند الجميع ، لأن القُلب والخلخال لم تدخل عليهما ألف ولام يكونان نائبين مناب الضمير .

الخــوارزمى : القُلْب ، هو السوار ، فُعل بمعنى مفعول ، من قَلبته فانقلب ، لأنه لُوى طرفاه فكأنهما قد قُلبا . و«قُلْب» ، مرفوع على أنه فاعل «نادى» . يقول : بكت بدمع غزير شَبيه بدُرّ عِقدها قد سال ، حتى بلغ السِّــوار والخلخال ، فكأنهما دَعَوا للتحالف لؤلؤ العقد ، فانتثر إليهما لتوثيق العَهد .

٢٢ ﴿ وَهَلْ يَحْزُنُ الدَّمْعَ الغَرِيبَ قُدُومُهُ عَلَى قَدَمٍ كَادَتْ مِنَ اللِّينِ تَنْهَالُ ﴾

التبريزى : يعنى أنّ الدمع الغريب الذى لم تَجر عادتُه بالسَّيل ، لا يسلم بغُربته فيحزنه قدومُه؛ من قولهم : قَدِم المسافر على قدم ناعمة : تكاد تنهال من لينها كما ينهال الرمل . وقد وَصفت الشعراءُ الدمع بالغُربة ، قال العباس بن الأحنف :

بكتْ غيرَ آنسةٍ بالبُكاءِ ... تَرَى الدمعَ من مُقلتيها غريبا (١)

هذا كلامه . ومعنى البيت أن «هل» للاستفهام ، ومعناه الإنكار ؛ فكأنه قال : لا يحزُن الدمعَ قدومُه على قدم ناعمة ؛ لأنّ مباشرته لهذه القَدم ليس مما يحزن .

البطليوسى : يقال : حَزنه الأمر وأحزنه ، والثلاثى منهما أفصح من الرباعى . يقول : هل أشفق الدمع من سقوطه على قَدمها التى تنهال لأقلّ شيء يُصيبها ، كما ينهال الرمل ، وهو أن يتناثر ولا يتماسك . وصفها بالبَضاضة والنَّعمة . وجعل الدمع غريبًا لمفارقته جَفْنها . و «قدومه» ، يحتمل أن يكون مصدر قدِم على الشيء ، إذا ورد ، وهو الظاهر . ويحتمل أن يكون مصدر قدِم ، بمعنى أقدم ، وهما لغتان . وأقدم أكثر . قال الأعشى :

كما راشدًا تَجِدنَّ امرأً ... تفكّرَ ثم ارعوى أو قَدِم (٢)

الخوارزمى : الاستفهام فيه للإنكار . دمع غريب : لم يجر بسيله العادة . قال العبّاس بن الأحنف :

* ترى الدمعَ من مُقلتيها غريبا *

يقول : مِنْ حق دموعها المترشّشة ، وإن فارقت مَقرّها ووقعت فى الغربة ، أن تبتهج ولا تكتئب ، لقُدومها على قدمٍ لا تكاد تثبت لينًا ونعومة . « والقُدوم » مع « الغريب » إيهام . ومع « القدم » تجنيس .

---

(١) البيت فى ديوانه ٣١ . وفى الأصل : «غير آسنة» صوابه من الديوان والتنوير .

(٢) ديوان الأعشى ٢٨ . وفى الأصل : «تجدين» وإنما هو خطاب المذكر ، كما فى الديوان . والرواية فيه أيضا « كما راشد» بالجر ، على زيادة «ما» .

٢٣ (تُحَلِّى النَّقَا دُرَّيْنِ دَمعًا ولُؤْلُؤًا وَوَلَّتْ أُصِيلًا وَهْىَ كالشَّمْسِ مِعْطَالُ)

التـبريزى : أى دمعها وقع على الكثيب فكأنه لؤلؤ . ولمّا انقطع العِقد من الأسف، تشابه لؤلؤ العِقد ولؤلؤ الدمع، وولّت وهى معطال، أى لاحَلْى عليها، كالشمس التى لا تَفتقر إلى الحَلْى . وأصيلا، أى فى آخر النهار .

البطليوسى : النَّقا : الرمل الذى فيه استطالة . والأصيل : العشىّ . والمِعْطال : التى لاحَلى عليها . وهذا البيت يحتمل معنيين : أحدهما أن يكون عقدها تناثر من غير قصد منها إلى ذلك، عند مُعانقتها محبوبَها للوَداع، وشدّة التزامها إياه. والثانى أن تكون هى التى قطعتْه ورمت به، لشدّة الأسف، واعتقادًا منها أن لا تَحلّى ولا تتزين، بعد مفارقتها مَن كان مكان أُنسها، وقَسيم نَفْسها . وقوله « وهى كالشمس مِعطال » أراد أن تعطّلها من الحَلى، لم يُخِلّ بجمالها؛ لأنها تُحَسِّن الحلى ولا يحسنها؛ كما قال الآخر :

تأمّلتُها مغــترّةً فــكأنّنى رأيتُ بها من سُنّة الشمس مَطلعا[(١)]

أى رأيتها على غِرّة من غير استعداد .

الخــوارزمى : هــذا البيت يدلّ على أن البكاء المتقدّم كان مع شــديد من الوَجد، وتَنَفُّسٍ للصعداء قاصمٍ للعِقــد؛ حتى تقاطــر الدمعُ على الكثيب، وتناثر الدرّ من جِيد الحبيب. وهذا لأنّ تنفُّس الصعداء متى قَوِى واشتدّ، فكثيرا ما قطع العقد . وفى مقطّعات الأبيورديّ :

وردّدْن أنفاسًا تَقُدّ من الحشا وترقّ فلم يسلم لغانيةٍ عِقْــدُ[(٢)]

(١) سنة الشمس : وجهها .

(٢) فى ديوان الأبيوردى ١٠٤ : « وتدى » بدل « وترق » .

كنى بالعَطَل عن استغنائها بحُسنها عن الحلى . وعليه بيت السقط :

* فدونك منّى كلّ حسناءَ عاطلٍ[(١)] *

٢٤ (بأَشْنَبَ مِعْطَارِ الغَرِيزَةِ[(٢)] مُقْسِمٍ لِسَائِفِـهِ أَنَّ القَسِيمَةَ مِتْفَالُ)

التبريزى : المِتفال : ضدّ المِعطار ، وهى التى لا تستعمل الطيب . والقسيمة : جُونة العِطر . والأشنب : فَمُها ، وهو عَطِر بالطبع والغريزة ، لا بِطيبٍ مستعمل ، فكأنه يُقسم أنّ القسيمة التى فيها العطر ، لا طيبَ فيها . والسائفُ : الشامّ ؛ يقال : سافه ، إذا شمّه ، وكذلك آستافه .

البطليوسى : الشَّنَب ، فيه ثلاثة أقوال ، قال قوم : هو بَرْد الأسنان وعذوبتها . وقال قوم : هو صفاؤها و بريقها . وذكروا أنّ رؤبة بن العجّاج سُئل عن الشَّنَب[(٣)] وهو يأكل رُمّانا ، فأخذ منها حبّة فإذا هى تَبْرُق ، فقال : هذا هو الشَّنب . وقال قوم : الشَّنب : حدّة أطراف الأسنان ، وذلك يكون من الفَتاء و [حداثة] السنّ والصبا . واحتجّوا بقول الراجز :

* أَنْعَتُ ذئبا شَنِباً أنيابهُ *

والمعسول : الذى كأن فيه عسلاً لحلاوته . والغريزة : الطبيعة . أراد أنه معسول بطبعه من غير تصنّع . والمُقسم : الحالف . وسائفه : الذى يَسوفه ، أى يَشَمّه . والقَسيمة : وعاء المِسك وغيره من الطِّيب . قال عنترة :

وكأنّ فارةَ تاجـر بقَسـيمةٍ سَبَقَتْ عوارضَها إليـك من الفَمِ

(١) البيت ٢٥ من القصيدة ٤٩ ص ١٠٨١ . وصدره :

* إذا الناس حلوا شعرهم بنشيدهم *

(٢) البطليوسى : « معسول الغريزة » .

(٣) فى المخصص (١ : ١٤٨) : « الأصمعى : وسألت رؤبة عن الشنب فأخذ حبة رمان وأوما إلى بصيصها » .

ويروى « بأشنب معطار الغريزة » وهو أجود ، لذكره « المتفال » فى آخر البيت ، فيكون فى البيت طِباق؛ لأنّ المِتفال ضدّ المِعطار . واشتقاقها من قولهم : تفل يتفُل ، إذا بزق . يُراد أن مَن شمَّها بزق عليها لقُبح رائحتها ونَتْنها .

الخـوارزمى : الباء فى « بأشنب » للمُلابسة، وهى تتعلّق بقوله « وولّت » . الشَّنب : حدّة فى الأسـنان ، والمُراد بها حداثتها وطراءتها ؛ لأنهـا إذا أَتت عليها السنونَ احتكّت . ويقال : بل هو بَرْدٌ وعُذوبة فى الفم . وقولُ ذى الرمة :

* وفى اللِّثاتِ وفى أَنيابها شَنَبُ[١] *

يؤيّد القَول الثانى؛ لأنّ اللِّثة لا تكون فيها حِدّة . السائف فى «سنح الغراب لنا»[٢]. يقـول : كل من شَمَّ فم هـذه الحبيبةَ يحلف أنّ جُونة العطّار متفال غير طيّبـة ، بالإضافة إلى هـذا الفم . فلما كان الفم سبباً لحَلِف أَسنده إليه على المجاز . وفحوى البيت يدلّ على تَشبيه فمها فى الطّيب والحُسن والاستدارة، بالجُونة . و «المُقسِم» مع « القسيمة » تجنيس .

٢٥ (فَلا أَخْلَفَ الدَّمْعَ الَّذِى فَاضَ شَأْنُهَا دُعَاءً لَهَا بَلْ أَخْلَفَ النَّظْمَ لآلُ)

التـبريزى : دعا لهـا بألّا تبكى فيتكوّنَ عِقد من دمع ثان، بل يُخلف عليها عِقدَ اللؤلؤ لآَلٍ تشتريه منه . والشأن : مَجرى الدمع ، وهو واحد الشُّؤون، وهى عُروق تصل بين عِظام الرأس . قال أوس بن حَجر :

لا تَحـزُنينى بالفـراق فإنّنى لا تَستهلُّ من الفِراق شُـؤونى[٣]

والشأن : فاعل « أخلف » الأول .

(١) صدره كما فى الديوان ص ٥ ، واللسان (شنب) :

* لمياء فى شفتيها حوة لعس *

(٢) البيت الثالث من القصيدة ٥٢ ص ١١٠٧ .

(٣) البيت فى ديوان أوس ٢٩ .

البطليوسى : الشأن، مهموز : مَجرى الدمع إلى العين، وجمعه شؤون . قال أوس بن حَجر :

لا تَحزُنِينى بالفراق فإنّنى . لا تَستهلُّ من الفِراق شُؤونى

وقيل: الشؤون: مواصل قبائل الرأس، حيث يَشتبك بعضُها ببعض . واللآَّل: بائع اللؤلؤ. ويقال لأّْء، وكلاهما خارج عن القياس، لأنّ لؤلؤا رُباعى، والرباعى لا يُبْنَى منه فعّال . والنظم : العِقد ، سُمّى بالمصدر . دعا لها بأن يُخلَف عقدُها الذى تناثر لها وألا يُخْلَف دمعُها، أى لا تفارق محبوبها مرةً أخرى فتبكى لفراقه .

الخوارزمى : يقال : أخلف الله عليك خيرًا، وأخلف الله عليك ، أى ردّ عليك مما ذهب منك خَلَفا . شأنها، مرفوع على أنه فاعل « أخلف » . « دعاءً لها » منصوب على المصدر، وقد وقع توكيداً لنفسه . والعامل فيه ما فى قوله « فلا أخلف » من معنى الدعاء، ونظيره : الله أكبر دعوةَ الحق . يقول : لا عوّضها شأنُها خَلفًا من الدمع الذى هَمل، بل عوّضها اللآّل خلفًا من نظمها الذى بَطَل . يريد : لا بكت ثانيا بل نُظِم ما تناثَر من عِقدها لتتحلّى به .

٢٦ ﴿وَغنَّتْ لَنَا فِى دَارِ سَابُورَ قَيْنَةٌ . مِنَ الوُرْقِ مِطْرَابُ الأَصَائِلِ ميهالُ﴾

التبريزى : قَينة : حمامة ورقاء تَطرب بالعشيّات. وميهال، يحتمل وجهين: أحدهما أن يكون مِفعالا من الأهل . أى إنّ هذه الحمامة آهلةٌ فى هذا الوطن، أى معها حمائم كأنها آهلة بهنّ . ويجوز أن تُجعل آهلةً بأهلها الذين هى فى مِلكهم . والآخر أنّ « ميهال » مفعال من الوهل ، وهو الفزع ، أى إنها تكره كونها بين الإنس؛ لأنها لم تأمن منهم الظلم. وأصلها «موْهال»، فقلبت الواو ياء للكسرة التى

قبلها ، كما قُلبت الهمزة ياء للكسرة فى الوجه الأوّل . ودار سابور : الدار التى بناها سابور الوزير ، لأهل العلم ببغداد .

البطليوسى : دار سابور ، هى دار العلم ببغداد ، نسبت إلى رجل كان بناها . والقَينة : المُغَنِّية ها هنا . وكل أَمَة عند العرب قَينة ، مُغنية كانت أو غير مغنية . والوُرْق : الحمام التى فى ألوانها غُبْرة . والمِطْراب : الكثير الطَّرب . والأصائل : العَشايا ، جمع أصيل . والميهال : مِفعال من الوَهَل ، وهو الفزع . أراد أنها تَفزَع من الناس ، أو من جوارح الطير . ويجوز أن تكون الميهال : الآهلة المستوطنة . فالياء على هذا منقلبة من همزة ، وعلى القول الأوّل منقلبة من واو .

الخوارزمى : دار سابور ، هى الدار التى بناها الوزير أبو نَصْر سابور بن أَردشير لأهل العلم ببغداد . وسابور ، هو الذى يقول فيه مهيار بن مَرْزَويه الكاتب :

نَزلنا فى بَنى ساسان دُوراً بها تَسْلَى بيوتَك فى قُضاعَهْ
إذا ما الضَّيمُ رابكِ فاستجيرى ذَرَى سابور واتَّجِعى بِقاعَهْ

ميهال ، كأنه مفعال من أهِلت بالرجل ، إذا أَنِست به . يريد أنّ هذه الحمائم مُستأنسة بحمائم أُخَر ، ويشهد له بيتُ السقط :

* يُجيب سماويّات لونٍ كأنّما[1] *

وهذا مما لم أجده .

٢٧ (رأَتْ زَهَرًا غَضًّا فَهَاجَتْ بِمِزْهَرٍ مَثَانِيهِ أَحْشَاءٌ لُطُفْنَ وَأَوْصَالُ)

التبريزى : أى أحشاء الحمامة وأوصالها . [والأوصال] : جمع وُصْل . والوُصل : العضو .

(١) البيت ٩ من القصيدة ٦٢ . وعجزه :

* شكرن بشوق أو سكرن من البتع *

البطليوسى : النَّور والزهر، سواء . وقال ابن الأعرابى : النَّور الأبيض، والزهر الأصفر . والغضّ : الناعم الذى لم يُصبْه ذبول ولا يُبس . وهاجت : تحرّكت للغناء . والمِزهر، عود الغِناء . والأوصال : الأعضاء . شبّه مَخرج صوتها من جوفها بعود الغناء، وشبّه أحشاءها وأوصالها بأوتاره . ولم يُمكنه ذكر جميع أوتار العود فذكر بعضها، اكتفاءً بعلم السامع بأن المَثْنَى لابدّ له من المَثْلَث وزِيرٍ وبَمٍّ .

الخوارزمى : المَثانى فى « طرِبن »(١) . « والزهر » مع « المزهر » تجنيس .

٢٨ (فَقُلْتُ تَغَنَّىْ كَيْفَ شِئْتِ فَإِنَّمَا غِنَاؤُكِ عِنْدِى يَا حَمَامَةُ إِعْوَالُ)

التبريزى : الإعوال، من قولهم : عَوْلَه وويله(٢) . والعَوْل : الثّقَل . يقال : عاله الأمر يعُوله، إذا ثقُل عليه . وعوّل فلان على فلان، إذا حمل عليه ثِقْله .

البطليوسى : يقول : صوتُك أيتها الحمامة ليس عندى غناءً يُلهى ويُطرب، وإنما هو إعوال يُشجى ويكرُب . وكانت العرب تختلف فى صوت الحمام، فكان بعضُهم يجعله غناء، وكان بعضُهم يجعله نِياحا(٣)، ويزعم أنها تنوح على الهَديل، وهو فرخٌ زعموا أنه هلَك فى زمن نوح عليه السلام . قال : فليس من حمامة إلا وهى تبكى عليه . ولذلك قال القائل(٤) :

يُذَكِّرُنيك حنينُ العَجول ونوحُ الحمامة تدعو هديلا

فجعل صوتها نَوْحًا على الهَديل . وقال بعضُ الأعراب، أنشده أبو حاتم :

ألا قاتلَ الله الحمامةَ غُدوةً على الأَيْك ماذا هيَّجتْ حين غنَّتِ(٥)

(١) البيت ٢٤ من القصيدة ٥٨ ص ١١٨٨ .
(٢) فى اللسان : « قال سيبويه : وقالوا ويله وعوله، لا يتكلم به إلا مع ويله » .
(٣) يقال : ناح ينوح نوحا ونواحا ونياحا ونياحة ومناحا .
(٤) هو الراعى، كما فى اللسان (هدل) .
(٥) انظر أمالى القالى (١ : ١٣١) .

بجعل صوتها غناء . وقد جمع أبو العلاء المذهبين جميعاً فى قوله :

أَبَكَتْ تلكمُ الحمامةُ أم غَنْـ ـنَتْ على فَرع غُصنها المَيّاد (١)

الخوارزمى : يقول : غناؤك يهيج الأحزان، ويجدد الأشجان ؛ فهو بمنزلة النَّوح والبكاء، وإن كان فى صُورة الغناء .

٢٩ (وَتَحْسُدُكِ البِيضُ الحَوَالِي قَلَادَةً بِجِيدِكِ فِيهَا مِنْ شَذَا المِسْكِ تِمْثَالُ)

التبريزى : طَوْقُ الحمامة أسود ، فكأنه يشبه المِسك . شَذا المسك : لونه، وهو الشَّذْو أيضًا . وأنشد المُفَضَّل بنُ سَلَمة :

إنّ لك الفضلَ على إخوتى والمسكُ قد يَستصحب الرَّامِكا (٢)

حتى يعود الشذْوُ من لَوْنه أسودَ مَضْبُوغا به حالِكا (٣)

البطليوسى : الحوالى : ذوات الحَلْى، واحدتهنّ حالية . وأراد بـ«البيض» هاهنا النساء ، ولم يُرد بياض اللون ؛ لأنه لا معنى لتخصيصه البيض من النساء هاهنا دون السمر . والعرب تستعمل البياض على معان كثيرة ، فتارةً يستعملونه بمعنى اللون الذى هو ضدّ السواد ، وتارة يريدون به الحسن والجمال . ولذلك قالوا : لفلانٍ يدٌ بيضاء عندى . ومنه قولُ الأخطل :

وأَرَى بياضًا فى سوادٍ كأنّه بياضُ العَطايا فى سَواد المَطالب (٤)

(١) البيت ٣ من القصيدة ٤٣ ص ٩٧٢ .

(٢) البيتان فى اللسان (شذا) .

(٣) فى اللسان :

حتى يظل الشذو من لونه أسود مضنوناً به حالكا

(٤) أخذ منه أبو تمام قوله :

وأحسن من نور يفتحه الندى بياض العطايا فى سواد المطالب

وتارةً يريدون بالبيـاض الطهارةَ والنّقـاء من الأدناس والعيوب؛ وبذلك فسّروا قول زهير :

وأبيضَ فيّاضٍ يداه غمـامةٌ على معتفيه ما تَغِبُّ فواضلُه (١)

وتارةً يريدون به طلاقةَ الوجه وبِشْره . ويسمّون العُبوس سوادا؛ قال الله تعالى: ﴿ ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وهُوَ كَظِيم ﴾ . ومنه قول قيس بن عاصم المِنْقريّ :

خُطَباء حين يقـوم قائلُهـم بيضُ الوجوه مَصاقعٌ لُسُنُ (٢)

وتارةً يُريدون بالبياض المحبّة وبالسواد العداوة ، فيقولون : فلان أبيض الكَبِد، إذا كان مُحِبًّا ، وأسود الكبد، إذا كان عدوّا . يريدون أن العداوة أحرقت كبده . وبذلك فَسّر بعضُهم قول ابن أبي مُرّة المكيّ :

إنْ وصفونى فناحلُ الجَسَـدِ أو فتّشـونى فأبيـضُ الكَبِدِ (٣)

وقال الأعشى فى ضدّه :

وما أجشمتِ مِن إتيانِ قومٍ هـمُ الأعداءُ فالأكبادُ سُـودُ (٤)

ويدلّ على صحة جعلهم المودّة بياضًا فى الكبد والأحشاء، قولُ أبى صَعْترة البَوْلانى :

أُحِبُّهـمُ حُبًّا إذا خامرَ الحشَـا أضاء علىَ الأضلاع والليلُ دامسُ

فجعل المحبة نوراً فى الأحشاء. والجِيد: العنق . وأراد بشذا المسك لونَه . والأشهر فيه أنه رائحته ، ولكن ليس للرائحة فى بيت أبى العلاء مَدخل . والتِّمثال والمِثال، سـواء .

(١) فى ديوان زهير ص ١٣٩ : « ما تغب نوافله » .

(٢) البيت من أبيات فى الحماسة ٦٩٥ بن .

(٣) البيت من أبيات رواها القالى فى الأمالى (١ : ٣٢). وأنشد أبياتا أخرى فى (١ : ١٦٣).

(٤) قبله كما فى ديوان الأعشى ٢١٥ :

فبالدّنيـة سـتعود شـزرا وعـدا دار غيرك ما تريـد

الخـــوارزمى : يقال : حسده كذا وعلى كذا . قال :

* فريق نحســد الإنْسَ الطعاما * (١)

عنى بقوله «قلادة» طوقها . بجيدك، فى محل النصب على أنه صفة «قلادة» . قال أبو عمرو بن العلاء : الشذو : لون المسك، على وزن شِلْو (٢)، وأنشد :

إنّ لك الفضل على صحبتى ... والمسك قد يستصحب الرامكا

حتى يعـود الشذو من لـونه ... أســود مصبوغا بـــه حالكا

كذا نقله صاحب التكملة . الأصمعى : الشذو : كسر العود المُطَـرَّى (٣) . ويكتب بالألف (٤) . كذا نقله الخارزنجى عنه . أنشد الأصمعىّ وأصحاب الفرّاء :

إذا قعدتْ نادَى بمـا فى ثيابها ... ذكىّ الشـذا والمَنْـدَلىُّ المُطَيَّرُ

وأبو العلاء قد جعل الشذا فى المسك . يريد أنّ طوقها أسود مِسكىّ . و «الشذا» مع «التمثال» إيهام .

٣٠ (ظَلَمْنَ وبَيْتِ اللهِ كَمْ مِنْ قِلَادَةٍ ... تُوَازِرُها سُـــورٌ لَهُنّ وأَحْجَالُ)

التــبريزى : معناه أنّ الغـوانى إذا حسدنَك على هـذا الطوق ظَلمن، أى وضعن الحسد فى غير موضعه ؛ لأن لهن قلائد ليس لك مثلها ، وكذلك أحجال ، أى خلاخيل . يؤازرها ، أى يُعاضدها . والسُّور : جمع سِوار . وأحجال : [جمع حجل] ، وهو الخلخال .

البطليـــوسى : الظلم : وضع الشىء فى غير موضــعه . وتُؤازرها : تُعاونها . والسور : جمع سِوار . قال ذو الرمة :

(١) من أبيات لشمير، أو سمير، بن الحارث الضبي . وصدر البيت :

* فقلت إلى الطعام فقال منهم *

(٢) كذا ورد هذا التنظير، ولم نجد ما يؤيده . وإنّما ورد (الشذى) بكسر الشين وآخره ياء . والذى تعرفه المعاجم فيا آخره واو (الشذو) بالفتح . (٣) المطرى، من التطرية؛ يقال : طرى الطيب، إذا فتقه بأخلاط . ومثله «المطير» . (٤) يعنى بهذا كلمة «الشذا» .

هِجاناً جَعلن السُّور والعاج والبُرَى   على مثـل بَرْدِىّ البِطاح النَّواعم (١)

والأحجـال : الخلاخل ، واحدها حِجْـل . يقول : ظلمَتك فى أن حسـدَتك على قـلادتك ، ومعهن من القلائد والأَسـورة والخلاخيل ما يُغْنيهنّ عن قلادتك . وفى الكلام تقديم وتأخير وحذف ، تقديره : كم لهن من قلادة ، تُوازرها سُـور وأحجال ، فما الذى حملهنّ على أن يتمنَّين مثل قلادتك ويَحسدنك عليها .

الخـــوارزمى : آزره ، أى عاونه ، من الأَزْر ، وهو القوة . السُّـور : جمع سِوار، وأصله سُوُر، بضم الواو . وأنشد جار الله :

* وفى الأكُفّ اللامعات سُوُر (٢) *

ونحوها عُمُد ، فى جمع عِماد ، إلا أنه استثقلت الضمة على الواو المضموم ما قبلها فسكنت . الأحجال : جمع حِجل، وهو فى «أعن وخد القلاص» (٣). يقول : ظلمَت البيضُ وهى لابسة أطواقَ الذمّ ، حيث حسدت الحمامة على أطواقها الحُـمّ ؛ مع تكاثر حُلاها ، وازديان أطرافها بها وطُلاها .

٣١ (فأَقسَمتُ ما تَدرِى الحَمائمُ بالضُّحَى   أَأَطْواقُ حُسْنٍ تِلكَ أمْ هِىَ أَغلالُ) (٤)

التـــبريزى : ... ...

البطليـــوسى : يقول : لو علمت الحمائم حُسْنَ أطواقهـا التى أُلبِسَتها ، وأنّ البيض الحسان يَحسدنها عليها ويَرينها أجمَلَ مما لَبِسنه من الوَشى ، وأحسَنَ مما

(١) رواية الديوان ٦١٥ : « هجان » بالرفع .

(٢) البيت لعدى بن زيد العبادى ، كما فى اللسان (لمع) : وصدره :

* عن مبرقات بالبرين تبدو *

(٣) البيت ٢٢ من القصيدة الأولى ص ٥٦ .

(٤) التبريزى : « وأقسمت » . وفى الخوارزمى والتنوير : « فآليت » .

تقلّدنه من الحَلى؛ لكان لهنّ زهوٌ بما مُنحنه من الجمال. ولباهَيْن بها ذوات الأسورة والأحجال، ولكنهن لا يعلمن أالأطواق هى أم أغلال؛ فلذلك لا يُعْجَبْن بما لبسن، ولا يُباهين الحسان بما طُوِّقن .

الخوارزمى : خص «الضحى» لأنه وقت ظُهور الأطواق .

٣٢ (بَدَتْ حَيَّةٌ قَصْرًا فَقُلْتُ لِصَاحِبِي حَيَاةٌ وَشَرٌّ بِئْسَ مَا زَعَمَ الْفَالُ)

التبريزى : المعنى حيةٌ ظهرت عشيةً . يقول : لمّا بدت حملتُها على الفأل دلّت على حياةٍ طويلة مع شرّ؛ لأن الحية موصوفة بالشرّ وطول العمر .

البطليوسى : القصر : العشىّ، فتطيّر به أنّه فألٌ بِشَرّ؛ لأنه وقت إدبار النهار، ولأن القصْر فى اللغة المنع والحبس؛ ومنه قول الله تعالى : ﴿ مَقْصُورَاتٌ فِى الْخِيَامِ ﴾ . وحكى يعقوب : أخذتُه قَصْرًا وقَسْرًا، بالصاد والسين، أى قهرًا . فتفاءل بالحيـة التى ظهرت له أن حياته تطول، ويكون فيها مقصورا أى ممنوعا مما يحبّ؛ لأن الحيّة توصف بطول العمر، وأنها لا تموت حتف أنفها فيما يزعمون . وهذا على مذهب من يتطير بالأسماء، فيجعل الصُّرَد تصريدًا، والغرابَ غربةً، والشَّوْحَط شحطا، والبانَ بينا، ونحو ذلك؛ كما قال القائل :

دعا صُرَدٌ يومًا على عود شوحطٍ وصـاح بذات البين منها غرابُها
فقلت أتصريدٌ وشحـطٌ وغربةٌ فهـذا لعمـرى بَيْنُهـا واغترابُهـا[1]

الخوارزمى : فى أساس البلاغة : «جئت قَصْرًا ومَقْصَرًا، وذلك عند دنُوّ العشىّ قُبيل العصر» . فى أمثالهم : «أحيا من حيّة»؛ لأنها تعيش ثلاثمائة سنة . ويقال إنهـا لا تموت حتف أنفها، بل ببعض العوارض . ولذلك سمّيت حيّـة،

(١) البيتان وما قبلهما من الكلام على التطير، فى الحيوان (٣ : ٤٣٧) .

لأن اشتقاقها من الحياة . وتقول العرب : ما رأينا حيّة إلا مقتولة ، ولا نسرًا إلا مقشّبا ، أى مسموما . قال :

ومالك عُمْرٌ إنما أنت حيّةٌ ... متى [هى] لم تُقتَلْ تَعِشْ آخرَ الدهرِ

لمّا وصف اشتياقه إلى الشام أخذ يصف ما يقاسى فى طريقه من المخاوف، وما يتّفق له قبل وقوعها من الطِّيَرَة ، فيقول : بينا أنا وصاحبى عشاءً نمشى فى الطريق، إذ بدتْ لنا حيّة فتطيّرتُ بها؛ لأن لفظ الحية مشعر بالحياة، ومعناها مُؤْذن بالشرّ، فكأنها حياة مقرونة بالشر، فاعتبرتُ ما يناسبها لفظًا ومعنى .

٣٣(أَتُبْصِرُ نَارًا أُوقِدَتْ لِخُوَيْلِدٍ ... ودُونَ سَنَاهَا للنَّجَائِبِ إِرْقَالُ)

التبريزى : خويلد : حىٌّ من بنى عُقَيل . وسنا النار : ضوءُها . والمعنى أنهم يُوقدون النار فتُبْصَر من بعيد . و إرقال : ضرب من السير الشديد . أى دون هذه النار سير شديد .

البطليوسى : قوله « أتبصر نارًا » أراد بها الفتنة التى كانت نشأت بالشام، وقد ذكرها فى قصيدته الطائية التى تقدّم ذكرها (١) . وخويلد : حىٌّ من عُقيل وسنا النار: ضوءُها. والنجائب : الإبل العتيقة . والإرقال : الإسراع .

الخوارزمى : خويلد، فيما يقال : حىٌّ من عقيل . يقول : قلت أيضا لصاحبى : قد تطيّرت بالحية، فتبصّر هل ترى لهذا الحىّ نارا ، فتلك نار لا يُؤْمَن ــ و إن بعدت ــ لفحُها وشَرَرُها، وأنا خائف أن ينزل علينا حكم الطِّيَرَة .

٣٤(وَأَقْتَالُ حَرْبٍ يُفْقَدُ السِّلْمُ فِيهِمُ ... عَلَى غَيْرِهِمْ أَمْضَى القَضَاءَ وَأَقْتَالُ)

(١) يعنى القصيدة ٦٨ التى مطلعها :

لمن جيرة سيموا النوال فلم ينطوا ... يظللهم ماظل ينبته الخط

التبريزى : أقتالٌ : جمع قِتْلٍ، وهو العدو . وأقتالُ، فى القافية : فعل، من قولك : اقتلتُ على الرجل أقتالُ ، إذا احتكمتَ عليه . والسلم : الصلح . و «أقتال» ، عطف على قوله فى البيت الذى قبله « إرقال »، وكذلك قوله فى البيت الذى بعده .

البطليوسى : أقتال ، فى أول البيت : جمع قِتْل ، مكسور القاف ، وهو العدوّ الذى يقاتلك ؛ كما يقال : سِبٌّ للذى يُسَابّك . قال ذو الرمة يصف ثوراً وحشياً وكلاباً :

فكرّ يمشُق طعنًا فى جواشنها كأنه الأجْرَ فى الأقتالِ يَحتسبُ (1)

وأمّا « أقتالُ » المذكور فى آخر البيت فهو فعلٌ مستقبل، من قولهم : اقتال عليه يقتال اقتيالًا، إذا تحكّم بما أراد . واشتقاقه من القتل؛ كأنّ معناه تحكّمَ عليه تحكم القاتل على المقتول . كذا قال بعضهم ، وهو حسن فى المعنى ، وهو خطأ فى التصريف ؛ لأن هذا يوجب أن تكون ألفه زائدة ويكون وزنه افْعَال، وهذا بناء مرفوض . والصحيح أنه افتعَلَ من القول ، أى قال ما شاء فنفذ . ومنه قول الشاعر (2) :

فبالخير لا بالشرّ فارجُ مَوَدّتى وإنّى امرؤ يقتال منه التَّرهُّبُ (3)

ومنه قول أبى تمام :

أعطى أمير المؤمنين سيوفه فيه الرضا وحكومة المُقْتالِ (4)

(1) ديوان ذى الرمة ٢٥ . والجواشن : الصدور . والاحتساب : طلب الثواب .
(2) هو الغطمش من بنى شقرة . انظر اللسان (قول) .
(3) فى اللسان : « منى » .
(4) قبله كما فى ديوان أبى تمام :

لو عاين الدجال بعض فعاله لانهل دمع الأعور الدجال

الخــوارزمى : قوم أقتال : أصحاب تِرَاتٍ . وهى فى الأصــل جمع قِتْل ، بمعنى القِرْن والعدوّ . يقال : قَتَل قِتْــلَه . فى أساس البلاغة : « اقتالَ عليه، أى احتكم » . وهو افتعل من القول . يقول : ودون تلك النار أيضا مَسَاعِرُ حروب من العُداة، ما يجفّ لهم لبد من كثرة الغارات ، أشدّاء مولعون بالتمرد والعصيان، لا يدينون لأمير ولا يقبلون حكم سلطان .

٣٥ (وعُرْضُ فَلَاةٍ يُحْرِمُ السَّيْفُ وَسْطَهَا   أَلَا إِنَّ إِحْرَامَ الصَّوَارِمِ إِحْلَالُ)(١)

التــبريزى : يُحرم السيفُ ، أى يجرّد من غمده ؛ كما أن المحرم يخلع ثوبه . و إحرام السيف يؤدّى إلى سفك دم، فهو إحلال .

البطليــوسى : العَرْض : السعة . وشبّه سلّ السيف من غِمْده بإحرام المحرم بالحج، وهو تجرّده من ثيــابه . ثم وصف أن السيوف إذا أُحرمت فإنهــا حينئذ لا تتوقّى ما يتوقّاه المحرم مــن الآثام ، ولكن حينئذ تُسْفَك بها الدماء ويُرْتَكب الحرام ؛ فإحرامها هو إحلالها، و إحلالها هو إحرامها، بعكس ماعليه المحرم والمُحِلّ.

الخــوارزمى : يروى « عرض فلاة » بفتح العين ، وهو خلاف الطول ؛ ويروى بالضم ، وهو الجــانب . يقول : ودون تلك النــار شطر من تَنوفة تُجرّد وســطَها البيضُ الموصوفة بالمضاء ، لاشــتعال نائرة الهيجاء ، فإن تجــريد البيض لإحلال الدماء .

٣٦ (إِذَا قُدِحَتْ فَالْمَشْرَفِيُّ زِنَادُهَا   وإِنْ هِيَ حُشَّتْ فَالْعَوَامِلُ أَجْذَالُ)

التــبريزى : حُشَّتِ الحرب : أُورِيتْ(٢) . والأجذال : جمــع جِذْل، وهو الوتد الغليظ . ويقال لأصل الشجرة : جِذْلٌ . قال أبو ذُؤيب :

(١) جاء هذا البيت فى الخوارزمى قبل سابقه .

(٢) فى ب : « أورت » وصوابها ماأثبتناه . وفى ى : « أوقدت » .

على أنها قالت رأيت خويلدًا ‏ ‏ تغيّر حتى صار أسودَ كالجِذْلِ

البطليوسى : هــذا راجع إلى نار الحرب التى تقــدّم ذكرها . يقول : نار الحــرب لا نار لهــا تُقْدَح منها إلا السـيوف ، ولا حطبَ تُوقَد به إلا الرماح . ويقال : قدحتُ النار من الزَّند ، إذا استخرجتَها . واسم الزند القَدّاحة . ويقال : حششت النار ، إذا أشعلتها . وأصل ذلك أن يُلْقَى عليها الحشيش لتهيج وتشتعل . والعوامل : صدور الرماح . وخصّها بالذكر ، وإن كان يريد الرماح كلها ، لأن الطعن إنما هو بها ، وسائر الرماح تبع لها . وقد ذكر ذلك أبو الطيب فى قوله :

وكلُّ أنابيب القنــا مَــدَدٌ له ‏ ‏ وما يَنْكُبُ الفرسانَ إلا العوامِلُ

والأجذال : أصول الشجر التى ذهبتْ أغصانُها ويبست ، وذلك أسرع لاشتعالها ؛ فلذلك خصّها .

الخــوارزمى : «المشرقىّ» فى « أعن وخد القلاص »(١) . حشّ به النـار ، إذا أوقدها . وكأنه من قولهم : حششت الدابة ، إذا أطعمتها الحشيش . ومنه : « النار تُغَذّى بالحطب » . ذكره فى أساس البلاغة . ويشهد له بيت السقط :

* إذا ما النار لم تطعم ضِرامًا(٢) *

وفى أمثالهم : « آكَلُ من النّار » لأنها تأكل جميعَ ما يُلْقَى فيها من الحطب ، حتى إذا لم تجد شـيئا أكلت نفسها . وإلقاء الحشيش للنار فى أول الإيقاد ، حتى إذا اشتعلت أُلقِى لهــا الحطب . هذا أصــله ، ثم استعمل فى كل إيقاد . فكان من حقّ هذا الكلام أن يقول : إذا قُدِحتْ فزنادها المشرقىّ ، وإن حُشّتْ فأجذالها العوامل . لكن الشعراء على مثل ذلك يتجاسرون .

---

(١) البيت ٦٧ من القصيدة الأولى ص ١٠٢ .

(٢) البيت ٧ من القصيدة ١٧ ص ٨٥٥ .

٣٧ (تَمَنَّيْتُ أَنَّ الْخَمْرَ حَلَّتْ لِنَشْوَةٍ تُجَهِّلُنِي كَيْفَ اطْمَأَنَّتْ بِيَ الْحَالُ)

التبريزى : ... ...

البطليوسى : سيأتى .

الخوارزمى : رجل نَشْوان : بيِّن النَّشْوة ، بالفتح .

٣٨ (فَأَذْهَلُ أَنِّى بِالْعِرَاقِ عَلَى شَفًا رَذِىُّ الْأَمَانِى لَا أَنِيسٌ ولا مَالُ)

التبريزى : شفا : بقية الشيء . وإذا قارب الرجل الهَلَكة ، قالوا : هو على شَفَا جُرُفٍ ، أى مابقى من سلامته إلا شيء قليل . والرذىّ ، مأخوذ من الرذيّة ، وهى الناقة التى قد تركها المسير لا تقدر على القيام ، وجمعها رَذَايَا . قال النابغة :

سَمَامًا تُبَارِى الطيرَ خُوصًا عيونُها لهنَّ رَذَايَا فى الطريق ودائعُ

سَمام : ضرب من الطير ، تشبَّه به الإبل فى السرعة .

البطليوسى : يقول : قد تمنّيت أن الله تعالى قد أحلّ الخمر حتى أسكر منها سكرة تنسينى ما أنا فيه فأذهل عنه ، وأسلو بعض السلو عن وجدى الذى قد أضرّ بى ما يتضاعف علىَّ منه . والشفا : طرف الجُرف الذى يُخْشَى السقوطُ على مَنْ مشى عليه . وحرفُ كل شيء : شَفَاه . ويقال : ما بقى من الشمس إلا شَفًا . قال العجّاج :

ومَرْبَا عالٍ لمَنْ تَشَرَّفا أشرفتُه بلا شَفًا أو بشَفَا (١)

والرذىّ : البعير الذى أضعفه السفر حتى سقط ولم ينبعث . فشبّه به أمله الذى يأمله ، وحاله التى لا تُنهضه وتخذُله . وهو فعيلٌ بمعنى مُفْعَل ، كما قيل : رُبٌّ عَقِيدٌ ، بمعنى مُعْقَد ؛ لأنه يقال : أرذيتُ الناقةَ ، إذا فعلت بها ذلك . وأنيس ، بمعنى مؤنس ، كما قيل عذابٌ أليمٌ بمعنى مُؤْلِم . و« أنى » مفتوحة الهمزة ؛ لأن التقدير : أذهل عن أنى ، فحذف حرف الجر .

(١) البيتان ليسا فى الديوان ولا ملحقاته .

الخــوارزمى : الشفا، فى « طوبن لضوء البارق »(١) . « جلّ رذىٌّ : هالكٌ هُزالًا لا يُطيق براحا ؛ وقد رذِى رذاوةً» . كذا ذكر فى أساس البلاغة . قد يشير الناس على المغتمّ أن يتداوى بالشراب ليتسلّى به . وهذا خطأ فى التدبير ؛ لأن منْ فعل الشراب الزيادةَ فى سخونة البدن، وتهييجَ قوى النفس ، فإذا صادف الغمّ مادّة من الشراب كان محلُّه منه محلّ الحطب من النار، فى إيقاده إيّاها ، والزيادة فى لهيبها . اللهم إلا إذا سَكِر سكرا لا يعقل معه الأمر الذى يغمّه ؛ فقد قال أبو زيد البلخىّ : « هذا تدبير صواب » .

٣٩ (مُقِلٌّ مِنَ الأَهْلَيْنِ يُسْرٍ وأُسْرَةٍ كَفَى حَزَنًا بَيْنٌ مُشِتٌّ وإقْلَالُ)

التبريزى : ... ...

البطليوسى : جعل كلّ واحد من اليسر والأُسرة أهلاً ؛ لأن اليسر يُنهضه إلى ما يريد ، كما تُنهضه أسرته . واليسر : الغِنى . وأُسرة الرجل : رهطه الأدْنَوْن إليه . وهى مشتقة من قولهم : أَسَرْتُ القَتَبَ، إذا شددتَه بالإِسَار، وهو القِدّ . وأسرتُ الرجل، إذا أوثقته . لأن الرجل يُقَـوَّى بأُسرته أَزْرَه، ويشدّ بمكانهم ظهرَه . والبين : الفِراق . والمُشِتّ : المفرّق .

الخوارزمى : قوله « من الأَهْلَيْنِ » على التثنية .

٤٠ (طَوَيْتُ الصِّبا طَيَّ السِّجِلِّ وزَارَنِى زَمانٌ لَهُ بالشَّيْبِ حُكْمٌ وإسْجَالُ)

التبريزى : طىّ السِّجلّ، أى طىّ الكتاب. والإسجال، من قولهم: أسجل القاضى للرجل كتابًا ، إذا أعطاه سجلًّا لما يريد .

البطليوسى : السجلّ : الكتاب . وقال الخليل : هو كتاب العهد . والسجل أيضا : الكاتب . وبهذين المعنيين فُسِّر قوله تعالى : (يَوْمَ نَطْوِى السَّمَاءَ كَطَىِّ السِّجِلِّ

(١) البيت ٣٥ من القصيدة ٥٨ ص ١١٩٧ .

لِلْكِتَابِ﴾[1] . وقد قيل إنه كاتبٌ كان للنبيّ صلى الله عليه وسلم . فإذا اعتقدت أن « السجلّ » الكتاب كان موضعه رفعا على ما لم يسمّ فاعله ، كأنه قال : كما يُطْوَى السِّجِلُّ . و إذا اعتقدت أنه الكاتب كان موضعه رفعًا على أنه الفاعل ، وجعلتَ المفعول محذوفا ، كأنه قال : طيّ السجلّ الكتابَ ، فيكون كقول النابغة الجعدى :

حتى لحِقْنا بهم تُعْدِى فوارسُنا ... كأننا رُعْنُ قُفٍّ يرفَعُ الآلا

أراد : تُعْدِى فوارسُنا الخيلَ . والإسجال ها هنا : مصدر أسجل القاضى لفلان ، إذا عقد له سجلّا ، بمعنى سجّل . يقول : حكم علىّ الزمان بالشيب حكمًا سجّل به ، فلا مَرَدَّ له ولا حيلة فى دفعه .

الخوارزمى : عنى بالإسجال التسجيل ؛ لأن الإفعال والتفعيل كثيرا ما يشتركان . وكأنه سمعه من أهل الحضر ؛ لأنه وقع هكذا فى كلامهم .

٤١ ﴿مَتَى سَأَلَتْ بَغْدَادُ عَنِّى وأَهْلُهَا ... فإِنِّى عَنْ أَهْلِ العَوَاصِمِ سَآَّلُ﴾

التبريزى : ... ...

البطليوسى : سيأتى .

الخوارزمى : العواصم ، فى «أعن وخد القلاص»[2] . يقول : متى اشتاقت إلىّ بغدادُ فأنا إلى العواصم أشتاق .

٤٢ ﴿إِذَا جَنَّ لَيْلِى جَنَّ لُبِّى وَزَائِدٌ ... خُفُوقُ فُؤَادِى كُلَّمَا خَفَقَ الآلُ﴾

التبريزى : جنّ الليل وأجنّ ، إذا دخل . وجُنّ اللبُّ ، من الجنون ؛ والأصل واحد فى المعنى ؛ لأن قولهم : جَنّ الليل ، بمعنى ستَر ؛ وقولهم : جُنّ فلان فهو مجنون ،

(١) هذه قراءة الجمهور ، كما جاء فى تفسير أبى حيان (٦ : ٣٤٣) . قال : «قرأ الجمهور : للكتاب ، مفردا ، وحمزة والكسائى وحفص : للكتب ، جمعا . وسكن التاء الأعمش » .

(٢) البيت ٤٨ من القصيدة الأولى ص ٨٥ .

أى سُتِرَ عقله ، فهو مستور العقل . وإنما يصف شدّة اشتياقه بالليل والنهار ، وأنه يزداد على مرّ الأيام .

البطليوسى : يقول : إذا عُنِى أهل بغداد بالسؤال عنّى والاستعلام لحالى ، فإنما غايتى وسؤالى عن أهل العواصم ، انجذاباً إليهم ، وحرصًا للقدوم عليهم . والعواصم : حصون بأرض الشام فى شِقّ حلب . ولم يُرِد العواصمَ بعينها ، إنما أراد أنه يحنّ إلى الشام . ويقال : جنّ الليل جَناناً وجُنوناً[1] ، إذا ألبس كلّ شيء . قال دُرَيْد بن الصِّمَّة :

ولولا جُنونُ الليلِ أدرك رَكْضُنا بذى الرِّمْثِ والأَرْطَى عياضَ بن ناشبِ[2]

وخفوق الآل : اضطرابه فى الهاجرة . والآل : السراب . وإنما قال هذا لأن المحزون يتسلّى عن بعض حزنه بعضَ التسلّى إذا ورد النهارُ ، وإنما يشتدّ حزنه ويتضاعف همّه إذا جَنّ عليه الليلُ . فنفى ذلك عن نفسه ، وذكر أن حاله فى نهاره وليله سواء ، لجنون الليل يَكْسِبه جنوناً فى لُبّه ، وخفوق النهار يزيد فى خُفوق قلبه .

الخوارزمى : يقول : أنا أبدًا مضطرب لا يقرّ لى قرارى ، وملتبس بالهمّ ليلى ونهارى ؛ فكلما دخل الليل حَننت ، إلى وطنى حتى جُننت ، ومتى جاء النهار ونظرت فى السراب ولمعانه ، زاد القلب فى وَجيبه وخَفَقانه .

٤٣ (وَمَاءُ بِلَادِى كَانَ أَنْجَعَ مَشْرَبًا وَلَوْ أَنَّ مَاءَ الكَرْخِ صَهْبَاءُ جِرْيَالُ)

التبريزى : جريال : صبغ أحمر ، وقيل ماء الذهب . وسمّيت الخمر جريالًا لشبهها بالذهب ومائه . فأما قول الأعشى :

وسَبيئةٍ مما تُعَتِّقُ بابلٌ كدم الذَّبيح سلبتُها جريالَها

(١) الذى فى اللسان والقاموس : « جن الليل جنا وجنونا » . وجن الليل (بالكسر) وجنانه وجنونه : شدّة ظلمته .

(٢) من قصيدة فى الأصمعيات ص ١٢ .

فإنه يريد أنه شَربها حمراءَ و بالَهـا بيضاء . يقول[1] : سَلَبتُ لونها . والمعنى أن ماء بلادى كان أنجع من ماء العراق .

البطليـــوسى : أنجـع : أغذَى للجسم وأصلح . والكَرْخ : موضـعٌ ببغداد . والصهباء من الخمر : التى فيها حمرة، وكذلك الجِرْيال . وقيل الجريال : حمرة الخمرة، وبذلك سمِّيت. وذكروا أن الأعشى قيل له : ما أردت بقولك :

ومُـدامةٍ ممـا تعتَّـــق بابـلٌ   كدم الذبيـح سلبتُها جريالَهَا

فقال : شربتها حمراء وبُلتها بيضاء .

الخـــوارزمى : الجريال والجريالة: الخمر . وجريال الخمر والذهب: حمرتهما. قال بعضهم : اللبن دمٌ سلبتْه الطبيعة جرياله . وسئل الأعشى عن قوله :

وسـبيئة ممـا تعتَّـــق بابـــلٌ   كدم الذبيـح سلبتها جريالَهـا

فقال : معناه شربتها حمراء وبُلْتها بيضاء . يريد أنه ما بقَّى من حمـرة لونها . و«جريال» ها هنا على المعنى الأول، عطفُ بيان من «صهباء» ، وعلى المعنى الثانى صفة لصهباء . والمراد صهباء ذات جريال، فحذف المضاف وأقام المضاف إليه مقامه .

٤٤ (حُرُوفُ سُرًى جَاءتْ لمَعْنًى أَرَدْتُهُ   بَرَتْنِي أَسْمَـاءٌ لَهُنَّ وَأَفْعَـالُ)

التــــبريزى : ناقة حَرْفٌ : مشبَّهة بحرف الجبل، وبحرف الكتّاب . ويجوز أن تكون مشبهة بحرف شيء غير الكتّاب ، مثل حرف السنان والسيف . حروفُ سُرًى : نوقٌ سُرِى عليها . وقوله : برتنى أسماء لهن، قولنا نُوق وإبل . وأفعال : إرقال وذميل ورسيم ، وغير ذلك . وإنمـا أخذ عن الاسم والفعل والحرف .

البطليـــوسى : هـــذا إلغاز بقول النحويين : اسمٌ وفعل وحرف جاء لمعنًى . وأراد بالحروف الإبلَ التى أضعفها السفر ، وجعل معناها الذى أُريد بها السُّرَى ،

(١) فى الأصل : « قوله » .

وهو سير الليل. وأراد بأفعالها التى برتْ جسمَه حركتَها به وانتقالها ، كالأفعال التى تصرِّف الاسم ، فتارةً ترفعه وتارةً تنصبه. وأما قوله إن أسماءها برته كما برته أفعالها ، فيحتمل تأويلين : أحدهما أن يريد أنها لما كانت تسمّى حروفاً من أجل ضعفها وهُزالها ، كان فى أسمائها فَألٌ بأنه سيصير حرفاً مثلها ، أو يصحبه الحُرْف وهو الحرمان الذى أضنى جسمه وأكثر همَّه ، لأنهم كانوا يتفاءلون بالأسماء ، كما ذكرنا فى قوله :

بدت حيّة قصرًا فقلت لصاحبى حيـاةٌ وشرٌّ بئس ما زعم الفـالُ(١)

والآخر : أن يكون ذهب بالأسماء إلى المسميات ، وأراد أن الأفعال لا تأثير لها إلا مع مسمياتها التى تُحدثها ، لأنها أعراض لا تقوم بذواتها ، وتحتاج إلى جوهر يستقلّ بها .

الخـوارزمى : الحروف : جمع حرف ، وهى فى « النـار فى طرف تبالة(٢) » . فى كتب النحو : الحرف ما جاء لمعنى ، ليس باسم ولا فعل . فإن قلت : لم وصفوا الحرف بقـولهم : ما جاء لمعنى ؟ قلت : لأنّ الحـرف على ضربين : ضربٌ جاءَ لمعنًى ، كالباء فى قولنا : مررت بزيد ، ومن فى قولنا : خرجت من البصرة . وضربٌ جاء لا لمعنًى ، كالضاد من ضرب والراء منه والباء فيه ؛ فإن كل واحد من هذه الحروف الواقعة فى ضَرَب لا معنى له بإنفراده . والنحويون قـد عَنَوُا القسم الأول . وأمّا أبو العلاء فقد عنَى بقوله « لمعنًى أردته » ، السفر ، و بأسماء الإبل مسمَّياتها ، وهى ذواتها وأشخاصها . والاسم قد يُذْكَر و يراد به المسمّى . قال الله تعالى : ﴿ سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ ﴾ . والمأمور بتسبيحه مسمَّى الرّب ، وهو ذاته القـديم ، دون التسمية . وقال تعالى : ﴿ مَا تَعْبُـدُونَ مِنْ دُونِهِ إِلَّا أَسْمـاءً سَمَّيْتُمُوهَا ﴾ وهم كانوا يعبدون ذواتِ الأصنام

(١) البيت ٣٢ من هذه القصيدة .

(٢) البيت ٩ من القصيدة ٥٣ ص ١١١٧ .

لا الألفاظَ الدالّةَ عليها. ويشهد لصحة ماذكرنا قوله «سمّيتموها»، وهم كانوا يسمون الأصنام آلهةً لا الألفاظ. وقد اختلف المتكلّمون فى أن الاسم هو المسمّى أم التسمية، ولهم فيه كلام طويل. وعنَى بالأفعال سيرَ الإبل. يصف سيره بالإبل إلى الشام. والبيت كله إيهام.

٤٥ (يُحَاذِرْنَ مِنْ لَدْغِ الأَزِمَّةِ لَا اهْتَدَى مُخَبِّرُهَا أَنَّ الأَزِمَّةَ أَصْلَالُ)

التبريزى: الأزِمّة: جمع زِمام. والأصلال: جمع صِلّ، وهو الحيّة الذكر. أى هذه الإبل لحدّة نفوسها تظنّ الأزمّة أصلالاً. وهو نحو قول الفرزدق:

كأنّ أراقمًا عَلِقتْ بُرَاها معلّقة إلى عَمَد الرّخامِ

البطليوسى: أصلال: جمع صِلّ، وهى حيّة دقيقة من أخبث الحيّات. قال النابغة الذبيانىّ:

ماذا رُزِئنا به من حَيّةٍ ذَكَرٍ نَضْناضةٍ بالرزايا صِلِّ أصلالِ

يقول: تتوهم هذه الإبل أن أزمّتها حيّات تعلّقت برءوسها، فهى تخاف لدغها، فتُسرِع السيرَ توهُّمًا أنّ إسراعها يُنجيها من لدغها. فلا هدَى الله الذى أوهمها أنها حيّات. وتشبيه الأزمّة والأعنّة بالحيّات كثير فى الشعر؛ فمنه قول الفرزدق:

كأنّ أراقمًا عَلِقتْ بُرَاها معلّقة إلى عَمَد الرخامِ

ومنه قول ذى الرمّة:

كأنّ حُبابَىْ رملةٍ حَبَوَا لها بحيث استقرّت من مُناخ ومُرسَلِ (١)

وقال أبو الطيب:

تُجاذب فرسانَ الصباح أعِنّةً كأنّ على الأعناق منها أفاعيَا

(١) ديوان ذى الرمة ٥١١. والمناخ: الذى أُنيخ.

الخوارزمى : الزمام، يشبَّه عند اضطرابه بالحية. وفى عراقيات الأبيوردى:

* كأنها مزمومة بالأصلال (١) *

وقال حُمَيد بن ثَوْر :

شديدًا توقِّيها الزِّمامَ كأنما (٢) تُراها أُعِضَّتْ بالحشاشة أرقَمَا

٤٦ (فيَا وَطَني إنْ فاتَني بِكَ سَابِقٌ (٣) مِنَ الدَّهْرِ فَلْيَنْعَمْ لِسَاكِنِكَ البَالُ)

التبريزى : [البال : القلب] (٤). والبال : خَلَدُ الإنسان. ويستعمل فى معنى الحال. وكان بعض أهل العلم المتقدّمين إذا قيل له : كيف أصبحتَ؟ قال : بالخير. أصلح الله بالكم، أى حالكم.

البطليوسى : سيأتى.

الخوارزمى : سيأتى.

٤٧ (وإنْ أَسْتَطِعْ فى الحَشْرِ آتِكَ زائرًا وهَيْهَاتَ لِى يَوْمَ القِيَامَةِ أشْغَالُ)

التبريزى : هيهات، معناه أبعدُ البعد، وهو يكون بالهاء وبغير الهاء، فإذا كتب بالهاء فهو واحد وهاؤه للتأنيث، وإذا كتب بالتاء فهو جمع، كما يقال: قَيْنةٌ وقَيْنات. ويقال: أَيْهات، كما يقال: هَمَا بالله، وأمَا بالله (٥)، وأرحت وهرحت.

ويقال: أيها، فحذفوا التاء. وأنشد الفراء :

وقد حالت الأعيار والقنعُ كلُّه وكُتْمانُ، أيهًا ما أشت وأبعدا (٦)

---

(١) فى الأصل : «مرموقة» صوابه من ديوان الأبيوردى ٢٥٦.

(٢) فى الأصل : «شديدا توقيه».

(٣) البطليوسى : «فائت».

(٤) الزيادة من التنوير.

(٥) فى الأصل : «كما بالله» والتنظير يقتضى ما أثبتنا.

(٦) ضبطت «أيها» فى اللسان وفى القاموس بدون تنوين. وصدره فى اللسان (هيه) :

* ومن دونى الأعراض والقنع كله *

البطليوسى : البال : الفكر، والبال أيضا : الحال . وهيهات، كلمة تستعمل فى إبعاد الشىء والإخبار أنه غير ممكن . فمن فتح تاءها جعلها كلمة مفردة ووقف عليها بالهاء، ومن كسر تاءها جعلها جمعًا، كأنّ واحدها هَيْهة — و إن كان ذلك غير مستعمل — ووقف عليها بالتاء . و إعرابها أنها اسم سمّى به الفعل الماضى . فإذا قلت : هيهات زيد، فهو بمنزلة قولك : بَعُد زيد . قال ذو الرمّة :

هيهاتَ خَرْقاءُ إلّا أنْ يُقَرِّبها ذو العرش والشَّعْشَعاناتُ الهَراجيبُ (١)

وفاعل «هيهات» فى بيت أبى العلاء مضمر، كأنه قال: وهيهات إتيانى إيّاك ، لأنّ لى ما يَشْغَلنى عنك .

الخوارزمى : هذا كقوله تعالى : ﴿لِكُلِّ امْرِئٍ مِنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ﴾ بالغين معجمة ومهملة (٢) . يشتاق إلى الوطن .

٤٨ ﴿وكَمْ ماجِدٍ فى سِيفِ دَجْلةَ لم أَشِمْ له بارِقًا والمرْءُ كالمُزْنِ هَطّالُ﴾

التبريزى : المعنى أن سِيف دجلة، أى شاطئها، فيه ساداتٌ كثيرة، لم أَشِمْ لهم بارقًا ، ولم أطلب لهم نائلا . ويجوز أن يعنى مَلِك بغداد ، أى لم أقصده مع أنه جوادٌ من قوم كرام . وقوله : لم أَشِمْ له بارقا، من قولهم : شِمْتُ البرق، إذا ترقّبت مطره .

البطليوسى : الماجد : الشريف، وكذلك المجيد . ودجلة : نهر بغداد . وسِيفه : ساحله . والشَّيم : النظر إلى البرق توقّعا لمطره وسرورا به . والبارق ،

(١) الشعشعانات : الإبل الطوال . والهراجيب : الطوال أيضا ، واحدها هرجوب . انظر ديوان ذى الرمّة ٣٦ .

(٢) بالمعجمة قراءة الجمهور . وبالمهملة قراءة الزهرى وابن محيصن وابن أبى عبلة وحميد وابن السميفع .

يكون البرقَ بعينه ، ويكون السحابَ الذى فيه البرق . والمُزْن : السحاب الذى فيه بياض . والهطّال : الكثير المطر . يقول : لم أمتنع من شَيْم برقه والتعرُّض لنَيْله ، خوفًا من ضنانته علىّ وبخله ؛ ولكن لصبرى على الإقلال ، وأنفى من أن أُخاِق وجهى بالسؤال .

الخـوارزمى : السيف ، فى « بنى الحسب الوضاح »[1] . عنى بـ « كم ماجد » خليفةَ بغداد وأصحابه .

٤٩ (مِنَ الغُرِّ تَرَّاكُ الهَوَاجِرِ مُعْرِضٌ عَنِ الجَهْلِ قَذَّافُ الجَوَاهِرِ مِفْضَالُ)

التبريزى : الهواجر : جمع هاجرة ، وهى الكلمة القبيحة . ويقال : رماه بالهاجرات ، أى الفضائح . وأصله من الهُجْر ، وهو الفحش . يقال : أهجر الرجل ، إذا أتى بالفُحْش . قال :

وإنك يا عامِ بنَ فارسِ قُرْزُلٍ مُعيدٌ على قِيل الخنا والهواجرِ[2]

ويقال : رجل أغرّ ، أى أبيض . يراد أنه كريم . والجمع غُرّ . ومِفضال : كثير الإفضال . وقذّاف الجواهر ، أى يرميها إلى من يسأله .

البطليوسى : الغُرّ : جمع أغرّ ، وهو المشهور بالفضل ، شُبّه بالفرس الأغر . والأغرّ أيضا : الأبيض . والهواجر : الكلام القبيح ، واحدتها هاجرة . قال الشاعر :

فإنّك يا عامِ بنَ فارسِ قُرْزُلٍ معيدٌ على قيل الخنا والهواجرِ

---

(١) البيت ٢٢ من القصيدة ٤٢ ص ٩٥٧ .

(٢) البيت لسلمة بن الخرشب من قصيدة فى المفضليات (١ : ٣٤ — ٣٦) والخيل لابن الأعرابى ٧٥ .

وقوله : قذّاف الجواهر ، شبّهه بالبحر الذى يستخرج منه الجواهر ، كما قال أبو الطيب :

كالبحر يَقذِف للقريب جواهرًا   جــودًا ويبعث للبعيد سحائبــا

والمفضال : الكثير الإفضال أو الفضل .

الخــــوارزمى : عنى بـ«الهواجر» الهاجرات ؛ وهى الكلمات التى فيها فحش . جعلت الكلمة هاجرة على الإسـناد المجازى . و « الهواجر » مـع « الجواهر » [تجنيس] مقلوب .

٥٠ (سَيَطْلُبُنِى رِزْقِى الَّذِى لَوْ طَلَبْتُهُ   لَمَــا زَادَ والدُّنْيَا حُظُوظٌ وإقْبَالُ)

التــــبريزى : ... ...

البطليــــوسى : ســــيأتى .

الخــــوارزمى : هذا كقول بكر بن أُذينة[1] :

إنى لأعلم والأقـــدارُ جاريةٌ   أن الذى هو رزقى سوف يأتينى

أسعى وأطلب رزقى وهو يطلبنى   ولو قعَـــدْتُ أتانى لا يعنِّينِى

ويُحكى أن عبدالله بن طاهر كان بديار الشام ، و بين يديه من جنده سِماطان ، إذ مرّ شــيخٌ كبير ، فبادرت إليه الوزَعة[2] ، فسعى من بين أيديهم الشّيخ وهو يعثر ويسقط ، فامتلأ رقّةً قلبُ عبد الله ، وأمر له بمـائة دينار ، فكان الخادم بالمـائة يركض إليه وهو يهرب . فقال عبـد الله : انظروا إنه ليهرُب من رزقه ، والرزق يركض من ورائه ، فردّه وهو يُنشد :

الرزقُ يبغيـــك كما تبغيــه   وأنت مَيْتٌ حين تستوفيه

من لم يكن يُغْنيه ما يكفيه   فكلُّ مافى الأرض لا يغنيه

(١) كذا فى الأصل . والمعروف أنه لعروة بن أذينة ، كما فى الأغانى (٢١ : ١٦٥) طبع أوربا .

(٢) الوزعة : جمع وازع ، وهم أعوان السلطان الذين يزعون الناس .

وفى الحديث على ما رأيتُه بخط بعض الأدباء: « لا تتشاغَلْ بالرزق المضمون، عن العمل المفروض ، وكن مشغولا فى يومك، بما أنت مسئولٌ عنه فى غدك» .

٥١ ﴿ إذَا صَدَقَ الجَدُّ افْتَرَى العَمُّ لِلْفَتَى مَكَارِمَ لا تُكْرِى وإنْ كَذَبَ الخَالُ ﴾

التبريزى : الجَدّ : الحظّ ها هنا . والعمّ : الجماعة . وتُكرِى، من أكرى الزاد، إذا نَقَص . وافترى : كَذَب . والخال: المَخِيلة . ألغز عن العمّ والجدّ والخال.

البطليوسى : الجدّ ها هنا : السعد والحظ . وافترى : اختلق وزعم . والعمّ : الجماعة من الناس . قال لَبِيد :

يا عامرَ بن مالك ياعمّا أَمَتَّ عمًّا وأعشت عمّا

وقال المُرَقِّش :

والعَدْوَ بين المجلسين إذا آدَ النهـارُ وتنادَى العَمّْ[1]

وتُكرِى: تنقص . وهذه كلمة من الأضداد. يقال : أكْرَى، إذا زاد، وأكْرَى، إذا نقص . قال لبيد :

كذِى زادٍ متى ما يُكْرِ منه فليس وراءَه ثقـةً بزادِ[2]

والخال هاهنا : مَخِيلة السّحاب ، وهى ما يُرَى فيها من علامة المطر . يقال : ما أحسن خالَ هذه السحابة، وما أحسن مَخِيلتها. وقال الخليل: الخالُ: سحابة تنشأ، يُخَيِّل إليك أنها ماطرة، وهى المُخَيِّلة[3]؛ وقد خَيَّلت السماء، إذا أغامت. والخال : الرجل السَّمْح . يقول : إذا كان للرجل جَدٌّ صادق و إقبال ، نَسَب الناس إليه المكارم و إن لم يفعل منها شيئا .

(١) البيت من قصيدة فى المفضليات (٢ : ٣٧ — ٤١). وانظر اللسان (عم ، أود) .
(٢) البيت فى اللسان (كرى) .
(٣) وبضم الميم وكسر الخاء أيضا .

الخـــوارزمى : الجَدّ، فى «أعن وخد القلاص»[1] . العمّ : هو الجمع الكثير . قال صاحب التكملة : و يقال ما فى العمّ مثلُه ، أى الخلق . أكرى : زاد . وأكرى الزاد والظلّ : نقص . وهذا الحرف من الأضداد . كذا ذكره الغورى . و يقال : ما أحسن خالَ السحابة ، أى خَلاقتها[2] للطـر . نقله الغورى . يقول : من ساعده الجَدّ اخترع له الناس من المكارم ما لا يدلّ عليه مخايلُ كرمه، وتباشيرُ جوده .

---

(١) البيت الثامن من القصيدة الأولى ص ٣٩ .

(٢) فى الأصل : « خلابتها » .

[القصيدة المتمة الستين]

وقال يرثى الشريف الطاهر الموسوى من الكامل الثانى والقافية متواتر[(١)] :

١ (أَوْدَى فَلَيْتَ الحَادِثَاتِ كَفَافِ   مَالُ المُسِيفِ وَعَنْبَرُ المُسْتَافِ)

التبريزى : أودَى، أى هلك . مال المسيف، يقال: أساف الرجلُ فهو مُسيف، إذا ذهب ماله . والمستاف : الشامُّ . وكفافِ، معدول مثل قَطام . قال العجّاج :

يا ليتَ حظّى من نداكَ الضافى   والخيرِ أن تتركَنى كَفَافِ[(٢)]

كأنّه جعل «كفاف» اسما لكفّ الأذى . أى ليتها كَفّت . وجعله معرفة ، كما قال النابغة :

إنا اقتسَمْنا خُطّتينا بيننا   فحملتُ بَرّةَ واحتملتَ فَجَارِ[(٣)]

فجعل بَرّة اسما للبِرّ ، وفَجَارِ اسما للفجور . والمعنى أن الحادثات ليت خيرها يقوم بشرّها ، فيكفّ بعضُها بعضا . والمرثىّ هو مال المُسيف . يعنى أنّه كان يعطيه، فلما هلك كان المسيفُ كأنه قد ذهَب ماله .

---

(١) البطليوسى : «وقال ببغداد يرثى الشريف أبا أحمد الملقب بالطاهر، و يعزى ابنيه : أبا الحسن الملقب بالرضى ، وأبا القاسم الملقب بالمرتضى » .

الخوارزمى : « وقال أيضا ببغداد فى الكامل الثانى ، والقافية من المتواتر، يرثى الشريف أبا أحمد الموسوى، وكان توفى فى ليلة مطيرة، وورد الخبر بأن البحر غاض ، و يعزى ولديه الرضى والمرتضى » .

(٢) البيتان ليسا فى أرجوزته التى على هذا الروى فى ديوانه ٣٨ . و إنما هما لرؤبة بن العجاج فى ديوانه ص ١٠٠ . وسنذكر النسبة الصحيحة فى تفسير البطليوسى .

(٣) ديوان النابغة ص ٣٤ من مجموع خمسة دواوين . وفى الأصل : « إذا اقتسمنا خطتينا » ، تحريف .

البطليوسى : أودَى : هلك . وكفافِ : اسم مبنى على الكسر ، وهو يستعمل فى الكلام على معنيين : أحدهما أن يكون اسمًا لفعل الأمر ، تقول : كفاف يا رجل ، بمعنى اكفف ، كما تقول : نزال ، بمعنى انزل . والثانى : أن يكون اسما للصدر فيكون معدولا عن الكَفّة ، كما عدل فجارِ عن الفَجْرة ، ومساس عن المُماسة أو المَسّة . وهذا هو المراد فى هذا البيت . قال رؤبة لأبيه :

يا ليت حظّى من نداك الضافى والخيرِ أن تتركنى كفافِ

والمعنى : ليت الحادثاتِ يقوم خيرها بشرّها ، فيكفّ بعضُها بعضا . ويجوز أن يكون موضع كفاف نصبا على المصدر كأنه قال : ليت الحادثات تكفّ كفًّا ، كما تقول : ما أنت إلا سيرًا ، أى ما أنت إلا تسير سيرًا . فالخبر على هذا محذوف دلّ عليه المصدر . ويجوز أن يكون موضع كفاف رفعًا على خبر «ليت» ، على وجهين : أحدهما أن يريد ذات كَفّ ، فحذف المضاف . والثانى أن يجعل الحادثات الكَفَاف مبالغة فى المعنى ، كما تقول : ما أنت إلا سير ؛ فجائز أن تريد ذا سير ، وجائز أن تجعل السير مجازًا مبالغة فى المعنى . والمعرفة والنكرة فى هذا الباب سواء . والمُسيف : الذى هلكت إبلُه . قال طُفَيل الغَنَوىّ :

فأبّلَ واسترخَى به الخطْبُ بعدما أساف ولولا سعيُنا لم يؤبّلِ[1]

والمستاف : الشامُّ . يقال : ساف الطيب يَسُوفه ، واستافه يستافه .

الخوارزمى : يقال : دعنى كَفَافِ ، أى تكفّ عنى وأكفّ عنك . قال العجاج[2] :

يا ليت حظّى من نداك الضافى والخير أن تتركنى كفافِ

(١) البيت فى اللسان (أبل) . وأبل الرجل ، بالتشديد ، وأبل وآبل : كثرت إبله .

(٢) انظر الحاشية الثانية من الصفحة السابقة .

أساف، إذا وقع فى ماله السُّوَاف. وفى المثل : «أساف حتّى مايشتكى السُّواف». استاف، فى « سنح الغراب »(١). يقول : هلك من كان مِثلَ المـال، نفاعًا لمن هلك مالُه، ومثلَ العطر، نفّاحا لمن اشتمّ ؛ فليت الحوادثَ تجترئُ بهلاكه، وتتركنا بعد هذا رأسًا برأس .

٢(الطّاهرُ الآباءِ وَالأَبْنَـاءِ والْـ ـآرابِ والأَثْوَابِ والأُلّافِ)

التـبريزى : الآراب : جمع أَرَب، وهو الحاجة . أى كأنه كان لا يُخطِر فى نفسه ما ليس هو مستحسنًا خاليا من الإثم .

البطليـوسى : الآراب : الأعضـاء . يريد أنه كان لا يصرِّف أعضاءه إلا فى طاعة الله ؛ كما قال عليـه السـلام : « من وُقِى شَرَّ لَقْلَقِه وقَبْقَبه وذَبْذَبِه فقـد وُقِى » . فاللّقـلق : اللسان . والقَبقَب : البطن . والذّبذب : الفـرج . وقال نابغة بنى شيبان :

لعمرُك ما أهويتُ كفِّى لِرِيبةٍ ولا حَمَلتنى نحوَ فاحشةٍ رجلِى

وقال أبو الطيب المتنبى :

ولا عِفّـةٌ فى سَـيفه وسِـنانه ولكنّها فى الكفّ والفَرْج والفَمِ(٢)

وأمّا طهارة الأثواب ، فقـد يُكنَى بها عن طهارة القلب ، وقـد يراد بها طهارة الجسم ؛ لأنّ العربَ ربّما كَنَتْ عن الجسم بالثّياب ؛ كما قال الشاعر :

رمَوها بأثوابٍ خفافٍ فلا ترى لهـا شبَهًا إلّا النّعـامَ المُنفَّـرَا

(١) انظر البيت ٣ من القصيدة ٢٥ ص ١١٠٧ .

(٢) ديوانه (٢ : ٣٦٧) .

وقد يريدون بطهارة الثياب البراءة من الغدر وسفك الدم . ويقولون : عَلِق دم فلان بثوب فلان ؛ كما قال أبو ذُؤيب :

تبرأُ من دَمِ القتيل وَبَزِّه وقد عَلِقتْ دمَ القتيل إزارُها (١)

وقال أوس بن حَجَر يخاطب بِشر بن عمرو قاتلَ المُنذِر بن ماء السماء :

نُبِّئتُ أنَّ دمًا حرامًا نِلتَه وهُريق فى بُرْدٍ عليك محبَّرِ (٢)

والأُلّاف : الأصحاب ، أى إنه كان لا يصحب إلّا ذوى العفّة والطهارة . ويقال : إِلْفٌ وآلاف ، كعِدْل وأعدال ، وآلِفٌ وأُلّاف ، كضارب وضُرّاب .

الخوارزمى : الآراب : جمع أَرَب ، وهى الحاجة . واشتقاقه من الأُربة ، وهى العقدة ؛ لأنّ الحاجة تلزم صاحبها فكأنها تُعقَد به . ويشهد له تسميتُها حاجة ؛ إذ هى من الحاج بمعنى الشّوك ؛ لأن الشّوك يتشبّث بكلّ ما يلقاه . ومعنى طهارة حاجاته أنه لا يطلب من الحوائج إلا المستحسنات .

٣ (رَغَتِ الرُّعُودُ وَتِلكَ هَدّةُ وَاجِبٍ جَبَلٍ هَوَى مِنْ آلِ عَبْدِ مَنَافِ)

التبريزى : توفّى هذا المرثىّ فى ليلة رعد . والرُّغاء إنما يكون من الملل والسأم ؛ لأنّه من صفات الإبل ، وإنّما يدركها ذلك إذا لحقها ما تكره من ثِقَل أو غيره . وادّعى القائل أن رُغاءَ الرعود ليس هو رعدًا ، فإنّما هو حِسُّ جبلٍ انهدّ من [آل] عبدمناف . ويجوز خفض «جبل» ورفعه ؛ فإذا خفض فهو نعت لـ«واجب» أو بدل ، وإذا رفع فهو على حذف مبتدأ ؛ لأن الكلام قد تمّ عند قوله «واجب» ، وكأنه قال : هو جبل . ويقال : وجب الميت ، إذا هلك . وأصل ذلك من وجب الشىء ، إذا وقع . قال قيس بن الخَطيم :

(١) ديوان أبى ذؤيب ٢٦ طبع دار الكتب . والإزار ، يذكر ويؤنث .

(٢) أوّل أبيات له فى ديوانه ص ٩ برواية : « فهريق فى ثوب » .

أطاعتْ بنُو عَوفٍ أميرًا نهاهــمُ عن السّلمِ حتّى كان أوّلَ واجبِ (١)

أى أوّل من قُتل منهم فسقط إلى الأرض، كما يسقط الحائط والبناء .

البطليوسى : كان هذا العلَوىّ المرثىّ بهذه القصيدة، قد مات فى ليلة رعد ومطر شديد، فجعل المطرَ بكاءً عليه، وزعم أن الرعد لم يكن رعدا، وإنما كان صوت جبلٍ انهدّ من بنى عبد مناف، وهو المرثىّ بهذا الشعر . والرغاء إنما هو صوت البعير، فاستعاره للرعد . وخصّه دون غيره، لأن أصوات الإبل تشبّه بالرعد، وصوت الرعد يشبّه بأصوات الإبل؛ ولأن رُغاء البعير إنما يكون عن ضجر منه أوملل، كما أنّ صوت الرعد تلك الليلة، إنما كان صوتَ حزن وتلهّف . والهَدّة : صوت الشىء الساقط . والواجب : الساقط؛ يقال : وجب الحائط، ووجب الميت . قال الشاعر (٢) :

أطاعت بنو عوف أميراً نهاهــمُ عن السلم حتى كان أولَ واجبِ

ويجوز خفض «جبلٍ» على البدل من «واجب»، ورفعه على خبر مبتدأ مضمر .

الخوارزمى : واجب : اسم فاعل من وجب، إذا سقَط . قال تعالى : ﴿ فَإِذَا وَجَبَتْ جُنُوبُهَا ﴾ . جبل، مجرور على أنه عطف بيان من «واجب» . وتقديم «واجبٍ» فى قول أبى العلاء واجبٌ؛ لاختصاصه بمزيد بلاغة . كان المرثىّ قد مات فى ليلة رعدٍ ومطر، فيقول : لا تظنّوا هذه الأصوات رُغاءَ الرعود، فتلك نبأةُ جبل من هذه القبيلة قد سقط . وقد لمح هذا البيت شيخُنا جار الله فى قوله (٣) :

جبل أكبر من رضــوى وجَبْ إذ هَوَى الرأسُ الكبيرُ المتعجّبْ

(١) البيت فى ديوانه ١٤ واللسان (وجب) .

(٢) هو قيس بن الخطيم، كما سبق قريبا .

(٣) مطلع قصيدة له فى ديوانه المخطوط فى الورقة ٩ .

٤(بَخِلَتْ فَلَمَّا كَانَ لَيْلَةُ فَقْدِهِ سَمَحَ الْغَمَامُ بِدَمْعِهِ الذَّرَّافِ)

التبريزى : كان قد قلّ المطر فى تلك السنة حتى ادّعوا أن البحر غاض ماؤه فى بعض الأماكن. والمراد أنّ السحب كانت بخيلة بالماء، فلمّا هلك بكت عليه، والمطر دمعها الذرّاف . وفى «بخلت» ضميرٌ عائد على «الرعود» .

البطليوسى : سيأتى .

الخوارزمى : الضمير فى « بخلت » للرعود .

٥(وَيُقَالُ إِنَّ الْبَحْرَ غَاضَ وَإِنَّهَا سَتَعُودُ سِيفًا لُجَّةُ الرَّجَّافِ)

التبريزى : أى يقال : إنّ البحر غاض لهذه الحادثة . والرّجّاف، من نعوت البحر . قال ابن الزِّبَعْرَى :

* حتَّى تَغِيبَ الشَّمسُ فى الرجّافِ (١) *

والرجفة : الصوت الشديد . وربما كانت مع الزلزلة .

البطليوسى : يقول : كان المطر قد بخل بنزوله؛ فلما مات هذا الممدوح بكى عليه، فأروى الأرض بدموعه . والضمير فى «بخلت» يعود إلى « الرعود » . والذرّاف : الكثير السيلان؛ يقال : ذرف الدمع يذرِف ذَرْفا وذَرَفا وذُرُوفا وذَرِيفا وذَرَفانا وتَذْرافا وتذريفا وتذرفة . وغاض : غار ونقص . والرجاف : البحر . وسِيفه : ساحله . قال الشاعر :

ويُكَلِّلُون جِفانَهم بسَدِيفهم حتى تغيب الشمسُ فى الرجّاف

(١) أنشد فى اللسان (رجف) هذا العجز لصدور ثلاثة، أحدها هو :

* ويكللون جفانهم بسديفهم *

والثانى : * المطعمون اللحم كل عشية *

وهذان لم ينسبهما إلى قائل . والثالث مع نسبته إلى مطرود بن كعب الخزاعى :

* والمطعمون إذا الرياح تناوحت *

جعل مُصابَ هـذا العلوىّ بمنزلة حادثٍ عظيم حدثَ فى العـالم، بكت من أجله السحاب، وانهدّت الجبال، وغاضت البحار، كما تَغيض فى القيامة، وكما غاض وادى السماوة وبحيرة ساوة عند ظهور النبى صلى الله عليه وسلم .

الخـــوارزمى : السّيف، فى «بنى الحسب الوضاح»[1] . الرجّاف، هو البحر .

قال ابن الزبعرَى :

* حتّى تغيبَ الشمسُ فى الرجّاف *

٦ (وَيَحِقُّ فى رُزْءِ الحُسَيْنِ تَغَيُّرُ الْـ حَرَسَيْنِ بَلْهَ الدُّرِّ فى الأَصْدَافِ)

التـــبريزى : الحسين: اسم المرثىّ. والحَرَسان : اسم الليل والنهار. والحَرَس: الدهر . وبَلْهَ ، فى معنى دع وكُفَّ ؛ وينصب ما بعدها ويخفض، والمعنى واحد.

قال ابن هَرِمة :

تَمشِى القَطوفُ إذا غنَّى الحُداةُ بها مَشْىَ النجيبة بَـلْهَ الجِـلّةَ النُّجُبا[2]

وبله، يذكرها النحويون فى الاستثناء . والمعنى أن هذه المرزِيّة يحقُّ فيها تغيّر الليل والنهار، فدع تغيُّر الدرّ فى الأصداف؛ لأنه ليس تغيُّره فى العِظَم كتغيّر الليل والنهار.

البطليـــوسى : يحتمل أن يريد بـ«الحَرَسين» : الليل والنهار. والحَرَس، إنما هو اسمٌ للدهر، فسمَّى الليل حرسًا والنهار حرسا، لأنهما نوعان للدهر، والنوع يسمى باسم الجنس، وكذلك كل ما وقع تحته من أنواع الأنواع والأشخاص؛ ولذلك قالوا لأنواع الحيوان حيوان، كالإنسان والفرس والطائر، وقالوا لكل شخص منها حيوان أيضا . ويجوز أن يريد بـ«الحرسين» الدهرَ والزمان، وهذا على رأى من يرى أنّ الدهر

---

(١) البيت ٢٢ من القصيدة ٤٢ ص ٩٥٧ .

(٢) البيت فى اللسان (بله) . وروى أيضا :

* مشى الجواد فبله الجلة النجبا *

مدّة الأشياء الساكنة ، والزمان مدّة الأشياء المتحركة . وقد تقدّم من هذا شيء فيما مضى من هذا الكتاب . وَبَلْه ، كلمة معناها : الترك والكف . وتستعمل عند البصريّين على معنيين : أحدهما أن تكون اسمًا لفعل الأمر، بمعنى دَعْ واترك ، فينتصب ما بعدها ؛ والآخر أن تقدّر تقدير مصدرٍ مضاف إلى ما بعده، ويكون ما بعدها مخفوضا . وهو، و إن كان مخفوضا، مفعول فى المعنى، كما أن الرِّقاب من قوله تعالى : ﴿ فَضَرْبَ الرِّقَابِ ﴾ فى موضع نصب على المفعول[1]؛ لأن المعنى فاضربوا الرقاب ضربًا، ثم قدم المصدر وأُضيف إلى المفعول ، فأغنى عن ذكر الفعل . وفى هذا الموضع خلاف ليس هذا موضع ذكره. وزاد الكوفيون و بعض البصريين فى «بَلْهَ» معنى ثالثا، فزعموا أنها تكون بمعنى كيف، فيرتفع ما بعدها . وأجازوا إذا انخفض ما بعدها أن تكون بمعنى مثل . وهذا لا يعرفه جمهور البصريين . وأجازوا فى بيت كعب بن مالك الأنصارى الرفعَ والنصب والخفضَ، وهو :

تَذَرُ الجماجمَ ضاحيًا هاماتُها بَلْهَ الأكُفَّ كأنها لم تُخْلَقِ[2]

الخوارزمى : عنى بـ«الحرسين» الليلَ والنهار. وهذا من قولك : مضَى عليه حَرْسٌ من الدهر . يقول : رزيّته تقتضى أن يتغير العالم بجميع الأطراف، فدع تغيُّر الدرّ فى الأصداف؛ فذلك تغيُّر يسير غير فاحش. و«الحسين» مع «الحرسين» تسجيع.

٧ ﴿ ذَهَبَ الَّذِى غَدَتِ الذَّوَابِلُ بَعْدَهُ رُعْشَ المُتُونِ كَلِيلَةَ الأَطْرَافِ ﴾

التبريزى : رُعْش المتون ، أى ترتعش متونُها من الجَزَع . وأطرافها : أسنّتها . أى إنها لا تجرح مطعونًا؛ لأن الحزنَ أضعفها عن ذلك .

البطليوسى : سيأتى .

الخوارزمى : يريد أن ارتعاش الرماح أمر حادث بعد وفاة المرثىّ .

(١) فى الأصل : «على الحال» . (٢) البيت فى اللسان (بله) .

٨ (وتَعَطَّفَتْ لِعْبَ الصِّلَالِ من الأَسَى فَالزُّجُّ عِنْدَ اللُّهْذَمِ الرَّعَّافِ)

التبريزى : اللُّهذم : السنان الماضى . والمعنى أنّ الرمح من فرط الوجد تعطّف حتى اجتمع سنانه وزُجُّه . وفى «تعطّفت» ضميرٌ عائد على «الذوابل» . وقد يقال لَعِبٌ ولِعْبٌ . والمراد أنها من القلق تعطّفت تعطُّفَ الحيّات ؛ لأنّ الحيّة يمكنها أن تجعل رأسَها عند ذنبها ، وذنبها عند رأسها ، وتقدر أن تتطوّق حتى تصير مشبهة بالطَّبَق . ولذلك قالوا فى اسم الداهية : بنت طَبَق ، شبّهوها بالحيّة المتطوّقة .

البطليوسى : الذوابل : الرماح التى ذهبت عنها الرطوبة ، فاشتدّت وصَلُبت . ورُعْش : مضطربة من الجزع على هذا المتوقَّ . وواحد الرعش رَعِشٌ ، كما قالوا رجال لُسْن ، وواحدهم لَسِنٌ . قال الهذلى :

* رَعِشَ البنانِ أطِيشُ مَشْىَ الأصْوَرِ *[(١)]

والمتون : الظُّهور . والصلال : الحيّات الدقيقة ، واحدها : صِلّ . والأسى : الحزن . شبّه انعطاف الرماح بانعطاف الحيّات إذا لعبت . وفى الكلام تقديم وتأخير ، تقديره : وتعطّفت من الأسى لعبَ الصلال . ولِعب ، منصوب على المصدر للشبَّه به ، كقولك ضربتــه ضربَ الأميرِ اللصَّ ؛ والتقدير : وتعطّفت تعطُّفا مثل لعب الصلال ؛ ثم حذف الموصوف ، وأقام صفته مقامه ، وصار التقدير : وتعطفت مثل لعب الصلال ؛ ثم حذف المضاف ، وأقام المضاف إليه مقامه ، فصار : وتعطّفت لعب الصلال . ويجوز أن يكون التقدير : وتعطّفت مثل لعب الصلال ، دون تقدير مصدر ؛ على أن يكون «مثل» حالاً من الضمير فى «تعطّفت» ،

---

(١) هو أبو كبير الهذلى ، كما فى اللسان (رعش) ونسخة الشنقيطى من الهذليين ٦٤ . وصدره :

* ثم انصرفت ولا أبثك حيبتى *

والحيبة ، بالكسر : الهم والحزن .

أى تعطفت مماثلةً لعب الصلال؛ ثم حذف المضاف . وهذا الوجه الثانى فى جوازه نظر، والأوّل أجود . واللّهذم : السنان الحادّ . والرّعاف : الذى يقطر منـه الدمُ كثيرا .

الخـــوارزمى : «لعب الصلال» : مصدرٌ منصوب لتعطّفت، من غير فعله . اللهذم، فى « أدنى الفوارس »[1] .

٩ (وتيقّنَتْ أبطالُهَا ممّــا رَأَتْ أَنْ لَا تُقَوِّمُهَا بِغَمْزٍ ثِقَافِ)

التـــبريزى : الثقاف : عود تقـوّم به الرماح . وادّعى للفُرسان التى تحمـل الرماح أنها قد يئست من تثقيفها بعد ما شاهدته فيها .

البطليـــوسى : ســـيأتى .

الخـــوارزمى : أنْ لا تُقَوِّمُها، برفع الميم . «وأنْ» فيه المخفّفة من الثقيلة .

١٠ (شَغَلَ الفَوَارِسَ بَثُّها وسُيوفُهَا[2] تَحْتَ القَوَائِمِ جَمّةُ التَّرْجَافِ)

التـــبريزى : الترجاف : تفعال من الرجفة، وهى الرعدة الشديدة . ورجفت الأرض : زُلزلت .

البطليـــوسى : الثقاف : خشبة الصَّيْقَل، التى تقوّم فيها العصىّ . والبثّ : الحزن . وجمة : كثيرة . والتَّرجاف : شدّة الاضطراب والحركة . والغمز : العضّ . والوجه فى «تقوّمها» الرفع؛ ونصبه بعيدٌ جدًّا؛ لأن «أنْ» هاهنا يجب أن تكون مخفّفة من الثقيلة؛ لأنّ هذا من مواضع الإثبات والتحقيق . وقد ذكر قبلها التيقّن الذى من شأنه أن تقع بعده المخففة من الثقيلة . وكذلك قول أبى حَيّة :

رميُ التى قالت لجاراتِ بيتِها ضَمِنْتُ لـكم أن لا يَزالُ يهـيمُ

(١) البيت ٥ من القصيدة ٧ ص ٣٣ .

(٢) التبريزى : «فسيوفها» .

الوجه فيه الرفع . لأنّ ضمان الشيء يُخرجه إلى معنى الثبات والتحقيق .

الخــوارزمى : الضمير فى «بثّها» و«سيوفها» للفوارس . قوله «تحت القوائم» ، كناية عن كون السيوف مغمودة (١) .

١١ ﴿لَوْ أَنَّهُمْ نَكَبُوا الغُمُودَ لَهَالَهُمْ   كَمَدُ الظُّبَا وَتَفَلُّلُ الأَسْيَافِ﴾

التــبريزى : يقال : نكبتُ الغِمْدَ وغيره ، إذا قلبتَه ليخرج مافيه . وزعم قومٌ أن ذلك لا يستعمل إلا فى الشيء اليابس ، كالتمر ونحوه . والهاء والميم فى «أنهم» راجعة إلى «الفوارس» . والمراد أنّهم لو نكبوا الغُمودَ فخرجت منها السّيوفُ لهال الفوارسَ ما رأوه من كمد الظُّبَا وتفلُّل الأسياف ؛ وذلك لعِظَم الرزيّة . والكمد : تغيُّر اللون من الحزن وغيره .

البطليــوسى : يقال : نكب الرجلُ كنانتَه ، إذا قلَبها ليخرج ما فيها . وكذلك نكب غمد سيفه . وهالهم : أفزعَهم مايرون . والكمد : أن يتغيّر وجه الرجل لما به من الحزن . فأراد أنّ ظُبَا السيوف زال عنها رونقُها وصِقالها الذى كانت تقطع به ، كما يذهب رونق وجهِ الرجل وتضعف مُنّته من الكمد . والظُّبا : جمع ظُبَة ، وهى طرف السيف . والتفلّل : التكسّر .

الخــوارزمى : نكب كنانتَه ، إذا كبّها فأخرج مافيها . ونكتها ، بالتاء باثنتين من فوق ، أيضا . الكمد : تغير اللون من الحزن ، وذلك أن يضرب إلى السواد . ولونُ الحديد كذلك .

١٢ ﴿طَارَ النَّوَاعِبُ يَوْمَ فَادَ (٢) نَوَاعِيًا   فَنَدَبْنَـهُ لِمُوَافِـقٍ وَمُنَافِ﴾

التــبريزى : فاد يفيد ويفود ، بمعنى مات . وأنشد بعضُ بنات لبِيد :

لِبَيْكِ لَبِيدًا كلُّ قِدْرٍ وجَفْنةٍ   وصُعلوكِ قومٍ فاد وهو حميدُ

(١) يقال : غمد السيف وأغمده ، بمعنى . (٢) فى البطليوسى : « يوم ذاك » .

وقوله «موافق ومناف» أى من يوافقه فى دينه و[من] ينافيه ؛ لأنهم و إن اختلفوا فى المِلَل فهم يجتمعون على فضـله . والنواعب : الغِربان ؛ يقال : نَعَب ينعَب نعيباً، إذا صاح . ونواعيا : جمع ناعٍ، من نعيت الميت . أى أعلمن بموته من يُوافقه فى دينه و[مَن] يُنافيه . وندبنه، من قولهم: ندبتِ النوادبُ الميت، إذا ذكرت فضائله .

البطليـــوسى : ســـيأتى .

الخـــوارزمى : فاد يفود و يَفيد، إذا مات . يقول : إن الأغربة قد نعتـه للا صدقاء والأعداء ، يريد أن الصـــديق والعدوّ كانا متفقين على ما له من العلياء . و «النواعب» مع «النواعى» تجنيس .

١٣ (أَسَفٌ أَسَفَّ بِها وأَثقَلَ نَهْضَهَا   بالحُزْنِ فهْىَ(١) على التُّرابِ هَوَافِ)

التـــبريزى : المعنى : أن أسَفَ الغِربان أسَفَّ بها، أى أدناها من الأرض؛ لأنّ الكمد أضعفَها عن الطيران، فهى تهفو فوق التراب كما تهفو الريح .

البطليـــوسى : النواعب : الغربان . ونعيبها : أن تصيح وتمدّ أعناقها، وذلك مما يتشاءمون به . والنواعى، من قولك : نَعَيت الميت، إذا أعلمتَ بموته وشَهَرته فى الناس . والنُّدبة : البكاء على الميت والإشادةُ بموته، وهى نحو النعى . والموافق: الصديق . والمنافى : العـــدو . والأسـف : الحزن . و يقال : أسفّ الطائر، إذا طار مع الأرض ولم يرتفع . يريد أنّ الحزنَ أثقلها عن الارتفاع فى الهواء، فهى تطير قريباً من الأرض . والهوافى : التى خفّت فهى لا تستقر .

الخـــوارزمى : أسفّت السحابة ، إذا دنت من الأرض . «الباء» فى «بها» للتعدية . يقول : حُزْنٌ مصابه قد أضعف عن النهوض زُمْرة الغربان ، فهى على الأرض سواقط لا حَراكَ بها من ثِقَل الأحزان .

(١) الخوارزمى : « وهى » .

١٤ (وَنَعِيبُها كَنَحِيبِها وحِـدَادُها أَبَدًا سَـوَادُ قَوَادِمٍ وَخَوَافِ)

التـبريزى : نعيب الغربانِ، كنحيب النوادب. وسواد أجنحتها، كالحداد الذى تلبسه الثواكل. والغـربان أبدًا لا تفارقه لأنه خِلقة، وغيرُها من الثواكل يجوز خلعها الحدادَ إذا تمادت الأيام. والقوادم من الجناح: مقاديمه. والخوافى: ما خَلْف المقاديم من الريش. وهوافٍ، كأنه من قولهم: هفا القلب يهفو، إذا أصابته خفّة، ويقال: إذا استخفّه طربٌ أو حزن. وقوله: «أسفّ بها»، من قولهم أسفّ الطائر، إذا دنا من الأرض فى طَيَرانه.

البطليـوسى : يقول: نعيبُ الغِربان، يقوم لها مقام النحيب للنوادب من النِّسوان، وسوادُ ألوانها كالحداد الذى تلبسه النساء. والنحيب: البكاء والتفجّع. والحـداد: ما يُلبَس من السـواد عند الحزن. والقوادم: الريشات الأربع التى فى مقدّم الجناح، ثم يليها أربع مناكب، ثم أربع أباهر، ثم أربع خوافٍ، ثم أربع كُلًى. وتسمّى القوادمُ القُدَامَى أيضا. قال رؤبة:

رُكِّبْتَ من جَناحك الغُـدافِ من القُـدَامى لا من الخوافى[(1)]

الخـوارزمى : النحيب: رفع الصوت بالبكاء. و«النعيب» مع «النحيب» تجنيس المضارعة.

١٥ (لا خَابَ سَعْيُكَ مِن خُفَافٍ أَسْحَمٍ كَسُحَيْمٍ الأَسَدِىِّ أو كَخُفَافِ)

التـبريزى : قوله «لا خاب سعيك»، مخاطبة للغراب. دعا له بألّا يخيب سعيه لِمـا فعله من الحزن على هذا الميت. وخُفَاف: خفيف. وأسحم: أسود. وسحيم، هو عبـد بنى الحَسْحَاس، وهو مولًى لبنى أسـد، فلذلك جعل أسديًّا. وخُفَافٌ، ابن نُدْبة، أحد فرسان العرب وشعرائها.

(١) البيتان فى ديوانه ١٠٠ من أرجوزة يخاطب بها أباه ويعاتبه.

البطليوسي : سيأتي .

الخوارزمي : ترك الإخبار عن الغربان إلى خطاب بعضها . «لا خاب» ، دعاء . الخُفاف ، هو الخفيف . الأسحم ، هو الأسود ، من السُّحمة ، وهي السواد . الغراب ، موصوف بالخفّة ، ويشهد له بيتُ السقط :

وليس غِرباني بمزجورةٍ   ما أنا من ذي الخفّة الأسحمِ (١)

سُحيم ، هو عبد بني الحَسحاس ، ومولى لبني أسد ، حبشيّ مُعلَّطٌ (٢) قبيح ، وكان شاعرا مُحسِنًا ، وهو القائل :

أتيت النساءَ الحارثيّاتِ غُدوةً   بوجهٍ بَرَاه اللهُ غيرِ جَميلِ
فشبّهنَني كلبًا ولستُ بفَوقه   ولا دُونَه إن كان غيرَ قليلِ (٣)

اشتراه عبدُ الله بن أبي ربيعة المخزومي ، وكتب إلى عثمان رضي الله عنه : إني قد اشتريتُ لك غلاماً شاعرا . فكتب إليه عثمان : إنّه لا حاجة لنا إليه فارْدُده ؛ فحظ أهل العبد الشاعر منه أن يشبّب بنسائهم إذا شَبِع ، ويهجوَهم إذا جاع . وسمعه عمرُ بن الخطاب رضي الله عنه وهو يُنشد :

وهبّتْ شَمالًا آخرَ الليل قَرّةً   ولا ثوبَ إلا دِرعها وردائيا
فما زال بُردي طَيِّبًا من ثيابها   إلى الحَوْل حتّى أَنهجَ البردُ باليا (٤)

فقال له عمر : إنك مقتول . فاتُّهم بامرأةٍ فقتل . وهو الذي قيل فيه :

أشعارُ عبدِ بني الحَسحاس قُمْنَ له   يومَ الفَخار مكانَ الأصلِ والوَرِقِ
إن كنتُ عبدًا فنفسي حُرّةٌ كرمًا   أو أسودَ اللونِ إني أبيضُ الخُلُقِ

(١) البيت ٤٠ من القصيدة ٧٨ .
(٢) المعلط : الموسوم . والعلاط : الوسم . وفي الأصل : «المغلظ» .
(٣) البيتان في الحيوان (١ : ٢٥٥) وعيون الأخبار (٤ : ٣٥) .
(٤) أنهج الثوب ، ونهج ، مثلثة الهاء : بلي .

خُفاف ، هو ابن عمرو بن الشَّريد السُّلمى . وامّه نُدْبة ، وهى سوداء . وخُفاف، هو ابن عمِّ الخنساء الشاعرة وأحدُ أغربة العرب، وهو قاتلُ مالك بن حمار، سيد شَمْخ بن فَزارة . وفى ذلك يقول :

فإنْ يكُ خَيلى قد أُصيب صميمُها فعمدًا على عَيْنٍ تيمّمتُ مالكا [1]
أقول له والرمحُ يأطِرُ متْنَه تأمّلْ خُفافًا إنّنى أنا ذلكا

شبّه الغراب فى إغرابه [2] ناعبًا وناعيًا بهذين الشاعرين .

١٦ (مِنْ شاعِرٍ لِلْبَيْنِ قالَ قَصيدَةً يَرْثِى الشَّريفَ عَلَى رَوِىِّ القافِ)

التبريزى : معناه : لا خاب سعيُكَ من شاعرٍ للبين قال مرثيةً فى هذا الهالك على روىّ القاف ، يعنى حكايةَ صوت الغراب، وهو غاقِ غاقِ ، وهو يكرر الأصوات، فكأنها قوافى قصيدة والقاف رويّها .

البطليوسى : الخُفاف : الخفيف . والأسحم : الأسود . وشبّه بسحيم الأسدىّ عبد بنى الحسحاس، وخفاف بن نُدْبة السُّلَمى، وكانا أسودين شاعرين، فشبّه بهما الغرابَ فى سواده ، وما نسبه إليه من الشِّعر . ولمّا كان الغراب يصيح : غاقِ غاقِ، ويردّد ذلك، جعله بمنزلة شعرٍ رويّه القاف. وقد ذكرنا الروىّ فيما تقدّم [3] . وجعله شاعرًا للبين، لما يُنذر به من فراق الأحبّة .

الخوارزمى : قوله «من شاعر» بدل من قوله « خُفاف » . اللام فى قوله «للبين» تتعلق بـ « قال » . الروىّ، فى «علالى فإن» [4] . يعنى أن الغراب يقول : غاقِ غاقِ .

(١) فى المخطوطة : «حميمها» وأثبتنا ما فى المطبوعة واللسان (عين). وقوله «على عين» أى قصدا.
(٢) أراد بالإغراب، المبالغة؛ وأصله المبالغة فى الضحك والإمعان فى البلاد .
(٣) انظر البيت ٤٣ من القصيدة ١٧ ص ٥٨٣ .
(٤) انظر البيت ١٥ من القصيدة ١٤ ص ٤٦٠ .

١٧ (جَوْنٌ كَبِنْتِ الجَوْنِ يَصْرُخُ دَائِباً وَيَمِيسُ فى بُرْدِ الحَزِينِ الضَّافى)

التبريزى : الجَون : الأسود . و بنت الجَون : نائحة كانت فى الجاهلية (١)، وقد ذكرها المثقِّب العَبْدىّ فى قوله :

كأنّما أَوْبُ يديها إلى حَيْزُومها فوقَ حصى الفَدْفَدِ (٢)

نَوْحُ ابنةِ الجون على هالكٍ تندُبه رافعةَ المِجْلَدِ

المِجْلَدُ : جلدٌ كانت تأخذه النائحة فتضرب به صدرها . وماس يميس مَيْسًا ، إذا تبختر . والضافى : الواسع . والغراب يوصف بكثرة الريش ، وعليه بُرْدٌ أسودُ كبُرد الحزين .

البطليوسى : الجون هاهنا : الأسود . وبنت الجون : نائحة كانت فى الجاهلية . وفيها يقول المثقب :

كأنّما أَوْبُ يديها إلى حيزومها فوقَ حصى الفدفد

نَوْحُ ابنةِ الجون على هالكٍ تندُبه رافعةَ المجلد

والدائب : الدائم . ويَميس : يتبختر . والضّافى : الكامل . و يعنى بـ « برد الحزن » الحداد ، شبّه به سواد لونه .

الخوارزمى : الجون ، هو الأسود . بنت الجون : نائحة كانت فى الجاهلية . قال المثقّب العبدى :

نوحُ ابنةِ الجون على هالكٍ تندُبه رافعةَ المجلد

المجلد : قطعة من جلد فى يد النائحة تكون ، بها تضرب صدرها .

(١) ذكر فى شرح ديوانه مخطوطة دار الكتب رقم ٥٦٥ أدب ، أنها من كندة .

(٢) الفدفد : الفلاة . وفى الأصل «الفرقد» صوابه من الديوان ومما سيأتى فى شرح البطليوسى .

١٨ ﴿عُقِرَتْ رَكَائِبُكَ ابْنَ دَأْيَةَ غَادِيًا أَىُّ امْرِئٍ نَطِقٍ وأىُّ قَوَافِ﴾

التبريزى : ابن دَأية : الغراب ؛ سمِّى بذلك لأنه يقع على دأية البعير الدَّبِر فينقرها . والدأية : جمعها دَأَيات ، وهى فَقار الظهر . ورجل نَطُق ونَطِق : حسن المنطق جيّده .

البطليوسى : الركائب : الإبل ، واحدها رَكوبة . وابن دأية : الغراب ؛ سُمِّى بذلك لأنه يقع على دأية البعير الدَّبِر فينقرها . والدأية من ظهر البعير : الموضع الذى يقع عليه ظَلِفةُ الرَّحْل فيعْقره[1] . وقوله : « عُقِرت ركائبك » كلام فيه مجاز من وجهين : أحدهما أن الدعاء بعَقْر الركائب إنما يُدعَى به على المسافرين الذين يسافرون على الإبل ، لأنّ ركائبَهم إذا عُقِرت انقُطِع بهم ؛ كما قال أبو تمام :

عُقِرت رِكابُ الركبِ حتّى يَعبُرُوا رَجْلَى لقد عَنُفُوا علىَّ ولامُوا[2]

ثم كثر ذلك حتّى استعمل فى كلّ من دُعى عليه بمكروه يقطع به عما يرومه ، وإن لم تكن هناك رِكابٌ فى الحقيقة .

والمجاز الآخر : أن هذا كلام خرج مخرج الدعاء بالمكروه الذى لا يراد وقوعه ، كما يقال : أخزاه الله ما أشعره ! ولعنه الله ما أفصحه !

ويحتمل معنى آخر وذلك أن من شأن الغربان أن تتبع الإبل لتأكل ممّا عليها ، ورجاءً منها أن يسقط بعيرٌ من الهزال فتقع عليه ، فكأنّه دَعا له أن تعقر الركائبُ التى يتبعها حتى ينالَ منها ما يرجوه ؛ فأضاف الركاب إليه لملازمته لها . والعرب تضيف

(١) ظلفات الرحل : الخشبات الأربع اللواتى يكن على جنبى البعير ، تصيب أطرافها السفلى الأرض إذا وضعت عليها .

(٢) رواية الديوان : « نحرت ركاب القوم ... » . ورجلى : جمع راجل مثل هالك وهلكى ، فلا تنون ؛ ولو نونت لجعلت مثل صاحب وصحب ، فتقرأ « رجلا » . يدعو عليهم بنحر ركابهم ليلبثوا فى الديار فيقضى وطره .

الشيء إلى الشيء لما بينهما من المجاورة والاتّصال . قال الله تعالى : ﴿ ذَٰلِكَ لِمَنْ خَافَ مَقَامِي ﴾ ولا مقام لله تعالى، إنما هو للعبد، ولا يوصَف تعالى بمجاورة لشيء واتّصال به، ولكنه خرج مخرج كلام العرب . وقوله : « أيّ امرئ نَطُق » سمّى الغرابَ امرأً ، و إنما يقال امرؤ للإنسان ، من حيث وَصَفَه بالنطق والشعر ، وهما صفتان لمن يعقل ؛ كما قال تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّمْلُ ادْخُلُوا مَسَاكِنَكُمْ ﴾ وكان الوجه : ادخلن مساكنكن ؛ لأنّ النمل لمّا وُصفت بالكلام ، الذى لا يكون إلا بالإنسان، صارت بمنزلة من يعقل؛ ومنه قول الفرزدق :

وأنت امرؤٌ ياذئبُ والغدرَ كنتما   أُخَيَّيْن كانا أُرْضِعَا بلِبَان

فسمّى الذئب امرأً حين زعم أنه كلّمه وعاقده[(١)] . و يقال : رجل نَطُق ونَطِق، بكسر الطاء وضمها، إذا كان فصيحا . وفى قوله : «أيّ امرئٍ نَطُق وأيّ قواف» معنى التعجّب والتعظيم ، وفيه اختصارٌ وحذف ، تقديره : أيّ امرئ نطِق أنت ! وأى قوافٍ قوافيك ! فحذف الخبرين .

الخوارزمى : ابن دأية ، فى «تفديك النفوس»[(٢)] . هذا على حذف المبتدأ، وتقديره : أيّ امرئ نَطُق أنت ! وأى قواف هى ! استفظع نعى الغراب فدعا عليه . و «عقرت ركائبك» مع «ابن دأية» إيهام .

١٩ ﴿ بُنِيَتْ عَلَى الإِيطَاءِ سَالِمَةً مِنَ الْـ   إِقْوَاءِ والإِكْفَاءِ وَالإِصْرَافِ ﴾

التبريزى : المعنى : أنّ هذا الغراب يُتَعجّب من نطقه لأنّه جاء بقواف بُنِيت على الإيطاء ، وهو ترديد القافية ، وهو يقول : غاقِ غاقِ ، فيردّد هذه

---

(١) يشير بذلك إلى قول الفرزدق فى قصيدة البيت السابق :

تعش فإن عاهدتنى لا تخوننى   نكن مثل من يا ذئب يصطحبان

(٢) البيت ١٢ من القصيدة الثالثة والثلاثين ص ٧٧٧ .

القوافى التى جاء بها سالمة من الإقواء والإكفاء والإصراف . والإقواء مختلف فيه، وأشهر ما ذكر فيه مجىء بيتٍ مرفوعا وبيت مخفوضا . والإكفاء أكثر الأقوال فيه أنه تغيُّر حرف الروىّ وجيئه مرّة بلام ومرة بنون ، ونحو ذلك من الحروف المتقاربة . والإصراف : إقواء بالنصب . ذكره المفضّل بن محمد الضبّىّ الكوفىّ . ولم يعرف البغداديون الإصراف . والخليل وأصحابه لا يجيزون الإقواء بالنصب . وقد جاء فى أشعار العرب، كقول القائل :

أطعمتُ جابانَ حتى اشتدّ مَغْرِضُه ... وكاد يَنْقَدُّ لولا أنّه طافَا (١)
فقُلْ لجابانَ يتركْنا لطِيّتِه ... نومُ الضُّحى بعد نومِ الليل إسرافُ

مَغْرِضه : أسفل بطنه . وقوله : طاف ، أى برز لقضاء حاجته . يقال : طاف يطوف طَوْفًا ، واطَّاف يَطّاف اطّيافا ، إذا قضى حاجته . و بعض الناس يزعم أن قول امرئ القيس :

فخرَّ لرَوْقَيْهِ وأمضيتُ مُقْدِمًا ... طويلَ القَرَى والرَّوْقِ أخنسَ ذيّالِ (٢)

من الإقواء بالنصب ؛ لأنه وصّل الفعل إلى « أخنس » .

البطليوسى : الإيطاء فى الشعر : أن يردّد الشاعر القافية مرّتين أو أكثر من ذلك . كقول النابغة :

أو أَضَعُ البيتَ فى سوداءَ مظلمةٍ ... تُقَيِّدُ العَيرَ لا يسرِى بها السارى

(١) جابان : اسم رجل ، ألفه منقلبة عن واو ، كأنه جوبان بالتحريك ، فقلبت الواو قلبا لغير علة وترك صرفه دليل على أنه فعلان . وانظر اللسان (جوب ، عرض ، طوف) فبين الرواية هناك خلاف فى بعض الكلمات .

(٢) خر : أى الثور . ومقدما : حال من التاء فى أمضيت . وطويل القرى : حال من الهاء فى روقيه . وأخنس : نعت لطويل القرى . وذيال : نصب أيضا إلا أنه أضافه إلى نفسه مثل قولك فرسى وغلامى . وروى صدره :

* مجال الصوار واتقين بقرهب *

ثم قال بعده :

لا يخفض الزِّرُّ عن أرضٍ ألَمَّ بها ولا يَضِلُّ على مصباحه السارى

وأما الإقواء ففيه قولان : قيل هو أن تختلف القوافى فيكون بعضها مرفوعا وبعضها مخفوضا؛ كقول النابغة :

* وبذاك خبّرنا الغُدافُ الأسودُ *

و : * يكادُ من اللطافةِ يُعقَدُ *

فرفع، والقصيدة كلُّها مخفوضة . وقال قوم: الإقواء أن ينقص من البيت جزء من عَروضه ؛ كقول الشاعر :

لمّا رأت ماءَ السَّلَى مشروبًا والفَرْثَ يُعصر فى الإناء أرنّتِ

والقول الصحيح هو الأوّل ، وأمّا هذا فإنّما اسمه الإقعاد . وفى الإكفاء قولان : قال قوم : هو الإقواء بعينه . وقال آخرون: هو اختلاف حروف الرويّ؛ كقول الراجز :

يا رُبَّ جَعْدٍ فيهمُ لو تَدْرِينْ يَضرِبُ ضربَ السُّبُط المقاديمْ(١)

والإصراف : إقواءٌ يكون ببيتٍ منصوب فى شعرٍ مخفوض أو مرفوع، حكاه المفضّل بن محمد، ولم يعرفه الخليل وأصحابه؛ كقول الشاعر :

عَشّيتُ جابان حتى اشتدّ مَغرِضُه وكاد ينقدُّ لولا أنه اطّافَا

فقُلْ لجابان فلينهضْ لِطيّته نومُ الضحى بعد نوم الّليل إسرافُ

ومنهم من يرويه بالسكون ليسلم من فتح الإصراف .

الخوارزمى : الإيطاء: تثنية القافية الواحدة فى قصيدةٍ واحدة . وأصله أن يطأ الإنسانُ فى طريقه على إثر وطءٍ قبلَه ، فيعيد الوطء . يعنى : يقول الغراب :

(١) انظر الكلام على الإيطاء والإقواء والإكفاء ما سبق فى شرح البطليوسى ص ٥٨١ — ٥٨٣ . وانظر لهذين البيتين ما مضى فى ٥٨٣ .

غاقِ غاقِ . الإقواء، في « تفهَّم ياصريعَ البين »[1] . الإكفاء، في «أرى العنقاء»[2] .

الإصراف : إقواء بالنصب كقول آمرئ القيس :

خفــرَّ لرَوْقيــه وأمضيت مُقــدِمًا ‏ طويلَ القَرَى والروقِ أخنسَ ذيّالَا

من لاميته المجرورة .

٢٠ (حَسَــدَتْهُ مَلْبَسَهُ البُزَاةُ ومَنْ لَهَا ‏ لَمَّــا نَعَاهُ لَهَــا بِلِبْسِ غُدَافِ)

التــــبريزى : المعنى أنّ البزاةَ حسدت الغــرابَ لسواد ريشــه، وتمنّت أن تكون سُودًا مثله ، ليتبيَّن حزنُها على هــذا الميت . والغُداف : الغراب الأســود. و إنما قيل له غُدافٌ لسبوغ ريشه؛ يقال: أغدف الليلُ، إذا غطَّى بظلمته. وأغدف البحرُ، إذا اعتكرت أمواجُه . وأغدف القناعَ، إذا أسبله . قال عنترة :

إنْ تُغدِفِي دونى القِناعَ فإنَّنى ‏ طَبٌّ بأخْذِ الفارس المُسْتلئِم

البطليـــوسى : ســيأتى .

الخـــوارزمى : البزاة، تُوصَف بالبياض . ومنه بيت السقط :

بالله يا دهرُ أذِقْ غُرابَها ‏ مَوتًا من الصُّبح ببازٍ كُرَّزِ[3]

وقال :

الشَّيب أبهى من الشبابِ ‏ فلا تُهَجِّنْــه بالخضــابِ

هــذا غرابٌ وذاك بازٍ ‏ والبــازُ أبهى من الغرابِ

قال التبريزى : الغداف، هو الغراب الأسود . واشتقاقه من أغدف الليلُ ، إذا غطّى بظلمته كلّ شىء .

---

(١) هو مطلع القصيدة ٥٦ . وانظر البيت ١٠ منها ص ١١٤٦ .

(٢) البيت ٤٣ من القصيدة ١٧ ص ٥٨١ .

(٣) البيت ١٤ من القصيدة ١٣ ص ٤٢٣ .

٢١ ﴿والطيرُ أغربةٌ عليهِ بأسْرِها فُتْخُ السَّراةِ(١) وساكناتُ لَصافِ﴾

التبريزى : أى كلّ الطير قد حزن عليه و إن لم تلبَس حدادًا ولم تقُل شعرا. والسَّراة، بالسين غير معجمة: جبالٌ بأرض اليمن تكون فيها هُذَيل وغيرها. و بالشام جبال الشُّراة، بالشين معجمة مضمومة. ولَصافِ: جبل، مبنيٌّ مثل حَذَامِ وقطامِ، عند الأصمعى. قال أبو عبيدة: هو جارٍ مجرى ما لا ينصرف. وهو من قولهم: لَصفَ الشيءُ، إذا برَق. وهذا البيت يُنشَد على وجهين:

قد كنتُ أحسبكم أُسودَ خَفِيّةٍ فإذا لَصافُ تبيض فيها الحُمَّرُ(٢)

رواية الأصمعى بكسر الفاء، و رواية أبى عبيدة بضمها. فأمّا قول النابغة:

بمصطَحَباتٍ من لَصافِ وثَبْرةٍ يزُرْنَ أَلالًا سيرهُنّ تدافعُ

فرواية الأصمعى توجب كسر الفاء، ورواية أبى عبيدة توجب الفتح. والفُتْخ: جمع فتخاء، وهى من صفات العُقاب. وإنما قيل لها فتخاء لتثنّى ريشها إذا انحطّت فى الطيران. والفَتْخة: حلقة من ذهبٍ أو فضة، مثل الخاتم لا فصّ لها. قالت امرأة:

والله لا تَخْدَعُنِى بضَمّ ولا بتقبيلٍ ولا بشَمّ

إلّا بزَعْزاعٍ يسلّى همّى يسقُط منه فَتَخى فى كُمّى

فَتَخ: جمع فَتخة، كحَلْقة وحَلَق.

البطليوسى : يقول: تمنّت البزاة أن تكون سودَ الألوان، وأن تكون ملابسُها كملابس الغِربان، لتتّخذها حدادًا على هذا المتوفَّى، و يُرَى ما تنطوى عليه من التوجّع والأسى. واللِّبس، بكسر اللام: اللباس. وأراد بالـ«فُتْخ» العِقبان. يقال: عقاب

(١) البطليوسى: «الصراة» بالصاد.

(٢) رواية اللسان والبطليوسى والخوارزمى: «فيه الحمر». والمكان يجوز فيه التذكير والتأنيث. والبيت لأبى المهوش الأسدى، كما فى اللسان (حمر، لصف). وأبو المهوش، آخره شين معجمة، هو حوط أو ربيعة ابن رئاب، شاعر مخضرم، كما فى الخزانة (٣ : ٨٦).

فَتخاء، وهى اللّينة الجناحين، وجمعها فُتْخ . والصَّراة : موضع، هكذا وقع بالصاد فى جمهور نسخ السقط . وكان ابن حَزم الطُّلَيْطُلِىّ يروى عن المعرّى : « السراة » بالسين غير معجمة، وقال : هى جبالٌ بأرض اليمن تسكنها هُذيل وغيرها . قال : وبالشّام جبال الشُّراة ، بشين معجمة مضمومة . وأراد بـ« سما كاتِ لصافِ » الحُمَّرَ . وإنما ذهب إلى قول الشاعر :

قد كنتُ أحسبهم أُسودَ خَفِيّـةٍ ... فإذا لَصافِ تَبيضُ فيـه الحُمَّرُ

وكان الأصمعى يقول : لصافِ بالكسر، على مثال حَذام وقطام . وكان أبو عبيدة مَعْمَر بن المثنّى يُجريه مُجرى ما لا ينصرف، وكلا الوجهين جائزٌ عند النحويّين .

الخــوارزمى : قوله « والطير أغربةٌ عليه » أى باكيةٌ عليــه بكاءَ الغربان . وهذا من إجراء الاسم مُجرى الصفة . ونحوه :

إذا ألقيتْ فى الأرض وهى مفَــازةٌ ... إلى المـاء خِلت الأرضَ يجرى مَعِينَها (١)

عقاب فتخاء . وفَتَخُها : لين جناحها . السَّراة، بالسين المهملة المفتوحة، قال جار الله : هو جبــلٌ مشرف على عَرَفة ، ينقاد إلى صنعاء ، سمّى بذلك لعــلوه . وسراة كلّ شىء : ظهره ؛ يقال : سراة ثقيف، ثم سَراة عَدْوان، ثم سراة فَهْــم، ثم سراة الأزد . وأما شُراة، بالشين، فهى أرض من ناحية الشام . والرواية فى بيت أبى العلاء بالسين المهملة . ومنه بيت السقط :

قَلَعيّــةٌ وكأنّ مَشْىَ الأَزْدِ فى ... أرض السَّراة سَخَا بها لقلاعها (٢)

لَصافِ : موضع من منازل بنى تميم، وهو مبنى على الكسر مثل قطام؛ قال :

* فإذا لَصافِ يبيض فيه الحُمَّرُ *

(١) البيت ١٦ من القصيدة ٤٠ ص ٨٩٩ .

(٢) البيت ٣١ من القصيدة ٩٩ .

الحُمّر : جمع حُمّرة ، وهى ضربٌ من الطَّير كالعصفور. و بعضهم يُعرِب «لصافِ» و يمنعه من الصرف .

٢٢ (هَلّااسْتَعَاضَ مِنَ السَّرِيرِ جَوَادَهُ   وَثّابَ كُلِّ قَـرَارَةٍ ونِيَافِ)

التـــبريزى : أى هلّا استعاض هذا الهالك جوادَه من سرير الموتى . أى هلّا بقى ومات غيرُه . والقَرارة والقَرار : المطمئنّ من الأرض . قال :

فدلَّيتُ رجلىَ فى رَهْـــوةٍ   فـــا كادتَا أن تنالا القَرارا

والنِّياف : ما طال من الجبال؛ ومنه اشتقاق النَّيِّف، أى الزيادة على الشىء. و يقال: شىء نَيِّف، فى معنى مُنِيف . قال الشاعر :

وُلِدت بمَرقبــةٍ رأسُها   على كلِّ مرقبــةٍ نَيِّف (١)

البطليـــوسى : ســـيأتى .

الخـــوارزمى : عنى بـ«السرير» الجنازة. قوله « وثّاب كلّ قرارة ونيـــاف » منصوبٌ على البدل من « جواده » . قَصْرٌ وجمَــلٌ وناقةٌ نِيافٌ، أى طويل إلى ارتفاع . قال امرؤ القيس :

* نيافًا تَزِلُّ الطّير عن قُذُفاته (٢) *

٢٣ (هَيْهَاتَ صَـــادَمَ لِلْمَنَايَا عَسْكَرًا   لَا يَنْثَنِي بِالْـكَرِّ والإيجَـافِ)

التـــبريزى : يقال: صدم الشىءُ الشىءَ، إذا تلاقيا وكلاهما صُلْب . والكرّ: حملةٌ بعد حملة . والإيجاف، من قولهم: أوجَف يُوجِف إيجافا، وأوجفت الركابُ

(١) البيت لعدى بن الرقاع ، كما فى اللسان (نوف) . وفى اللسان : « ترابية » ووجه هــذه « برابية » . وفى اللسان : « على كل رابية » .

(٢) عجزه كما فى العقد الثمين ١٣١ واللسان (قذف) :

* يظل الضباب فوقه قد تعصرا *

إذا أسرعَتْ، وأوجفهــا غيرُها . والمعنى أنّ المــوت قُضِىَ على وَلد آدمَ فلم يعتصم منه ملكٌ ولا نبىّ ولا حكيم .

البطليــوسى : أراد بـ«السرير» النّعش . والقَرارة: المنخفض الذى يستقرّ فيه المــاء . والنِّياف : المكان المرتفــع الذى يُشرف على غيره . ومنه قيل : أناف على الشىء، إذا أشرف عليه . وهيهات : اسمٌ للفعل يعمل عملَه ، ومعناه كمعنى بَعُدَ . وقد شرحناه فيما مضى[(١)] . و ينثنى : يرجع . والإيجاف : الإسراع . يقال : وَجَف وأوجــف .

الخــوارزمى : يقول : من المحال أن يستعيض من السرير فرسَه ،وقد لاقى للوت جُنْدًا لا ينصرف بأن يُصرف، ولا يندفع بأن يُدفَع .

٢٤ ﴿ هَلَّا دَفَنْتُمْ سَيْفَهُ فِى قَــبْرِهِ مَعَهُ فَذَاكَ له خَلِيلٌ وَا فِ ﴾

التــبريزى : ... ...

البطليــوسى : ســيأتى .

الخــوارزمى : هذا كبيت السقط :

وضجيعُ طفلهم الحسامُ وإن ثوَى منهــم فتىً فــع المهنّــد يقــبرُ[(٢)]

٢٥ ﴿ إِنْ زَارَهُ الْمَوْتَى كَسَاهُمْ فِى الْبِلَى أَكْفَانَ أَبْلَجَ مُكْرِمِ الأَضْيَا فِ ﴾

التــبريزى : الأبلج : الواضح . ومعناه أنّ الميت كريم ؛ فإن زاره الأموات فى قبره ففى قدرة الله ســبحانه أن يقضى له أن يكسوَهم أكفانًا جُدُدا، عوضا من الأكفان البالية . فإن لم يكن ذلك جاز أن يخلع عليهم كفنَه

البطليــوسى : ســيأتى .

الخــوارزمى : ســيأتى .

---

(١) انظر ص ١٢٥٨ . (٢) البيت السابع من القصيدة ٥٣ ص ١١١٦ .

٢٦ ﴿وَاللهُ إنْ يَخْلَعْ عَلَيْــهِ حُلَّةً   يبْعَثْ إلَيْـهِ بمثْلِهَا أضْعَافِ﴾

التبريزى : ... ...

البطليوسى : الأبلج : المشهور الذى لا يخفَى ، كأنّه شبه بالصّباح الأبلج ، وهو الذى سطع نوره ووضح . والأبلج أيضا : الذى انفصل حاجباه أحدُهما عن الآخر، وهو ضدّ الأقرن . وكانت العرب تمدح بالبلَج وتكره القرَن . و «أضعاف» بدل من «مثل» ، و إن شئت كان صفةً له ؛ لأن «مِثلًا» لا يتعرّف بالإضافة، وهو واحدٌ يراد به الجمع . كأنّه قال : بأمثال لها مضاعفة .

الخوارزمى : أبلج، فى «سالم أعدائك»[1] . قوله «بمثلها» أى بمثل تلك الحلة فى الحسن والزينة . قوله « أضعاف » بدل من « مثلها » .

٢٧ ﴿نُبِذَتْ مَفَاتِيحُ الجِنَانِ و إنّما   رِضْوَانُ بيْنَ يَدَيْهِ للإتْحَافِ﴾

التبريزى : رضوان : مَلَكٌ معه مفاتيح الجنة، كأنّه يُتحفه بِطُرَف الجنّة .

البطليوسى : سيأتى .

الخوارزمى : يريد نُبذت مفاتيحُ الجنان، ليفتح له الجَنّان . ومعنى المصراع الأخير أن رِضوان بين يديه كالمطيع ، يُتحفه من طرائف الجنة بما يريد .

٢٨ ﴿يا لَابِسَ الدِّرْعِ الّتِي[2] هُــوَ تَحْتَها[3]   بَحْرٌ تَلَفَّــعَ فِي غَدِيرٍ صَافِ﴾

التبريزى : المعنى أنه بحرٌ فى العطاء والكرم ، وهــو مع ذلك تضمّه درعٌ كأنّها غدير، و إن كان هو فى العِظَم كالبحر .

(١) البيت ٣٤ من القصيدة ٣٧ ص ٨٦٣ .

(٢) البطليوسى والتنوير : « الذى » . والدرع الحديد، مؤنثة وقد تذكر .

(٣) ب من البطليوسى : « من تحتها » .

البطليوسى : نُبذتْ : طُرحت وأُلقيت . يقول : دُفعت إلى رضوان مفاتيحُ الجنان ليفتح له أبوابَها، ويُتحفه بمـا شاء منها . وشبّهه بالبحر لكرمه وتخـرُّقه[١] فى المعروف . وشبّه درعه عليه بالغدير . وتلفّع : اشتمل؛ يقال : تلفع بالثـوب . والصافى : الذى لا كدر فيه . وكان أبو الفضل البغدادى يرويه : «ضاف» بضاد معجمة، أى كامل . والصاد أليق بالغدير وأجود؛ لأنه قد ذكر الضافى فى بيت آخر .

الخـوارزمى : شبّه الدرعَ لبياضها بالغدير، والدارعَ، لعلمه، بالبحر .

٢٩ (بَيْضَاءَ زُرْقُ السُّمْرِ واردَةٌ لَهَا وِرْدَ الصَّوَادِى[٢] الوُرْقِ زُرْقَ نِطَافِ)

التبريزى : أى هذه الدرع بيضاء تَرِدها أسنّةُ الرماح، كما تَرِد الحمامُ الوُرق زُرْق نِطاف ، وهى جمع نُطفة . وأصل النُّطفة المـاء القليل . قال جِران العَوْد :

فبِتُّ كأنّ العـينَ أفنـانُ سِـدْرةٍ عليها سَقيطٌ من نَدَى الليلِ يَنْطُفُ

وربمـا استعملوا النُّطفة فى المـاء الكثير . قال الهُذلىّ[٣] :

وإنّهمـا لجَـوّابَا خُـعـروقٍ وشَرّابَان بالنُّطَفِ الطَّـوامِى

أى الكثيرة ؛ لأنّ المـاء إنمـا يوصف بالطُّمُوّ إذا كان كثيرا . وفى الحديث : « من هاتين النُّطفتين » يعنى البَحرين .

البطليـوسى : الزُّرق : الأَسِـنّة الصافية . والزُّرق من الميـاه : الصافية . ويقال : ماء أزرق . قال زهير :

فلمّا وَردن المـاءَ زُرْقًا جِمـامُه وَضَعْن عصىَّ الحاضرِ المُتخيِّم

(١) يقال : تخرق فى الكرم، أى توسع فيه .

(٢) البطليوسى : « الغوادى » .

(٣) هو معقل بن خويلد الهذلى، والبيت آخر أبيات له فى شرح السكرى لأشعار الهذليين ص ١٠٦ طبع لندن ١٨٥٤ ومخطوطة الشنقيطى من الهذليين ص ٢١٣ .

والنِّطاف : جمع نُطفة، وهى المـاء قليلًا كان أوكثيرا . قال الهذلى :

وإنهمـا لجَـوّابا خُـروقٍ   وشرّابانِ بالنُّطَفِ الطـوامى

وأراد بـ« الغوادى الورق » الحمام . والغوادى : المبكّرة لورود المـاء. والوُرق: الغُبْر الألون . شبّه الدرع بغدير ماء تَرِده الرماح كما ترد الحمامُ المـاء .

الخـوارزمى : الوِرْد، هو الوُرود .

٣٠ (وَالنَّبْلُ يَسْقُطُ فَوْقَهَا وَنِصَالُهَا   كَالرِّيشِ فَهْوَ عَلَى رَجَاهَا طَافِ)

التـبريزى : الهاء فى قوله « فوقها » يرجع إلى الدِّرع ؛ لأنها تُشَبّه بالغُدُر ، والحمام ترد الغُدر وتزدحم عليها فيقع رِيشُها على رجاها ونواحيها . يقال : رجًا وأرجاء .

البطليـوسى : الرجا : ناحية البئر والغـدير ، وجمعها أرجاء . شَـبّه الدرع فى لونها وسقوط النَّبل عليها ، بمـا تَرِده الحمام وتزدحم عليه ، فيسقط رِيشها فيـه فيُرَى طافيا فوقه .

الخـوارزمى : لمّـا شَبّه الدرع بالمـاء، شَـبّه نصال النَّبل، من حيث إنهـا لا تعمل فى الدرع ولا تؤثّر فيـه ، بالريش الساقط على المـاء يطفو عليـه ولا يرسُب فيه .

٣١ (يُزْهَى إِذَا حِرْبَاؤُهَا صَلِيَ الوَغَى   حِرْبَاءُ كُلِّ هَجِيرَةٍ مِهْيَـافِ)

التـبريزى : يُزْهَى، أى يَدخله الزَّهو. والحرباء: مسامير الدرع. والمِهياف: التى يشـتدّ فيها العطش . ألغز عن الحرباء التى هى دابّة معروفة لا تزال تدور مع الشمس حيث دارت . والمعنى أن هـذه الدرع يُزْهَى بحربائها ، وهى مسمارها ، الحرباءُ الذى يستقبل الشمسَ فى التَّنوفة، إذا سمع فى درعه سميًّا له .

البطليوسى : يقال : زُهِىَ الرجل يُزْهَى ، على صيغة ما لم يُسَمَّ فاعله ، إذا تكبّر وتعظّم . والحرباء ، لفظة مشتركة ، يسمَّى بهـا كل مسمار من مسامير الدروع ، ويسمَّى بهـا ضَرْبٌ من الحشرات يصعد فوق الشجر ، ويَستقبل الشمس ويُدير وجهـه نحوها كيفما دارت . والوغى : الحرب ، وأصله الأصواتُ المختلطة فيها ، ثم سُمِّيت الحربُ وغًى لمـا فيها من الوغى . ومعنى «صَلِي الوغى» باشَرَها ، كما يَصْلَى الرجل النارَ . والهَجيرة : القائلة ، ويقال لهـا : هَجيرة وهاجرة وهجير[1] . والمِهياف : التى تَهُب فيها الهَيْف ، وهى ريح حارّة إذا هبّت أعطشت الحيوان ، وأيبست النبات . والمعنى : أن الحرباء الذى من الحشرات ، لمّـا وافق اسمه اسمَ حرباء الدرع ، عدّ نفسه من جنسه ونوعه ، فأحدث ذلك فيه زهوا وكبرا . ونحوه قولُ أبى الطيب :

إذا نحن سَمّيناك خِلْنا سُـيوفنا من التيـه فى أغمـادها تتبسّم

الخـوارزمى : الحِرباء : مسمار الدرع ، ثم يُستعار للدُّوَيْبَّة المعروفة ؛ لأنها أبدًا تعلو الأَجذال ، وتلزم طول النهار مكانَها ، فكأنها مسمار ناتئ الرأس . والذى يدُلّ على أن هذه الجهة معتبرة فى هذه الاستعارة بيتُ السقط :

* إذا سَمَّر الحرباءُ فى العود نفسَه[2] *

المهياف : النـاقة التى تَعطش سريعا . ذكره الغورى . واستعارتُها للهجيرة ها هنا على الإسـناد المجازىّ . ومثله « نهاره صائم » و « ليله قائم » . يقول : إذا صَلِى حرباء هذه الدّرع نارَ الحرب ، تكبّر وانتخى[3] ، بأنّه سميّه ، حرباءُ الهاجرة .

---

(١) وهجر ، بفتحتين أيضا .

(٢) البيت ٤٠ من القصيدة ٦٦ . وعجزه :

* على فلكى بالسراب مدرع *

(٣) انتخى : افتخر وتعظم .

٣٢ (فَلِذَاكَ تُبْصِرُهُ لِكِبْرٍ عَادَهُ يُوفِى عَلَى جِذْلٍ بِكُلِّ قِذَافِ)

التبريزى : المعنى أنّ الحرباء يلحقه كِبْر، لأنه سمِىُّ الحرباء الذى هو فى درع المرئىّ، فهو يطلب لنفسه المواضعَ الرفيعة، فيُشرف على أعلى الشجر مع ٱرتفاع الشمس . والقِذَاف : الأرض البعيدة الواسعة ، وقيل : هى التى يتقاذف فيها السّراب . قال القُطامىّ :

قِذَافٍ لا يُرام المـاءُ فيها ولا يَرجو بها القومُ ٱضطجاعا(١)

البطليوسى : هذا البيت متمِّم للبيت الأوّل، ومعنى «يوفى» : يعلو أو يُشرف. والجذل : أصل الشجرة ، وجمعه أجذال وجُذول . والقِذاف والقَذَف والقُذُف : الأرض البعيدة التى لا ماء فيها . قال القطامىّ :

قِذَافٍ لا يُرام المـاءُ فيها ولا يَرجو بها القومُ ٱضطجاعا

يقول : من أجل الزّهو الذى أدركه بمُوافقة ٱسمه لٱسم حرباء الدّرع ، يصعد فوق أصول الشجر ، كما أنّ حرباء الدرع مُشرف فوق الدرع وفوق الفارس اللابس لها؛ ومن أجل ذلك صار يَصْلَى بحَرِّ الشمس كما يَصْلَى سَمِيُّه بنار الحرب .

الخوارزمى : فى أساس البلاغة : «مفازة قَذُوف وقَذَف وقُذُف وقِذَاف» . وهذا البيت تقرير للبيت المتقدّم .

٣٣ (الرَّكْبُ إِثْرَكَ آجِمُونَ لِزَادِهِمْ واللَّهْجُ صَادِفَةٌ عَنِ الأَخْلَافِ)

التبريزى : أى قد كرِهوا أكل الزاد، لِمَا هُم فيه من الكد . يقال: أَجَم الطعام وأَجِمه(٢) ، إذا كَرِهه . قال الشاعر :

جَوارٍ شَرِبْنَ المحضَ حتى أَجِمْنَه فهُنّ إلى وِرْد الرِّجال نوازعُ

(١) رواية الديوان ٤٢ : « لا يضاع المـاء فيها » . أى لا يشربون إلا بقدر، من خوف العطش .
(٢) من بابى ضرب وفرح .

ويقال : تأجّم المرعى إلى الماشية، إذا كرهته . قال الشاعر :

عن البَكْرة العيساء أن قد تأجّمت ... إليها مَراعيها وطالَ نِزاعُها [1]

واللُّهج [2] : جمع فصيل لَهِج ، وهو الذى يَلْهَج بالرضاع، فيكره ذلك صاحبُ الناقة فيشدّ عليها الأخِلّة ليمنعه من الرضاع . ويقال : ألهج الرجل ، إذا كانت له فصال لَهِجة . قال الشمّاخ :

رَعَى بارِضَ الوَسْمِىّ حتى كأنما ... يَرَى بسَفَا البُهْمَى أخِلّةَ مُلْهِجِ [3]

وصادفة : عادلة . والأخلاف : جمع خِلْف ، وهو طَرَف الضَّرع .

البطليوسى : الرَّكب : جمع راكب . وآجِمون : كارهون؛ من قولهم : أجِمت الطعام، إذا كرهته . واللُّهج : الفِصال التى لهِجت بالرضاع، واحدها لَهُوج ولَهِجٌ .

قال الشاعر :

إذا المُرضِع العوجاء بات يَعُزُّها ... على ضَرعها ذو تُومَتَيْنِ لَهُوجُ [4]

وصادفة : مُعرضة . يقال : صدف عن الشىء . قال الله تعالى : ﴿ سَنَجْزِى الَّذِينَ يَصْدِفُونَ عَنْ آيَاتِنَا سُوءَ الْعَذَابِ بِمَا كَانُوا يَصْدِفُونَ ﴾ . والأَخلاف : جمع خِلْف . والخِلف للناقة، كالضرع للشاة . ومنهم من يجعل الخِلف طرف الضرع .

---

(١) العيساء : البيضاء يخالط بياضها شىء من الشقرة .

(٢) بالضم، وبضمتين .

(٣) وكذا فى اللسان (لهج) . والبيت فى ديوان الشماخ ١٤ برواية :

خلا فارتعى الوسمى حتى كأنما ... يرى بسفا البهمى أخلة ملهج

والبارض : أول ما يبدو من النبات . والسفا : شوك البهمى، وهو نبت من أحرار البقول . والأخلة : جمع خلال، وهو عود يجعل فى لسان الفصيل لئلا يرضع .

(٤) العوجاء : المرأة التى لها ولد تعوج إليه لترضعه . والتومة، بالضم : حبة تعمل من الفضة كالدرة . والبيت فى اللسان (عوج) برواية أخرى .

يقول : كل مَن بقى مِن بعــدك فقد تنغصت عليه حياته ، وتمنّى أن تعاجله وفاته . وأراد بـ«الركب» أهل الدنيا . وقد تقدّم كلامنا مرارًا فى نحو هذا المعنى .

الخـــوارزمى : فى أساس البلاغة : «كان هذا إثر ذاك ، أى بعده» . آجِم ، اسم فاعل من قولك : داوَم على طعام واحدٍ حتى أجِمَه ، أى كرهه . وكأنه من أُجيم النار ، وهو أجيجها . ويشهد له قولهم : ملّه ، إذا سئمه . واشتقاقه من المَلّة ، بالفتح ، وهى الرماد الحار . فى أساس البلاغة : «لَهِج الفصيل ، إذا أخذ فى الرضاع ، فهو لَهُوج[1] وفصال لُهُجٌ» . وأصله من اللَّهَج بمعنى الوَلُوع .

٣٤ (وَالآنَ أَلْقَى المَجْدُ أَخْمَصَ رِجْلِهِ ... لَمْ يَقْتَنِـعْ جَزَعًا بِمِشْيَةِ حَافِ)[2]

الخـــوارزمى : العادة جارية بخَلع النعال فى المصيبة[3] . فيقول : فى هذه لم يقتنع المجد بخلع نعليه ، حتى ألقى أخمص رجليه .

٣٥ (تَكْبِيرَتَانِ حِيَالَ قَبْرِكَ لِلْفَتَى ... مَحْسُوبَتَانِ بِعُمْرَةٍ وَطَوَافِ)

التـــبريزى : ... ...

البطليـــوسى : ســـيأتى .

الخـــوارزمى : العُمرة : أن يبتــدئ من الميقات فيُحرم ، ثم يدخل مكة ، فيطوف بالبيت سبعة أشــواط يَرْمُل فى الثلاث الأُوَل منهــا ، ويمشى على هِينَته فى البــاقى ، ويصلّى صلاة الطواف ، ويسعى بين الصــفا والمروة سبعًا ، ثم يَحلق أو يقصّر ، وقد تمّت عُمرته . وعنى بـ«الطواف» هاهنا : طوافًا هو خارج العُمرة .

---

(١) فى الأصل : «لهيج» . والتصويب من أساس البلاغة . ولم نجد «لهيجا» فيما لدينا من المعاجم .

(٢) هذا البيت لم يروه إلا الخوارزمى وصاحب التنوير .

(٣) فى الأصل : «العادية جارية تخلع النعال فى المصيبة» .

٣٦(لَوْ تَقْدِرُ الخَيْلُ الَّتِي زَايَلْتَهَا أَنْحَتْ بِأَيْدِيهَا عَلَى الأَعْرَافِ)

التبريزى : المعنى أنّ الفارس من العرب إذا هلك حُذِف شعر ذنب فرسه وجُزّ عُرْفه . فالخيل التي زايلتَها لو تمكّنت من أعرافها لأَنحتْ بأيديها عليها ، إلى أن تُزيلها[1] من الأسف . وأَنحت : اعتمدت .

البطليوسى : سيأتى .

الخوارزمى : فى أساس البلاغة : « أنحى عليه باللوائم، اذا أقبل عليه » . متى هلك من الناس صاحب حُرمة فإنّ أهل المصيبة تجزّ أذنابَ خيله وأعرافَها . يقول : لو قدرتْ أفراسُك لجَزّتْ بأيديها أعرافَها ، من غير أن تنتظر ذلك من غيرها .

٣٧(فَارَقْتَ دَهْرَكَ سَاخِطًا أَفْعَالَهُ وَهُوَ الجَدِيرُ بِقِلَّةِ الإِنْصَافِ)

التبريزى : ... ...

البطليوسى : سيأتى .

الخوارزمى : ... ...

٣٨(وَلَقِيتَ رَبَّكَ فَاسْتَرَدَّ لَكَ الهُدَى مَا نَالَتِ الأَيَّامُ بِالإِتْلَافِ)

التبريزى : أى استرجعتَ بتُقَاك شبيبتَك وحُسنك . كأنه لمّا لقى الله تعالى ردّ عليه حياتَه وشبابَه .

البطليوسى : حِيال الشيء : مايقابله . ومعنى «أنحت» : أقبلت ومالت . والجدير : الحقيق؛ يقال : فلان جدير بكذا ، وقد جدُر جدارةً ؛ وخليق ، وقد خلُق خلاقةً . واسترد، بمعنى رد . ومعنى قوله « أنحت بأيديها على الأعراف » أنّ الخيل كانت تُجزّ أعرافُها وتهلب[2] أذنابُها عند المصيبة .

(١) أ : « لكى تزيلها » .

(٢) هلب، من باب ضرب، وهلب، بالتضعيف : نتف .

فأراد أنّ خيل هذا الممدوح ، لمّا رأت أنها لا يُفْعَل بها ذلك همّت أن تفعل ذلك بأنفسها .

الخـــوارزمى : « ما نالت » فى محل النصب على أنه مفعول « استرد » .

٣٩ (وَسَقَاكَ أَمْوَاهَ الحَيَـاةِ (١) مُخَلَّدًا   وَكَسَاكَ (٢) شَرْخَ شَبَابِكَ الأَفْوَافِ)

التـــبريزى : الأَفواف، من قولك: بُرد مفوَّف . أى منقّش . وقيل: لا يكون المفـوّف إلا أبيض . والفُوف ، [واحدته فُوفة ، وهى] النقطة البيضاء التى تكون فى أظافير الأحداث . وشَرخ الشـباب : أوله . والمراد أنّ الله سـبحانه وتعـالى ردّ عليه ، بعد ما أسنّ ، حالَه فى أيام شبابه ، وهو على كل شىء قدير .

البطليـــوسى : ســـيأتى .

الخـــوارزمى : فى أساس البلاغة : « حُلّة أفواف ، و بُردٌ مفوَّف . وأصله من الفُوف ، وهو نُقَط بياض فى أظفار الأحداث ، الواحد فُوفة » .

٤٠ (أَبْقَيْتَ فِينَا كَوْكَبَيْنِ سَنَاهُمَـا   فِى الصُّبْحِ وَالظَّلْمَاءِ لَيْسَ بِخَافِ)

التـــبريزى : ... ...

البطليـــوسى : أمواه: جمع ماء . ولو آتفق له ذِكر المياه هاهنا ، أو ذِكر المـاء غير مجموع ، لكان أبلغ ؛ لأنّ أفعالًا إذا استعمل معـه فِعال أو فعول ، فإنما يكون لأقلّ العدد . هذا هو الغالب عليه . وشَرخ الشباب : أوّله وآستقباله . و يقال: بُردٌ أفواف ومفوَّف ، وهو الذى فيه ألوان مختلفة . وأفواف : جمع وُصف به للمبالغة ،

---

(١) أ من البطليوسى : « أمواه الجنان » .

(٢) التبريزى : « فكساك » .

كما قالوا : ثوب أخلاق وأسمال؛ وإنما أفواف جمع فُوف وفَوْف ، وأصله البياض يكون فى أظفار الأحداث، ثم شبّه الثوب به. وأراد بـ«الكوكبين» ابنيه : الرّضىّ والمُرتَضى . والسّنا : الضوء . والخافى : المُستتر . يقول : نورهما أعظم من نور الكواكب؛ لأنّ نور الكواكب يغلب عليه ضياءُ النهار، ونورهما لا يغلب عليه شىء.

الخـوارزمى : عنى بـ«الكوكبين» الرضىّ، وهو من أهل الأدب وله شعر فصيح؛ وأخاه المرتضى الموسوى ، وهو إمام أهل الشيعة عارف بالكلام فى الأصول، وله أيضا شعر . وهما ابنا الشريف الطاهر ذى المنقبتين، أبى أحمد الحسين العلوىّ، وهو المرثىّ بهذه الفائية . والدليل على أن المراد بهما الرضىّ والمرتضَى، قولُه فى هذه الفائيـــة :

* ساوى الرّضىّ المُرتضى وتقاسما[1] *

٤١ (مُتَأَنِّقَيْنِ وَفِى الْمَكَارِمِ أُرْتِعَا مُتَأَلِّقَيْنِ بِسُـودَدٍ وعَفَافِ)

التـبريزى : متأنقـين، من الأَنَق ، وهو استحسان المكارم هاهنا والرغبة فيها . يقال : تأنّق الرجل فى الرياض ، إذا أعجبتــه . ومنظر أنيق، أى مُعْجِب . ومتألّقين : مُضيئين كإضاءة البرق، وإنما يضيئان بالسّودد والعَفاف .

البطليـوسى : سـيأتى .

الخـوارزمى : تأنّق فى الروضـة : وقع فيها مُتتبعا لمـا يُونقـه . أرتع إبلَه فرتعت . وعليه بيت السقط :

* حَوالِكَ سودًا ما حلَلْن لمُرتَعٍ[2] *

(١) انظر البيت ٤٤ من هذه القصيدة .

(٢) البيت ٦ من القصيدة ٦٦ ، وصدره :

* يفت شعرات كالثغام فصادفت *

يريد أن تأنقهما وإرتاعهما للنعم ، ليس إلا فى رياض المجد والكرم .

وفى الحديث : « ما من عاشية أدوَمَ[١] أنَقًا، وأبطأ شِبَعا، من طالب العلم » .

٤٢ (قَدَرَيْنِ فِى الإِرْدَاءِ بَلْ مَطَرَيْنِ فِى الْـ ... إِجْدَاءِ[٢] بَلْ قَمَرَيْنِ فِى الإِسْدَافِ)

التبريزى : المعنى أنهما من أقدار الله تعالى ، فإذا أرادا أمرًا كان[٣] . والإسداء : مصدر أسدى الرجل يدًا إلى الآخر إسداءً، إذا أنعم عليه بها. والإرداء: الإهلاك . والإسداف: مصدر أسدف الليل، إذا أظلم . قال العجّاج :

* وأقطع الليل إذا ما أَسْدَفَا[٤] *

والإسداف، فى لغة تميم : الإظلام، وفى لغة قيس: الإضاءة . والصبح فى هذه اللغة يقال له السَّدَف . ويقولون : أَسْدِفْ لى السراج، أى أضئ .

البطليوسى : المتأنق : المتخيّر الذى لا يُقنعه إلا الشيءُ الحسن . ويقال: رتعت الإبل فى المرعى رتُوعا، وأرتعتُها، إذا أقامت به . يقول : هما فى رياض المكارم يُرتعان فيها من قصدهما . والمتألق : اللامع؛ يقال: تألّق البرق، إذا لمع . والسُّودد : السيادة . يقول : عليهما من آثار[٥] السيادة والعفاف نور يتألق ، وهما فى إهلاكهما لأعدائهما كالقَدَر الذى لا مَحيد عنه، وفى إعطائهما كالمطر الذى يُحيي الأرض بما يَصُوب منه؛ وفى الظلمات كالقمرين المُشرقين، والنيّرين المُضيئين . والإرداء : الإهلاك . والإجداء : الإعطاء العام . يقال : جدوت الرجلَ، إذا أعطيتَه ؛ وجدوته، إذا سألتَه . فإذا قلت: أجديت . فمعناه : نفعت وأعطيت، لاغير . قال الشاعر :

(١) العاشية : التى ترعى بالعشى من المواشى وغيرها .

(٢) أ من التبريزى : «الإسداء» .

(٣) أ : «فإذا أراد أمرا كان» . وفى حـ : «فاذا أراد الله أمرا كان» . والوجه ما أثبتنا .

(٤) ديوان العجاج ٨٢ .

(٥) أ : « من أثر السودد » .

جدوت أناسا مُوسرين فما جدَوْا ألا الله فاجدُوه إذا كنتَ جاديا

والإسداف، يكون الإظلام، ويكون الضياء . قال العجّاج :

* وأقطع الليل إذا ما أسدفا[1] *

الخوارزمى : ويروى : « مطرين فى الإسداء » . والبيت كله مصنوع .

٤٣ ﴿رُزِقَا العَلاءَ فَأَهْلُ نَجْدٍ كُلَّمَا نَطَقَا الفَصَاحَةَ مِثْلُ أَهْلِ دِيَافِ﴾

التبريزى : أهل نجد يوصفون بالفصاحة . ودِياف : موضع فيه نَبَط لافصاحة لهم . قال الفرزدق :

ولكنْ دِيافىٌّ أبوه وأُمُّه بِحَوران يَعْصِرْن السَّليط أقاربُه

السليط : الدهن .

البطليوسى : أهل نجد يوصفون بالفَصاحة والبلاغة . وأهل دِياف ضدّهم، لأنه بلد من بلاد الانبَاط، وأهله عُجْم لُكْن . ولذلك قال الفرزدق :

ولكنْ دياقٌّ أبوه وأُمه بِحَوران يَعْصِرن السَّليط أقاربُه

ووقع فى نسخ السقط : « رزقا العلاء »، والوجه : «رزقا البيان» لذكره الفصاحة فى آخر البيت .

الخوارزمى : أهل نجد فُصحاء بلغاء . وجعل «الفصاحة» مفعول «نطق»، وهذا من قول أبى الطيب :

* ويَهُمُّ فيك إذا نطقتَ فَصاحةً[2] *

(١) انظر أراجيز العرب ص ٨٢ .

(٢) صدر بيت له . وعجزه، كما فى ديوانه (٢ : ٢٩٨) :

* من كل عضو منك أن يتكلما *

وفاعل « يهم » ضمير عائد على « نور » فى بيت سابق، وهو :

نور تظاهر فيك لاهوتيّة * فتكاد تعلم علم ما لن يعلما

دِياف، بالكسر: موضع بالجزيرة. ذكره الغورى، وفيه قومٌ لا فصاحة لهم. قال:

ولكنْ دياقىّ أبـوه وأُمه بحَوران يَعْصِرن السليطَ أقاربُه[1]

٤٤ (سَاوَى الرِّضِيُّ المُرْتَضَى وتَقَاسَمَا[2] خِطَطَ العُلَا بتَنَاصُفٍ وتَصَافِ)

التـبريزى: الخِطَط: جمع خِطّة، من قولهم: اختطّ فلان موضع كذا فأخذه وهو غالب عليه، أو أقطعه إياه السلطانُ. وكان الرجل إذا اتفق له ذلك، خطَّ حوالَى الموضع خطًّا ليعلم أنه قد حواه.

البطليـوسى: ... ...

الخـوارزمى: قال الغورى: تناصف القوم: تعاطوا الحق بينهم.

٤٥ (حِلْفَا نَدًى سَبَقَا وَصَلَّى الأَطْهَرُ الْـ ـمَرْضِى فَيَالثَّلَاثَةِ أَحْلَافِ)

التـبريزى: صلّى، من صلّى الجواد، إذا جاء من بعد السابق، لأن رأسه يكون عند صَلَوَيْه[3]. والأَطهر: ولد المُرتضَى[4].

البطليـوسى: الحِلْف والحَليف: الذى يُحالفك ويُعاقدك، لا تخونه ولا يخونك. والنَّدَى: الكرم. يقـول: قد حالفا الكرم فهـو لا يُفارقهما وهما لا يفارقانه. وأراد بـ «الأطهر» المرضىّ أخًا صغيرا كان لهما. فجعلهما كالفرس السابق، وجعله كالفرس المصلِّى، وهو الذى يجىء إثر السابق. والأحلاف: الأصحاب. وقوله «يالثلاثة» كلام فيه معنى التعجب، والمنادى محذوف، وكذلك الفعل الذى يتعلّق به اللام، كأنه قال: ياقـوم اعجبوا لثلاثة. وهـذه اللام لام التعجب، وربما حُذف الفعل معها، وربما أُظْهِرَ، كما قال الشاعر:

أَلَمْ تعجب له أنّ المنايا فَتَكْن به وهُنّ له جنود

(١) البيت للفرزدق، كما سبق. (٢) الخوارزمى: «فتقاسما».
(٣) صلوا الجواد: ما عن يمين ذنبه وشماله.
(٤) سيأتى فى شرح البطليوسى أنه أخ صغير للرضى والمرتضى.

الخوارزمى : صلّى، فى « علالى فإن »[1] . اللام، فى «يا لثلاثة» مفتوحة للتعجب، ونحوه : ياللّماء .

٤٦ (أَنْتُمْ ذَوُو النَّسَبِ الْقَصِيرِ فَطَوْلُكُمْ بَادٍ عَلَى الْكُبَرَاءِ وَالْأَشْرَافِ)

التبريزى : سيأتى .

البطليوسى : يقول: نسبكم أطول من كل نَسب و إن كان قصيرا . ومعنى قصر النسب . أن يكون الرجل قريبا من أبيه الذى شُهر فى الناس، فإذا ذَكره استغنى عن تجاوزه إلى غيره . و إذا لم يكن الأب المشهور قريباً منه احتاج إلى تعديد[2] آباء كثيرة، حتى ينتهى إليه . ولذلك يحتاج كثيرٌ من المنتسبين الى ذكر جدّه الأبعد، واطّراح مَن دونه ممن ليس بمشهور . و يروى أن رؤبة دخل على دَغْفَل النسّابة فقال له دَغفل : من أنت ؟ فقال : أنا رؤبة بن العجاج . فقال له دغفل : قصّرت وعرّفت .

الخوارزمى : سيأتى .

٤٧ (وَالرَّاحُ إِنْ قِيلَ ٱبْنَةُ الْعِنَبِ ٱكْتَفَتْ بِأَبٍ عَنِ الْأَسْمَاءِ وَالْأَوْصَافِ)

التبريزى : معناه أن الرجل إذا كان شريفا اكتفى باسم أبيه ، مثل أن يقول الرجل: أنا ابن حاتم، وأنا ابن بسطام؛ فتقول: هو قصير النسب . و إذا لم يكن أبوه شريفاً افتقر إلى أن يذكر آباءً كثيرة ، حتى يصل إلى أب معروف . ودخل رؤبة على دَغفل النسابة فقال له : من أنت ؟ فقال : أنا ابنُ العجّاج . فقال له دغفل: قصّرت وعرّفت . والمراد أنه ظهر طَوْلكم، أى فضلُكم، لأنّ نسبكم قصير، كما أنّ الراح قصيرةُ النسب ، إذا قيل لها ابنة العنب اكتفت بذلك . وما بعده يدلّ عليه .

---

(١) البيت ٥٠ من القصيدة ١٤ ص ٤٦٠ . (٢) أ : « تعداد » .

البطليوسى : ... ...

الخوارزمى : هذا من قول الجُمَحىّ وقد أتاه بعضهم يستشيره فى امرأة أراد التزوج بها : أقصيرة هى أم غير قصيرة ؟ فلم يفهم ذلك . فقال الجُمحى : أردتُ القصيرةَ النسب، تُعرف بأبيها أوجَدّها . ومما رأيتُ على ظهور بعض الدفاتر :

أُحِبّ من النِّسوان كُلَّ قَصيرةٍ لها نسبٌ فى الصالحين قصيرُ

ودخل رؤبة بن العجاج على دَغْفَل النّسابة، فقال دغفل : من أنت؟ قال : ابنُ العجّاج . قال : قصّرت وعرّفت . وعلى ذلك قال رُؤبة :

قد رفع العجّاج بِاسْمِى فادْعُنِى[1] باسمٍ إذا الأنسابُ طالت يَكْفِنى

الطَّول ، بالفتح ، هو الفضل .

٤٨ (مَا زَاغَ بَيْتُكُمُ الرَّفِيعُ وإنّمَا بالوَجْدِ[2] أَدْرَكَهُ خَفِيُّ زِحَافِ)

التبريزى : أى بيتُكم الشريف ما مال بموت هذا السيّد، وإنما مثله مثل بيتِ شعرٍ ذهب منه حركة أو ساكن، فلم ينقص منه ذلك شيئا، كقول عنترة :

ولقد شَفَى نفسى وأبرأ سُقْمَها قيلُ الفوارسِ وَيْكَ عَنْتَرَ أقدِمِ

فقوله « قيل الفوارس » جزء قد ذهب منه حركة ولا تشعر بها الغريزة ولا تضرّ البيت . وكذلك ذهاب الساكن، نحو قوله :

* بَيْنَ الدَّخول فحَوْمَلِ *

قد سقط منه ساكن من الجزء الذى بعده « فحومل »، وهو كغيره من الأبيات لا يعيبه أحد من الناس بذلك .

---

(١) فى ديوان رؤبة ١٦٠ : « قد رفع العجاج ذكرا فادعنى » .

(٢) البطليوسى : « بالوهم » .

البطليوسى : زاغ : مال . يقول : بيتُ شَرفِكم لا يهدمه موتُ مَن مات منكم، لثبات قواعِده، واشتداد مَعاقده؛ وإنما أدركه بموت أبيكم، وإنه كان مصابا عظيما، مثلُ ما يدرك البيتَ من الشعر إذا عرض له الزحاف الخفىّ . والزحاف نوعان : زِحاف ظاهر لا يخفى على سامعه، وزحاف خفىّ لا يدركه إلا الماهر فى صناعة العروض . فمن الزحاف الظاهر لكلّ سامعٍ قولُ الشاعر :

منازلٌ لِفَرْتَنَى قِفَارُ كأنما رسومها سطورُ

ومن الزحاف الخفىّ قول عنترة :

ولقد شَفَى نفسى وأبرأ سقمها قيلُ الفوارس وَيْكَ عنتر أقدِمِ

فهذا البيت فيه زحاف فى موضعين : أحدهما الفاء من «نفسى» ، والثانى الياء من «قيل» . ألا ترى أنك لو حركت الفاء من «نفسى» ،والياء من «قيل» ،لأمكنك تحريكهما . ولو كانا غير مزاحفَين لم يسغ تحريكهما، كما أنك لو حرّكت شيئا من سواكن البيت غيرهما لانكسر البيت .

الخوارزمى : الزحاف، فى «أَوَالِيَ نعتِ الراح»[1] ،وهو مع «البيت» ايهام.

٤٩ (وَالشَّمْسُ دَائِمَةُ البَقَاءِ وإنْ تُنَلْ بِالشَّكْوِ فَهْىَ سَرِيعَةُ الإِخْطَافِ)

التبريزى : يقال: أُخطف المريض، إذا نجا من مرضه . والمعنى أن هذا البيت إن لحقه شىء من خطوب الزمان فإنه سريع الزوال، لا يلحقه فيه عيب ، كالشمس إن لحِقها كَسْف فإنه لا يدوم .

البطليوسى : الشّكو والشَّكاة والشكوى، واحد . وأراد بشكو الشمس كسوفَها، وبالإخطاف انجلاءَ الكسوف عنها . يقال : اخطف الرّجل من مرضه إخطافا، إذا برأ .

(١) البيت الأخير من القصيدة ٥٧ ص ١١٥٩ .

الخــــوارزمى : فى أساس البلاغة : «أخطفه المرض خفّ عليه فلم يضطجع له» وهو من الخَطْفة .

٥٠ (وَيُخَالُ مُوسَى جَدُّكُمْ لِجَلَالِهِ فِي النَّفْسِ صَاحِبَ سُورَةِ الأَعْرَافِ)[1]

البطليـــوسى : ... ...

الخـــوارزمى : هو موسى الكاظم بن جعفر الصادق بن محمد الباقر بن زين العابدين بن علىّ بن الحسين بن علىّ بن أبى طالب ، رضوان الله عليهم . كان يبلغه عن الرجل أنّه يؤذيه ، فيبعث إليه بصُرّة فيها ألفُ دينار. وكان إذا صلّى العَتَمة حمِد الله ومجّده ودعاه ، فلم يزلْ كذلك حتى يزول الليل ، فإذا زال الليل قام يصلّى الصبح ، ثم يذكر قليلا حتى تطلع الشمس ، ثم يقعد إلى ارتفاع الضحى ، ثم يتوضّأ ويستاك ويأكل ، ثم يرقد . ولد سنة ثمان وعشرين ومائة ، ومات فى الحبس لخمس بقين من رجب سنة ثلاث وثمانين ومائة . الأعراف : سور بين الجنة والنار . و «موسى» مع «صاحب سورة الأعراف» تجنيس الإشارة ؛ لأن المراد به موسى النبى .

٥١ (المُوقِدِي نَارَ القِرَى الآصَالَ والْـ أَسْحَارَ بالأَهْضَامِ والأَشْعَافِ)

التـــبريزى : الهِضْم : المطمئنّ من الأرض ، والجمع أهضام . والأشعاف : جمع شَعَف ، وشعف : جمع شَعَفة ، وهو رأس الجبل . والعرب تفتخر بأنّها توقد النار فى الأودية والأماكن المرتفعة . قال الشاعر :

وتُوقَد باليَفَاع الليــلَ نارى تُشَبُّ إذا تحسّ لها جَنوبُ

(١) هذا البيت سقط من نسخ التبريزى .

وقال آخر :

لــه نارٌ تشبُّ بكل وادٍ إذا النِّيران أُلبست القِناعا[1]

البطليـــوسى : القِرَى : الضِّيافة . والآصال : العشايا . والأهضام : بطون الأودية ، واحدها هِضْم . والأشعاف : رءوس الجبال ، واحدتها شَعَفة ، ثم جمعها على شَعَف ، ثم جمع شعفًا على أشـعاف . وصفهم أنّهم يُوقدون النـار ببطون الأودية ؛ لأنها ممرّ النـاس ، وفي رءوس الجبال ؛ ليراها السارى بالليل على بعـد فيقصدها . وكذلك العرب كانوا يفعلون . قال الشاعر :

لـه نارٌ تشـبُّ بكلِّ وادٍ إذا النِّيران أُلبست القِناعا

وقال حِمَاس بن ثامِل :

ومستنبح بعـد الهـدُوّ دعوتُه بمشبوبةٍ فى رأس صَمْدٍ مُقابِلِ[2]

ويجوز نصب «النار» وخفضها .

الخــوارزمى : « الموقــدى » منصوب على المــدح والعناية . ومثله بيت السـقط :

* الطارحين لخَـوْض الموت لَأْمَهُمُ[3] *

---

(١) البيت من بيتين لأبى زياد الأعرابى ، رواهما أبو تمام فى الحماسة ٦٩٩ بن . وفى أ : «لها نار» وفى حـ : « لنا نار » . والصواب من ى ، وهو المطابق لما فى الحماسة وشرح البطليوسى . وبعده :

ولم يك أكثر الفتيـان مالا ولكن كان أرحبهـم ذراعا

(٢) رواية الحماسة ٧٤٠ بن :

* ومستنبح فى لج ليـل دعوته *

وفى ب : « لمشبوبة » باللام فى أوله .

(٣) البيت ٢٨ من القصيدة ٢٧ ص ٧٠٩ . وعجزه :

* سحب الأجلة فوق الضمر الشمس *

يروى «الموقدى نار القرى» بإضافة الموقدى إلى النار ، ويروى بفكّ الإضافة ونصب «نار القرى» ، وهى أطيب الروايتين . ونظيره ما أنشدوا للحارث بن ظالم المرّى :

الحافظو عورة العشيرة لا   يأتيهمُ مِنْ ورائهم نَطَفُ

ما بهم نَطَفٌ ، أى تلطّخ بالعيب والفساد . وقرئ : ﴿ المُقِيمِى الصَّلٰوةَ ﴾(1) بالنصب . أُجرى حالَ عدم الإضافة مُجرى حال الإضافة لاستوائهما فى المعنى . نزلنا فى أهضام الوادى : فى بُطونه . كذا ذكر فى أساس البلاغة . ومن لطائف أبى تمام :

حتى تعمّم صُلْعُ هاماتِ الرُّبا   مِن نَوره وتأزّر الأهضامُ

الأشعاف : جمع شَعَف ، وهو رأس الجبل ، وأصل التركيب هو العلو . يقول : إنهم يوقدون النار حولهم فى الأطراف ، لئلا يفوتهم أحد من الأضياف .

٥٢ ﴿ حمراءَ ساطعةَ الذّوائبِ فى الدُّجى   تَرْمِى بِكُلِّ شَرارةٍ كَطِرافِ ﴾

التبريزى : الطِّراف : قبّة من أَدَم . قال طَرَفة :

رأيتُ بنى غبراءَ لا يُنكِروننى   ولا أهلُ هذاكَ الطِّرافِ المُمدَّدِ

والمعنى أنّ نيرانَهم عظيمة ، فشرارها على مِقدار عِظَمها .

البطليوسى : الساطعة : المرتفعة . والذوائب : الأعالى ، واحدتها ذُؤابة . وذؤابة كل شىء : أعلاه ، ومنه قيل للنواصى ذوائب . والطِّراف : بيت من أدَم ، قال عوف بن عطيّة بن الخرِع :

لها كَفَلٌ مثلُ مَتْنِ الطِّرافِ   مَدّد فيه البُناةُ الحِتارا(2)

الخوارزمى : شبّه الشرارةَ فى العِظَم والاستدارة والحُمرة بالطِّراف ، وهو بيتٌ من أدَم . ووصف النارَ بالحمرة ، وجعل فروعَها ، وهى ألسنُ النار ، مرتفعة

(1) هى قراءة ابن أبى إسحاق والحسن وأبى عمرو . انظر تفسير أبى حيان (٦ : ٣٦٩) .
(2) حتار كل شىء : كفافه وحرفه وما استدار به . وفى الخيل لأبى عبيدة ٩١ : «ركب فيه» .

إلى الهواء، توطئةً لتشبيه الشَّرارة بالطراف. وهذا من قوله تعالى: ﴿ تَرْمِى بِشَرَرٍ كَالْقَصْرِ. كَأَنَّهُ جِمَالَاتٌ صُفْرٌ ﴾[١].

٥٣﴿ نَارُ لَهُمْ[٢] ضَرَمِيَّةٌ كَرَمِيَّةٌ تَأْرِيثُهَا إِرْثٌ عَنِ الأَسْلَافِ ﴾

التبريزى: تأريث النار: إيقادها وإلهابها؛ قال الكُمَيت:

ومِنّا لَقِيطٌ وابْنَمَاهُ وقَعْنَبٌ مُؤَرِّثُ نيرانِ المكارمِ لا المُخْبِى[٣]

وكَرَمِيّة: منسوبة إلى الكَرَم.

البطليوسى: سيأتى.

الخوارزمى: «الضَّرَمِيَّة» مع «الكَرَمِيَّة»، تجنيس المضارعة؛ وكذا «التأريث» مع «الإرث»، تجنيس أيضا.

٥٤﴿ تَسْقِيكَ والأَرْىَ الضَّرِيبَ ولَوْ عَدَتْ نَهْىَ الإِلٰهِ لَثَلَّثَتْ بِسُلَافِ ﴾

التبريزى: الضَّرِيب، من ألبان الإبل: شيءٌ يحلب بعضُه على بعض؛ قال ابن أحمر:

وما كنتُ أخشى أن تكون مَنِيَّتِى ضَرِيبَ جِلَادِ الشَّوْلِ مَحْضًا وصافيا[٤]

والأَرْى: العسل. أى تسقيك الضريب والأرى، أى اللبن والعسل، ولو جاوزت نَهْىَ الله سبحانه لسقتك السُّلَاف، وهو من الخمر أوَّلُ ما يسيل منها قبل العُصار؛ وقدّم المعطوف فى هذا البيت، كما قال يزيد بن الحَكَم الثَّقَفِى:

(١) هذه قراءة الجمهور. وقرئ أيضا ﴿جمالة﴾، و﴿جمالات﴾ بضم الجيم فى الأخيرة. انظر تفسير أبي حيان (سورة المرسلات).

(٢) فى التنوير: «نارلها ...».

(٣) ابنماه، أى ابنه. يقال: هذا ابنمك، وهذا ابنم زيد، أى ابنك وابن زيد. تزاد فيه الميم فيعرب من مكانين، يعرب كإعراب «امرئ»، ومنهم من يعربه من مكان واحد.

(٤) فى اللسان (ضرب): «محضا وصافيا». محضا، أي قارصا متغيرا. ومنيتي، أى سبب منيتى.

جمعتَ وفُحْشاً غيبــةً ونميمةً خِلالاً ثَلاثاً لستَ عنها بمُرعوِي[(١)]

وهو فى الشعر مطّرد، وأمّا فى الكلام فمكروه . وقال آخر :

ألَا يا نخلةً من ذاتِ عِرقٍ عليـكِ ورحمةُ الله السـلامُ[(٢)]

البطليـــوسى : ضَرَميّة : منسوبة الى الضَّرَم . والضرم ، يكون اضطرام النار واشتعالَها ، ويكون ما تُضْرَم به ، أى تُشْـعَل . وكَرَميــة : منسوبة الى الكَرَم . والتأريث : مصدر أرّثت النار ، إذا أوقدتها . والأسلاف : مَنْ سلف من آبائه . والأَرْى : العســل . والضَّريب : ابن حلو يُحْلَب على لبن حامض ، فيُخْلَط بعضه ببعض . وأراد أن يقول : تسقيك الضريب والأرى ، فقدّم المعطوف ضرورة ، كما قال :

* عليـكِ ورحمةُ الله السـلامُ *

فى أحد القولين[(٣)] . والسُّـلاف : ما سال من العِنب دون عَصْر ، وذلك أرقّ الخمر وأعتقُها . وقد يجعلون السُّلاف والسلافة أوّل ما يسيل منها عنــد العصر . ويدلّ على الأوّل قول الشاعر :

مِنْ عَتيقِ الكروم جاءت سُلافاً لم يطَأْها برجــله العَصّـارا

نصب «العصّار» بـ«جاءت» ، كأنه قال: جاءت العصّار سلافاً ولم يطأها برجله .

الخــوارزمى : الأرى : عمــلُ النحلِ العسلَ ، فسمّى به العســل ، كما سمّى المكسوبُ كَسْباً . واشـتقاقه من التأرّى بالمكان ، وهــو الإقامة . الضريب ، فى : « تغيرت جهدى »[(٤)] . يريد : تسقيك الضريب والأرى ، فقدّم المعطوف على المعطوف عليه ؛ قال يزيد الثقفى :

* جمعتَ وفحشًا غيبةً ونميمةً *

(١) البيت من شواهد خزانة الأدب (١ : ٤٩٥) . (٢) انظر خزانة الأدب (١ : ١٣٢، ١٩٢) .

(٣) والقول الثانى أن يكون معطوفا على الضمير المستكن فى «عليك» . انظر الخزانة .

(٤) البيت ٣٣ من القصيدة ١٩ ص ٦٤٠ .

وقال :

ألَا يا نخلةً من ذات عرقٍ عليك ورحمةُ الله السلامُ

يعنى أنكَ عند هذه النار تشرب هذين الشيئين . شَرِبَ السُّلاف والسلافةَ، وهى أفضل الخمر وأخلصها ، ما تحلَّب من غير عصر . واشتقاقها من سَلَفَ القومُ : تقدّموا، سُلوفًا . ثلَّث الشىء : صيّره ذا أركان ثلاثة . ذكره الغورى . ولقد أوهم حيث قرن النار بالخمر، أنه يريد تثليث الشراب، وهو أن يطبخ حتى يذهب ثلثاه .

٥٥ (يُمْسِى الطَّرِيدُ أَمَامَها وكَأَنَّهُ أَسَدُ الشَّرَى أَوْ طَائِرٌ بِشَرَافِ)

التبريزى : شَرَاف : موضع منيع، وهو جبل معروف . قال ابن مسعود : « ليتنى طائر بشَراف » . وشَرافِ : معدولٌ مثل قَطامِ، أو مؤنث لا ينصرف . والطريد : الذى قد طردته المخافة إليها ، أى يعزّ ويمنع، فكأنه أَسَد الشَّرَى ، أو طائر بهذا الجبل .

البطليوسى : سيأتى .

الخوارزمى : الرواية : « يُمْسِى » بالسين من الإمساء، وهو من الأفعال الناقصة . الشرى : طريق فى سَلْمَى كثير الأُسْد . وفى الحماسة :

* ببطن الشَّرَى مثل الفَنِيقِ المُسَدَّمِ[1] *

فنيق مسدَّم، أى قَطِم، ممنوع عن الضِّراب، فهو شديد الغمّ والغضب . شَرافِ، مثل قَطَامِ فيما يقال: جبل . وعن ابن مسعود أنه قال : « ليتنى طائر بشَرافِ »[2] . و « شراف » مع « الشرى » تجنيس .

---

(١) من بيت لبنت بهدل بن قرفة الطائى، كما فى الحماسة ١٠٢ — ١٠٣ بن . وصدره :

* فياضيعة الفتيان إذ يعتلونه *

(٢) فى معجم البلدان : «ماء بنجد، له ذكر كثير فى آثار الصحابة، ابن مسعود وغيره» .

٥٦ (وَإِذَا تَضَيَّفَتِ النَّعَامُ ضِيَاءَهَا   حُمِلَ الهَبِيدُ لَهَا مَعَ الأَلْطَافِ)

التبريزى : الهبيد : حَبُّ الحنظل، يُعَالَجُ حتى تذهب مرارته، فيؤكل. والمعنى أن النعامة من أجلِّ ما تطعمه الهبيد، لأنها إذا فقدت المرعى أكلت المَرْ، فإذا وجدت الهبيدَ فهو من أجلِّ ما تأكل. قال ذو الرمة :

أَلْهَاهُ آءٌ وَتَنُّومٌ وعُقْبَتُهُ   مِنْ لَائِحِ المَرْوِ والمَرْعَى لَهُ عُقَبُ[1]

البطليوسى : الطريد : المطرود. والشرى : موضع تألفه الأُسْد. وشَراف : جبل، على وزن حَذَامِ وقَطَامِ. والهبيد : ثمر الحنظل قبل أن يُدْرِك، وهو من أفضل مراعى النعام. يقال : تَهَبَّدَ النعامُ، واهتبد كذلك ؛ وكذلك الرجل، لأنه يؤكل عند الضرورة. قال الطِّرِمَّاح فى صفة ظليم :

يُمِسِى بِعَقْوَتِهَا الهِجَفُّ كَأَنَّهُ   حَبَشِىٌّ حَازِقَةٍ غَدَا يَتَهَبَّدُ[2]

وقال أيضا :

كَأَنَّهَا خَاضِبٌ غَدَا هَزِجًا   يَنْقُفُ شَرْىَ الدَّنَا وَيَخْتَضِدُهْ[3]

والألطاف : جمع لَطَف، وهو ما يُتْحَفُ به الإنسان.

الخوارزمى : النعام يأكل الجمر. وربما يلقى فى النار الحجرُ حتى يحمرّ كالجمر، ثم يُطْرَح بين النعام فى جملة ما يُطرح، فيبتلعه كما يبتلع غيره. وفى شعر أبى الطيب :

---

(١) الآء : ثمر السرح، عن ابن برى. وانظر اللسان (أوأ). والتنوم : شجرة يضرب لون ورقها إلى السواد ولها حب كحب الشهدانج أو أكبر منه قليلا ، يأكلها النعام والظباء. وعقبة الماشية المرعى : انتقالها من الحمض إلى الخلة ومن الخلة إلى الحمض.

(٢) ويروى «يمشى» مكان يمسى. والعقوة : الساحة والناحية. والهجف : الظليم الجافى الخلقة. والحازقة : الجماعة. ويتهبد ، أى يطلب الحنظل ليتخذ منه الهبيد. انظر الديوان ص ٨٨ .

(٣) كأنها ، يريد ناقته. وفى الأصل «كأنه». وما أثبتناه من الديوان ص ١١٩. والخاضب : النعام الذى أكل الربيع فاحمرت ساقاه. يختضد وينقف : يكسر. والشرى : شجر الحنظل. والدنا : أرض.

إنّمـا مُرّةُ بنُ عَوفِ بنِ سَعْدٍ جَمَــراتٌ ما يشتهيها النعـامُ

رأيتهم يأكلون الهَبيد، وهو حبّ الحنظل. وتهبّد الظليم، إذا كسر الحنظل فأكل هبيده. والهبيــد من أفضل ما يَطْعَمُه النعام[1]. الألطاف، هى الهدايا. وأهدى إليه لَطَفًا وألطافًا. قال:

* كَمَنْ لنا عنده التكريمُ واللَّطَفُ *

وأمّا ألطاف المتكلمين، وهى التى عندها يطيع المكلّف أو يكون أقرب إلى الطاعة على سبيل الاختيار، ولولاها لم يكن كذلك، بجمع لُطْف. وفى هذا البيت إغراب من حيث إنه بالنار يُصاد النعام، لأنه متى رأى النــار عراه نظــر إليها وفكر فيها وتعجّب منها، كما يحدث للصبىّ الرضيع إذا رأى المصباح[2]. فيقول: بالنار يتوسّل الناس إلى صيد النعام، وهم يتوسلون بها إلى اختصاصه بالإكرام.

٥٧ (مُفْتَنَّــةٌ فِى ظِلِّهـا وحَرُورِها تُغْنِيكَ فِى المَشْتَى وفِى المُصْطَافِ)

التــــبريزى: المشتى والمصطاف، كلّ واحد منهما يجوز أن يكون مصدرًا واسمَ زمانٍ واسمَ مكان. والمعنى أنّ هــذه النار تُدْفِئ فى الشــتاء، وفى المصطاف تكون طيبة الهواء لا حَرُور فيها.

البطليــــوسى: ســيأتى.

الخــــوارزمى: افتنّ فى الحديث وتَفَنَّن فيه. يقول: هذه النار لها فى الصيف ظلٌّ وفى الشتاء حَرُورٌ.

٥٨ (زَهْرَاءَ يَحْلُمُ فِى العَوَاصِفِ جَمْرُهَا وتَقَــرُّ إلّا هِــزَّةَ الأعْطَافِ)

(١) هذه عبارة . ب، هبد).

(٢) انظر الحيوان (٤: ٣٤٩/٥: ١١٩).

التبريزى : أى جمرها عظيم ، والريح إذا عصفت لم تحتمله لثقله . وأعطافها : نواحى لهبها . و إذا هبّت الريح هزّت أعطاف اللهب .

البطليوسى : مفتنّة : ذات فنون من المنفعة ؛ لأنها تقوم لقاصدها مقام الظل والحرور ، وهما متضادّان ، وليست كذلك النار . والمشتى : زمنُ الشتاء . والمصطاف : زمن الصيف . والزهراء : المُنيرة المُشْرِقة . ويحلُمُ : يقرّ ولا يطير . والعواصف : الرياح الشديدة الهبوب . والهِزّة : الحركة . والأعطاف : النواحى . يقول : جمرها عظيم لأنه من الحطب الجَزْل ، فالريح العاصف لا تقدر أن تُطيره . وأقصى تأثيرها فيه أن تهزّه . وسمّى ثُبوت الجمر حلمًا مجازًا واستعارة ؛ لأن الحِلْم إنما هو تُرك الطيش والخِفّة فى الأمور .

الخوارزمى : الضمير فى «تقرّ» إما للزهراء ، يقول : هذه النار و إن لجّت عليها العواصف هبوبًا لم تَقْلَق إلا حركة تليق بالكرم ، كالهِزّة للجُود تبدو على أطرافها وأعطافها . وفى عراقيّات الأبيوَرْدىّ :

تراءتْ له من مُنْحَنَى الرملِ جذوةٌ ... تَمَايَلُ سَكْرَى بين صَالٍ ومُوقِدِ

و إمّا للجمر ، ونحوه قول أبى الخطّاب الجبلى يصف ليلةَ السَّذَق (١) :

* والجمــرُ يُرْعَدُ فيها من تَوَقُّدِهِ *

٥٩ (سَطَعَتْ فَمَا يَسْطِيعُ إطْفَاءَ لَهَا ... زُحَلٌ ونُورُ الحَقِّ لَيْسَ بِطَافِ)

التبريزى : إنما خصّ زحل لأنه باردٌ يابس . وطاف ، يريد طافئ ؛ يقال : طَفِئ السراج وغيرُه يَطْفَأ فهو طافئ ، نخفف . يعنى أن زُحَل لا يستطيع إطفاء هذه النار إذا جاء بالبرد والقُرّ .

(١) السذق ، آخره قاف ، معرب سذه الفارسية ، ومعناه ليلة الوقود ، وهو عيد من أعياد الفرس ، انظر الألفاظ الفارسية لأدى شير ٨٧ .

البطليوسى : سيأتى .

الخوارزمى : «يسطيع» فى «غير مجد»[1] . طبيعة زحل مثل طبيعة التراب باردة يابسة . وفى الدّرْعيات :

أُجيدت بِمَرِّيخيَّة النار فاغتدَى لها زُحَلٌ فى الغرائزِ قارس[2]

ومن أشدّ الأشياء إطفاءً للنار هو التراب . و «سطعت» مع «يسطيع» تجنيس

٦٠ (تَصِلُ الوُقُودَ ولا خُمُودَ ولو جَرَى بِاليَمِّ صَوْبُ الوابِلِ الغَرّافِ)

التبريزى : اليمّ : البحر . والغزاف، من صفات المطر .

البطليوسى : إنما نفى عن زُحَل إطفاءَ هذه النار لأن زُحَل يوصف بالبرد واليُبس . والوقود، بضم الواو : مصدر وَقَدَتِ النارُ . والوقود، بفتح الواو، يكون مصدراً أيضا، ويكون الحطبَ الذى توقد به . واليم : البحر . والصوب : نزول المطر . والوابل : أعظم المطر . ومن روى « العزاف » بالعين غير معجمة والزاء معجمة، فهو الذى له عزيف، وهو الصوت. ومن روى «الغراف» بالغين معجمة والراء غير معجمة، فهو الشديد الغرف؛ لأنهم يزعمون أن السحاب تغرف الماء من البحر . ويروى قول الراجز على وجهين :

* لا تسقِهِ صَيِّبَ عَزّافٍ جُؤَرْ[3] *

الخوارزمى : الوابل العزّاف، كان الأستاذ البارع — جزاه الله عنى خيراً — قد أسمعنيه بالغين المعجمة والراء المهملة، وهذا تصحيف؛ لأن الوابل لا يوصف بالغرف، إنما الذى به يوصف النهر والغمام . و إنما هو العزاف، بالعين المهملة والزاى المعجمة . قال الغورى : هو الغيث الكثير الصوت .

---

(١) البيت ٧ من القصيدة ٤٣ ص ٩٧٥ . (٢) البيت ٥ من القصيدة ٩٧ .

(٣) البيت لجندل بن المثنى . وجؤر : مصوت . وقبله كما فى اللسان (عزف، جأر) .

* يارب رب المسلمين بالسور *

٦١ (شُبَّتْ بِعَالِيَةِ العِرَاقِ وَنُورُهَا يَغْشَى مَنَازِلَ نَائِلٍ وإِسَافِ)

التبريزى : نائل وإساف : صنمان كانا فى الكعبة قبل الإسلام . وكذلك قال أبو طالب بن عبد المطلب :

* ومُلْقَى الرِّحالِ من إِسَافٍ ونائلِ (١) *

وكانوا يدّعون أن إِسافًا رجلٌ ، ونائلةَ (٢) امرأة ، فزَنَيا بها فمُسِخا صنمين .

البطليوسى : سيأتى :

الخوارزمى : عالية العراق ، كعالية نجد . إساف ونائلة : صنمان وضعهما عمرو بن لُحَىٍّ على الصَّفَا والمروة تُجاه الكعبة ، وكان يُذْبَح عليهما . ويقال : هو إساف بن عمرو ، ونائلة بنت سَهْل من جُرْهُم ، بخَرا فى الكعبة فمُسِخا حَجَرين ، ثم عبدتهما قريش . يقول : هذه النار تُوقد بالعراق وعلى عِراص مكة ذيول ضوئها تنسحب .

٦٢ (وَقُدُورُهُمْ مِثْلُ الهِضَابِ رَوَاكِدًا وَجِفَانُهُمْ كَرَحِيبَةِ الأَفْيَافِ)

التبريزى : الهضاب : الجبال . والرحيبة : الواسعة . والأفياف : جمع فَيْف ، وهى البَرِّيّة الواسعة . والرواكد : الثوابت . قال الأَفْوَه :

وقُدُورٌ كالرُّبا رَاكِدَةٌ وجِفَانٌ كالجَوَابِى مُتْرَعَهْ (٣)

---

(١) صدره كما فى معجم البلدان فى رسم (إساف) :

* وحيث يُنيخ الأشعرون ركابهم *

وفيه مكان « وملق الرحال » : « بمفضى السيول » .

(٢) حذف أبو العلاء التاء من « نائلة » كما حذفها أبو طالب ، للشعر .

(٣) فى ديوان الأفوه ٨ — ٩ مخطوطة الشنقيطى أبيات أربعة على هذا الروى . وآخرها :

ثم فينا للقِرى نار يُرى عندها للضيف رحب وسعه

البطليـوسى : شُبَّتْ : أوقـدت . وعالية العراق : أعلاه . وقوله « منازل نائل و إساف » ، أراد منـازلَ مكّة . ونائل و إساف : صَنَمَان كانا على الصـفا والمروة . وكانوا يزعمون أن إسافًا كان رجلاً ، وكانت نائلةُ امرأة ، زَنَيا فى الكعبة فمسخهما الله حجرين . والرواكد : الثوابت التى لا تَبرح . والرحيبة : الواسعة . والأثياف : القفار ، واحده ثَيْف . وكانت العرب تفتخر بعظـم القدور وعِظَم الجفان ، ويذمّون بصغرهما . ولذلك قال الأفْوه الأودىّ :

وقُـدُورٌ كالرُّبَا رَاكِدةٌ   وجِفـانٌ كالجَوَابِى مُترعَـهْ

وقال ابن بسّام :

خَبيصة تُصْنَعُ من سُكَّرَهْ   ودعوة تُطْبَخ من قُبَّرَهْ
عند فتًى أكرَمَ من حاتمٍ   يطبخ قِدْرَيْنِ على مجْمَرِه
وليس ذا فى كل دَعْواته   لكنه فى الدعوة المُنْكَرَه

وقال أيضـا :

قِدْرَا ابنِ وَهْبٍ قِشْرَتَا تُرْمُسَهْ   وصَـفْحتاهُ قِشرتا عَدَسَـه

الخـوارزمى : الأثياف : جمع ثَيْف ، وهى البَرِّيَّة الواسعة . ومعنى البيت من قول الأفْوَه :

وقُـدورٌ كالربا راكـدةٌ   وجفـانٌ كالجوابى مترعَـهْ

وقوله تعالى : ﴿ وقُدُورٍ رَاسِيَاتٍ ﴾ ؛ لأنّ الرُّسُوَّ من أوصاف الجبَل .

٦٣﴿ مِنْ كُلِّ جَانِشَةِ العَشِىِّ مُفِيئَةٍ   بِالْمَيْرِ خَيْرِ مَرَافِدٍ وَصِحَـافِ ﴾

التـبريزى : جانشـة العشىّ : قدرٌ تجيش بالغليان عند العشىّ ؛ لأنه وقت طروق الأضياف . ولذلك قالت الخنساء :

يذكّرنى طلوعُ الشمس صخرًا   وأذكرهُ لكلِّ غُروبِ شمْسِ

أى أذكره عند طلوع الشمس لأنه وقت الغارة ، وأذكره عند غروب الشمس لأنه وقت نزول الأضياف . ومُفيئة ، من فاءَ أى رَجَع . أى هذه القِدْر تَرُدّ بالمَيْر، أى الميرة، خيرَ مَرافد . والمِرْفَد : إناء يُحلَب فيه ويُقرَى .

البطليوسى : الجائشة : التى تفور عند الغَلَيان. يقال: جاشت القِدْر تجيش. وخصَّ العشىّ، لأنه وقت نزول الأضياف . ولذلك قالت الخنساء :

يذكّرنى طلوعُ الشمس صخرًا وأذكره لكلّ غروب شمس

ومُفيئة ، من قولهم : فاء، إذا رَجَع، وأفأته أنا، إذا رددْتَه . وأراد ما يُمْتار منها من الطعام . ومرافد : جمع مِرْفَد ، وهو إناء واسعٌ يُقْرَى فيه الضيف . أراد أن المرافد والصِّحاف تُساق إليها فارغةً فتردّها مملوءة ، كما يجىء الرجل يمتار ، فيُرَدُّ بما أَحبّ من المَيْر .

الخوارزمى : خص الغَلَيان بالعشىّ لأنها وقت طروق الأضياف . قالت الخنساء :

يذكّرنى طلوعُ الشمس صخرًا وأذكره لكلّ غروب شمس

الباء فى قوله « بالمير » للملابسة ، وهو فى محل النصب على الحال من « خيرَ مرافد » . و « خيرَ مرافد » منصوب على أنه مفعول « مفيئة » . ملأ رَفْده ومِرْفَده ، وهو قدح ضخم . وناقة رَفُود : تملؤه فى حَلْبة .

٦٤ (دَهْماءَ راكِبَةً ثلاثةَ أَجْبُلٍ عِظَمًا وإن حُسِبَتْ ثلاثَ أَثافِ)

التبريزى : دهماء : قِدْر سوداء . وثلاثة أَجْبُل، يريد بها الأثافى .

البطليوسى : الدهماء : السوداء من كثرة الطبخ . والأثافى : حجارةُ القِدْر ، شبّهها فى عِظَمها بالأَجْبُل . ولا تعظُم الأثافى إلا إذا عظُمت القِدْر .

الخوارزمى : عنى بدهماء قدراً، وهى من صفة «جائشة العشى» .

٦٥ (يا مالكى سرح القريض أتتكما منّى حمولة مسنتين عجاف)

التبريزى : المسنت: الذى أصابته السّنة، أى القحط. والعجاف: المهازيل. وأصل السّرح : المال الراعى، واستعير هاهنا للقريض . والحمولة : ما يحتمل عليه القوم من الإبل . قال الراعى :

أخذوا حمولته وأصبح قاعداً لا يستطيع عن الديار حويلاً

والمراد أن هذه المرثية كأنها حمولة قوم مجدبين ، وكأن هذا اعتذار من التقصير .

البطليوسى : سيأتى .

الخوارزمى : السّرح، فى «أشفقت من عبء البقاء»[(١)] . عجاف: جمع أعجف وعجفاء ؛ ونظيرها بطاح فى جمع أبطح وبطحاء .

٦٦ (لا تعرف الورق اللجين وإن تُسل تخبر عن القلّام والخذراف)

التبريزى : أى هذه القصيدة عربية ، وهى فى البادية تعرف الحمض ، والقلّام والخذراف من الحمض ، ولا تعرف الورق اللجين لأنه من علف أهل الأمصار . واللجين : ورق الشجر يخلط بالنوى المرضوض ويلجن بعضه ببعض. قال العبدى[(٢)] :

كساها تامكاً قرداً عليها سوادى الرضيخ مع اللجين[(٣)]

(١) البيت ١٦ من القصيدة ٢٨ صفحة ٧٢٤

(٢) هو المثقب العبدى . وقصيدة البيت فى المفضليات (٢ : ٨٨ — ٩٢) وديوانه مخطوطة دار الكتب رقم ٥٦٥ أدب .

(٣) التامك : السنام أو هو السنام المرتفع . والقرد : المتلبد بعضه على بعض .

البطليوسى : السَّرْح : المال الذى يَسْرَح فى المرعى ، وهو جمع سارح على قياس قول الأخفش، واسمٌ للجمع على قياس قول سيبويه . والقريض : الشعر . والحمولة : الإبل التى تُطيق الحمل . ومُسْنتين : أصابتهم السَّنة وهى القحط ؛ يقال : أسنتَ الرجل فهو مُسْنِتٌ . والعجاف : المهازيل . والجَّبين : ورق يُدَقّ ويُبَلّ بماء وتُعْلَفه الإبل . قال المُثَقِّب العبدىّ :

كساها تامكًا قَـرِدًا عليها   سَوادىّ الرضيخ مع اللَّجِينِ

وهو من علوفة أهل الأمصار . والقُلّام والحَذْراف : نبتان ، وهما من علوفة أهل البوادى . أى هـذه القصيدة عربية وليست كشعر المولَّدين من أهـل الحضر . فشبَّهها بحمولة تأكل القُلّام والحذراف اللذين منبتهما فى البوادى، ولا تأكل اللجين الذى هو من علف أهل الأمصار . وشبَّهها بحمولة قوم مُجْـدِبين اعتذارًا لنفسه من تقصيره فيما كان يجب عليه . وجعل المرثية كالحمولة لِمـا حملته من الثناء على المرثىّ وبنيــه .

الخــوارزمى : الورق اللجين، هو المدقوق المخلوط بالنوى المرضوض، وهو من علف أهل الأمصار . كذا ذكره بعض أئمة الأدب . واشتقاقه فى «لعل نواها»[1] . القُلّام، فى « أحسن بالواجد »[2] . قال الغورى : الحَذْراف : ضربٌ من الحَمْض . يقول : هذه القصيدة غير بليغة إلا أنها بدويّة .

٦٧ ﴿وأَنَا الّذِى أُهْـدِى أَقَلَّ بَهارَةٍ   حُسْنًا لأَحْسَنِ رَوْضَةٍ مِئْنَافِ﴾

التبـريزى : المئناف : الروضة المستأنفة . ويقال : روضة أُنُفٌ، إذا لم تُرْعَ قبلُ .

(١) البيت العاشر من القصيدة ٤٠ ص ٨٩٥ .

(٢) البيت الخامس من القصيدة ٤٤ ص ١٠٠٨ .

البطليوسى : سيأتى .

الخوارزمى : البهارة ، فى « تحيرت جهدى »[1] . عنى بروضة مئناف، روضة أُنُفًا . ولم أسمعه بهذا المعنى إلا هاهنا . وأبو العلاء قدوةٌ مأمون .

٦٨ (أَوْضَعْتُ فِى طُرُقِ التَّشَرُّفِ سَامِيًا ... بِكُمَا وَلَمْ أَسْلُكْ طَرِيقَ العَافِى)

التبريزى : العافى : الطالب ؛ يقال : عفاه واعتفاه ، إذا جاءه يطلب خيره .

البطليوسى : الروضة المئناف والأُنُف : الكاملة الحسن والنبات ، التى لم ينتقص منها شىء . شبّه قلة ما مدحهما به فى شَرَفهما القديم، ببهارة أهداها مُهْدٍ إلى روضة . ومعنى أوضعتُ: أسرعت . والسامى : المستشرف . والعافى : السائل . يقول : لم يكن مدحى الذى أهديته إليكما تعرضًا لعطائكما وفضلكما، وإنما كان غرضى قضاء حقّكما والتشرّف بكما .

الخوارزمى : أوضعت، فى « لاوضع للرحل »[2] .

(١) البيت السابع عشر من القصيدة ١٩ ص ٦٣١ .

(٢) مطلع القصيدة الحادية والثلاثين ص ٧٤١ .

[القصيدة الحادية والستون]

وقال يهنئ القاضى التنوخىّ بمولود[(١)] :

١ (مَتَى نَزَلَ السِّمَاكُ فَحَلَّ مَهْدًا تُغَـذِّيهِ بِـدِرَّتِهَا الثُّـدِىُّ)

التـبريزى[(٢)] : من الوافر الأوّل والقافية متواتر. هذا هناء بمولود . يقول لأبيه : متى نزل السماك من النجوم فحلّ فى مهد ؟ أى ولدُك هـذا كأنه كوكب . ويجوز ضم الثاء فى « ثدىّ » وكسرها، وكذلك ما جرى مجراها مثل : الدِّلِىّ والعِصِىّ .

البطليـوسى : سـيأتى .

الخـوارزمى : سمعت بعض إخوانى من الأفاضل يقول معترضا على هـذا البيت : إنّ الوجه الحسن أبدًا يشبَّه بالشمس أو بالبدر ، فهل رأيت أحدًا شبّهه بالسِّماك ؟ فقلت : شـبّه الصبىَّ فى لمعان وجهه وجلال قـدره بالسماك ، ونحـوُه ما أنشده شيخنا جار الله لخارجة مدّاح آل الزبير :

كأنَّ على عِرْنِينِـه وجبينِـه شُعاعَيْنِ لاحا من سِمَاكٍ وفَرْقَدِ

وخصّ السماك هاهنا لأنه من السُّمُوك ، وهو الارتفاع ، فكانَ نزوله أغرب ؛ ولأنه يريد الأعزل ، وهو كوكب أزهر من منازل القمر ، له نَوْء . قال عدىّ ابن الرِّقاع :

وشَرِبْنَ كلَّ بقيّـةٍ صادفنَهـا فى الأرض من مطر السِّماك الأعزلِ

---

(١) فى البطليوسى : «حرف الياء . قال أبو العلاء ببغداد يهنئ أبا القاسم ابن القاضى التنوخى بمولود» . وفى الخوارزمى : « وقال فى الوافر الأوّل والقافية من المتواتر يهنئ أبا القاسم ابن القـاضى التنوخى بمولود جاءه » .

(٢) فى الأصل : « قيل » .

وتغـذية الثدىّ إياه بالدِّرة، مع أنه يَدُرّ ويُغَـذِّى ولا يغذَّى، إغراب؛ فكان الإنكار أُوقع موقعه .

٢ (أَهَـلَّ بِصَوْتِهِ فَأَهَـلَّ شُكْرًا ... بِهِ الأَقْوَامُ فافْتَخَرَ النَّدِىُّ)

التبريزى : أهلّ الصبى، إذا صاح أو بكى عند الولادة . وكلّ رافع صوته مُهِـلٌّ . وأصل ذلك أنهم كانوا إذا نظروا إلى الهلال رفعوا أصواتهم . قال ابن أحمر :

يُهِـلُّ بالفرقَـدِ رُكبانُها ... كما يُهِلُّ الراكبُ المعتَمِرْ (1)

ونادِى القوم ونَدِيّهم : الموضع الذى يجلسون فيه . ويقال للقوم نَدِىّ؛ لأنهم يجلسون فى ذلك المكان .

البطليوسى : سيأتى .

الخوارزمى : أهلّ الصبىّ واستهلّ: رفع صوته بالبكاء . وأهلّ بذكر الله .

٣ (بِيَوْمِ قُدُومِهِ وَجَبَتْ عَلَيْنَا الـ ... نُّذُورُ وَسِيقَ لِلْبَيْتِ الهَدِىُّ)

التبريزى : الهَدِىُّ : ما يُهْدَى إلى البيت .

البطليوسى : أراد السماك الرامح، وأراد أن يبشره بأنه يكون فارسا، فحذف الصفة وهو يريدها . وقد ذكرنا هذا مراراً فيما تقدم . والدِّرّة : ما يَدُرّ من اللبن . والثدىّ : جمع ثَدْى، ووزنها فُعول على مثال فُلوس . وأصلها ثُدُوىٌ، قلبت الواو ياءً وأُدغمت فى الياء، وكُسرت الدال من أجل الياء . والإهلال والاستهلال : رفع الصوت .

(١) بالفرقد، أى برؤية الفرقد، وهو كوكب، لأنهم كانوا يهتدون به . وقيل إن الفرقد فى البيت ولد البقرة الوحشية، فاذا رأوه علموا أنهم قد قربوا من المياه . وفى الأصل : « بالقدفد » تصحيف، صوابه فى اللسان (عمر) .

والندىّ : المجلس، أراد أهل الندى، فحذف المضاف وأقام المضاف إليه مقامه. والهَدِىّ والهَدْى : ما يُهْدَى إلى البيت .

الخوارزمى : الهَدِىّ والهَدْى : ما يهدى إلى الكعبة . وهو من ثلاثة أنواع: الإبل والبقر والغنم، وأمّا البُدْن فمن الإبل والبقر عندنا، وعند الشافعى رحمه الله من الإبل خاصة .

٤ (كَنِىَّ مُحَمَّـــدٍ نَسَبِى مُفِيدِى وِدَادَكَ والهَـوَى أمْرٌ بَدِىّ)

التبريزى : أى يا كَنِىّ محمد، يعنى أبا القاسم التنوخىّ . يقول : نسبى أفادنى ودادَك . والبدِىّ : العجب .

البطليوسى : قال هذا لأنه كان يكنى أبا القاسم كنية النبى صلى الله عليه وسلم . ونصبه على معنى النداء . وقال : « نسبى مفيدى ودادك » لأنهما جميعا من تَنُوخ . والبَدِىّ : العجيب . قال الشاعر :

* عَمْرَكِ اللهَ هل رأيتِ بَدِيّا (١) *

وكَنِىّ : بمعنى مَكْنِىّ . ويجوز أن يكون بمعنى مكتنٍ؛ لأنه يقال كَنَيْتُ الرجلَ وكَنَوْتُه .

الخوارزمى : عنى بكَنِىّ محمد الوالدَ دون الولد ، وهو أبو القاسم علىّ بن المُحَسِّن بن أبى الحسن علىّ بن محمد بن أبى الفهم داود بن إبراهيم بن تميم بن جابر القاضى التنوخى . وُلد بالبصرة بالنصف من شعبان سنة خمس وستين وثلاثمائة ، وتقلّد قضاء عدّة نواح ، وقرأ على أبى العلاء المعرّى ديوان شعره . وهو متحفّظ

(١) صدره كما فى اللسان (بدا) :

* عجبت جارتى لشيب علانى *

فى الشهادة ، محتاط فى الحديث . مات ليلة الاثنين من المحرّم سنة سبع وأربعين وأربعمائة . إنما قال «نسبى مفيدى ودادك» لأنه كان بين أبى العلاء وبين القاضى التنوخى قرابة؛ وذلك أن تيم اللّات بن أسد بن وَبْرة بن قُضاعة ، كان من أجداد أبى العلاء، والقاضى التنوخى أيضا . فى أساس البلاغة : «أمرٌ بَدِىءٌ : عجيب» . وأبو العلاء ليّن الهمزة فيه .

٥ (وسِرُّ المَجْدِ مَوْلُودٌ كَرِيمٌ أَبَانَ وُفُودَهُ خَبَرٌ جَلِيُّ)

التبريزى : خبرٌ جلىّ ، أى ظاهر منكشف .

البطليوسى : سياق .

الخوارزمى : يريد أنه تواتر عندنا الخبر بولادته .

٦ (عُلُوٌّ زائدٌ بِأَبِى عَلِيٍّ أَتَاكَ بِفَضْلِهِ اللهُ العَلِيُّ)

التبريزى : ... ...

البطليوسى : المجد : الشرف الكثير . وسِرُّ كل شىء أخلصُه وأفضله . وأبان : أظهر وبيّن . ووفوده : قدومه ووروده . والجلىّ : البين الواضح . وقد ذكرنا فيما تقدّم أن الكرم يستعمل بمعنى الفضل والشرف، وإن لم يكن هناك جود.

الخوارزمى : أبو علىّ، هو الولد. و « العلىّ » مع « أبى على » تجنيس .

٧ (بَنُو الفَهْمِ الَّذِينَ بَنَى عُلَاهُمْ أَبُو الفَهْمِ الهُمَامُ الهِبْرِزِىُّ)

التبريزى : أبو الفهم القاضى التنوخىّ، الذى له ديوان شعْر فيه مقصورةٌ أوّلها :

لولا التناهى لم أُطِعْ نَهْىَ النُّهَى أىَّ مَدًى يبلُغ مَنْ جاز المَدَى

البطليوسى : سيأتى .

الخوارزمى : بنو الفهم، مرفوع بالابتداء، وخبره فى البيت الثانى . الفهم المذكور فى صدر البيت : واحد الأفهام . وأمّا أبو الفهم ، فهو داود بن إبراهيم، وقد مرّ آنفًا . وأبو الفهم ليس بصاحب المقصورة التى أوّلها :

* لولا التناهى لم أُطِعْ نَهْىَ النهى *

كما ظنّه صاحبا الإيضاح والتنوير ، بل صاحبها أبو الحسن علىّ بن محمد بن داود أبى الفهم القاضى التنوخى .وهذه ليست بأوّل مسألة لم يُصب فيها هذان الإمامان. وكان أبو الحسن القاضى التنوخىّ فقيهًا حنفيًّا ، عارفا بالكلام فى الأصول على مذهب العدل والتوحيد ، واقفًا على النجوم وأحكامها وقوفا تامًّا، شاعرا مُجيدا، واصفا فى شعره الكواكب ، لطيفَ الطبع . فمن لطائفه :

أنصون ماءَ العين من بعد امرئ ... قد صان منّا فى الوُجوه الماءَ
يا قبرَه لم تحوِ جسمًا ميّتًا ... لكن حويتَ مكارمًا أحياء

الهبرزىّ ، فى « نقمت الرضا »(١). و « بنو » مع « بنَى » تجنيس ، ومع « الأب » إيهام .

٨ ﴿ كأنَّ ضُيوفَهُمْ والنّارُ تُذْكَى ... لَهُمْ بِتَوَقُّدِ الشِّعْرَى صُلِىٌّ ﴾

التبريزى : الشعرى : إحدى الشِّعْرَيَيْن ، وهى العَبور، وهى أكثرهما نورا ، فإذا طلعت بالليل اشتدّ الحر . والمراد أن نارهم شريفة ، فكأنّ الذين يصطلونها حول الشِّعْرَى العَبور لشرفها . وصُلِىّ : جمع صالٍ .

البطليوسى : الهُمَام : الذى يفعل ما يُهَمّ به . والهِبْرِزىّ : الخالص النسب الذى لا شوب فيه . يقال دينار هِبرِزىّ، إذا لم يكن فيه نحاس . قال الشاعر :

(١) البيت ١٦ من القصيدة ٤١ ص ٩١٦ .

فما هِبْرِزِىٌّ من دنانيرِ أَيْـلةٍ   بأيدى الوُشاة ناصعٌ يتأكَّلُ (١)

وتذكى : تشعل وتوقد . وأراد الشعرَى العبور دون الغُمَيْصاء ؛ لأنها أكثر نورا ، وهى تطلع فى أشـدّ الحر . والمعنى أن نارهم شريفة عظيمة ، فكأنّ الذين يصطلونها إنما يصطلون بالشِّعْرى، لشرفها وعِظَمها .

الخـــوارزمى : هـذا البيت خبرُ المبتدأ السابق . إذا ذُكرت الشعرَى بالحمرة والضوء ، أو شبِّهت بالنار ، فهى العبور ؛ لأنها أشهر من الغميصاء ، وأبْيَن لعين الناظر.وخصها أبو العلاء لأنها إذا طلعت اشتدّ الحر.وفى شعر أبى بكر الخوارزمى:

وماءٍ مثـــل هَجْرِكِ مستعارٌ   له من حَــرِّ أحشائى وَقُــودُ

وَرَدْناه وقــد سبقت إليـــه   وفودَ الركب للشـعرَى وفودُ

وقال الشَّنْفَرى :

ويومٍ من الشِّعْرَى يذوب لُعابُه   أفاعيــه فى رَمْضائه تتململُ

الصَّلِىّ ، إن جعلته مصدرَ صَلِىَ بالنار إذا اصطلى بهـا ، كان مرتفعاً بالابتداء و«لهم» خبره، والجملة فى محل الرفع على أنها خبر « كان». و إن جعلته جمع صالٍ كان ارتفاعه بأنه خبر « كأن» ، واللام فى «لهم» حينئذ تتعلق بـ«تُذْكَى» .

٩ (سَمَوْا فِى الجَـاهِلِيَّةِ بِالْمَعَـالِى   وَزادُوا بَعْــدَ مَا بُعِثَ النَّبِىُّ)

التـــبريزى : ... ...

البطليـــوسى : ... ...

الخـــوارزمى : مَن طالع أشعار القاضى التنوخى الكبير ، يجد ما أجمله أبو العلاء من مناقبهم فى الجاهلية والإسلام مفصّلا ، ولا سيما القصيدة التى مستهلّها :

* حرامٌ على تلك الرُّبا والملاعب *

---

(١) سبق الاستشهاد بهـذا البيت فى ٥٢٠ ، ٩١٦ ، ٩١٧ . وهو لأحيحة بن الجـلاح ، كما فى معجم البلدان (رسم أيلة) .

فإنه يقول فيها :

أنا ابنُ ملوكِ الناسِ من آلِ يَعْرُبٍ ... وفَهْمٍ وعَمِّى الغَوْ من آل رَاسِبِ
لقــد جمع الله السماحةَ والنَّــدَى ... لِفَهْمِ بن تيم اللات أهلِ المناقب
ونحن وُلاة البيت والركنِ والصفا ... إلى زمزمٍ فالمَشْعَرَيْنِ فَخاشب (١)
نصرنا رسولَ الله واللهَ والهُــدَى ... فأضحى بنا الإسلامُ سامى المراتب

١٠ (فَعَاشَ مُحَمَّدُ عُمْــرَ الــثُّرَيَّا ... وَإِنَّ ثَرَى الْكِرَامِ بِهِ ثَرِيٌّ)

التــبريزى : ... ...

البطليــوسى : الثَّرَى : التراب النَّدِى؛ يقال: ثَرِيَتِ الأرضُ ثَرًى وأثرت، وذلك أن يصل نَدَى المطرِ إلى نَدَى باطنها ؛ ولذلك يقولون : « التقى الثَّرَيانِ » . وقوله « ثَرِيٌّ » ، يجوز أن يكون من الثَّرَى الذى يراد به النَّدَى ، ويجوز أن يريد أنه كثير ، من الثَّرْوة ؛ والأول هو الوجه . والعرب تستعمل هــذا على معنيين : أحدهما الخِصْب ورَفَاهية العيش؛ يقال: فلان رَطْبُ الثَّرَى، وضدّه يابس الثرى؛ كما قال الشاعر :

يعقوبُ لا تَبْعَــدْ وجُنِّبْتَ الرَّدَى ... فَلَنَبْكِيَنَّ زمانَك الرَّطْبَ الــثَّرَى

والمعنى الثانى الصــلة واجتماع الشمل ؛ وذلك أن التراب إذا كان رطباً التأم واتّصل بعضه ببعض ، وإذا كان يابسًا تناثر ولم يلتئم . فضرب ذلك مثلا للصلة والقطيعة . فلذلك قالوا فى المثل : « لا تُوبِس الثَّرَى بينى وبينك » . وفى ذلك يقول جرير :

فلا تويِسوا بينى وبينكم الــثرى ... فإنّ الذى بينى وبينكم مُثْرِى

(١) لم نجد له ذكرا فيما لدينا من كتب البلدان .

الخوارزمى : محمد، هو الولد . نوء الثريا غزير محمود مذكور ، وهو خمس ليالٍ، وقيل بل سبع ، وهى خير نجوم الوَسْمِىّ ، فيها إذا جادتهم خَلَفٌ مما قبلها ، ولا خَلَفَ منها . قال ذو الرمة :

ولا زال من نَوْء السِّماك عليكما ونَوْءِ الثريا مُثْجِمٌ مُتَبَطِّحُ (١)

يقول : سوف يفعل محمد بثَرَى الكرام ، مثل فعل الثريّا بثرى الأرض ، فعمَر مثلَ عُمْرها . و« الثريّا » مع « الثرى » تجنيس .

١١ (وبَلَّغَ فيهِ والِدَهُ أُمُورًا عَدُوُّهُمَا بِهَا شَرِقٌ رَدِىٌّ) (٢)

التبريزى : ردىّ، فى معنى مُرْدِىّ ، من رديته بالصخرة، إذا رميته بها . وهو فَعِيلٌ فى معنى مفعول ، وليس هو من قولهم : رَدِىَ ، إذا هلك؛ لأن ذلك لا يجوز تشديده .

البطليوسى : سيأتى .

الخوارزمى : شَرِقٌ ، أى مشرف على الهلاك ، مستعار من شَرِقَ بريقه ؛ ومنه شَرِقت الشمس: ضعف ضوءها عند المغيب . ذكره الغورى . وفى الحديث: «نهى عن شَرَق الموتى» . رذِىّ ، كان الأستاذ البارع — جزاه الله عنى خيرا — قد أسمعنيه بالدال المهملة ، وهى «ردىّ» ، والصواب هو الذال المعجمة . قال الغورى: الرذىّ : الثقيل من الوجع الشديد المرض . وقوله « شَرِقٌ رذِىّ » ناظر فى قوله: « فإنّ ثرى الكرام به ثَرِىّ » ، وكون محمد بمنزلة الثريا .

١٢ (هَنَاءٌ مِن غَرِيبٍ أو قَرِيبٍ كِلَا وَصْفَيْهِ حَقٌّ لا فَرِىٌّ)

(١) ديوان ذى الرمة ص ٧٧ برواية : « وابل متبطح » .

(٢) الخوارزمى : «رذى» .

التبريزى : الفَرِىّ : المفترَى أى المكذوب . وقوله « من غريب أو قريب »، لأنه غريب فى بلده، وهو قريب فى نسبه .

البطليوسى : الشَّرِق : المختنق . والشَّرَق بالماء، والغَصَص بالطعام، والجأز والجَرَض بالريق . وربما استعير بعضها مكان بعض . وردىّ : مرمىّ، من قولك رديته بالحجر، إذا رميته . ويقال للحجر الذى يُرْمَى به المِرْدَى والمِرْداة . ومنه قيل : « فلان مِرْدَى حُروب »، أى تُرْمَى به الحروب . والهَنَاء : مصدر هنأه الشيءُ والأمر هناء، إذا سرّه . والفَرِىّ : المكذوب . والضمير فى قوله «وصفيه» يعود على « الهناء » . أراد أنه مهنأ بطلوع المولود وسلامة أُمه ؛ فلذلك جعل له وصفين . ويجوز النصب فى هناء، على معنى اهنأْ هناء، والرفع على معنى لك هناء، وهذا لك هناء .

الخوارزمى : الفَرِىّ، هو القبيح، من الافتراء . نقله الغورى . يقول : هذه تهنئة ممن يصدق عليه أحد الوصفين، أعنى الغريب والقريب . ومن يصدق عليه أحدهما حقيق بأن يُقْبَل منه ، وإن حُقِرت التهنئة، فكيف من يصدُق عليه كلاهما . ويحتمل أن يريد بـ «أو» معنى الواو، لأن منهم من يرى ذلك، ويحتج بنحو قوله تعالى : ﴿ أنْ تأكُلُوا مِنْ بُيُوتِكُمْ أو بُيُوتِ آبائِكُمْ أو بُيُوتِ أُمَّهاتِكُمْ ﴾ وكذلك قوله تعالى : ﴿ وإنَّا أوإيَّاكُمْ لَعَلى هُدًى أو فى ضَلالٍ مُبِينٍ ﴾ . معناه إنا لضالّون أو مهتدون، وإنكم كذلك أيضا ؛ لأن الكون على أحد وصفى الهدى والضلال من غير تعيين أمر لا يختص بأحد الفريقين ، وإن لم يكن مذهبا . و« الغريب » مع « القريب » تجنيس .

١٣ ﴿ وَلَوْلا ما تُكَلِّفُنَا اللَّيَالِى لَطَالَ القَوْلُ واتَّصَلَ الرَّوِىُّ ﴾

التبريزى : ... ...

البطليوسى : سيأتى .

الخوارزمى : الروىّ، فى « عَلَّانى فإنّ » (١) .

١٤ (ولٰكِنَّ القَرِيضَ لَهُ مَعَانٍ وَأَوْلَاهَا بِهِ الفِكْرُ الخَلِىُّ)

التبريزى : ... ...

البطليوسى : يقول : لولا حوادثُ الزمان التى تقسم البال ، وتمنعنا من أن نَتّسع فى المقال ، لكانت التهنئة أمدّ أطنابا ، وأرحبَ جَنابا . ولكن الشعر لا يصلُح له إلا الفكر الخلىّ من الهموم، والقلب الذى لم تشغله عوارض الغموم .

الخوارزمى : الرواية « معان » بالعين المهملة . يقول : إنّ لقرض الشعر شرائط، والشريطة التى منها لا ينفكّ بحال، هى الذّرْع الخلىّ، والبال الرخىّ . ورواه بعضهم « مغانٍ » بالغين المعجمة . قال : جعل للشعر مغانىَ فيها يحلّ . وفى الرواية الأولى إيهام .

١٥ (إِذَا نَأَتِ العِرَاقَ بِنَا المَطَايَا فَلَا كُنَّا وَلَا كَانَ المَطِىُّ)

التبريزى : يقال : نأيت عن زيد ونأيته، بمعنى .

البطليوسى : سيأتى .

الخوارزمى : فى أساس البلاغة : « نأيت عنه ونأيته . قال :

* نأتك أُمامةُ إلّا سؤالا * (٢)

وقد لمح المصراع الثانى شيخنا جار الله فى قوله :

(١) البيت ١٥ من القصيدة ١٤ ص ٤٦٠ .

(٢) عجزه كما فى أساس البلاغة :

* وإلا خيالا يوافى خيالا *

والبيت لعمرو بن قميئة ، من قصيدة فى ديوانه المطبوع ص ٤٢ — ٤٤ .

يقِـلُّ عطاؤهم والمَنُّ جمٌّ فلا كانوا ولا كان العَطِيه[1]

١٦ ﴿علَى الدُّنيَا السَّلامُ فما حَياةٌ إذا فارقتُكُمْ إلّا النَّـعِىُّ﴾[2]

التـــبريزى : ... ...

البطليـــوسى : ســـيأتى .

الخـــوارزمى : هو سلام المتاركة .

١٧ ﴿وَشِيدُوا بَيْتَ مَكْرُمَةٍ وعِزٍّ لَهُ بِمُحَمَّدٍ مَعْـنًى خَـبِىُّ﴾

التـــبريزى : ... ...

البطليـــوسى : يقال : نأيته ونأيت عنه، إذا بَعُدت . والأصل فيه أن يتعدّى بحرف الجر ثم يحذف، كما يقال : أمرتك الخير، وأمرتك بالخير[3]، وثويتُ البصرة، وثويت بها . قال النَّمِر بن تَوْلَب :

أعاذلَ إنْ يُصبحْ صَدايَ بقفـرةٍ بعيـدٍ نآنى صاحـبى وقـريبى[4]

والنعىّ : البكاء على الميت والإشادة بموته . و يقال : شِدْت البناء، إذا بنيته بالشِّيد، وشيّدته، إذا طوّلته . والخبىء : المخبوء، وأصله الهمز، فخفف الهمزة . أراد أنه سرُّ قومه وصميمهم .

الخـــوارزمى : يقول : شِيدوا بهـذا المولود بيتكم و إن كان عليّاً ، فإنّ لله فيه معنًى خفيّاً .

---

(١) قبله كما فى ديوانه المخطوط :

وإن المن من نفر لئـام أمر لدىّ من طعـم المنيـه

(٢) التبريزى والتنوير : « نعى » .

(٣) ومن الحذف ما أنشده فى الخزانة (١ : ١٦٤) من قول أعشى طرود :

أمرتك الخير فافعل ما أمرت به فقد تركتك ذا مال وذا نشب

(٤) أنشده فى اللسان (نأى) بدون نسبة .

[القصيدة الثانيــة والستون]

وقال يودّع بغداد من الطويل الأوّل والقافية متواترة[1] :

١ (نَبِيٌّ مِنَ الغِرْبَانِ لَيْسَ عَلَى شَرْعِ   يُخَبِّرُنَا أَنَّ الشُّعُوبَ إِلَى صَــدْعِ)

التـــبريزى : الشعوب : جمــع شعب ، وهو الذى يتفرّع منــه القبائل . قال الله جلّ وعزّ : ﴿وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ﴾ . وقال الشاعر :

ولكن خَبِّروا قــومى بلائى   إذا ماساءلَتْ عنِّى الشعوبُ

ونبىّ ، فعيــلٌ من النّبأ ، وهو الخبر . وأصله الهمز ، نخفف . والصَّدْع : التفرُّق فى هذا الموضع ، وأصله الشقّ ، وهو راجع إلى هذا المعنى ؛ لأن الشىء إذا انشق[2] فقد تفــرّق .

الخـــوارزمى : جعــل الغراب نبيًّا لإخباره عن الغيب قبــل وقوعه ، وهو الفراق الذى لم يقع . الشعوب : جمع شَعْب ، وهى القبيلة العظيمة . والشعب فى الأصل ، مصدر شُعِب الشىء ، إذا جُمِع . وقبائل العرب على ست طبقات : الشعب ، ثم القبيــلة ، ثم الفصيلة ، ثم العِمَارة ، ثم البطن ، ثم الفخذ . وفى هــذا الترتيب آختلاف . حذف متعلق « إلى » . ونظيره قول آبن الرومىّ :

إذا آنقلب الصديقُ غدا عدوًّا   مُبِينًا والأمــورُ إلى آنقــلاب

---

(١) هذه القصيدة لم يوردها البطليوسى . وفى الخوارزمى : « وقال أيضا بمدينة السلام فى الطويل الأوّل والقافية من المتواتر يودّع بغداد » .

(٢) ق أ : « إذا انصدع » .

٢﴿ أُصَدِّقُهُ فِي مِرْيَةٍ وَقَدِ امْتَرَتْ صَحابَةُ مُوسَى بَعْدَ آياتِهِ التِّسْعِ ﴾

التبريزى : مِرْية ، أى شك . امتريت فى كذا وكذا ، إذا شككت فيه .

الخوارزمى : معنى أوّل البيت أنّى أُصدِّقه تصديقًا ظنيًا لا علميا . كانت آيات موسى صلوات الله عليه إحدى عشرة ، ثنتان منها اليد والعصا ، وأمّا التسع فهى : الفَلْق ، والطُّوفان ، والجراد ، والقُمَّل ، والضفادع ، والدّم ، والطَّمْسة ، والجَدْب فى بواديهم ، والنقصان فى مزارعهم . ومعنى الطمسة ما رَوى من أن أموالهم وحروثهم وسَكَرهم (١) انقلب حجارة . قال عطاء : لم يبق لهم معدنٌ إلا طَمَس عليه الله فلم ينتفع به أحد ، وذلك بدعاء موسى عليه الصلاة والسلام : ﴿ رَبَّنَا اطْمِسْ عَلَى أَمْوَالِهِمْ ﴾ .

٣﴿ كَأَنَّ بِفِيهِ كاهِنًا أَوْ مُنَجِّمًا يُحَدِّثُنا عَمّا لَقِينا مِنَ الْفَجْعِ ﴾

التبريزى : أى بفِى الغراب الذى أنبأه بالتفرق . والفجع : الفجيعة .

الخوارزمى : فى البيت شىء من البحث . وذلك أن يقال : إنه سمّى الغراب كاهنًا أو منجّما ، بأن حدّثهم عن الفجع بعد وقوعه حيث قال : « يحدّثنا عما لقينا من الفجع » ، ولم يقل « عما سنلقى » ، والإخبار عن الواقع بعد وقوعه لا يسمّى كهانةً ولا تنجيما . والجواب : أنه لا يريد أن الغراب كان يحدّثنا عن الفجع بعد وقوعه ، وإنما يريد أنه كان يحدّثنا عنه قبل وقوعه ، ثم لما وقع كان على نحو ما حدّثنا به ، إلا أن حكايتنا ذلك الفجعَ إنما كانت بعد وقوعه ، فنحن نحكيه كما هو ماضيا . فحاصل المسألة أن ما يشتمل عليه قولنا «لقينا» من المضىّ إنما هو بالإضافة إلى حكاية أبى العلاء ، لا إلى إخبار الغراب .

(١) السكر ، بالتحريك : الطعام ، والخمر ، والنبيذ .

٤ (وَمَا كَانَ أَفْعَى أَهْلِ نَجْرَانَ مِثْلَهُ ... وَلَكِنَّ لِلْإِنْسِ الفَضِيلَةَ فِي السَّمْعِ)

التبريزى : أفعى أهل نجران: كاهنٌ كان بينهم . والسَّمع: ما يظهر للناس من الصِّيت فى الأرض . فضّل الغراب على الكاهن فى الإخبار عن الغيب ، وإن لم يكن للغراب من الصيت والذِّكْر ما لهذا الكاهن المعروف عندهم ، فى إصابته فى الكهانة .

الخوارزمى : نجران : أقدم بلاد اليمن ، وكانت لها كعبة تُحَجّ قد خربت . وأفعى نَجران ، هو ابن الحصين بن غَنْم الجرهمى . كان ذا حَدْس وكهانة . وكيف لا وإنّه من جرهم . وجُرهم فيما زعمت العرب من نِتاج الملائكة والإنس . كان حَكَمَ العربِ ، وهو الذى قسم بين بنى نزار الميراث . ذهب سِمعه فى الناس ، أى صِيته وهو فِعْل بمعنى مفعول .

٥ (وَمَا قَامَ فِي عُلْيَا زُغَاوَةَ مُنْذِرٌ ... فَمَا بَالُ سُحْمٍ يَنْتَجِينَ إِلَى بُقْعِ)

التبريزى : زُغاوة : قبيلة من السودان . والمراد أن هذا الغراب كأنه نبىٌّ يخبر بما لم يقع . والغراب أسود . وما جرت العادة بأن يُبْعَث من السودان نبىٌّ ، فما بالُ الغربان السُّحمِ[1] والبُقْع يتناجَيْنَ[2] ! قال الشاعر :

ذهبَ الذين فِراقَهم أتوقَّعُ ... وجَرَى بِبَيْنِهِمُ الغرابُ الأبقعُ

وينتجين ، من النجوى ، وهو السِّرار والكلام الخفىّ . والعرب تذكُر الغرابَ الأسود ، وربما ذكرت الأبقع . قال النابغة :

زعم البوارحُ أنّ رِحلتَنا غداً ... وبذاك خبّرنا الغرابُ الأسودُ

(١) فى ا : « السود » .

(٢) هو عنترة . انظر الحيوان (٣ : ٤٤٢) .

وهذا البيت إذا رُفِع فهو مروىٌّ لَعَبيد بن الأبرص، وإذا روى للنابغة أنشد بالخفض والرفع . ويقال إنه أنشده بالمدينة مرفوعًا فعابوا عليه الإقواءَ، فغيّره إلى الخفض .

الخوارزمى : « زُغَاوة »، فى « إليك تناهى »(١) . انتجى القوم وتناجوا ، أى تسارُّوا . وضُمِّن الانتجاء ها هنا معنى الانضمام ، فعدّى بإلى ؛ وذلك لأنّ مَن سارّ غيرَه فقد انضمّ إليه . عنى بانتجاء الغربان أن يَفْلِى بعضُها ريشَ البعض . ومن قَبيل هذا المعنى بيت السقط :

كعُصبة زنجٍ راعَها الشَّيبُ فازدهت مَناقيشُ فى داجى الشَّبيبة أفرعِ(٢)

إنما أنكر مسارّة الغربان السُّود إلى البقع ، لِما حكى الجاحظُ من أنّ الغربان تسقط فى الصّحارى وتلتمس الطُّعم ، فلا تزال كذلك ، فإذا وجبت الشمسُ نهضت إلى أوكارها معًا ، وما أقلّ ما تختلط البُقع بالسُّود المُصمتة(٣) . يقول : ما جرت العادة بأن يقوم فى السودان نبىٌّ يكلّفهم الشرائع، ويُنذرهم المعاد، فما بال الغربان السّودِ تناجى البقعَ ، فِعلَ قومٍ تنبّأ فيهم مَن تشكّكوا فى نبوّته ، فأخذوا يتسارُّون !

٦ (تَلاقٍ تَفَرَّى عَنْ فِرَاقٍ تَذُمُّهُ ماقٍ وتَكْسِيرُ الصِّحَاحِ فى الجَمْعِ)

التبريزى : تفرّى : تكشّف وظهر . والمعنى أنّا تلاقينا، فكان تلاقينا سببَ فراقنا . ثم ضرب لذلك المثلَ بأنّ الجمع فى بعض المواضع يُوجِب تكسير الأسماء

(١) البيت ١٦ من القصيدة ٨ ص ٣٥٩ .

(٢) البيت ٥ من القصيدة ٦٦ .

(٣) النص فى الحيوان (٣ : ٤٦٢) .

الصِّحاح ، وهو الذى يسمَّى جمع التكسير ، كنحو عَمْرو وعمور . فعمرو كان اسما صحيحا ، فلما جُمع غيِّر لفظُه وفَرقت بين حروفه الواو . ومآقٍ : جمع مأقى العين ، وهو جانبها الذى(١) يلى الأنف .

الخــوارزمى : يقول: كما أنّ الجمع فى الأسماء يقع سبباً للتكسير، وهو ضربُ تفريق ، كذلك فينا وقع الاجتماع سبباً للتفريق .

٧ (وَشَكْلَينِ ما بَيْنَ الأثافِيّ واحدٌ وآخَرُ مُوفٍ مِنْ أَراكٍ عَلَى فَرْعِ)

التـبريزى : أى وربّ شكلين . والرفع أجود ، بعطفه على أوّل القصيدة وهو « نئيٌ » . والمعنى أنّ الرمادَ يوصف بالوُرْقة ، وهو الذى بين الأثافيّ . وآخر موفٍ، أى عالٍ ، يراد به الحَمام الأورق ، وهما شكلانِ فى اللون . قال ذو الرمة :

ونُؤْيٌ كلا نؤيٍ وأورقُ حائلٌ تلقّطَ عنه الآخَرُون الأثافيـا(٢)

الخــوارزمى : قوله : «وشكلين» مجرور إمّا بإضمار «رُبّ» ، و إمّا بالعطف على قوله «عَن فراق» . عنى بشكلين رماداً وحَماما ؛ لأنّ كلّ واحدٍ منهما أورق . قال ذو الرمّة :

* ونُؤْيٌ كلا نؤيٍ وأورقُ حائلٌ *

والأثافى : جمع أُثفيّة ، وهى فُعلِية عند من قال أثفْت القدْر، وأُفعولة عند من قال ثَفَّيت . فإن قلت : إذا كان قوله «وشــكلين» منعطفاً على «فراق» فكيف يكون التلاقى متفرِّيا عنهما؟ وهــذا لأنّ تفرّى الشيءِ عن الشيء يقتضى أن يكون

(١) فى مفرده لغات كثيرة سردتها كتب اللغة .

(٢) فى الديوان ٦٤٩ : « بنؤى كلا نؤى » ، أى ليس بنؤى لأنه دارس ، فهو كلا نؤى . حائل ، أى أتى عليه الحول . وفى الديوان : «وأزرق حائل» .

بُدوّ المتفرّى عنه موقوفاً على ذهاب المتفرِّى، والرّماد والحمام فيما نحن بصدده باديان سواءٌ ذهب التلاق أو لم يذهب. قلت : لمـّا كان من شأن العاشق أنّه لا يكترث لرسوم الديار، ولا يُبالى بتَسجاع الحمام إلا بعد ابتلائه بفراق الأحبّة، جُعلا كأنّهما كانا غير بادِيَيْن أيامَ التّلاق، ثم بَدَوا بعد الفراق. ولو روى «وشكلان» على الألف بالرفع، عطفا على « نىء من الغربان » لكان أحسن.

٨ (أَنَّى وَهْوَ طَيَّارُ الجَنَاحِ وَإِنْ مَشَى أَشَاحَ بِمَا أَعْيَا سَطِيحًا مِنَ السَّجْعِ)

التبريزى : فى «أنّى» ضمير يرجع إلى «موف»، والمراد به الحمام الأورق، وهو طيّار الجناح، فإنْ مشى فُوَيق الأرض أشاح أى جدّ، وهو مع ذلك يسجع سجعًا يُعيِي مثلُه سطيحًا الكاهن. والكُهّان معروفون بالسجع، وكان سطيحٌ لا يقدر على المشى.

الخوارزمى : أضاف طيّارا إلى «الجناح»، دلالةً على أنّ المراد بـ«طيّار» حقيقته لا مجازه. فى أساس البلاغة «أشاح فى الأمر، وشايح : جدّ». أجرى الباء فى قوله بما أعيا، مُجرى « فى ». ونحوه ما بالديار ديّار، أى ما فى الديار. فى أمثالهم : «أسْجَعُ من وَرقاء، [ومن](١) سطيح». هو ربيعة بن عدىّ بن مسعود، وقيل ربيع بن ربيعة بن عدىّ بن ذئب(٢). وهو فى الأصل فعيل بمعنى مفعول، من سطحه على قفاه فانسطح. وروى أنه لم يكن فيه عظم غير عظم رأسه، وكان إذا سِير به طُوِى طيّ الثوب، وإذا غضب قعد. خرج مع الأزد أيامَ سَيل العرم، عاش ثلاثمائة سنة، ومات أيام أنوشروان. وقد ولد النبى عليه السلام وكان يخبر بمبعثه. والكهنة من العرب متَى تكلّموا فى فصلِ حادثةٍ أو تأويل رؤيا، أتَوا بكلام مسجوع. ومن أراد أن

(١) تتمة ضرورية. والورقاء : الحمامة. (٢) انظر قولا آخر فى السيرة ١٠ جوتنجن.

يُبصر ذلك عِيانا فعليه بالفصل السادس من نثر الدرر[١]؛ فإنه يعثر على باب قد شحن من أسجاع الكهنة . وعن النبي عليه السلام : « أسجعٌ كسجع الكُهان »[٢] .

٩ (يُجيبُ سَمَاوِيَّاتِ لَونٍ كأنَّما   شَكِرْنَ بِشَوْقٍ أوْ سَكِرْنَ مِنَ البِتْعِ)

التبريزي : سَكِرن من السكر . والبِتْع : النبيذ من العسل . المراد بسماويّات لون ، حمائمُ خضر . وشَكِرن ، أى امتلأن من الشوق ، كما تمتلئ ضَرّة الضَّرع باللبن . وكذلك شَكِر السحابُ بالمطر . قال الراجز[٣] :

جاءَ الشِّتاءُ واجثألَّ القُبَّرُ[٤]   وطَلعَتْ شمسٌ عليها مِغفرُ

* وجعلت عين الشَّمال تَشْكُرُ[٥] *

الخوارزمى : عنى بسماويّات لون ، حمائم تشبه فى لونها السماءَ . تشكّرت الناقة تشكُّرا ، إذا امتلأت ضروعُها لبنا ، فكأنها تشكُر مراعاها . وعنى به هاهنا نفسَ الامتلاء . البتع ، هو العسل ، وقيل هى الخمر . و « شكِرن » مع « سكِرن » تجنيس .

١٠ (تَرى كُلَّ خَطْباءِ القَميصِ كأنَّها   خَطيبٌ تَنَمَّى فى الغَضيضِ مِنَ اليَنْعِ)

---

(١) نثر الدرر ، فى المحاضرات ، تأليف الوزير زين الكفاة أبى سعد منصور بن الحسين الآبى ، نسبة إلى « آبة » قرية من قرى ساوة . كان وزيرا لمجد الدولة رستم بن فخر الدين بن ركن الدولة بن بويه اختصره من كتابه المسمى « نزهة الأديب » فى المحاضرات ، ورتبه على سبعة فصول . منه نسخة كاملة مصورة عن نسخة كوبريلى محفوظة بدار الكتب المصرية برقم ٤٤٢٨ أدب ، وقطع أخرى .

(٢) ويروى : « أسجعا كسجع الكهان » .

(٣) هو جندل بن المثنى ، كما فى اللسان (جثل) . وأنشد صاحب اللسان البيتين الأول والأخير أيضا فى (سكر ، قبر) .

(٤) اجثأل : انتفشت فنزعته . وفى الأصل : « اربال » تحريف .

(٥) فى جميع مواضع اللسان : « عين الحرور تسكر » ، وفسره بقوله : « سكر الحر يسكر : اشتد » .

التبريزى : خَطباء القميص : خضراؤه . وحَمير الوحش فى ألوانها خَطَبٌ ، أى هى وُرْق كألوان وَرَق الشجر . قال ذو الرمّة :

يحـدُو نحائصَ أشـباهًا مُحَلَجَةً ... وُرْقَ السّرابيلِ فى ألوانها خَطَبُ(١)

ويقال للحنظل إذا كان فيه خُطوط «خُطْبان» . وتَمَنَّى ، أى تعالَى . والنضيض : مثل النضّ . والينْع ، من قولهم ينعت الشجرة إذا أدرك ثمـرُها . ويقال أينَع يُونع ، فهو يانع ومونع ، ويانع أكثر . قال الشاعر(٢) :

فى قبابٍ حولَ دسكرة ... حولهـا الزيتونُ قـد يَنَعا

الخـوارزمى : فى أساس البلاغة : « حمامة خطباء القميص . والخُطبة : غبرة ترهقها خُضرة(٣) » . شجر يانع ، أى رطب رَخْص . وتمامه فى « مغـانى اللوى(٤) » . والأشجار يَنْع ، مثـل صاحب وصحب . ومن ظنّ أن المراد بها التى أدرك ثمرُها فما أدرك .

١١ ﴿إذا وَطِئتْ عُودًا بِرِجْلٍ حَسِبْتَها ... ثَقيلةَ حِجْلٍ تَلْمسُ العُودَ ذا الشَّرْعِ﴾

التبريزى : العُود الأوّل ، من عيدان الشجر ، والثانى الذى يُغَنَّى به . والشِّرع : الوتر . قال الهذلىّ(٥) :

وعاودنى دِينِى فبِتُّ كأنما ... خِلالَ ضُلوعِ الصدرِ شِرْعٌ مُمَدَّدُ(٦)

---

(١) ديوان ذى الرمة ١٠ . والنحائص : الأتن التى لم تحمل . محلجة ، أى شديدة . والبيت فى صفة عير .

(٢) هو أبو دهبل الجمحى ، كما فى الحيوان (٤ : ١٠) .

(٣) هـذه العبارة ليست فى أساس البلاغة المطبوع ، ولعله تما سقط . وبدله : « وحمار أخطب بين الخطبة ، وهى غبرة ترهقها خضرة » .

(٤) البيت ٣ من القصيدة ٥٩ ص ١٢١٣ .

(٥) هو ساعدة بن جؤية ، من قصيدة فى ديوان الهذليين ٢٣٦ القسم الأول طبع دار الكتب .

(٦) الدين ، بالكسر : الحال والأمر ، والديدن .

والمعنى أن الحمامة إذا لَمَسَت العُـودَ بالرِّجل، فكأنَّها مغنِّيـة عليها حِجِل تَلمُس عودَها للغناء .

الخـوارزمى : عنى بالعُـود الأوّل الغُصن ، وبالثـانى الذى يُضرَب به . الحِجْل، فى «أعن وخد القلاص»(١) . عنى بـ«ثقيلة حِجِل» مغنية . الشِّرع : جمع شِرْعة، وهى الوتر، ومنه شَرَع البعيرُ، إذا مدّ هادِيَه . ذكره الخارزنجى . و «الرجل» مع «الحِجل» تسجيع . و «وطء العود» مع «لمس العود» مقابلة .

١٢ ﴿ مَتَى ذَنَّ أَنْفُ البَرْدِ سِرْتُمْ فَلَيْتَهُ عَقِيبَ التَّنَائِى كَانَ عُوقِبَ بِالجَدْعِ ﴾

التـبريزى : أنْف البرد : أوّله وذَنينـه : مطره . قال ذو الرمة وذكر فحل الإبل :

إذا شَمّ أنْفَ البرد أقصَى صريفُه عن الشَّول شُذّانَ البِكار العوارِمِ(٢)

ويقال: ذنّ أنفُه، إذا سال . قال الشمّاخ :

تُوائِلُ من مِصَكٍّ أنصبَتْه حَـوالِبُ أسهَرَيه بالذَّنين(٣)

توائل : تطلب المنجى . والمعنى : متى جاء المطر فى أوّل البرد سرتم عنّا، فليت أنفَ البرد عُوقب بالجدع . والجدع : القطع . والتنائى : التباعد .

(١) البيت ٢٢ من القصيدة الأولى ص ٥٦ .

(٢) البيت هنا ملفق من بيتين له فى ديوانه ٦٢١، وهما :

طوى البطن عافى الظهر أقصى صريفه عن الشول شذان البكار العوارم

إذا شم أنف البرد ألحق بطنه مراس الأوابى وامتحان الكواتم

والصريف : صوت أسنانه إذا حك بعضها بعضا . والشذان، بالفتح والضم : ما تفرق .

(٣) فى ديوانه ٩٣ . والمصك : الحمار الشديد .

الخوارزمى : فى أساس البلاغة : «سار فى أنْف النهار، وكان ذلك على أنف الدهر» . والمراد بالذين هاهنا سيلانُ أندائه . ويحتمل أن يريد سيلانَ أنوف الناس، فلما كان البردُ هو السبب فى ذلك، جعل ذاتًا . «كان»، هاهنا تتوجّه على الناقصة أو الزائدة . ونحوه : ﴿لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ﴾ . العرب تتبدّى ثم ترجع إلى محاضرها . قال القتبى : ومعنى التبدِّى أن يخرُجوا إلى البوادى يبتغون الكلأَ ومساقط الغيث، فلا يزالون كذلك إلى هَيْج النبات وانقطاع الرُّطْب وجُفـوف الغدران، ثم يرجعون إلى محاضرهم ومياههم التى كانوا عليها .

١٣ ﴿وَمَا أَوْرَقَتْ أَوْتَادُ دَارِكِ بِاللِّوَى ۝ ودَارَةَ حَتَّى أُسْقِيَتْ سَبَلَ الدَّمْعِ﴾

التبريزى : سَبَل الدمع : مطره . واللـوى ودارة : موضعان . والمراد أنّ أوتاد دارك لم تُورِقْ حتى أُسـقِيت الدمعَ . وفى هـذا البيت مبالغـة على مذهب الشعراء .

الخـوارزمى : فى أساس البلاغة : «نزلنا فى دارةٍ من دارات العرب»، وهى أرض سهلة يحيط بها جبال . وكل موضع يدار به شىء يحجزه فهو دارة» . السقى فيما يقال لشفَتك، والإسقاء لدابتك . فى أساس البلاغة : «وقع السَّبَل، وهو المطر المُسْـبِل» .

١٤ ﴿ذَكَرْتُ بِهَا قِطْعًا مِنَ اللَّيْلِ وَافِيًا ۝ مَضَى كَمُضِيِّ السَّهْمِ أَقْصَرَ مِنْ قِطْعِ﴾

التبريزى : القِطع : الساعة من الليل . والقِطع فى القافية، فى معنى نَصلٍ قصيرٍ أو سَهم قصير . قال الشاعر يصف درعا :

لهـا عُكَنٌ تردُّ النبـلَ خُنْسًا ۝ وتهـزأُ بالمعـابل والقِطـاع (١)

أى قِطْع الليل، كان يقصُرُ حتّى كأنّه نَصل قصير .

(١) فى صفة درع، كما فى اللسان (عكن، خنس) . يقال درع ذات عكن، إذا كانت واسعة تثنى على اللابس من سعتها . والخنس تشبيه بالأنوف الخنس، وهى القصار اللازقة بالوجه .

الخوارزمى : القِطع الأوّل : ظلمة آخر الليل، والثانى نصل صغير قصير عريض، وجمعه أقطع وأقطاع . ذكره الغورى .

١٥ (وَمَا شَبَّ نَاراً فِي تِهَامَةَ سَامِرٌ يَدَ الدَّهْرِ إلّا أَبَّ قَلْبُكَ فِي سَلْعِ)

التبريزى : السامر : القوم الذين يتحدّثون فى القمر . وأبّ قلبك ، من قولهم : أبّ، إذا حنّ إلى الوطن . قال هشام بن عُقبة أخو ذى الرمة :

وأبّ ذو المحضَر البادى إبابتَهُ (١) وقوّضت نيةٌ أطنابَ تخييم

وسَلْع : جبل معروف . قال الأعشى فى أبّ :

صرمتُ ولم أصرمكمُ وكصارمٍ (٢) أخٌ قد طوى كشحاً وأبّ ليذهبا

الخوارزمى : السامر : مفرد وجمع . فى أساس البلاغة : «باتوا سُمّارا وسامرا» . ونظيره الحاجّ ؛ يقال : هؤلاء الداجّ وليسوا بالحاجّ (٣) . قال الغورى : الأبّ النزاع إلى الوطن . سَلع ، بفتح الفاء : جبل بالمدينة . ذكره الغورى . و «شبّ» مع « أبّ » تسجيع .

١٦ (حَكَتْ وَهْيَ تُجْلَى نَاظِرَ السَّبْعِ اجْتَلَى مَعَ اللَّيْلِ أُكْلَى والرِّكَابُ عَلَى سَبْعِ)

التبريزى : عين السبع تشبَّه بالنار . واجتلى أى جلاها بنظَره ، كما تجلى العَروس . وأكلى : جمع أكيل، مثل قَتيل وقتلى .

الخوارزمى : الضمير فى «حكت» لـ«نارا» . قولَه : «وهى تُجلَى» حالٌ من ذلك الضمير، وكذلك قوله «والركاب على سبع»؛ وهما مترادفان . العيون المضيئة

(١) البيت فى اللسان والمقاييس (أبب) .

(٢) ديوان الأعشى ٨٩ واللسان والمقاييس (أبب) .

(٣) الداج : الذين يمشون مع الحاج ، أجير أو حمال أو نحو ذلك ، من دج دجيجا بمعنى دب دبيبا .

فى الليل أربع، وهى عين الأفعى، والسِّنَّور(١)، والنمر، والأسد. ومما يدلّ على أنّ عين الأسد تضىء ليلًا قولُ أبى الطيب:

ما قُوبلت عيناه إلا ظُنّتا … تحت الدجى نار الفَريق حُلولا

أكلى: جمع أكيل، بجريح وجرحى، وقتيل وقتلى. وجعلها أكلى على الصفة المشارِفة(٢). وإنما وُصفت عين السبع باجتلائها الأكلى، لأنه يَنمِى ضوءُها إذا لَظّاها النَّهَم عند إبصارها الفريسة. و«تجلى» مع «اجتلى» تجنيس، وكذلك «السُّبْع» مع «السَّبْع». و«تُجلى» مع «اجتلى» و«أكلى» تسجيع.

١٧ (حَمَلْتُ لها قلبَ الجبانِ ولم أزَلْ … شُجَاعَ الهوى لولا رَحيلُ بنى شَجْعِ)

التبريزى: بنو شجع: حىٌّ من كنانة.

الخوارزمى: شجاع الهوى، أى شجاعًا فى الهوى. ونظير هذه الإضافة: فلان ثابت الغَدَر(٣)، وهى المَحاقيق. بنى شَجْع، يروى بكسر الشين وفتحها، وكلاهما صواب. قال الغورى فى باب فَعْل بفتح الفاء: شَجْع(٤)، منه قولهم بنو شجع بطن من كلب فى حِسبان ابن دريد. وفى المغازى قال حسان:

لقد ضَلّ قومٌ يومَ بدرٍ يَقودُهم … دعىٌّ بنى شَجْعٍ ليلقوا محمدا(٥)

(١) انظر الحيوان (٤: ٢٢٩)

(٢) أى إن هذا الحيوان الذى أبصره السبع، لمشارفته أن يؤكل ويفترس، سمى أكيلا لذلك، وإن لم يؤكل بعد.

(٣) الغدر، بالتحريك: جمع غدرة، وهى كل موضع صعب لا تكاد الدابة تنفذ فيه. وفى أساس البلاغة: «وفلان ثابت الغدر، إذا ثبت فى القتال والخصام».

(٤) فى الأصل: «من».

(٥) الذى فى ديوانه ١٥٠ من أبيات يهجو بها أبا جهل:

لقد لعن الرحمن جمعا يقودهم … دعى بنى شجع لحرب محمد

وقال فى باب فَعِلٍ بالكسر : وشَجِع ، منه قولهم بنو شَجِع بطن من عُذْرة . قال ابن دريد : وأحسب أن فى كلبٍ بطناً يقال لهم بنو شَجِع[(١)] . و «الشُّجاع» مع «شجع» تجنيس .

١٨ (وَفِي الحَيِّ أَعْرَابِيَّةُ الأَصْلِ مَحْضَةٌ مِنَ القَوْمِ إِعْرَابِيَّةُ القَوْلِ بِالطَّبْعِ)

التبريزى : أعرابية : بدوية . محضة : خالصة . وإعرابية : منسوبة إلى الإعراب ، أى إنها لا تلحن ، فصيحة بالطبع .

الخوارزمى : الأعرابية الأولى ، بفتح الهمزة ، وهى إلى الأعراب منسوبة . والثانية بكسر الهمزة وهى إلى الإعراب الذى هو خلاف البناء منسوبة . و«أعرابية الأصل» مع «إعرابية القول» تجنيس وتسجيع . و «القوم» مع «القول» تجنيس .

١٩ (وَقَدْ دَرَسَتْ نَحْوَ السُّرَى فَهْيَ لَبَّةٌ بِمَا كَانَ مِنْ جَرِّ البَعِيرِ أَوِ الرَّفْعِ)

التبريزى : أى هذه المرأة تُعرِب فى كلامها بالطّبع ، ولم تدرُس العلمَ الذى يسمى النّحو ؛ وإنما درست نحوَ السُّرى ، أى ما تقصده من الأرَضين . وحسُن أن يُستعار لها ذلك لما تقدّم أنها تُعرِب فى اللفظ . وجَرّ البعير أو الرفع ، ألغز عن الجر والرفع فى الكلام . وجرّ البعير : سيره ، كأنه يجتز . ويجوز أن يعنى بجرّه جذبَ زِمامه ، وبرفعه زيادتَه فى السير . واللبّة : اللبيبة .

الخوارزمى : فى أساس البلاغة : « فلان يجتز الإبل على أفواهها ، إذا سار[(٢)] بها سيرا لينا . قال :

لطالما جررتُكن جرّا حتّى نوَى الأعجفُ واستمرّا[(٣)] »

(١) نص الجمهرة : « وبنو شجع بطن من عذرة . وأحسب أن فى كلب بطنا يقال لهم بنو شجع بفتح الشين » .

(٢) فى أساس البلاغة : « إذا سارها » . يقال سار بعيره ، وساره غيره وأساره وسار به .

(٣) نوى ينوى ، إذا سمن .

رَفَع بعيره فى السَّير، ورفَّعه ترفيعا . قال لبيد :

* رَفَّعتها طَرْدَ النعام وفوقه *(١)

يقول : الحبيبة لم تدرس النحو المصلحَ للّسان، بل درست نحوَ المسافرة من مكانٍ إلى مكان . ومما يناسب هذا المعنى قولُه :

كتبْنا وأعربْنا بحِبرٍ من الدُّجى ... سُطورَ السُّرى فى ظهر بيداءَ بلقعِ(٢)

و «الجر» و «الرفع» مع «الدرس» و «النحو» إيهام .

٢٠ (أَلِفتِ المَلا حتَّى تعلّمتِ بالفَلا ... رُنُوَّ الطَّلا أوصَنْعةَ الآلِ فى الخَدْعِ)

التبريزى : المَلا : المُتَّسع من الأرض . الرّنو : إدامة النظر . وكأسٌ رنوناة، أى دائمة . قال الشاعر :

بنت عليه الملكَ أطنابَها ... كأسٌ رَنَوْناة وطِرْفٌ طِمِرّ(٣)

والطَّلا : ولد الظَّبية . والخَدْع : الخديعة . والطَّلا ، أكثر ما يستعمل فى ولد الظَّبية والبقرة الوحشيّة ، وقد استُعمل فى جميع الأولاد . قالت الخنساء :

على صَخْرٍ وأىُّ فتى كصَخرٍ ... إذا ما النَّابُ لم تَرْأم طَلاها

الخوارزمى : قال الغورى : المَلا من الأرض : الواسعة ؛ واشتقاقه من الملاوة. وهى الدَّهر، لاتّساع كل واحدٍ منهما . «أو»، ها هنا كما فى بيت السقط :

* صباحا فقَبْضٌ يجمع الرِّيش أو بَسْطُ *(٤)

---

(١) من معلقته المعروفة . وعجزه كما فى رواية التبريزى :

* حتى إذا سخنت وخف عظامها *

(٢) البيت ٢٨ من القصيدة ٦٦.

(٣) البيت لابن أحمر كما فى اللسان . أراد : بنت كأس رنوناة عليه أطناب الملك . وقد تكلم صاحب اللسان طويلا على هذا البيت .

(٤) البيت ٤٤ من القصيدة ٦٨ وصدره :

* تحث جناحا من حذار مغاور *

وبيت الحماسة :

حتى خَضَبتُ بمـا تحدَّر من دَمِى أكنافَ سَرْجى أو عِنانَ لجـامى (١)

أصل الخَدع هو الستر ، ومنه المُخْدَع . فى أمثالهم : « أغرّ من السّراب »

ومنه بيت السقط :

تَغرُّها غِرَّةَ السّراب نُهًى فى ناجِرِىّ النّهـار مُحتدِمِ (٢)

ويقال : غرّهم الخَيْـدَع ، وهو السّراب أو الغُول . يقول : أقمت بالبـدو حتى تشبّهت ، فتارة أشبهت فى حسن النظَر الغزال، وأُخرى فى الغرور الآل .

٢١ ﴿ وَمَنْ يترقّبْ صَولَةَ الدّهْرِ يَلْقَها وَشِيكًا وهَلْ تَرْضَى الأَساوِدُ بالوكْعِ ﴾

التـبريزى : وشيكا : أى سريعا . والأساود : الحيات . ووكعها : لدغها. وَكَعَتْه : لدغته .

الخـوارزمى : وكعت العقرب بإبرتها أى ضربتْ . ووكعت الحيّة . قال عُروة بن مُرّة الهذلىّ :

* ورَمْى نبالٍ مثـلَ وَكْعِ الأساوِدِ * (٣)

يقول : نَكْثُ عهدك ، أو إخلاف وعدك ، وثبـةٌ من وثبات الزمان ، وكلّ امرئ كأنه ينتظر صَوْلات الحدَثان ، والمنتظر لها سيلقاها عن قريب .

(١) البيت لقطرى بن الفجاءة المازنى ، كما فى الحماسة ٦١ بن .

(٢) البيت ١٨ من القصيدة ٨٣ .

(٣) قصيدة البيت فى شرح السكرى للهذليين ٢٩١ . وصدره كما فيه واللسان (وكع) :

* ودافع أخرى القوم ضربا خرادلا *

وقبـله :

فهنه أولى القـوم عنى بضربة كأوشحة العذراء ذات القلائد

٢٢ ﴿إِذَا الضُّبُعُ الشَّهْبَاءُ حَلَّتْ بِسَاحَتِي   نَضَوْتُ عَلَيْهَا كُلَّ مَوَّارَةِ الضَّبْعِ﴾

التبريزى : الضُّبع الشهباء : السنة المجدبة . ومَوّارة الضبع : ناقة يمور عضدها . والضبع : العضد . والمَوْر : مشْىٌ سريع . ونضَوت، من قولهم : نضا السيفَ، إذا استلّه .

الخوارزمى : الضبع لمّا كانت أفسَدَ حيوانٍ استعير اسمُها للسنَة المجدبة . قال الهذلىّ (١) :

* فإنّ قومىَ لم تأكلْهم الضُّبُعُ *

وأصابتهم سنةٌ ضَبُعٌ وسنةٌ ذئب ، على الوصف . عامٌ أشهبُ وسنة شهباءُ ، ونحوها سنة بيضاء، وذلك لبياض الأرض بالجليد . نضا عليه السيفَ، إذا سلّه . الضَّبْع : العضد . ذكره الغورى . فى أساس البلاغة : « جمل مَوّار الضَّبْعين » . وفى عِراقيّات الأبيوردىّ :

* على كلِّ مَوّار المِلاطَيْنِ أهوجِ (٢) *

يقول : كلما أجدب جَنابى ركبت للصيد من الإبل السراع ، كلَّ ناقة هى كالسيف القطّاع ، فكأنى أسلّ منها على الجَدْب سَيفا . والبيت الثانى يقرّر هذا المعنى . و « الضُّبُع » مع « الضَّبْع » تجنيس .

---

(١) كذا . والصواب « السلمى » . وفى الخزانة (٢ : ٨١) : « وهذا البيت من أبيات للعباس بن مرداس، السلمى، لا الهذلى، كما زعم بعض شراح أبيات المفصل » . والبيت فى اللسان (ضبع) منسوب إلى عباس بن مرداس .

(٢) صدره كما فى ديوانه ص٧٨ :

* وغارتنا والصبح حط لثامه *

٢٣ ﴿وَقَالَ الْوَلِيدُ النَّبْعُ لَيْسَ بِمُثْمِرٍ   وَأَخْطَأَ سِرْبُ الْوَحْشِ مِنْ ثَمَرِ النَّبْعِ﴾

التـبريزى : الوليد : ابن عُبيد البحترىّ . وذلك أنّه قال فى شعره :

وعيّرتنى خـلالَ العُـدْم آونةً   والنّبعُ عُريانُ ما فى عوده ثمر

يعنى النبع الذى يُعمل منه القسىّ . وأخطأ القولَ، لأنّ القوس إذا عُملت من نبعةٍ وصاد الرامى بها صيدا، فهو من ثمرها .

الخـوارزمى : هو أبو عُبادة الوليـد بن عبيد البحترىّ الشاعر، ولد بمَنْبِج سنة ست ومائتين، وتأدّب بها، وخرج إلى العراق فمدح المتوكّل على الله، وقال : أنشدتُ من شعرى أبا تمّـام، فأنشد بيتَ أَوس بن حجر :

إذا مُقْرَمٌ منّا ذَرا حَدُّ نابِهِ   تخمّطَ فينا نابُ آخرَ مُقْرَمِ[(١)]

— فى أساس البلاغة : « ذَرا حدُّ نابه : إذا انسحقَتْ أسنانه وسقطت أعاليهـا »[(٢)] . «تخمّط، أى ظهر وارتفع »[(٣)] — وقال : «نعيتَ نفسى إلىّ» . فقلت : « أُعيذك بالله من ذاك» . قال : «عُمرى لا يطول وقد نشأ مثلُك لطيّئ . أمَا علمتَ أنّ خالد بن صفوان المِنْقَرىّ ، رأى شَبيب بن شَيبةَ فى رهطٍ يتكلّم ، فقـال : يا بُنَىّ ، نعَى نفسِى إلىّ إحسانُك فى كلامك . إنّا أهلُ بيتٍ ما نشأ فينا خطيبٌ إلا ماتَ مَن قبله» . فمات أبو تمـام بعد ذلك بسنة . وهو أرقُّ شعرا من أبى تمّـام ، وأبو تمام أجزلُ شعراً منه، وهما المجيدان . ومن لطائفه :

أَحلّتْ دمى من غير جُرمٍ وحرّمتْ   بلا سببٍ يـومَ اللقـاء كلامى

فليس الذى حلّلتِـه بمحلّـلٍ   وليس الذى حرّمتِـه بحـرام

---

(١) البيت فى ديوانه ٢٧ واللسان (ذرا، خمط) .

(٢) هذا النص من أساس البلاغة (ذرى) .

(٣) وهذا النص فى أساس البلاغة (خمط) مع إنشاد بيت أوس فى هذا الموضع .

مات سنة ثلاث وثمانين[1] ومائتين ، وقيل فى آخر أربع وثمانين[1] ، وقيل فى أول خمس وثمانين؛ وفى البيت الثانى تلميحٌ إلى بيت البحترى :

* والنَّبع عُريانُ ما فى عُوده ثمرُ *

يقول : زعم البحترىُّ أن النبعَ غيرُ مثمر ، وقد أخطأ ؛ لأن القسىّ تعمل منه ويُصطاد بها ، فهو و إن فُقِد ثمرُه بالذات لم يُفتقَد بالعَرَض .

٢٤ (أُوَدِّعُكُمْ يأهلَ بَغْدَادَ والحَشَا عَلَى زَفَرَاتٍ مايَنِينَ مِنَ اللَّذْعِ)

التبريزى : يَنِين ، من قولهم : وَنَى يَنِى ، إذا فتر .

الخوارزمى : سيأتى .

٢٥ (وَدَاعَ ضَنًى[2] لم يَسْتَقِلَّ وَ إنَّما تَحَامَلَ مِنْ بَعْدِ العِثَارِ على ظَلْعِ)

التبريزى : الظَّلْع : الغمز . ويقال : ضَنًى وضَنٍ ومُضْنًى ؛ فإذا قالوا ضنًى فهو وصفٌ بالمصدر ، أى ذو ضنى ، كما قالوا عدلٌ ، أى ذو عدل . قال : الظَّلْع هو الذى تسمِّيه العامة الغَمْز فى مشى الدابّة . وهذا البيت من قول كثيّر :

وكنتُ كذاتِ الظَّلْع لمّا تحاملتْ على ظلعها بعد العِثار استقلّتِ

الخوارزمى : لذعته النار والحبُّ فالتذع . ولذع الحبُّ قلبه . الرواية «ضنٍ» بكسر النون لا بفتحها . استقلّ القومُ : مضَوْا وارتحلوا ؛ وهو من القلّة ، لأنّ الحىَّ إذا ارتحلوا تفرّقوا ، و إذا تفرّقوا قلُّوا . تَحامَلَ ، فى «ألا فى سبيل المجد»[3] . دابة ظالع وبها ظَلْع . ذكر فى أساس البلاغة .

(١) فى الأصل : « وثلاثين » .

(٢) الخوارزمى : « ضن » .

(٣) البيت ٣٤ من القصيدة ١٦ ص ٥٤٧ .

٢٦ (إِذَا أَطَّ نِسْعٌ قُلْتُ والَّلوْمُ كَارِبِي أَجِدَّكُمُ لَمْ تَفْهَمُوا طَرَبَ النِّسْعِ)

التبريزى : الأطيط : صوت الرَّحل الحديد والنِّسع وما يجرى مَجراه . فى الحديث : « حتّى يُسمعَ له أطيطٌ من الزحام » . وكلُّ صوت دقيقٍ فهو أطيطٌ . قال الشاعر :

سديس كِنازىّ تئطُّ نسوعُه أطيطَ رِتاجٍ ذى مَساميرَ مغلقِ (١)

الرِّتاج : الباب . والنِّسع : سير مضفور . وقوله «أجِدَّكم» أى بجِدٍّ منكم أنّكم لاتفهمون طرب النِّسع ، أى حنينه وخفّته . وقوله : كاربى ، من كَرَبه الأمر فهو مكروب .

الخوارزمى : أطيط النِّسع ، كناية عن نُحول البعير ودقّة أوساطه ، وأنْ يجول عليها النِّسع فيسمعَ له صوت . ونحوُه قول العباس بن الأحنف :

بَكى وِشاحاها فلم يسكُتَا وإنّما أبكاهما الجوعُ (٢)

وعلى خلاف ذلك قوله :

* ما بالُ خلخالكِ ذا خَرسةٍ * (٣)

و يحتمل أن يكون على التوهُّم . والذى يوازى كلامَ أبى العلاء فى هذا الوجه حَذْوَ القُذّة بالقُذّة ، قولهم : هدَرت شقاشقُ البعير . الرواية « كاربى » بالباء ، ويروى « كارثى » بالثاء بثلاث . كَرَثته الكوارث ، أى أقلقته المقلقات . يقول : متى لامنى صحبى على قلق إليكم ، ثم سمِعتُ قلقَ النِّسع ، احتججت عليهم بأنّ الجمادَ لا يصبِر على مفارقة بغداد ، فكيف الحيوان .

(١) الكنازُ ، بالكسر : الصلب الشديد من الإبل . أضيفت الياء الشبيهة بياء النسب فى الوصف هنا ، كما فى قوله : * والدهر بالإنسان دوارىّ *

(٢) البيت من قصيدة فى ديوان العباس ص ٩٨ .

(٣) من قصيدة للعباس بن الأحنف . وعجزه .

* لسان خلخالك مقطوع *

٢٧ (فَبِئْسَ البَدِيلُ الشَّامُ مِنْكُمْ وأَهْلُهُ   عَلَى أَنَّهُمْ قَوْمِي وبَيْنَهُمُ رَبْعِي)

التبريزى : ... ...

الخوارزمى : «منكم» يتعلّق بالبديل، ففصل بين اسم «بئس» وبين صلته بالمخصوص بالمدح . ونحوه بيت السقط :

* وأبعدُ شيء ضيفهُ من طعامه (١) *

٢٨ (أَلَا زَوِّدُونِي شَرْبَةً وَلَوَ انَّنِي   قَدَرْتُ إِذَنْ أَفْنَيْتُ دِجْلَةَ بالجَرْعِ)

التبريزى : ... ...

الخوارزمى : يخاطب أهل بغداد، ويُظهر الأسف على مفارقتهم .

٢٩ (وَأَنَّى لنا مِنْ مَاءِ دِجْلَةَ نُغْبَةٌ   عَلَى الخِمْسِ مِنْ بُعْدِ المَفَاوِزِ والرِّبْعِ)

التبريزى : نُغبة : جُرعة . والخِمس والرِّبع ، من أظماء الإبل . وأنَّى ، بمعنى كيف .

الخوارزمى : الخِمس : الظِّمْء ، وهو أن يفوتها الشّربُ ثلاثةَ أيام . والرِّبع : الظِّمْء ، وهو أن يفوتها الشرب يومين .

٣٠ (وَسَاحِرَةِ الأَقْطَارِ (٢) يَجْنِي سَرَابُهَا   فَتَصْلُبُ حِرْبَاءً بَرِيًّا عَلَى جِذْعِ)

التبريزى : ساحرة الأقطار : أرضٌ يسحَر سرابُها العيون فتظنُّه ماء . والسحر ها هنا الخديعة ؛ أى إنّها ساحرةٌ ولا ذَنْب لحربائها وقد صلبته على جذع شجرة ، وهو برىءٌ لا جناية له . وهذا البيت مبنيٌّ على قول ذى الرمة :

---

(١) البيت ٥١ من القصيدة ١٥ ص ٥٠٤ . وصدره :

* أشدّ الرزايا عنده عقر نابه *

(٢) التنوير : «الأطراف» .

كأنّ حرباءَها والشمسُ ماتعــةٌ   ذو شَيبةٍ من رجال الهند مصلوبُ[1]

وإنّما صُلِبَ الحرباءُ[2] وقتَ الهاجرة لأنّ الحرباءَ في ذلك الوقت يطلب[3] أعلى الشجر.

الخوارزمي : قوله «وساحرة الأقطار» مجرور بالعطف على المفاوز . وعنى بها فلاةً . يريد أن تلك الفلاة يغرّ سرابُها العيونَ حتّى تحسَبه ماء، فكأنّه سحرها . وهذا هو المراد بجنايةِ سرابِها . وفي أساس البلاغة : «أرضٌ ساحرة السرابْ» . قال ذو الرمة :

* وساحرةِ السّراب مِن الموامى *[4]

الحرباء شابح بيديه كالمصلوب . قال ذو الرمة :

ويشبَح بالكفّين شَبْحًا كأنّه   أخو فَجْرةٍ عالَى به الجذعَ صالبُهْ[5]

وقال أيضا :

كأنّ حرباءَها في كلّ هاجرةٍ   ذو شَيبة من رجال الهند مصلوبُ

٣١ (وما الفُصَحاءُ الصِّيدُ والبَدْوُ دارُها   بأفصحَ قولًا مِنْ إمائكُمُ الوُكْعِ)

التبريزي : الوُكْع : جمع وَكْعاء، وهي التي مالت إبهامُها إلى ما يليها .

---

(١) في ديوان ذي الرمة ٣٧ : «كأن حرباءها في كل هاجرة» ، كما في الخوارزمي .

(٢) في الأصل : «صلبت الحرباء» . والحرباء مذكر، وهو ذكر أم حبين، والأنثى حرباءة، وألفه للإلحاق .

(٣) في الأصل : «تطلب» .

(٤) عجزه، كما أنشده في أساس البلاغة، وكما في الديوان ٥٩١ :

* ترقص في عساقلها الأروم *

وفي شرح الديوان : «ساجرة» بالجيم، أي مملوءة من السراب . ومن روى ساحرة بالحاء، أراد أن هذه الموماة يسحر العيون سرابها؛ لأن السراب يخيل إلى العين» .

(٥) ديوان ذي الرمة ص ٤٧ . ويشبح : يمد كفيه .

الخوارزمى : الوَكَع : مَيَل فى صدْر القدم ممـا يلى الخنصر أو الإبهام . كذا ذكر فى أساس البلاغة . وأما الكَوَع فى اليد فخروج الكوع . يقال : فلان لا يفرق بين الوَكَع والكَوَع . قال اللَّيث : وكثـيرا ما يكون الوَكَعُ للإماء اللواتى يُكدَدن فى العمل . وخصَّ الإماء لأنّ الفصاحة نادرةٌ فى المماليك ، لاسيما فى الإماء . ألا ترى إلى قول المأمون ، وقد سمع بعضَ أوليائه يلحن فى المخاطبة ، فقال : «ماعلى أحدكم أن يتعلّم العربيـة فيقيمَ بها أَوَدَه ، ويُزيِّن مشهده ، ويملك مجلسَ سلطانه ، بظاهر نطقـه وبيانه ، ويفُلّ حجّـةَ خَصْمه ، بمشكلات حكمه[1] . أو ليس يأنَفُ أحدُكم أن يكون لسانُه كلسان عبده أو أَمَته ، ولا يزالُ الدّهرَ أسيرَ كلمته» . والإماء فى الجملة موصوفة بالجهل . ولذلك جُعل جهلُ المعتقة بخيار العتق مع العلم بالإعتاق عُذرا ، بخلاف خِيار البلوغ ، حيث لم يُجعل جهلُ البالغة به مع العلم بالبلوغ عُذراً . فكأنه عنى بالإماء الوُكْع الحمقاءَ الجاهلة .

٣٢ ﴿ أَدَرْتُمْ مَقَالًا فِى الجِدالِ بأَلْسُنٍ خُلِقنَ بجَانِبَنَ المَضَرَّةَ للنَّفْعِ ﴾

التبريزى : ... ...

الخوارزمى : هذه إشارةٌ إلى مناظرتهم فى دار الكتب ببغداد . يريد أنّ تلك الألسنَ خُلقت للنفع فجانبت المضرّة .

٣٣ ﴿ سَأُعْرِضُ إنْ نَاجَيْتُ مِنْ غَيرِكُمْ فَتًى وَأَجْعَلُ زَوًّا مِن بَنَانِىَ فِى سَمْعِى ﴾

التبريزى : الزوّ ، مثـل الزّوج . أى إذا ناجيتُ غيركم أعرضت عنـه وجعلت إصبعى فى أذنى ، لئلا أسمع قولَه .

---

(١) كذا فى الأصل .

الخوارزمى : تقول العرب لكل مفردٍ تَوٌ ، ولكل زَوج زَوٌ . ذكره الفرغانى . يقول : إن ناجانى من غيركم فتًى أعرضت عنه ولم أُصغِ إليه . يعنى : لا أرغب فى كلام غيركم بعد ما سمعت كلامكم .

٣٤ (غُذِيتُ النَّعَامَ الرُّوحَ دُونَ مَزَارِكُمْ ... وَأَسْهَرَنِى زَأْرُ الضَّرَاغِمَةِ الفُدْعِ)

التبريزى : أى أنا فى مفازة أصطادها وأغتذى بها . والرَّوَح : تباعُد ما بين الرِّجلين ، والنعام كلها رُوحٌ ، واحدها أَروح ورَوْحاء . والفَدَع : ميل الرِّجل إلى إنسيّها . والأُسود كلُّها فُدْع . وقيل : الفَدَع : أن يلتفت الرُّسْغُ إلى الجانب الذى يليه .

قال القتال السُّلَمىّ :

عَدِمتُ رجالًا بالحَليل كأنَّما(١) ... عميدُهمُ ليثٌ بِبِيشةَ أَفدعُ

وقال أبو زُبيد :

كأنما يَتفادَى رأسَ أمرِهِمِ ... مِن ذى زوائدَ فى أَرْساغه فَدَعُ(٢)

الخوارزمى : النعام الرُّوح ، فى «ألاح وقد رأى»(٣) . فى أساس البلاغة : «كأنهم الضراغمة الفُدع . وهو من اعوجاج فى الرُّسغ» . واستعرض رجلٌ عبدًا فرأى به فَدعًا ، فأعرض عنه . فقال العبد : «خُذ الأَفدع وإلّا فَدَع» ، فاشتراه . يصف مسيره إلى بغداد ، فيقول : كنتُ أسير فى مفازة لا أُصيب فيها من الطعام ، سوى لحوم النعام ؛ وما كان يُلِمُّ بى الهجود ، لأنه يزأر فيها الأسود . ولقد أصاب حيث قابل النعام الرُّوح ، بالأُسود الفُدع .

(١) أ : «كأنها» . حـ : «كأنهم» والوجه ما أثبتناه .

(٢) أنشد عجزه فى اللسان (فدع) برواية :

* مقابل الخطو فى أرساغه فدع *

(٣) البيت ٣٤ من القصيدة ٥ ص ٢٦٥ .

٣٥ (وَمَاذَادَ عَنِّى النَّوْمَ خَوْفُ وُثُوبِهَا ... وَلٰكِنَّ جَرْسًا جَالَ فِى أُذُنَىْ سِمْعِ)

التبريزى : السِّمع : ولد الذئب من الضَّبعُ . والجَرْس : الصوت .

الخوارزمى : السِّمع : ولد الذئب من الضَّبع ، وهو فِعْل بمعنى فاعِل ، لأنّ السِّمع فى الأصل هو السَّمع . وفى المثل : « أسمع من سِمْع » . قوله « جال فى أُذنى سِمع » ، جملة فى محل النصب على أنها صفة « جرسا » . . وخبر « لكنّ » محذوف . يقول : سَهرى بزئير الأُسد ، ما كان من خوفها ، ولكننى فى حدّة السَّمع بمنزلة السِّمع . والسِّمع مما يوقظه الهمسُ الخفىّ ، فكيف الأصوات العالية أذنيه .

٣٦ (وَلَمْ جُبْتُ أَرْضًا مَا انْتَعَلْتُ بِمَرْوِهَا ... وَجَاوَزْتُ أُخْرَى مَا شَدَدْتُ لَهَا شِسْعِى)

التبريزى : المرو : الحجارة المُحدّدة ، واحدها مَرْوة .

الخوارزمى : المَرو : حجارة بيض رِقاق برّاقة فى الشمس ، الواحدة مَروة . وبها سميت « المَروة » بمكة .

٣٧ (وَبِتُّ بِمُسْتَنِّ اليَرَابِيعِ رَاقِدًا ... يُطَوِّفْنَ حَوْلِى مِنْ فُرَادَى وَمِنْ شَفْعِ)

التبريزى : مُستَنّ ، من السَّنَن ، وهو الطريق ؛ ومنه المثل « حتّى استنّت الفِصال القَرْعى »[1] أى مشت مشيا سريعاً بنشاط ، كأنها تسَنُّ به ماء ، أى أخذت على طريقة واحدة .

الخوارزمى : اليرابيع : جمع يَرْبوع ، وهو يَفْعول ؛ لأنه ليس فى الكلام فَعلول سوى صَعفوق ، لخَوَل باليمامة ، ولقولهم : أرض مَرْبعة ، ذات يرابيع .

(١) القرعى : التى بها القرع ، وهو بثر يخرج بالفصال . يضرب مثلا للرجل يفعل ما ليس له بأهل . انظر جمهرة الأمثال للعسكرى ٢٧ .

٣٨ ﴿ أَبَيْتُ فَلَمْ أَطْعَمْ نَقِيعَ فِرَاقِكُمْ مُطَاوَعَةً حَتَّى غُلِبْتُ عَلَى النَّشْعِ ﴾

التبريزى : يقال : سمٌّ نقيع ، إذا نقع فى الماء وما يجرى مجرى الماء من المائعات . والنَّشع : الإسعاط . والنَّشوع : السَّعوط ؛ ويقال النَّشوغ ، بالغين معجمة . يقال : نَشعت الصبىَّ ، إذا أسعطتَه . قال عَبْدة بن الطبيب :

لا تأْمَنوا قوماً يَشِبُّ فتاهمُ بين القوابل[1] بالعداوة يُنْشَعُ

الخوارزمى : أَبَيت ، بفتح الباء ، وهو من الإباء . النَّشع : مصدر نشعت الصبىَّ وأَنشعته ، مثل وَجرته وأَوجرته . يقول : إليكم قد قطعتُ كلَّ مفازة هى مَسْبعة جائعًا وحافيًا ، رغبةً فى صُحبتكم ، فكيف أُفارقُكم عن طَوع ؛ لحالى إلى مفارقتكم كحال من يُجبر على صَبِّ الدواء المُرّ فى فيه .

٣٩ ﴿ فَنَادَيْتُ عَنْسِى مِنْ دِيَارِكُمُ هَلَا وَقُلْتُ لِسَقْبِى عَنْ حِيَاضِكُمُ هِدَعْ ﴾

التبريزى : يقال للناقة : هلا ، أى آذهبى . وهِدَعْ : من زجر الفِصال وبِكارة الإبل . والسَّقْب : ولد الناقة .

الخوارزمى : هِدَعْ ، بكسر الهاء وفتح الدال وسكون العين : كلمة تسكن بها صغار الإبل إذا نَفرت . وأما هِدْعِ ، بسكون الدال وكسر العين ، فلم أعرفه ، إلا أن المَيْدانىّ ذكر عن أبى الهيثم ، أن كل صوت به يزجر الإبل فإنه يخرج مجزوما ، إلّا إن وقع[2] فى قافية ، فيحرك إلى الخفض .

(١) فى الأصل : « بين القبائل » صوابه من المفضليات (١ : ١٤٥) ، وفيها أيضا : « يشب صبيهم » .

(٢) فى الأصل : « ارتفع » .

٤٠ (صَحِبْتُ إِلَيْكُمْ كُلَّ أَطْلَسَ شَاحِبٍ   يَنُوطُ إِلَى هَادِيهِ أَبْيَضَ كَالرَّجْعِ)

التبريزى : أصل «الرَّجع» المطر؛ ومنه : (والسَّماءِ ذَاتِ الرَّجْعِ)، ثم قيل للغدير رجع ، لأنّه منه يكون . قال الهُذَلىّ[1] :

أَبْيَضَ كالرَّجْعِ رَسُوبٌ إذا   ما هُزَّ فى مُحْتَفَلٍ يَخْتَلِى

ويروى : « إذا ما ثاخ[2] » . فى محتفل ، أى فى معظم لحمٍ كثير . ومحتفل الوادى : معظمه[3] . والأطلس : الذى يضرب لونُه إلى السواد ، وهو من صفات الذئب أيضا . قال الفَقْعَسىّ :

تَعاوَيْتُمُ طُلْسًا إلىّ كأنكم   ذِئابُ الفَلا والذِّئْبُ باللّيل أطلسُ

وها هنا يريد به رجلًا قد شَحَب لونه وتغيّر . ويَنوط : يُعَلِّق . إلى هاديه : إلى عُنقه . [أبيض] : سيفًا يُشبه الغدير .

الخوارزمى : ذِئب أطلس : فى لونه غُبرة إلى السواد . والمراد بـ « كل أطلس » كُلُّ رجل هو كالذِّئب فى الغدر . رَزَقنا الله رَجْعَ السماء ، وهو المطر ؛ ونظيره : الأَوْب ، للمطر . وهذا من قول المتنخّل الهذلىّ :

* أبيض كالرَّجع رسوبٌ إذا *

---

(١) هو المتنخل الهذلى . والبيت من قصيدة له فى أشعار الهذليين نسخة الشنقيطى ٤٦ واللسان (رجع وثوخ) والبيت فى وصف سيف . وثاخ : ساخ . ويختلى : يقطع .

(٢) وهى رواية الهذليين واللسان .

(٣) العبارة من قوله « ويروى » إلى هنا جاءت فى الأصل فى آخر الشرح .

وفى اللسان (حفل) عن الأزهرى : « ومحتفل الأمر : معظمه . ومحتفل لحم الفخذ والساق : أكثره لحما . ومنه قول الهذلى يصف سيفا » ، ثم ذكر البيت .

٤١ (عَلَيْهِ لِبَاسُ الخُلْدِ حُسْنًا ونَضْرَةً ... ولَمْ يَرْبُ إلَّا فِي الجَحِيمِ مِنَ الصُّنْعِ)

التبريزى : عليه ، أى على السيف المُشبَّه بالغدير خُضرةُ الجنة ، وكانت تَرْبيته فى النّار لأنه طُبع فيها .

الخوارزمى : الضمير فى « عليه » لـ « أبيض » . رَبوتُ فى حِجره ، ورَبيت . قال :

* ثلاثة أملاكٍ ربُوا فى حُجورنا * (١)

السيف يوصف بالخُضرة . ومنه بيت السقط فى صفة سَيف :

طريقةُ موت قيَّد العَير وسطها ... لينعم فيها بين مَرعًى ومَشْرَعِ (٢)

يقول : هذا السيفُ يرى أخضَر مع أنه فى النارُ ولد ونشأ .

٤٢ (وأَبْرَزَهُ مِنْ نَارِهِ القَيْنُ أَخْضَرًا ... كَأَنَّ غِيثَ فِيهَا بِالتَّلَهُّبِ والسَّفْعِ)

التبريزى : غِيثَ . من قولهم : غِيث القوم ؛ إذا أصابهم الغَيث ، وهو المطر . والمعنى أنّ هذا السيفَ كأنّه لخضرته أصابه غيث بسَفْع النار له . وسَفْعها : إصابتها بحرارتها . والقَين : الصانع .

الخوارزمى : الضمير فى «غيث» لـ «أبيض» وفى «فيها» للنار . السَّفع : مصدر سفعته النار ، أى لَفحته ؛ ومنه السُّفعة . وهى سوادٌ مشرب حُمرةً . السيف كما يوصف بالخُضرة يُشبَّه بالنار . وفى أبيات السقط :

ما كنتُ أحسبُ جفناً قبل مَسكنه ... فى الجَفن يُطوى على نار ولا نَهَرِ (٣)

(١) البيت لمسكين الدارمى كما فى اللسان (ربا) . وتمامه :

* فهل قائل حقا كمن هو كاذب *

(٢) البيت من القصيدة ٦٦ . (٣) البيت ٦٠ من القصيدة ٣ ص ١٥٩ .

٤٣ (وَلَوْلَا الْوَغَى فِي الْحَرْبِ أَسْمَعَ رَبَّهُ ... أَلِيلَ الْمَنَايَا فِي الْمُثَارِ مِنَ النَّقْعِ)

التبريزى : الوَغى والوَعى والوَحَى ، كلُّها الأصوات فى الحرب . وأَليل المنايا : صوتها . والأَليل ، من قولهم : له الويل ؛ أو من قولهم : سمعت أليل الماء وخريره . والنَّقع : الغبار .

الخوارزمى : الوَغى والوَعى والوَحى : الأصوات فى الحرب ، ثم يُسمَّى بها الحرب نفسُها . عنى بـ « أليل المنايا » صوتَها . وهذا قريب من بيت السقط[1] :

يعبِّر سيفُه لفظَ المنايا ... كما شرَح الكلامَ التَّرجمانُ

٤٤ (وَيَأْبَى ذُبَابُ أَنْ يَطُورَ ذُبَابَهُ ... وَلَوْ ذَابَ مِنْ أَرْجَائِهِ عَمَلُ الرُّضْعِ)

التبريزى : عَمَل الرُّضع : العسل . والرُّضع : فِراخ النحل . والمعنى أن النَّحل تعمَله لأولادها . وذُباب السيف : حدُّه ، والمعنى أن هذا السيفَ لمضائه لا يجسُر الذبابُ أن يَقرَبه ولو سال منه العسل . ويطور : يقرَب . وأصل ذلك من طَوار الدار ، وهو ما حاذَاها ، ويقال : فلان ما يطُور بالدار ، أى ما يَقرَبها . قال ذو الرُّمة :

بمِىٍّ إذا أدلجنا فاطرُدا الكَرى ... وإن كان آلَى أهلُها لا أَطورُها[2]

الخوارزمى : الذُّباب ، جمع ذُبابة ؛ سُمِّيت بذلك إما لخفّتها ، من الذَّبّ ، وهو الخفيف ، وإما لأن قَذَرَها كأنّه يذُبّ عنها ، ألا تَرى إلى قوله :

نجا بك لؤمُك مَنجى الذُّباب ... حمتْه مَقاذِرُه أن يُنالَا

(١) البيت ٦٠ من القصيدة ٣ ص ٢١٨ .

(٢) فى الأصول : « لا يطورها » والتصويب من الديوان ، ٣٠ .

لا تَطُر حَرانا، أى لَا تَغْشَ ساحَتنا. كذا ذكره فى أساس البلاغة. وأصله من طَوار الدار، وهو ما يمتدّ معها من فِنائها وغيرها من حدودها. ضربه بذباب سيفه، وهو طَرَفه. وكأنّ آشتقاقه من الذّبّ بمعنى الدفع. الرُّصْع، بسكون الصاد: فِراخ النحل. وقال أبو عمرو: الرُّضْع، بالضاد المعجمة: صِغار النحل. والمراضيع: أمهاتها. وفى شعر هذيل: المَراضيع التى معها فراخها. كذا نقله الغورى. وأما الرُّصَع، بتحريك الصاد المهملة، فقد قال صاحب التكملة: هى صغار النحل قبل أن تَطير. والمراد بـ«عمل الرصع» هو العسل. و«ذاب» مع «الذباب» من التجنيس الذى يُشبه المشتق وليس به.

٤٥ (تَلَوَّنَ لِلأَقْرانِ فِى هَبَواتِهَا تَلَوُّنَ غُولِ القَفْرِ لِلْعَاجِزِ المِجْعِ)

التبريزى: المِجْع: الضعيف. والمعنى أن هذا السيف يتلون ألوانا على مقدارِ ما يقابل من الشّمس أو غيرها، فكأنه غُول يتلون. والغُول توصف بذلك؛ قال كَعب:

فما تَدوم على وَصل يكون بها كما تَلَوَّنُ فى أثوابها الغُولُ

والهَبوات، جمع هَبْوة، وهى الغبرة.

الخوارزمى: فى معتقدات العرب أنّ الغُول تتلون، قال كَعب بن زُهير:

* كما تلوَّنُ فى أثوابها الغُولُ *

المِجع، بكسر الميم، هو الأحمق؛ عن الغورى. ومدار التركيب على الخَلْط. يقول: هذا السيف يُرى حينًا كالنار أحمر، ومَرّةً كالنبت أخضر، وتارة كالماء أبيض.

(١) الرصع، بسكون الصاد، بمعنى صغار النحل، لم نجده إلا فى الجمهرة (٢ : ٣٥٢).

(٢) قد وردت لفظة «المراضيع» فى قول أبى ذؤيب الهذلى:

تظل على الثمراء منها جوارس مراضيع صهب الريش زغب رقابها

٤٦ (تَقُولُ بَدَا فِى سُنْدُسٍ أَوْ مُوَرَّدٍ مِنَ اللِّبْسِ أَوْ عَصْبٍ يَرُوقُكَ أَوْ نِصْعِ)

التبريزى : النصع : الثوب الأبيض . والسُّندس : ثياب خُضر . والعَصْب : ضرب من وَشْى اليمن . والوشى، ما نُقش من الثياب واختلَفت ألوانه.

الخوارزمى : قال التبريزى : « السندس : ثياب خُضر . العَصب : ضرب من وَشْى اليمن » . قال الغورى : النِّصْع : ثوب أبيض . قال صاحب التكملة : أديم أبيض . وهذا البيت تقرير للبيت المتقدم .

٤٧ (يُدَرّ بِهِ خِلْفُ المَنُونِ دَمَ الطُّلَى وَيَكْبُرُ عَنْ فُطْرِ الوَلَائِدِ والرَّضْعِ)

التبريزى : خِلف المنون ، مُستعار من خِلف الناقة . والفُطر : حلب بإصبعين . أى إنّ خِلْف المنون لا يحلب بالفُطر ولا يُرضع كما يرضع الخِلْف .

الخوارزمى : محفوظى : يدِرّ، من الدّرّ لا من الإدرار. دمَ الطُّلى، منصوب على التمييز، والتمييز كما يجىء مفردا كذلك مضافا يجىء، ويكثر فى أحاديث النبىّ صلى الله عليه وسلم « سبعون ألف ملك » ونحوه . ونظيره قول أُمية بن أبى الصَّلْت :

إلى رُدُحٍ من الشِّيزَى مِلاءٍ لُبابَ البُرِّ يُلْبَكُ بالشِّهادِ

وأنشد المُبَرِّد للعبّاس بن الأحنف :

وقد مُلئت ماءَ الشَّباب كأنّها قَضِيبٌ من الرَّيحان ريّان أخضرُ[1]

وأنشدوا :

إذا الرجالُ شَتَوْا وآشتدّ أكلُهمُ فأنت أبيضُهم سِرْبالَ طَبّاخ

الفُطر ، هو حَلْب الناقة بالسبّابة والإبهام . ومدار التّركيب على الشقّ .

(١) فى الديوان ٧٢ : «وقد ملئت بين الثياب» .

٤٨ ﴿ فَيَالَكَ مِنْ أَمْنٍ تَقَلَّدَهُ الفَتَى ... وَبَاتَ بِهِ الأَعْدَاءُ فى خَطَرٍ بِدْعِ ﴾

التبريزى : الخطر : الأمر العظيم . والبِدْع : العجب .

الخوارزمى : قوله « فيالك » ، كلمة تعجّب . ونحوها : يالَلْماء ، و يالَلذَّود[(١)] .

شىء بِدْعٌ ، أى مبتدع . والمصراع الأوّل من هذا البيت فصيح مستبدع .

٤٩ ﴿ وَلَمَّا ضَرَبْنَا قَوْنَسَ اللَّيْلِ مِنْ عَلٍ ... تَفَرَّى[(٢)] بِنَضْخِ الزَّعْفَرَانِ أَوِ الرَّدْعِ ﴾

التبريزى : أصل القَونس ، أعلى البَيضة من الحديد ، ثم قيل : قَونس الفرس وغيره ؛ كما قال طَرفة :

اِضرِبَ[(٣)] عنك الهمومَ طارقَها ... ضَربَك بالسَّوط قونَس الفَرسِ

هذا من أبيات الكتاب . وقوله « اِضربَ » أمرٌ ، إلا أنه أشم الباء حركةً لصحة الوزن ، وهذه الحركة غير خالصة . ومثله :

فاليومَ أشربْ[(٤)] غيرَ مُستحقبٍ ... إثمًا من الله ولا واغلِ

---

(١) الذود ، بالفتح : جماعة من الإبل اختلف فى قدرها .

(٢) فى التنوير : « تسرى » .

(٣) اضرب ، بفتح الباء ، أراد اضربن ، بنون التوكيد الخفيفة فحذفها للضرورة . وهذا من الشاذ ؛ لأن نون التوكيد الخفيفة لا تحذف إلا إذا لقيها ساكن . وقال ابن برى : البيت لطرفة . و يقال إنه مصنوع عليه . انظر اللسان (قنس) والخزانة (٤ : ٥٨٨) .

(٤) البيت لامرئ القيس . و بهذه الرواية روى فى الخزانة (٣ : ٥٣٠) ، وفيها : « أنه يقدر فى الضرورة رفع الحرف الصحيح كما فى « أشرب » فإن الباء حرف صحيح وقد حذف الضمة منه للضرورة . قال سيبويه : وقد يسكن بعضهم فى الشعر ويشم . قال الأعلم : الشاهد فيه تسكين الباء من قوله أشرب فى حال الرفع والوصل ... » . والرواية فى اللسان (حقب) وديوان امرئ القيس : « أسق » مكان « أشرب » . والمستحقب : المكتسب للإثم الحامل له . والواغل : الذى يدخل على القوم وهم يشربون لم يدعوه .

فى أنّه أشمّ الباء ضمة غير خالصة . والنّضخ ، يستعمل فيما بقى له أثر . والنضح ، بالحاء غير منقوطة ، فيما لم يبق له أثر . والنّضخ ، بالخاء منقوطة ، أثخن من النضح . ويروى : « تسرّى بنضخ الزعفران » أى تفرّق وتكشّف ، من قولهم : سُرّى عنه الهمّ . والرّدع ، من قولهم : ارتدع بالطّيب ، إذا اطّلى به . والمعنى أنّ الخمر توصف بالحمرة والشّقرة .

الخوارزمى : فى أساس البلاغة : «ضَربوا قونس الليل : سَرَوْا فى أوّله» . رَدْع من زعفران ، أى أَثر . ومنه : الرّدْع ، بمعنى الزّجر ؛ لأنه يبقى منه فى قلب المَزجور أثر . ويُروى « تسرّى » مكان « تفرّى » ، ومعناه انكشف . قال الغورى : تسرّى غضبُه ، أى انكشف عنه . يقول : لما أخذنا فى السُّرى من أوّل الليل مددناه إلى أن انبلج الفجر .

٥٠ ﴿كَأَنَّ الدُّجَى نُوقٌ عَرِقْنَ مِنَ الْوَنَى وَأَنْجُمُهَا فِيهَا قَلَائِدُ مِنْ وَدْعِ﴾

التبريزى : الإبل إذا عرقت اسودّ عرقها عليها ، فلذلك شبّهها بها .

الخوارزمى : عَرَقُ الإبل إذا جفّ اسودّ . وهو فى « لا وضع للرحل »(١) . الوَدْع ، بالتسكين : صَدَف من صدف البحر ؛ والتحريك لغة فيه . نقله الغورى عن الكسائى .

٥١ ﴿لَبِسْتُ حِدَادًا بَعْدَكُمْ كُلَّ لَيْلَةٍ مِنَ الدُّهْمِ لَا الْغُرِّ الحِسَانِ وَلَا الدُّرْعِ﴾

التبريزى : الدّهم : السّود . والغُرّ : البيض . والدُّرْع : التى تسودّ أوائلها ويبيضّ سائرها ؛ ومنه شاةٌ دَرْعاء ، إذا اسودّ رأسها وابيضّ سائرها .

(١) البيت ٨ من القصيدة ٣١ ص ٧٤٣ .

والمعنى أن ليالىَ عَدِمتْ منها البياض ، فهى دُهْم لا يطلُع فيها القمر . ويقال : دُرْع ودُرَع[١] .

الخوارزمى : حِدادًا ، منصوب على أنه مفعول له . الدُّهم ، هى السود ، من الدُّهمة . والغُرّ ، هى البيض ، وهى ليلة ثلاثَ عشرةَ وأربعَ عشرةَ وخمسَ عشرةَ . وهى التى أمر النبىُّ صلى الله عليه وسلم بصَوْمها . وأما الغُرَر ، فهى ثلاث ليال من أوّل الشهر . قال الغورى : الدُّرع والدُّرَع : الثلاث من ليالى الشهر بعد البيض . قال الخارَزَنجى : أصل الدرْع ، مسكّن الراء ، ولكنهم فتحوها لإتباع أخواتها ، وهى الغُـرَر والتُّسع والعُشَر . أبو عبيد : قال أبو زيد : ليالٍ دُرْع : سُود الصدور بيض الأعجاز ، وبِيض الصدور سُود الأعجاز . وهذا من الأضداد . قال الخارَزَنجى : فثلاث ليال أوّل الشهر دُرْع ، وثلاث من آخره دُرْع .

٥٢ ﴿أَظُنّ اللّيَالِى وَهْىَ خُونٌ غَوادِرٌ   بِرَدِّى إلَى بَغْدَادَ ضَيِّقَةُ الذَّرْعِ﴾

التبريزى : خُون : جمع خَؤُون

الخوارزمى : خُـون : جمع خَؤُون ، ونحوها غُدُر فى جمع غَدُور ، ولُهُج جمع لهوج — وهى فى «أودى فليت الحادثات»[٢] — ودجاج بيُضٌ فى جمع بَيُوض . فى أساس البلاغة : « ضاق بالأمر ذَرْعًا وذِراعا ، إذا لم يُطقه » .

٥٣ ﴿وَكَانَ اخْتِيَارِى أَنْ أَمُوتَ لَدَيْكُمْ   حَمِيدًا فَمَا أُلْفِيتُ ذٰلِكَ فِى الوُسْعِ﴾[٣]

التبريزى : ... ...

الخوارزمى : هذا من قوله تعالى : ﴿وَمَا تَدْرِى نَفْسٌ بِأَىِّ أَرْضٍ تَمُوتُ﴾ .

---

(١) فى القاموس : «بالضم وكصرد» .   (٢) البيت ٢٣ من القصيدة ٦٠ ص ١٢٨٧ .

(٣) عند الخوارزمى : « فى وسعى » .

٥٤ (فَلَيْتَ حِمَامِى حُمَّ لِى فى بِلَادِكُمْ وَجَالَتْ رِمَامِى فى رِيَاحِكُمُ المِسعِ)

التبريزى : يقال : ريحٌ مِسْعٌ ، أى شَمال . ورِمامه : عِظامه البالية . قال الهذلىّ (١) :

قد حال دون دَرِيسَيْه مؤوِّبةٌ مِسْعٌ لها بعِضاه الأرض تهزيزُ

الخوارزمى : الحِمام : مشتقّ من حُمّ ، إذا قُدِّر ، كما أنّ المنية مشتقة من مُنِى ، إذا قُدّر . والمصراع الأول من هذا البيت مما يدلّ على صحة هذا الاشتقاق . المِسْع والنِّسْع ، من أسماء الشمال ، مؤنثتان . قال قَيس بن خُويلد الهُذلىّ (٢) :

* نِسْعٌ شآميةٌ فيها الأعاصيرُ *

الميم والنون فيه يتعاقبان ، كما فى الأَيْم والأَيْن . وخصّ الشَّمالَ لأنها شديدة الهبوب ، فيكون أليق بإرداء . و « الحمام » مع « الرمام » تجنيس .

٥٥ (وَلَيْتَ قِلَاصًا مِلْعِرَاقِ خَلَعْنَنِى جُعِلْنَ وَلَمْ يَفْعَلْنَ ذَاكَ مِنَ الخَلْعِ)

التبريزى : خلعننى ، أى أخرجننى ، كما يخلع الإنسانُ الثوبَ منه . وقوله « ملعراق » يريد من العراق . ومنه بيت الكتاب :

غداةَ طَفَت عَلْماءِ بكرُ بن وائلٍ وعُجْنا صُدورَ الخيل نحو تميمِ (٣)

يريد على الماء . أى ليت القِلاص التى خلعننى من العراق خلعت خلعا . والخَلْع : أن يُنحر الجزور ويُطبخ لحمها بشحمها ، ويُطرح فيها توابل ، ثم يُفرغ فى جلد ، فيأكلونه فى أسفارهم ، وذلك الوعاء يقال له : القَرْف . قال مُعقِّر بن حِمار البارقىّ :

(١) هو المتنخل الهذلى . وقصيدة البيت فى القسم الثانى من مجموع أشعار الهذليين ص ٨٧ ونسخة الشنقيطى من الهذليين ٤٦ .

(٢) صدره كما فى اللسان (نسع) :

* ويلها لقحة إما تؤوبهم *

(٣) البيت لنهار بن توسعة ، كما فى سيبويه (١ : ٣٤٨) .

وذُبيانيّـــةٍ أوصت بَنِيهـا بأن كذَبَ القَراطفُ والقُروفُ (١)
تُجهّزهم بمـا قَدرتْ وقالت بَنِيّ فكُلُّـكم بَطـلٌ مُسِيفُ (٢)
فأخلفَنـا مودّتَهـا فقــاظت ومأْقِي عَينها جَذِلٌ نَطــوفُ (٣)

أى وربّ ذبيانيةٍ وصّت بنيها . وقوله : كذب ، أى عليكم . يقال : كذب عليك الأمرُ ، إذا أغراه به . وفى حديث عمر : « كذَب عليكم الحجّ ، وكذَب عليكم العمرة ، وكذب عليكم الجهاد ، ثلاثةُ (٤) أسفار كذبن عليكم » . والحج ، يرتفع بفعله . والمعنى أن الإنسان إذا كذَب عليه غيره صارت بينـه و بينه عداوة توجب أن يُجازيه بفعله . فقال القائل : كذب عليك فلان ، ليَنبهه على جزائه . وقَدُمت هـذه الكلمة حتى صارت كالإغراء . كما قال خِداش بن زُهير :

كذبتُ عليـــكم أَوعِدُونى وعلّلوا بِىَ الأرضَ والأقوامَ قِردانَ مَوْظَبَا (٥)

موظَب : اسم موضع . قردان ، نصب بالنداء ، يريد : يا قردان موظب ، جمع قُراد . (٦)

الخـــوارزمى : ملعراق ، أى من العراق ، حذف نون «من» لالتقاء السا كنين .

ونظيره ما أنشده السيرافى للأعشى :

(١) البيت من شواهد الخزانة (٢ : ٢٨٩) . والقراطف : جمع قرطف ، بجعفر : وهو كساء مخمل .

(٢) المسيف : الذى وقع فى إبله السواف ، فذهب ماله . ورواية أ : « بما وجدت » .

(٣) أخلفنا مودّتنا ، أى خيبتنا مأمولها . وقاظت : أقامت فى القيظ . والمأقى : لغة فى موق العين ، وهو طرفها من ناحية الأنف . والجذل كفرح : الموق الذى فيه بثر وحمرة . والنطوف : الذى ينطف : أى يسيل دمعه .

(٤) أ : « تلك » .

(٥) البيت فى اللسان (كذب ، وظب) . عللوا بى الأرض ، أى اقطعوا بذكرى الأرض ، وأنشدوا القوم هجائى .

(٦) بفتح الظاء ، كما فى اللسان .

وكأنّ الخمرَ المُدامة مِلإِسـ ـفِنطِ ممزوجةً بماء زُلالِ[1]

وأنشد أبو علىّ الفارسىّ :

أَبلغ أخا دُخْتنوسَ مَأْلُكةً غيرَ الذى قد يُقال مِلْكذبِ

و إبقاء هـذه النون مع التحريك أكثر . خلعنى ، أى نَزعنى عن العراق ، كما يُنزع الثوب . الخَلْع : لحم يُطبخ بإهالة ثم يحقن فى الزِّقاق فيؤكل . قوله « من الخَلْع » يتعلق بقوله « جعلن » . و«خلعنى» مع « الخلع » تجنيس .

٥٦ (فَدُونَكُمُ خَفْضَ الحَيَاةِ فإِنَّنَـا نَصَبْنَا المَطَايَا بالفَلَاةِ عَلَى القَطْعِ)

التـبريزى : خَفْض الحياة : لِينها ؛ وهو مُلغز عن الخفض الذى يستعمله النحويون . ونصبنا المطايا ، أى أقمناها ؛ من قولهم : نصبت الشىء لكذا ، أى جعلته مُعَدًّا له . والنصب أيضا : رفعُها فى السـير ، وهو مُلغز عن نصب الإعراب . والقَطْع : قطع الإبل الأرض ، وهو مُلغز عن القطع الذى يُسمِّيه البصريون الحال ، والكوفيون يسمونه قطعا .

الخـوارزمى : قال الإمام إسحاق بن إبراهيم أبو إبراهيم الفارابى رحمه الله ، فى كتابه الموسوم ببيان الإعراب : « الحال عند بعض الكوفيين تسمَّى القطع » ، وكذلك ذكر التبريزى . والبيت كله إيهام .

٥٧ (تَعجَّلْتُ إنْ لم أُثْنِ جُهْدِى عليكُمُ سَحَابَ الرَّزَايَا وهْىَ صَائبةُ الوَقْعِ)

(١) رواية الديوان ص ٥ : « وكأن الخمر العتيق من الإسفنط » . وأشار فى الشرح إلى روايتنا هذه منسوبة إلى أبى عبيدة .

التبريزى : ... ...

الخوارزمى : يقال : تعجّل من كذا وكذا ، أى اخذه عاجلا . وقوله «تعجلت سحاب الرزايا» دعاءٌ على نفسه . الصائبة : فاعلة ، من صاب السهمُ ، بمعنى أصاب . يقال : «مع الخواطئ سهم صائب» . الغورى : وَقَعَ الشيءُ وَقْعاً ووقوعا . وفى كلام جار الله : «الحريصة ، هى السحابة الشديدة وقع المطر» . ذكره فى الأساس .

[القصيدة الثالثة والستون]

وقال يُجيب محمد بن حَمَد بن محمد بن فُورَّجة البُروجردىّ[1]، عن قصيدة أوّلها :

ألا قامت تُجاذبنى عِنانى ‏ ‏ ‏ ‏ وتسألنى بعَرْصتها مَقيلا[2]

١ (كَفَى بِشُحُوبِ أَوْجُهِنَا دَلِيلَا ‏ ‏ ‏ ‏ عَلَى إِزْمَاعِنَا عَنْكَ الرَّحِيلَا)

التبريزى : الأوّل من الوافر، والقافية من المتواتر.

البطليوسى : الشحوب : التغيّر، يقال منه : شَحَب وشَحُب، بفتح الحاء وضمها. والإزماع : العزيمة على الشىء. يقول : شُحوب أوجهنا أعظم دليل،

---

(١) هو محمد بن حمد بن محمد بن عبد الله بن محمود بن فورجة البروجردى. وفورجة بضم الفاء وسكون الواو بعدها راء مشدّدة مفتوحة وجيم، أديب فاضل مصنف، له كتاب « الفتح على أبى الفتح » و « التجنى على ابن جنى » يرد فيه على أبى الفتح بن جنى فى شرح شعر المتنبى. ولد سنة ٣٣٠، وفى وفاته خلاف، وكان حيا سنة ٤٢٧. انظر ياقوت (٧ : ٤) وبغية الوعاة ٣٩ والفوات (٢ : ٢٤٧) وكشف الظنون (٢ : ١٧٢).

وفى أ من التبريزى : « وقال يجيب بن محمد بن فورجة » وفى حـ : « وقال محمد بن محمد بن أحمد فورجة ». والصواب ما أثبتنا.

(٢) ديباجة البطليوسى : « وقال بمدينة السلام يجيب أبا على النهاوندى عن شعر خاطبه به. وهو من السقط». الخوارزمى : « وقال أيضا فى الوافر الأوّل والقافية من المتواتر يجيب أبا على النهاوندى، يجيب عن قصيدة أوّلها :

ألا قامت تجاذبنى عنانى ‏ ‏ ‏ ‏ وتسألنى بعرصتها مقيلا»

قوله تجاذبنى عنانى، معناه بالفارسية عنان كَيرى ميكند. الجواب».

وفى التنوير : « وقال أيضا فى الوافر الأوّل والقافية من المتواتر بمدينة السلام يجيب أبا على النهاوندى محمد بن حمد بن فورجة عن قصيدة أولها :

ألا قامت تجاذبنى عنانى ‏ ‏ ‏ ‏ وتسألنى بعرصتها مقيلا

على ما نحاوله من السفر والرحيل . ثم بيّن بما ذكره بعد هذا البيت أنه فراق اضطرار ، لا فراق اختيار .

الخوارزمى : الإزماع ، فى « بَنِى الحَسَب الوضّاح » .(١)

٢ ﴿أَبَتْ صِنفَا النَّواعِبِ مِنْ نِيَاقٍ   وَطَيْرٍ أَنْ تُقِيمَ وَأَنْ تَقِيلاَ﴾

التبريزى : يقال : نوق نواعب ، أى تَنعب فى السير ، وهو سير سريع . وقيل : إنما قيل لها نواعب ، إذ كانت تحرك رءوسها فى السير لنَشاطها . والنواعب ، أيضا : الغربان ؛ يقال : نعب الغراب ، إذا صاح وحرّك رأسه . وتَقيل ، من القائلة ، وهو أن يُقيم الإنسان فى وقت الهاجرة يستظلّ ، إما نائمًا أو غير نائم . واتُّسع فيها ، فسُمّى الشراب الذى يُشرب فى هذا الوقت قَيلا . ويقال : هذا مَقيل الهامة ، يريدون العُنق ، مأخوذ من قَالَ فى الموضع ، إذا أقام به . قال الشاعر :

بَضربٍ بالسيوف رءوسَ قَومٍ   أزلنا هامَهنّ عن المَقيلِ(٢)

البطليوسى : سياق .

الخوارزمى : نعب الغراب نعيبا : مدّ فى نَعابه عنقه . ونعبت الإبل : مدّت فى سيرها أعناقَها . وناقة نعوبٌ ، وإبل نواعب .

٣ ﴿تَأَمَّلْنَا الزَّمَانَ فَمَا وَجَدْنَا   إِلَى طِيبِ الحَيَاةِ بِهِ سَبِيلاَ﴾

التبريزى : ... ...

البطليوسى : النّواعب من الإبل : التى تُحرِّك رءوسها إذا مشت وتمدّ أعناقها . وأما النواعب من الغربان ، فهى التى تصيح بالشرّ . والنواعق التى

(١) البيت ٤٠ من القصيدة ٤٢ ص ٩٦٨ .

(٢) البيت للرار بن منقذ ، كما هو عند العينى (٣ : ٤٩٩) ، يستشهدون به على إعمال المصدر المنكر المنون . وانظر سيبويه (١ : ٩٧) .

تصيح بالخير . وقيل : هى التى تحرِّك رءوسها دون صوت، والنواعق: التى تصيح . فأمّا تخصيصهم النَّعيق بأنه فى الخير دون الشر، فغير صحيح، لأنّا وجدناهم يستعملونه فى الشرّ . قال رؤبة :

أَرَّقَــنِى طارِقُ هَــمٍّ أَرَّقا وركْضُ غِربانٍ غَدَوْنَ نُعَّقا[1]

والنِّياق : جمع ناقة . وجعل أبو العلاء الغربان والإبل سواء فى أنها سبب للفراق، كما قال أبو الشِّيص :

ما فــرّق الأُلّافَ بعـ ـد الله إلا الإبــلُ
والنــاس يَلْحَون غرا بَ البيْنِ لمّـا جهـلوا
وما على ظَهْـــرِ غُرا بِ البين تُطْوَى الرِّحَلُ[2]
وما غرابُ البيْنِ إ لّا ناقـــةٌ أو جَمَــلُ

الخــوارزمى : هذا كقوله :

فى هــذه الدنيا عجائبُ جَمّــةٌ والعاقلُ المَسرور فيها أعجبُ

٤ ﴿ ذَرِ الدُّنْيَا إِذَا لَمْ تَحْظَ مِنْهَا[3] وَكُنْ فِيهَا كَثِيراً أَوْ قَلِيــلاَ ﴾

٥ ﴿ وَأَصْبِحْ وَاحِدَ الرَّجُلَيْنِ إِمَّا مَلِيكًا فِى الْمَعَاشِرِ أَوْ أَبِيلاَ ﴾

التـــبريزى : الأبيل ، المُتديّن ، وأصل ذلك فى الذى يضرب بالناقوس . ويقال له : أَبِيلِىّ . ويقال : الأبيل : القَسّ . والمراد به الراهب فى هذا الموضع .

---

(١) ديوان رؤبة ص ١٠٨ . و « نغقا » وردت فى حـ والديوان بالغــين المعجمة ، يقــال نعق ونغق بمعنى . ولكن الاستشهاد يقتضى رواية العين المهملة .

(٢) الرحل : جمع رحلة ، بالكسر .

(٣) البطليوسى : « فيهــا » .

وهو من تأبّل الوحش، إذا امتنع من شرب الماء، واستغنى بالرطب من الكلأ .

قال الشاعر[(١)] :

أمَا وَالــدِّماءِ الجــارياتِ تخالُهــا ... على طَرَف الشُّغْزَى مع الصُّبح عَندما[(٢)]

وما سَبَّح الرهبــانُ فى كلِّ ليــلةٍ ... أبِيــلَ الأَبيلِينَ المســيحَ بن مَرْيمــا

لقــد هزّ منّى عامرٌ يوم لَعلــعٍ ... حُســاماً إذا لاقَى الضَّــريبةَ صمَّما[(٣)]

أراد بأبيل الأبيلين : عظيمَ العظماء . وهذا يجب أن يكون قاله رجل من أتباع عيسى عليه السلام . والشُّغزى، بالغين معجمة وفتح الشين : حجر فى منتهى الحرم . وقد دلّ هــذا الشعر على أنهــم كانوا يذبحون عنده الذبائح ، ويتقربون بهــا إلى الله ســبحانه .

البطليــوسى : يقول : إذا طلبت الدنيا فلا ترضَ لنفسك إلا بأرفع الحظوظ منها، و إلا فاطَّرحها وتخلَّ عنها . والكثير هاهنا : النبيه الذكر . والقليل : الخامل الذكر . قال العبّاس بن مرداس :

فإنْ أكُ فى شِرارِكُم قليــلًا ... فإنّى فى خِيَــارِكُم كثيرُ

---

(١) هو عمرو بن عبد الجن، كما فى اللسان (أبل) ومعجم المرزبانى ٢٠٩ — ٢١٠ قال المرزبانى : « جاهلى قديم » .

(٢) فى الأصل : «اسغرى» صوابه بالزاى المعجمة كما نبه عليه ياقوت فى معجم البلدان . ورواية المعجم واللسان (عزز، أبل) :

* على قنة العزى أو النسر عندما *

(٣) روايته فى اللسان (أبل) :

لقــد ذاق منــا عامر يوم لعلع ... حساما إذا مــا هــز بالكف صمما

والمعاشر : القبائل . والأَبيـلىّ والأَبِيل : العابد الراهب . والأبيل : الذى يضرب الناقوس . قال الأعشى[(١)] :

وما سـبّح الرهبانُ فى كل بيعـةٍ أبيل الأَبِيلين المسيحَ بن مَرْيما

وقال الراجز :

لو عرَضَتْ لأَيْبُـلِىٍّ قَسِّ أشعثَ فى هَيكله مُنْدَسِّ
* حَنَّ إليها كحنين الطَّسِّ[(٢)] *

الخـوارزمى : الأبيل هـو الراهب ، فعيل بمعنى فاعل ، من أَبُل أبالةً فهو أبيل ، كما تقول : فقُه فقاهةً فهو فقيه . وأصله من تأبّل ، إذا ترك النكاح . وكان عيسى عليه السلام يسمّى أَبيل الأبيلين . فإن قلت : كيف يصحّ قوله « وكن فيها كثيرا » وقوله «وأصبح واحد الرجلين إما * مليكا» على تقـدير أن لا تحظى من الدنيا بشىء؟ قلت : الجواب عنه بوجهين : أحدهما أن قوله « وكن فيهـا كثيرا أو قليلا » ، وإن كان صورته صورةَ الأمر فمعناه معنى الخبر . أى دَع الدنيا ولك إحدى الحالتين : إما الإيالة أو الأبالة . ونظيره «اطرح وافرح» ، أى اطرح ولك الفرح . الثانى : إذا لم يكن للدنيا وإن حصّلتها جملةً تحت ضبطك محصولٌ ، فذر طِلابها ، ولا تبال أىّ الرجلين كنتَ : مليكاً أو راهبا . يريد أنه ليس بين المَلِك والفقير تفـاوت ؛ فأىّ الأمرين اتفق لك حصولُه فاقنع به ، ولا تتعدَّ عنـه إلى الآخر . وقد لَمَح هذين البيتين الأستاذُ أبو إسماعيل الكاتب فى قوله :

(١) كذا . وللأعشى قصيدة فى ديوانه على هذا الروى ليس منها هذا البيت . والصواب فى نسبته ما أسـلفنا .

(٢) الأبيات فى اللسان (قسس ، طسس) .

إذا ما لم تكن ملكًا مُطاعا … فكُنْ عبـدًا لخالقه مُطيعا
وإنْ لم تملك الدنيا جميعًا … كما تهـواه فاتركها جميعـا
وكُن ملكًا حوى مُلكا كبيرا … بها أو ناسكًا سكن البَقيعا
كذاك الفيلُ إما عند ملْكٍ … وإمّا فى مجاهلهـا نَزيعـا

التزيع، هو الغريب .

٦ (وَلَوْ جَرَتِ النَّبَاهَةُ فِى طَرِيقِ الْـ … ـخُمُولِ إلَىَّ لَاخْتَرْتُ الْخُمُولَا)

التـــبريزى : ... ...

البطليـــوسى : ... ...

الخـــوارزمى : يقول : لو أتت النباهةُ من الطريق الذى فيـه أتى الخمول، أى لو سُـوّى فى المشقة اكتسابُ النباهة واكتسابُ الخمول ، لآثرت الخمول على النبـاهة .

٧ (يُصَرِّدُ زَاجِرُ الصِّرْدَانِ جُبْنًـا … وَيُوصَلُ حَبْلُ مَنْ وَصَلَ الحُبُولَا)

التـــبريزى : الصِّردان : جمع صُرَد ، وهو طير أخضر كانوا يتطيّرون به . قال الشـاعر[(١)] :

دعا صُرَدٌ يومًا على غُصْن شَوْحطٍ … وصاح بِذاتِ[(٢)] البـان منها غُرابُها
فقلت أتَصْريـدٌ وشَحْـطٌ وغُربةٌ … فهـذا لعمـرى بَيْنُهـا واغترابُهـا

(١) انظر الأبيات فى الحيوان (٣ : ٤٣٧) .

(٢) ذات البان : موضع ذكره ياقوت . ورواية البطليوسى : « بذات البين » .

وكأنهم كرهوا اسمه لأنه فى اللفظ يُجانس قولهم: صَرَّد شربَه، إذا قطعه ونقَّصه . والحُبول : جمع حِبْل، وهى الداهية . والمعنى أنّ من يجبن ويتطيّر يُصَرَّد شربه ومن يُقدم على الحُبول، وهى الدواهى، ويشجع عليها جدير أن ينال ما يريد .

البطليوسى : التَّصريد : قَطع الشرب . قال النابغة :

وتُسقى إذا ما شئتَ غير مُصَرَّد بَزَوْراء فى حافاتها المِسكُ كانعُ

والزاجر : الذى يَزجر الطير، أى يتطيّر بها . والصِّردان : جمع صُرَد ، وهو طائر نصفُه أسود ونصفه أبيض، يسمى الشَّميط[1]، والأَخطبَ ، والأَخْيَل . وكانت العرب تتشاءم به، وتجعله فألًا بالتَّصريد . قال بعض الأعراب :

دعا صُرد يومًا على عُود شَوْحط وصاح بذات البَيْن[2] منها غرابُها

فقلت أتصريد وشَحط وغُربة فهذا لَعمرى بَيْنُها واقترابُها

وقال الفرزدق :

إذا قَطَنًا بَلَّغْتِنيه ابنَ مُدركٍ فلاقيتِ من طير العَراقيب أَخْيَلا[3]

والحُبول : الدواهى، واحدها حِبْل . قال كُثيّر :

* بنُصحٍ أتى الواشُون أم بحُبولِ[4] *

---

(١) فى الأصل : « السميط » صوابه بالشين المعجمة . والشميط : ما اختلط فيه لونان من سواد وبياض .

(٢) سبق برواية « بذات البان » . وذات البين : موضع أيضا، ذكره ياقوت .

(٣) فى اللسان : « طير اليعاقيب » ونبه على هذه الرواية أيضا .

(٤) صدره كما فى التنوير واللسان (حبل) :

* فلا تعجل يا عز أن تتفهمى *

وكانت العرب تُجِلّ الشجاع وتعظِّمه، وتصدّر به فى المجالس وتقدّمه، ويرغبون فى مصاهرته ومناكحته، ويتنافسون فى مواكلته ومنادمته. وكان الجبان عندهم فى الضدّ من ذلك. ولذلك قال لَقيط بن زُرارة:

إن الشِّواء والنَّشيل والرُّغُفْ والقينة الحسناء والكأس الأُنُفْ

* للطاعنين الخيلَ والخيلُ خُنُفْ *[(1)]

وقال نهشل بن حَرِّيّ[(2)]:

* وإن سَقِيتِ كِرامَ الناس فاسْقِينا *[(3)]

وقال آخر فى ضدّه:

فقُدْ بزمامٍ بَظْرَ أُمِّكَ واحتفِر بأَيْر أبيك الفَسل كُرّاتَ عاسِمِ[(4)]

يريد أن أباه لا يرغب أحدٌ فى مناكحته لجُبنه، فأيره لا يصلح إلا ليحفر به الكرّاث.

الخوارزمى: صرّدت الشاربَ عن الماء: قطعت عليه شُرْبه. والصِّردان: جمع صُرَد، ونظيره جِعلان فى جمع جُعَل، وهو طائر أبقع ولذلك يسمّى الأخْيَل، أخضرُ الظهر ومن ثَمَّةَ يسمّى الأخطب، أبيضُ البطن ولهذا يسمى مجوّفا. هذا محصول كلام أبى حاتم فى كتاب الطيور. وهو مما يُتطيَّر به، لدلالة لفظه على القطع. قال:

(١) الخنف: جمع خنوف، وهو من الخيل ما يميل أنفه إلى فارسه. وقد روى الأبيات فى اللسان (رغف)، وروى البيت الأخير: « والخيل قطف » جمع قطوف.

(٢) حرى، بفتح الحاء وتشديد الراء، كالمنسوب إلى الحر. ونهشل: شاعر مخضرم، كان مع على فى حروبه. انظر الخزانة (١: ١٥٢).

(٣) وفى الحماسة ٤٤ أن البيت لبعض بنى قيس بن ثعلبة، أو لبشامة بن حزن النهشلى. وصدره:

* إنا محيوك يا سلمى فحيينا *

(٤) البيت للطرماح فى ديوانه ١٦١ ومعجم البلدان (عاسم). يقوله لنافذ بن سعد المعنى.

دعا صردٌ يوماً على غصنِ شوحط ... وصاح بذات البـانِ منها غرابُها
فقلت أتصريدٌ وشحـطٌ وغُربةٌ ... فهـذا لعمرى بينُهـا واغترابُهـا

كانت بينهـم حبالٌ فقطعوها . استُعيرت الحبالُ للعهود والوُصَل . ومنـه بيت السـقط :

* بتّ الزمان حبالى من حبالكم[1] *

الحبول : جمع حِبل بالكسر، وهى الداهية؛ وكأنه فِعل بمعنى مفعول، من الحابل وهو الذى ينصب الحِبالة للصّيد ؛ لأنّ الداهيـة كأنها حِبالةٌ منصوبة . يقول : كلُّ من جَبُن فذهبَ مذهب العِيافة حُرِم حتى الشّربة من المـاء ، ومن شَجُع حتى أهابَ الناس فهابوه ، حفظوا عهوده ووصَلوه . « ويصرّد » مـع « الصِّردان » تجنيس . ومع « يُوصَل » تكافؤ . و « الحَبْل » مع « الحُبول » تجنيس أيضا .

٨ ﴿ وتَقْتُلُ أُمَّ لَيْلَى أُمُّ عَمْـرٍو ... لِمَنْ يَغْذُو سَمِيَّتَهـا قَتِيلا ﴾

التبريزى : أمّ ليلى : الخمر؛ قال الشاعر :

دَعْ أُمَّ ليلى فمـا تشفيك من ظمأٍ ... واشرَبْ على عَجَلٍ من مُنقَع الشِّيح

وتقتل، أى تمزج؛ قال حسان :

إنّ التى عاطيتَنِى[2] فرددتُهـا[3] ... قُتِلَتْ قُتِلْتَ فهاتِهـا لم تُقتَـلِ
كلتاهما حَلبُ العَصيرِ فعاطِنِى ... بزُجاجةٍ أرخاهمـا للمَفْصِـلِ

---

(١) البيت ٤٣ من القصيدة ٦٧ . وعجزه :

* أعزز علىّ بكون الوصل مبتوتا *

(٢) فى الديوان : « ناولتنى » .

(٣) هذه رواية الديوان و ا من التبريزى . والرواية فى حـ : « فشربتها » .

وأمّ عمرو : من كُنَى النساء . وكأنّ هذا البيت مبنيٌّ على قول القائل (١) :

صددتِ الكأسَ عنّا أمَّ عمرو   وكان الكأسُ مجراها اليمينا

وأم عمرو : كنية الضبع ؛ قال الراجز :

يا أمَّ عمـرو أبشرى بالبُشْرَى   مـوتٌ ذريعٌ وجرادٌ عَظْلَى

تعاظَلَ الجرادُ : إذا تَسافَدَ واتّصل بعضُه ببعض . والمراد أنّ الانسان إذا أقدم وقتـل الأعداء فأكلتهم الضّباع ، أطاعه النّـاس ، ونال بعض ما يريد من عَيشه ، فقُتِلت له الخمرُ ، أى مزجَتْها امرأةٌ يقال لهـا أُم عمـرو ، لأنه غذا سمّيتها وهى الضبع بالقتلى .

البطليـوسى : يقال : قتلتُ الخمرَ أقتلُها قتـلًا ، إذا مزجتَها بالمـاء . قال الأخطـل :

فقلت اقتلُوها عنكُم بِمزاجهـا   وحُبَّ بها مقتولةً حين تُقتَلُ

وتكنى الخمر أُمّ ليلى ، وأُم زَنْبَق ، وام حُنَين ، وأُمّ الخلّ . قال الشاعر :

سـقتنى أم ليـلى أمّ ليـلى   خِلتُ عُقارها مِن رِيق فيهـا

وقال مِرداس بن حزام الباهلى :

رميتُ بأُمّ الخلّ حَبّةَ قلبِـهِ (٢)   فلم ينتعش منهـا ثلاثَ ليالِ

وزعم بعضُ اللغويّين أنّ الخمر لا يقال لهـا أُمّ ليلى حتّى تكون سوداء . وأراد بأمّ عمرو امرأةً تكنى بهـذه الكنية . وأراد بسميّتها الضبع ؛ لأنّ الضـبع تكنى أُمّ عمرو وأُمّ عامر . قال الشاعر :

لقد جمعتْ جماجـمَ أُمُّ عمرٍو   وأوصالًا ستأكلهنّ حِينـا

(١) هو عمرو بن كلثوم . والبيت من معلقته المشهورة .

(٢) انظر الحيوان (١ : ١٠٥) ، وقصة الشعر فى المخصص (١٣ : ١٨٩) .

ومعنى بيت أبى العلاء أنه أكّد بما ذكره فيه ما ذكره فى البيت الذى قبله : من أنّ مَن جبُن عن الأعداء أهين وصُرِّد شربُه ؛ وأنّ من اقتحم الدّواهيَ سُقِىَ الخمر ووُصِل حبلُه؛ فقال : إنّما تسقِى أمُّ ليلى المقتول من الجريال ، مَن يُطعِم سميّتها المقتولَ من الأبطال ؛ وأمّا الجبان فإنها تكره قُربَه ، وتصرّد شُربَه . ولم يخصص أمَّ عمرو دون غيرها لمعنى؛ لأنّ النّساء كلّهن هذه عادتُهنّ وسبيلُهنّ، وإنما جعله نوعًا من اللُّغز، وكأنه إنّما ذكر أمَّ عمرو، لقول الشاعر[1] :

صددتِ الكأسَ عنا أمَّ عمرٍو   وكان الكأسُ مجراها اليمينا

الخوارزمى : قتل الشرابَ ، إذا مزجَه . قال :

* وحُبَّ بها مقتولةً حين تقتَلُ *

أمّ ليلى : الخمر . قال :

* دَعْ أمَّ ليلى فما تشفيكَ من ظَمأٍ *

أمُّ عمرو: بنت مُهَلهِل بن ربيعة. وقصّة ذلك أن أباها مهلهلًا، وكلثومَ بن عَتّاب ، وعَمرو بن كُلثومٍ، اجتمعوا فى بيت كلثومٍ على شراب لهم، وعمرٌو غلام، وأُم عمرو تسقيهم ، فبدأت بأبيها ثمّ بزوجها ، ثم ردّت على أبيها الكأس، وابنُها عمرو على يمينها ، فغضب وقال :

صددتِ الكأسَ عنّا أم عمرٍو   وكان الكأسُ مجراها اليمينا
فما شرُّ الثلاثةِ أمَّ عمرٍو   بصاحبك الذى لا تَصبَحينا

فلطمه أبوه وقال: يالُكَع ، بلى والله شرُّ الثلاثة . فلما قتل عمرُو بن كلثوم عمرَو بن هند قالت أُمه: أنت والله خير الثلاثة اليوم . وفيما قبل هذه الحكاية من الحكاية

(١) انظر الحاشية الأولى من الصفحة السابقة .

دليلٌ على أنه حُرِم الشراب، لأنّه شر الثلاثة، وفى هذه الكلمة لمّا حكمت له أمُّه — وذلك عند قتل عمرو — بكونه خير الثلاثة، عُلم تفسير شرّ الثلاثة من خير الثلاثة، وهو أنّه صبيٌّ لم يبلغ مرتبة الشُّجعان، لأنه عاجزٌ عن الضِّراب والطعان. الضمير فى سمّيتها لأمّ عمرو. وأمّ عمرو وأمّ عامر: كنية الضبع ؛ قال :

يا أُمّ عمرو أبشرى بالبُشْرى ... موتٌ ذريعٌ وجرادٌ عَظْلى

غذوت الصبيّ باللبن فاغتذى، لا يتعدّى إلى المفعول الثانى إلا بالباء. وهاهنا بدون الباء، لأنّه ضمّنه معنى الإطعام. يقرّر فى هذا البيت معنى البيت المتقدّم، فيقول: لم يزل الناس يرزقون الشّجاع، ويحرِمون الجبانَ. و«تقتل» مع «أم ليلى» إيهام ؛ ومع «قتيلا» تجنيس. و«أم ليلى» مع «أم عمرو» إيهام. و«أم عمرو» مع «سميتها» تجنيس الإشارة.

٩ (أَرَى الْحَيَوانَ مُشْتَبِهَ السَّجَايَا ... كَأَنَّ جَمِيعَهُ عَدِمَ العُقُولاَ)

التبريزى : السجايا : جمع سجيّة، وهى الطبيعة.

البطليوسى : سيأتى.

الخوارزمى : ... ...

١٠ (نَسِيتُ أَبِى كَمَا نَسِيَتْ رِكَابِى ... وَتِلْكَ الْخَيْلُ أَعْوَجَ وَالْجَدِيلاَ)

التبريزى : بعض الخيل ينسب إلى فحل يقال له أعوج، قديم ؛ والإبل تنسب إلى جديل، فحل قديم. يقول: كما نسيت الخيلُ أعوجَ والإبلُ الجديلَ، نسيت أبى لاشتباه سجايا الحيوان.

البطليوسى : السجايا : الطبائع، واحدتها سجيّة. والرِّكاب: الإبل. وأعوج: فرس عتيق، تنسب إليه الخيل. وجَديل: فحل كريم تنسب إليه الإبل. وقد تقدّم

ذكرها . يريد أن الناس لا يعتبرون بمـا تجره عليهم الأيامُ من النوائب والعظائم ، وأنهم وإن كانوا عقلاءَ أسوأُ حالا فى ذلك من البهائم . وهو ينظر إلى قول الآخر:[1]

نُـــراع إذا الجنـائزُ قابلتنـا ... ونلهو حين تَعـرِض مُدبِراتِ

كروعة ثَـلّةٍ لمُغَـار ذئب ... فلمـا غاب عادت راتعـاتِ

الخـــوارزمى : أعوج، فى «أعن وخد القلاص»[2]. الجديل، فى: «النار فى طرف تبالة»[3] . يقول : لو اعتبرت بمن مضى لى من الآباء ، وما آل إليه أمره من العدم والفناء، لأعرضتُ عن طلب الحُطام، ولمـا أقدمت عليه كلَّ هذا الإقدام، لكنّى عميت عن النظر فعَل الأنعام .

١١ (كَأَنَّ جِيَادَنَا فِى الدَّارِ أَسْرَى ... سُكُوتًا لَا وَجِيفَ وَلَا صَهِيلَا)

التـــبريزى : ... ...

البطليـــوسى : ســـيأتى .

الخـــوارزمى : عاد إلى المعنى الذى كان فى أول القصيدة يقرّره ، وهو أنّه مسفارٌ أبدا . يقول : خيولُنا لمـا أُجِمّت عن الأسفار ، وحُبست عن العلَف فى الدار ، تحزّنت كأنها جماعةٌ من الأُسَراء ، قد حصّلت فى أيدى الأعداء .

١٢ (جُـولٌ قُيُـونِهَا كَجُجُولِ قَيْنٍ ... أَجَادَ مِنَ الْحَدِيدِ لَهَـا كُبُولَا)

التـــبريزى : الكُبول : جمع كَبْل ، وهو القَيد . والمراد أن هذه الخيلَ واقفةٌ لا تصهَل، وكأن الحجول التى فى قيونها ، حجولٌ ضَرَبها القَين ، أى الحدّاد ، فهى مقيَّدة بها . والقُيون : جمع قَين ، وهو عَظْم الوظيف .

(١) الشعر لعروة بن أذينة، كما فى الحيوان (٦ : ٥٠٧) .

(٢) البيت ٣٨ من القصيدة الأولى ص ٧٥ .

(٣) البيت ١٤ من القصيدة ٥٣ ص ١١٢١ .

البطليوسي : الوجيف : الإسراع . والحجول ، الذى فى صدر البيت : بياضٌ فى قوائم الدابة مثل التحجيل ، وهو جمع حَجَل ، كما يقال أسد وأسود . قال أبو النجم :

أغذ فى البرقع بادٍ حَجَلُهْ (١) مُوَجّدُ الفقْرة رِخو مَفْصِلُهْ

* نسلو به الحَزْنَ وما نسهّلُه *

وقال السموءل بن عادياء :

وأيّامنا مشهورةٌ فى عدوِّنا لها غُرَرٌ معروفة وحجول

والقُيون : جمع قين ، وهو حرف وظيف اليد والرِّجل . وقوله « كحجول قين » : يريد به القين » الحدّاد . والحُجول : القيود ، واحدها حِجل ؛ قال جرير :

ولمّا اتّقى القَينُ العراقىُّ باستِهِ فَرَغْتُ إلى العَبْد المقيَّد فى الحِجْلِ (٢)

وإنّما أراد أنّ خيلَهم قد أنضاها السفر وأذهب قُواها ، فهى لا تبرح من الإعياء والكلال ، وكأنها مقيّدة بحجول أيديها وأرجلها ، وإن كانت مطلقة لا قيد عليها . ونظيره قول الراجز :

من الكلال ما يذُقن عُودَا لا عُقُلًا تُبقِى ولا قُيودا

وقد قال أبو العلاء فى قصيدة أُخرى :

كأنّ عليه قيدًا أو عقالا ولا قيدٌ هناك ولا عِقالُ (٣)

الخوارزمى : الحجول الأولى : البياض الذى فى أرجل الخيل ، وأصلها الخلاخيل . والحجول الثانية : القيود . والقيون : جمع قَين ، وهو موضع القَيد من الوظيف فى يد البعير ، وهما قَيْنان . قال ذو الرمة :

---

(١) كذا وردت هذه العبارة .

(٢) فرغت : عمدت . وفى الأصل : «نزعت» صوابه فى الديوان ٤٦٤ واللسان (فرغ) .

(٣) البيت ١٤ من القصيدة ٦٩ .

دانَى له القَيْدُ فى ديمومةٍ قُذُفٍ   قَيْنَيْهِ وانحسرَتْ عنه الأناعيمُ[1]

إلا أن أبا العلاء قد نقله إلى الخيل . والقَين : هو الحدّاد ، واشتقاقه من قولهم : قِنْ إناءك ، أى أصلحه ؛ قال :

ولى كبدٌ مجروحةٌ قد بدا بهـا   صُدوعُ الهوى لو كان قَينٌ يَقينُها

يقول : هـذه الخيل عند إقامتها حزينةٌ ، حتى كأن خلاخيلَ أرساغِها قيودٌ من حديد قد ضَرّبها فى أوظفتها الحدّاد .

١٣ (فَمَا تَدرِى أَخَلخَالًا مَشُـوفًا   يُقِلُّ الرُّسْغُ أم قَيْـدًا ثَقِيلَا)

التبريزى : مَشوفا : مجلوًّا . ويُقِلّ : يرفع ، من قولهم : أقللتُ الشىء ، إذا رفعتَه ؛ ومنه الكيزان تسمى القِلال ، لأنها تقل بالأيدى ، أى تُرفع .

البطليوسى : سـاقِ .

الخوارزمى : هذا كقول أبى العلاء :

فآليتُ ما تَدرى الحمائمُ بالضُّحى   أأطواقُ حُسنٍ تلك أم هى أغلالُ[2]

١٤ (يُفَجِّعُنَـا ابنُ دَأْيَةَ بابنِ إِنْسٍ   نُفَارِقُهُ فَـلَا تَبِـعَ الحُمُـولَا)

التبريزى : ابن دأية : الغـراب ، كأنه يُخبره بالفراق . وابن إنس[3] : صاحب ورفيق ، ومنه « كيف ابنُ إنسك » أى صاحبك . وقيل للغراب ابن دأية ، لأنه يقع على دأية البعير الذى قد أرزاه السفر ، أى جعله رذيّة لا يقدر على النهوض . والدأية : فَقار الظهر . ويقال لضلوع الصـدر دأيات ؛ قال ابنُ هَرْمة :

إنّ ابن دأيةَ ناحَ يوم سُوَيقةٍ   بفـراق أثلةَ والخليطُ جميعُ

(١) ديوان ذى الرمة ٥٧٠ . والأناعيم : جمع جمع النَعَم ، وهى الإبل .

(٢) البيت ٣١ من القصيدة ٥٩ ص ١٢٤٥ .

(٣) الضبط بضم الهمزة وكسرها عن المخصص (١٣ : ٢٠٠) .

البطليوسى : المَشُوف : المَصقول المجلوّ ؛ قال عنترة :

ولقد شربتُ من المُدامة بعد ما ركَدَ الهـواجرُ بالمَشُوف المُعْـلَمِ

والرُّسغ ، من الدابة : محـلّ القَيد من قوائمها . وابنُ دأْية : الغراب ، سُمّى بذلك لأنه ينزل على دَأية البعير الدَّبِر فينقرها . والدأية : الواحدة من الدَّأْيات ، وهى فَقارات الكاهل وما يليه من الظهر . والحُمول : الإبل التى عليها الهَوادج . والحُمول أيضا : الأحمال التى على ظهور الإبل . والغِرْبان تَتبع الإبل التى عليها أوقار التَّمر ، فتنزل عليها وتأكل منها؛ ولذلك قال الراجز :

قد قلتُ يوماً للغُراب إذ حَجَـل عليـك منهـا بالمَسانيف الأُوَل[1]

* تغذَّ ما شئتَ على غير عَجَـلْ *

وقال آخر :

تقَـدُمها كُلُّ عـلاةٍ عِلْيانْ حَمْراءَ مِن مُعَرِّضات الغِرْبانْ[2]

الخـوارزمى : ابن دأية : فى « تفدّيك النفوس »[3] . فى أساس البلاغة : هو ابن أُنس فلان : لخليله الخـاصّ به . مرّت الحمول ، أى الهوادج ، كانت فيها نساء أو لم تكن . من عادات الغُراب أن يتبع الحىّ المرتحل بالصِّياح والنعيب .

(١) البيت فى اللسان (سنف) والرواية فيه : « عليك بالإبل المسانيف » . والمسانيف : جمع مسناف ، وهو المتقدّم .

(٢) الرجز للأجلح بن قاصد كما فى اللسان (عرض) ، ويروى أيضا للشماخ ، ويروى لجليح بن شميذ . انظر ديوان الشماخ ص ١٠٦ ، والحيوان (٣ : ٤٢٠) . والعِلاة : الصخرة ، وبها تشبه الناقة فى صلابتها . والعليان : الناقة الطويلة الجسيمة . والمعرضات ، أراد الإبل التى تعرض الغربان ما تحمله ، أى تهديه . تقول : عرضت الرجل ، إذا أهديت له . وفى الديوان : « كل علاة مذعان » وفى الحيوان : « كل أمون مظعان » .

(٣) البيت ١٢ من القصيدة ٣٣ ص ٧٧٧ .

١٥ (وَقَلَّدَهُ الرُّماةُ بِأُرْجُوانٍ وَعادَ شَبَابُهُ رَحْضًا غَسِيلا)

التبريزى : أُرجُوان : صِبغ أحمر . والمراد ها هنا الدّم . دعا على الغراب حين أخبره بالفراق . والرَّحض : الخَلَق . والرحض : الغَسل ؛ رحَضه يرحَضه و يرحُضُه رَحْضا، إذا غسَله . ومن أبيات المعانى :

إذا النُّفساء لم تُرَحَّضْ يديها ولم يُقْصَرْ لها بصَرٌ بِستر[1]
قرَوْا أضيافَهم رَبَحًا بِبُحٍّ يعيش بفضلهنّ الحىُّ سُمْرِ

يصف سنةً مجدبة ، أى لم تغسل النفساءُ يديها لإعواز المأكول عندهم . ولم يقصر لها بصرٌ بستر ، أى لم يُحبَس . وأصل القصر : الحبس ؛ ومنه ﴿ مَقْصُورَاتٌ فِي الْخِيَامِ ﴾ أى محبوسات ممنوعات ؛ يقال : امرأة قصيرة وقَصُورة ومقصورة، أى محبوسة ؛ قال الشاعر :

وأنتِ التى حبّبتِ كلَّ قصيرةٍ إلىّ وما تدرى بذاك القصائرُ
عَنَيتُ قصيراتِ الحِجال ولم أُرِدْ قِصارَ الخُطا، شرُّ النساء البَحاتِرُ

و يروى : « البهاتر » ، وهى القصار ، واحدها : بُهتُر و بُحتُر . وإنما لم يُقصَر بصرُها بستر ، لأنها لا تُمهَن[2] ، أى لا تُخْدَم ، لما فيها من شظف العيش . والرَّبَح : الرِّبح[3] . والبُحّ : جمع أبحّ ، يعنى القداح التى يُجيلونها للميسر . وكذلك كانوا يفعلون فى الجاهلية إذا أصابتهم السَّنة ، يُقامرون على الجَزور ، و يُطعمونها الناسَ .

(١) الشعر لخفاف بن ندبة ، كما فى اللسان (بحح) . والرواية فيه وفى معانى الشعر للأشنانداني ١٠٣ : « إذا الحسناء » . والبيت الثانى فى اللسان (ربح) .

(٢) مهنه مهنا : خدمه . وفى الأصل : «لا تمتهن» .

(٣) فى معانى الشعر عند تفسير البيت : « ربح ربحا وربحا ، أى يقمر فيربح » .

يقول : إذا أصابهم المَحْلُ قروا أضيافهم بربَج القِداح السُّمر ، التى يعهش الحىّ بفضلهن إذا أُجيلت على الجَزور ففازت .

البطليوسى : الأُرجوان : الأحمر من الثّياب . والرّحض والرحيض : الثوب الذى أُكثِر من غسله ، حتى كاد يُخْلِق . والرَّحْض فى الأصل : مصدرٌ وصف به . قال طرفة :

كأنّ مُجاجَ السَّنْبُلِ السَّوَرِدِ فيهما ... تَداعَتْ به الأرواحُ فى ورقٍ رَحْضِ[1]

دعا على الغراب بأن يُصطاد ويذبح ، فيصير كأنّه قلّد بقلادةِ أُرجوان ، ويُنتف ريشه ، فيعودَ أبيض بعد أن كان أسود . وهذا كقوله فى صفة الديك[2] :

ولو كنتَ لى ما أرهفت لك مُديةٌ ... ولا رامَ إفطارًا بأكلك صائمُ

ولم يُغْسَلَ ماءٌ كى تمزّق حُلّةٌ ... حَبتْكَ بإِسناها العُصورُ القدائمُ

الخوارزمى : الأُرجوان فى « معان من أحبّتنا »[3] . وعنى به هاهنا دما .

١٦ (كَلِفْنَا بالعِرَاقِ وَنَحْنُ شَرْخٌ ... فَلَمْ نُلْمِمْ بِهِ إِلَّا كُهُـولَا)

التبريزى : يقال : رجل شارخ وشَرْخ ، مثل تاجر وتَجْر ، أى شابّ . والشَّرخ يستعمل فى معنى المصدر .

البطليوسى : سيأتى .

الخوارزمى : الشرخ ، هم الشبان . وفى الحديث : « اقتلوا شيوخ المشركين ، واستحيُوا شَرْخَهم » . الواحد : شارخ .

(١) فى الأصل : « الورث » تحريف . وصوابه من ديوان طرفة ص ٣٧ .

(٢) البيتان لأبى العلاء فى لزوم ما لا يلزم .

(٣) البيت ٣٩ من القصيدة ٣ ص ٢٠٠ .

١٧ (وَشَارَفَنَا فِــرَاقُ أَبِى عَلِىٍّ فَكَانَ أَعَزَّ دَاهِيَــةٍ نُزُولَا)

التــبريزى : ... ...

البطليــوسى : شُرَّخ : جمع شارخ ، وهو الشـابّ ، كما قالوا راكب وركب . وشرخ الشَّباب : أوّله ؛ قال حسان بن ثابت :

إن شَرخ الشباب والشَّعَرَ الأسـ ـودَ ما لم يُعاصَ كان جنــونا (١)

ومعنى شارفَنا : أشرَفَ علينا . وأعزّ داهية، أى أغلبها للصبر .

الخــوارزمى : الضمير فى «فكان» للفراق .

١٨ (سَقَاهُ اللّهُ أَبْلَجَ فَارِسِــيًّا أَبَتْ أَنْوَارُ سُودَدِهِ الأُفُولَا (٢))

التــبريزى : ... ...

البطليــوسى : الأبلج ، بالجـيم : الذى بين حاجبيه بُلْجة ، وهى أن يكون ما بينهما نقيًّا من الشعر ، وكانت العرب تستحبُّ ذلك ، وتكره القَرَن ، وهو ضدّه . ويكون الأبلج أيضـا المشهور الذى لا يخفى ، من قولهم تبلّج الصباح ، وصباح أبلج . والأبلخ ، بالخاء معجمـة : المتكبّر . والأُفول : المَغيب . والسُّـودد : السيادة . ونصب « أبلج » على التمييز .

الخــوارزمى : أبلــج ، فى « سالم أعدائك » (٣) . الذى يدل على كونه فارسـيًّا أن فورُّجةَ اسمُ جدّه ، وهو من أسماء المجوس ، والمجوس كانوا من الفرس .

(١) ويروى أيضا لابنه عبد الرحمن ، كما فى الحيوان (٣ : ١٠٨) . وقال ابن الشجرى فى الأمالى (١ : ٣٠٩) : « كان حق الكلام أن يقال : يعاصيا » .

(٢) فى البطليوسى : « أفولا » .

(٣) البيت ٣٤ من القصيدة ٣٧ ص ٨٦٣ .

١٩ (يَعُدُّ الثَّوْبَ زَغْفًا سَابِرِيًّا وَيَرْضَى الخِلَّ هِنْدِيًّا صَقِيلَا)

التبريزى . الزَّغف : الدرع اللّيّنة ، وقيل الواسعة . والسابرىّ : الرقيق . والخِلّ : الخليل . يقول : هذا الرجل يحب الحرْب ، فيُعِدّ آلاتها ، ويُخالّ السيفَ ، لأنه أنفع له من الخِلّ الآدمىّ .

البطليوسى : الزغف : الدرع المحكمة . وقيل : هى الطويلة التى لها فضول . وهى مشتقّة من قولهم : زَغَف فى الحديث ، إذا زاد فيه . والسابرىّ : الرقيق من الثياب .

الخوارزمى : يروى : «يَعُدّ» ، من العَدّ ؛ و «يُعِدّ» ، من الإعداد . صبّ علىّ الزَّغفة ، أى الدّرع الواسعة . ومنه زغف فى حديثه ، إذا زاد فيه وتوسّع . الدروع السابرية : منسوبة إلى سابور ، وهى موضع بفارس[1] .

٢٠ (كأنّ أراقِمًا نَفَثَتْ سِمَامًا عَلَيْهِ فَآضَ مُبْيَضًّا نَحِيلَا[2])

التبريزى : الهاء فى «عليه» عائدة إلى «السيف» . والأراقم : الحيات .

البطليوسى : سيأتى .

الخوارزمى : يصف هيئة السيف وهَيبته ، فيقول : ذاك الهندىُّ الصقيل مَهيب أبيضُ ، نحيلٌ ؛ فكأن الحيات قد نفثت عليه سمومَها . يريد أنّ هذا سيفٌ يكاد يقطر السمّ منه .

---

(١) مثل هذا الكلام فى اللسان وتاج العروس (٣ : ٢٥٣) .

(٢) فى التنوير : «فعاد» .

٢١ (وَمَنْ تَعَلَّقَ بِهِ حُمَةُ الْأَفَاعِى   يَعِشْ إِنْ فَاتَهُ أَجَلٌ عَلِيلَا)

التـبريزى : ... ...

البطليـوسى : الأراقم : جمع أرقم ، وهو نوعٌ من الحيّات عليه شبه الرَّقْم . ونفثت : بصقت ، وهو مثل تفلت . وقال بعض اللغويين : النفث : نفخ لا بُصاق معه ، والتفل : ما كان معه بصاق . يقول : كأنّ الحيّات بصقت على هذا السيف سمّها ، فابيضّ لونه ، ونحـل جسمُه . وكذلك شأن من يعلَق به سمّ الأفاعى ، فإنه يموت ، وإن سـلم من الموت اعتـلّ جسمُه ونحل . والسيف يُوصَف بالبياض لما عليه من الفِرِنْد واللمعان ؛ ولذلك سمّوه أبيض ، كما سمّـوا الرمحَ لذبوله أسمرَ . والحُمَة : السمّ . ولعاب الحية يشبّه بالنار ؛ قال أبو صفوان الأسدى يصف حيّة :

له فى اليبيس نُفـاثٌ يطـيـ   ـرُ عن جانبيـه بجَمْـرِ الغَضَى (١)

الخـوارزمى : هذا تعليل لكون ذلك السيف دقيقا ناحلا .

٢٢ (كَأَنَّ فِـرِنْدَهُ وَالْيَـوْمُ حَمْتٌ   أَفَاضَ بِصَفْحِهِ سَجْلًا سَجِيلَا) (٢)

التـبريزى : فـرند السيف : جوهره وماؤه . ويقال : إن الفرند فارسىّ معرب . وحكوه بالفاء والباء . وقد وافق من اشتقاق العربية ما هو صحيح فى القياس . والفرند موافق للفظ فـرد ، وتكون النون فيـه زائدة ، وتكون شاذّة عن القياس ؛ كأنّه فرد بهذا السيف . وإذا قيل برند ، فهو من البرد ، والنون زائدة ، لأن السيوف توصف بالرقاق البوارد ، والحـديد كلّه من شأنه البَرْد فى أصل طبعه . وحَمْتٌ : شـديد الحر .

(١) البيت من مقصورة طويلة فى اختيار المنظوم والمنثور ، مخطوطة دار الكتب رقم ١٨٦٠ ص ١٤١ .

(٢) ورد هذا البيت متقدما فى البطليوسى على البيت المتم العشرين ، وهو قوله : « كأن أراقما ... » .

البطليوسى : الفرند والبرند جميعا : جَوهر السيف وماؤه ؛ ويُوصَف به السَّيف أيضا، فيقال سيف فرند؛ قال الراجز :

* سيفًا فرندًا لم يكن مِعضادا *

والحمت : الشديد الحر؛ يقال : حَمُت يومنا وحَمِت . والسَّجل : الدلو مملوءة ماء . والسَّجيل : العظيم . أنشد يعقوب :

خُذْها وأعطِ عمَّك السَّجيلَهْ ... إنْ لم يكن عمُّك ذا حَليله (1)

وأفاض : أسال . وصفحه : جانبه . يقول : كأن فرنده أجرى عليه ماء . وقد ذكر نحو هذا في مواضع كثيرة من شعره .

الخوارزمى : قوله «اليوم حمتٌ» ، أى شديد الحر . تقول : حَمُت يومنا ، بالضم . وأصل التركيب خلوص الشيء وشدّته . قال يعقوب : العامة تقول ضربه بصَفْح السيف ، والكلام بصُفح السيف ، أى بعُرْضه . في أساس البلاغة : «له من المجد سَجْل سجيل : ضخم . قال الحطيئة :

إذا قايَسوه المجدَ أربى عليهمُ ... بمستفرِغ ماءَ الذِّناب سجيلِ» (2)

قايسه إلى كذا ، أى سابقه؛ أنشد جار الله :

* إذا نحنُ قايسنا أُناسًا إلى العُلا *

٢٣ (تَرَدَّدَ ماؤُهُ عِلْوًا وسُفْلًا ... وَهَمَّ فَما تَمَكَّنَ أنْ يَسِيلا)

التبريزى : أى همّ أن يسيل فما تمكّن . ويقال عُلْو وسُفْل، وعِلْو وسِفْل .

(1) الرجز في اللسان (سجل) والمخصص (٩ : ١٦٦) .

(2) الذناب، ككتاب : مسيل ما بين كل تلعتين، كما في القاموس .

البطليوسى : ... ...

الخوارزمى : تردد ماؤه ، أى برق وماجَ . ومن هذا القبيل بيت السقط فى وصف درع :

مموهــة كأن بهـا ارتعـاشًا لفَرط السنّ أو داءَ اختـلاجِ (١)

ويجوز أن يريد بالتردّد انصباب الفرند من جانب إلى جانب . ومثلها ما حكى لى بعضٌ من دخل الهند ثم خرج إلينا بسمرقنـد : أنّ ملك الغُور فى عصرنا لمّا فتح أجمير، وأخذ رايتها، (٢) وجد فى خزانته سَـيفًا لم ير الناس فى الجَودة والمضاء مثـلَه ، وكان لا يدفعه حديدٌ ولا حجر، وفرنده فى الخضرة يشبه الكُرّاث ، وهو مترقرق ، متى رفع ذلك السيف سال واجتمع كالبيضة لدى القائمـة ، وكذلك إذا نكس سال إلى الطرف الآخر . قال : وسمعت هناك أنه مركّب : ثلثاه ألمـاس ، وثلثـه من الحديد المسمى «برُوهينا» (٣) .

٢٤ (أَجَادَ الهَـالِكِىُّ بِهِ ٱحْـتِفَاظًا فَلَمْ يُطِقِ السُّرُوبَ وَلَا الهُمُولَا)

التبريزى : الهالكىّ : الحدّاد . والسروب ، من قولهم : سرب المـاء إذا سال، وكذلك همل همولا .

البطليوسى : الهالكىّ: الحدّاد . نسب إلى الهالك بن عمرو بن أسد بن خزيمة؛ وكان أوّل من طبع الحديدَ فى بلاد العرب ، وصنع منه السيوف وسائر السلاح، فنسبوا كلّ حدّاد إليـه . والسُّروب : الجرى . والهُمول نحـوُه . وقد ردّد هـذا المعنى فى مواضعَ من شعره .

(١) البيت ١٨ من القصيدة ٧٧

(٢) كتب تاج تحت هذه الكلمة بخط دقيق : « أى حاكمها » .

(٣) انظر الجماهر للبيرونى ٢٥٤ ومعجم استينجاس ٥٩٧ .

الخوارزمى : المالكىّ : هو الحداد ، نسب إلى المالك بن عمرو بن أسد ابن خزيمة الحداد؛ ولذلك قيل لبنى أسدٍ القُيون . الضمير فى «به» لماء السيف . يقال : احتفظ بالشيء .

٢٥ (إذَا مَا كَالِئُ الأَضْغَانِ يَوْمًا ... رَآه رَعَى بِهِ كَلَأً وَبِيلَا)

التبريزى : سيأتى .

البطليوسى : الكالئ : الحافظ الحارس . والأضغان : الأحقاد، واحدها ضِغْن ، على مثال جِذْع ، وضَغَن على مثال رَسَن . وأراد بكالئ الأضغان الذى يحبس الأحقادَ فى صدره . والكلأ : العُشْب كلُّه، أخضره ويابسه . والوبيل : الذى يُعقب من يرعاه هَلَكة . وإنما ذكر الكلأ هاهنا لأن السيف يوصف بالخضرة، فشبّه ما يرى فيه من الخضرة بكلأ أخضر يهلك من يرعاه من الماشية؛ ولذلك جعل فى السيف مرعًى ومشرعًا ، لما فيه من الخضرة والفِرِند، فقال فى قصيدة أُخرى :

طريقةِ موتٍ قُيِّد العيرُ وسْطَها ... لينعم فيها بين مرعًى ومشرع[1]

وقال فى قصيدة أُخرى :

وأبرزَه من ناره القينُ أخضرًا ... كأنْ غيثَ فيها بالتلهُّبِ والسَّفْع[2]

الخوارزمى : الكالئ : اسم فاعل، إما من كلأه كَلَاءة، إذا حفظه، لأن المضطغن لا يُخلى عن الضغن قلبَه ، فكأنّه يحفظه ؛ وإما من كلأت الناقةُ ، إذا رعتْ؛ لأن المضطغن كأنه يرعى الأضغان؛ ويعضُده قول أبى تمّام :

(١) البيت ٤٥ من القصيدة ٢٦ .

(٢) البيت ٤٢ من القصيدة ٦٢ ص ١٣٥٨ .

مَنْ كان مرعى عزمه وهُمومه   روضَ الأمانى لم يزل مَهزُولا

يقول : متى رأى المحقود الحسودُ هذا السيفَ وهو فى يد المحسود ، لقِىَ منه شرًّا وبلاء. وفى قوله : « رعى به كلأً وبيلا » إيماءٌ إلى أنّ هذا السيف يُرِى أخضره. و « رأى » مع قوله « رعى » تجنيس المضارعة .

٢٦ (يَكَادُ سَنَاهُ يُحْرِقُ مَنْ فَرَاهُ   وَيُغْرِقُ مَنْ نَجَا مِنْهُ كُلُولاَ)(١)

التبريزى : كالئُ الأضغان : حافظها . والأضغان : جمع ضغن ، وهو الحقد . ومعنى « كالئ الأضغان » أنه يحرسها ، ويديمها فى صدره. والكلأ الوبيل: الذى يُعقِب الهلكةَ للراعى . والسنا : الضوء . وفراه : قطعه . أى جمع بين الماء والنار ، فهو يُحرق ويغرقُ .

البطليوسى : سَناه : ضوءُه . وفَراه : قطَعه . وقال بعض اللغويين : فراه : قطعه على جهة الإصلاح ، وأفراه ، إذا قطعه على جهة الإفساد . وهذا غير صحيح ؛ وقد وجدنا فرى مستعملا فى الإفساد ؛ قال الشاعر :

فرى نائباتُ الدهر بينى وبينها   وصَرفُ الليالى مثلَ ما فُرِىَ البُرُدُ

ويقال : نبا السيف ينبو ، إذا لم يقطع . والكُلول : مصدر كلَّ السيف ، إذا لم يقطع . أراد أن فيه نارًا وماء ، فهو يكاد يُحرق المضروب بناريّته ، أو يغرقه بمائيته . وذكر « لو » هاهنا ، دون « إن » إشارة إلى أنّه لا ينبو عن شىء يضربه ؛ ولو ذكر « إن » لأخبر أن نبوه ممكنٌ أن يكون .

(١) فى البطليوسى : « ويغرق لو نبا عنه » .

الخوارزمى : كَلَّ السيفُ كُلولا . عنى بالكُلول هنا الكالّ، وانتصابه على الحال من ضمير السيف فى « منه » . يقول : هذا السيف لا يخبو منه أحد؛ لأنه متى كان صقيلًا أحرق سناه المقطوعَ به، ومتى كان كليلًا أغرق المضروب به، لأن السيف يشبّه بالماء والنار . و « يحرق » مع « يغرق » تجنيس .

٢٧ ﴿فَذٰلِكَ شِبْهُ عَزْمِكَ يَابْنَ حَمْدٍ وَلٰكِنْ لَا نُبُـوٌّ وَلَا فُـلُولَا﴾

التبريزى : أى هـذا السيف مشبه عزمك ، ولكن لا نبوٌّ فى عزمك ولا فلولَ فيه .

البطليوسى : سيأتى .

الخوارزمى : ذلك ، إشارة إلى السيف الذى وصفه .

٢٨ ﴿لَشَرُفَتِ(١) الْقَـوَافِى وَالْمَعَانِى(٢) بِلَفْظِكَ والأَخِلَّةَ والخَلِيلَا﴾

التبريزى : الأخلّة : جفون السيف . والأخلّة : جمع خليل بمعنى صديق . والخليل فى القافية ، يريد الخليل بن أحمد النحوى الفُرْهُودىّ .

البطليوسى : يقول : عزمك كالسيف فى مضائه ، ولكن سيف عزمك لا يعتريه نبوٌّ ولا فلول ، كما يعترى السيوف . وأراد بـ « الأخلّة » ها هنا أغماد السيوف ؛ كما قال الراجز :

إن بَنِى سَلْمَى شُيوخٌ جِلّه بِيضُ الوُجوه خُرق الأخلّه

---

(١) ا من البطليوسى : « فشرفت » .

(٢) حـ من البطليوسى : « المعالى والمعانى » .

قال أصحاب المعانى : أراد أنّ سيوفهم تخرق أغمادَها لحدّتها . والخليل : الصديق . يقول : شرَّفْتَ أغمادَ السيوف إذ حمّلتها ما يشبه عزمَك ، وشرّفت الأخلاء إذ جعلتَ السيفَ صاحبَك ؛ وذلك لأنّه جعل السيف خليلَه فى قوله :

* ويرضى الخِلّ هنديًّا صقيلا[(١)] *

الخوارزمى : اللام فى « لشرفت » جواب قسم محذوف . وهذا لأن القسم يجاب باللام ، كما فى بيت امرئ القيس :

حلفتُ لهـا بالله حِلفةَ فاجـرٍ لَنامُوا فما إن من حديثٍ ولَا صالِى

٢٩ (إذَا الْمَنْهُوكُ فُهْتَ بِهِ انْتِصاراً لَهُ مِنْ غَيْرِهِ فَضَلَ الطَّوِيلاَ)

التبريزى : المنهوك من الشعر أقصره ، وأقل ما يكون عشرة أحرف ، نحـو :

* أَغضِبُوا فرَحَلوا *

والطويل أطول القريض ، وأكثر ما يكون ثمانية وأربعين حرفا ، وذلك إذا صُرِّع أوّله ، كقول امرئ القيس :

قفانبك من ذكرى حبيبٍ وعِرفان ورسمٍ عفَت آياتُه منذ أزمان

البطليوسى : المنهوك أقصر الشعر ، والطويل أطوله ؛ لأنّ حروف المنهوك إذا سلم من الزحاف أربعةَ عشر ؛ لأنه مركّب من مستفعلن مستفعلن ، مرتين ؛ كقوله :

* ياليتنى فيها جَذَعْ *

(١) البيت ١٩ من هذه القصيدة . وصدره :

* يعد الثوب زغفا ساريا *

فإذا لحقه الخَبْل، وهو اجتماع الخَبْن والطىّ، كان على عشرة أحرف، كقوله :

* أغَضِبُوا فرحلوا . *

وأما الطويل فحروفه إذا جاء مصرَّعا لازحافَ فيه ولا علّة ثمانيةٌ وأربعون، لأنه مركّب من أربعة أجزاء خماسية، وهى فعولن أربع مرات، وأربعة أجزاء سباعية، وهى مفاعيلن أربع مرات. كقول امرئ القيس :

قفانبك من ذكرى حبيبٍ وعرفانِ ورسمٍ عفت آياته منذ أزمانِ

الخوارزمى : الأخلّة : جمع خَليل . ونظيرها الأحبّة فى جمع حبيب .

وأما الخليل المذكور فى القافية، فهو صاحب العروض، وذكره فى « بنى الحسب الوضاح » (1) . المنهوك هو البيت الذى سقط ثلثاه وبقى ثلثه، من نُهِك، إذا دَنِف وضَنِى . الطويل، من بحور الشعر .

٣٠ (وأَنْتَ فَكَاكُ دائِرَتَىْ قَرِيضٍ وَهَنْدَسَةٍ حَلَلْتَ بِهَا الشُّكُولاَ)

التبريزى : ... ...

البطليوسى : القريض : الشعر . والشكول : الأشكال . مدحه بأنه يفكّ دوائر العروض وأشكال الهندسة . وكان لهذا الممدوح معرفةٌ بالعَروض والهندسة .

الخوارزمى : عنى بالفَكاك الفكّ، وهو أن يؤخذ بحرٌ فيطرحَ من أوله بعضُ المقاطع، ثم يضمّ المطروح إلى آخر ذلك البحر، فيتحوّلُ بحرا آخر . كان الواجب أن يقول : أنت فكّ دائرة الشعر وحلّ أشكال الهندسة، لكنه أضاف إلى الهندسة الفكّ، كما أضافه إلى الشعر، وهذا على طريق التغليب . يقول : أنت مصدرٌ لكلا العِلْمين .

(1) البيت ٣٦ من القصيدة ٤٢ ص ٩٦٦ .

٣١ (كَمَلْتَ فَزِدْ عَلى النُّعمانِ مُلْكًا مَزِيدَكَ عَنْ أَخِى ذُبْيانَ قِيلا)

التبريزى : عن أخى ذبيان، أى على أخى ذبيان. يريد به النابغة الذبيانى. ويقال : كَمَل يَكْمُل فهو كامل ، وكَمُلَ يكمُلُ فهو كميل . ومعنى قوله : «فزد على النعمان مُلكا» أى رَزَقَكَ الله مُلكا يزيد على ملك النعمان ، مثل ما زِدت فى شعرك على نابغة بنى ذبيان .

البطليوسى : يريد بـ «أخى ذبيان» النابغة الذبيانى. وقد ذكرنا أن النابغة مدح ثلاثة ملوك كلُّهم يسمّى النعمانَ ، فى تفسير قوله :

وفقيها أفكاره شِدْنَ للنعـ ـمان ما لم يَشِدْهُ شعر زياد (١)

الخوارزمى : النعمان ، هو ابن المنذر بن ماء السماء ، أبو قابوس . كان له يوم نعيم و يوم بؤس. واستقبله يوم بؤسه سعيدُ بن أُنيس ، وهو يريد عشيقته «وردة»، فقال : ما غرك حتى استقبلتنى فى يوم بؤسى ؟ قال : شدّة الوجد ، وقلّة الصبر . فقال النعمان : ألستَ القائل :

ألا ليتنى مُكِّنتُ من وردَةِ المُنَى بعيدًا من الأوطان فى مَهْمَهٍ قفرِ
أكونُ بها وحدى ولا نَبْغِ ثالثًا هناك إلى يوم القيامة والحشْرِ
ولا زادَ مَعْنا غيرُ فَضْلِ سُلافةٍ وأبيضَ من ماءِ الزُّلال من القَطْرِ
أُعانقها طورًا وألثَمَ خَدَّها وطورًا أُعاطيها الأحاديثَ كالشَّذْرِ

فقال بلى . قال : أفأُخلى سبيلك ، وأُمتِّعك بوردةَ سبعةَ أيامٍ ثم أقتلك ؟ فقال : تمتِّعنى وتقتلنى . فساق إلى عمّها مَهرها، وجمع بينهما فمكث معها السبعة، ثم أقبل على النعمان وهو يقول :

(١) البيت ٢٤ من القصيدة ٤٣ ص ٩٨٦ .

إليك ابنَ ماءِ المزن أقبلْت بعدما … مضى لِىَ سبعٌ من دخولى على أهْلِى
مجىءَ مُقِرٍّ باصطناعك شاكرٍ … مَننْتَ عليه بالكريم من الفعْل
لتقضىَ منه ما أردتَ قضاءَه … من العَفْو أو من غير ذلك مِن قَتلِ
فإنْ تلتُ عُمْرًا كنتَ أفضلَ مُنعِم … وإن تكن الأخرى فمِنْ حَكَمٍ عَدْلِ

فأحسن جائزتَه وخلَّى سبيله . وقال النُّعمان فى ذلك :

لم ينل ما ناله … منا سعيدُ ابن أنيسِ
إذ حوى مَنْ كان يهوى . … ونجَا مِن يوم بوسِ
وكذاك الطير تجرى … بسعود ونحوسِ

وكان عدىّ بن زيد تَرجُمانَ أَبروَيز وكاتبَه بالعربية ، فوصَفه له النعمانُ حتّى ولّاه من بين إخوته ، وكان أقبحَهم ، ثم اتَّهمه النعمان فاحتال له حتّى قتله . وتوصّل ابنُه زيدُ بن عدىٍّ إلى أبروَيز حتّى أحلّه محلَّ أبيه ، فذكر له نسوةَ آلِ المنذر بالجمال والأدب . فكتب أبرويزُ يخطب إلى النعمان أُختَه أو ابنته . فلما قرأ النعمانُ الكتاب قال : ما يصنعَ الملكُ بنسائنا ، وأين هو عن مَها السَّواد اللواتى كأنّهن فى الحسن المَهَا ؟ فترجمه زيدٌ لأبرويز بأن يقول : أين هو عن البقر لا ينكحهنّ ؟ فغضب على النعمان أبرويزُ فطلبه ، فهرب منه ، ثم أتاه بالمدائن . فصفّ له أبرويز ثمانيةَ آلاف جاريةٍ صفّين ، فلما رأينَه قلن له : أما فينا للملك عن بقر السَّواد غنًى ! وأمر به كِسرى فحُبِس بساباط ، ثم أُلقِىَ تحت أرجل الفِيَلة فتوطّأته حتّى مات . قال الأعشى يذكر أبرويز :[1]

هو المدخل النعمانَ بيتًا سماؤُهُ … نُحورُ فُيولٍ بعد بيتٍ مُسردَقِ

(١) كذا . وليس فى ديوانه . وإنما هو لسلامة بن جندل ، فى ديوانه ١٩ والأصمعيات ٥٢ ، واللسان (سردق) .

ضمّن الزيادة معنى الارتفاع فعدّاها بعن . أخو ذبيان هو النابغة الذبيـانى . وهو فى « أفوق البدر يوضع »(١) . قوله «مزيدك» مع «أخى ذبيان» تجنيس الإشارة؛ لأن اسمه زياد .

٣٢(وَقَدْ كَافَأْتُ عَنْ شِعْرٍ بِشِعْرٍ وَلٰكِنْ حَازَ مَنْ بَدَأَ الْجَمِيلَا)

التـــبريزى : أى حاز الجميل من بدأ ، أى الفضل للاوّل .

البطليـــوسى : أراد : ولكن حاز الجميـل من بدأ بالجميـل ؛ فقدّم وأخر . وهذا كقولهم : « الفضل للتقدّم » .

الخـــوارزمى : وجّه الفعلين ، وهما « حاز » و « بدأ » ، إلى « الجميل » .

٣٣(بَهَرْتَ وَيَوْمُ عُمْرِكَ فِى شُرُوقٍ فَدَامَ ضُحًى وَلَا بَلَغَ الْأَصِيلَا)

التـــبريزى : بَهرت ، بمعنى غلبت . وقـوله « فى شروق » أى فى أوّله ؛ من قولهم : شَرَقت الشمس، إذا طلعت؛ وأشرقت، إذا أضـاءت . ويقال : شَرَقت، إذا غربت .

البطليـــوسى : يريد أنّه غلب النـاس بعلمه ، وبهَـرهم فى فهمـه ، وهو فى اقتبالٍ من سنّه ، فلذلك ذكر الشروق والأصيل . والشروق : طلوع الشمس. والأصيل : العشىّ . ومعنى« بهرْتَ » غلَبْت .

الخـــوارزمى : الضمير فى « دام » لـ«يوم عمرك » .

٣٤(وَرَدْنَا مَاءَ دِجْـــلَةَ خَيْرَ مَاءٍ وَزُرْنَا أَشْرَفَ الشَّجَرِ النَّخِيلَا)

---

(١) البيت ٤٥ من القصيدة ٦ ص ٣٢١ .

التـــبريزى : ... ...

البطليـــوسى : ســيأتى .

الخـــوارزمى : انتصاب قوله «النخيلا» على أنّه عطف بيان من «أشرف الشـــجر» .

٣٥ (وَزُلْنَـا بِالْغَلِيــلِ وَمَا اشْتَفَيْنَا وَغَايَةُ كُلِّ شَيْءٍ أَنْ يَزُولاَ)

التـــبريزى : ... ...

البطليـــوسى : دجلة : نهر بغداد . وذكَرَ النّخل لأنه كثيرٌ ببغداد ، وجعله أشرفَ الشجر لقوله صلى الله عليه وآله وسـلم : «أكرِموا النّخلةَ فإنها عمّتُكم» . قال بعضُ المفسرين ممّن لا بصرله بالمجـازات : إنّمـا جعلها عَمّةً للإنسان لأنهـا خُلِقَتْ من فضـلةِ طينِ آدم . والذى عليه العلماء أنه إنّمـا جعلها عمّةً للإنسان ، لأنّها أشبه النّباتِ بالحيوان ؛ لأنّ كلَّ نبـات إذا قطع أعلاه وسَـلِمَ أصلُه انْجبر ، إلّا النخلة ، فإنّ رأسها إنْ قُطع لم ينجبِر ؛ فهى فى هـذا كالإنسان ، وفيهـا ذكور وإناثٌ . وربمـا صَبَت النخلةُ إلى الفُحّال ، فلم ينفعها تلقيحٌ إلاّ منه ، كما يصبو بعضُ الحيـوان إلى بعض . والعرب تسـتعمل العُمومة والأخوّة والخُؤولةَ بمعنى الشبه ، فيقولون هذا الثوبُ أخو هذا الثوب ، أى شِبهه . وقـد ذكرنا ذلك فيما مضى . وقال الشاعر :

شهدتُ بأنّ التمر بالزُّبد طيّبٌ وأن الحُبـارَى خالةُ الكَروانِ (١)

والغليل والغلّة : حُرقة العَطش . ويقال غُلّ ، بغيرهاءٍ ، كأنه جمع غُلّة .

قال الشاعر :

أيا لَتَمـيمٍ أصـبحَ المـاءُ فيكمُ وإن كان عذباً يشتكى الغُلَّ شاربُه

(١) انظر الحيوان (٦ : ٣٧٢) .

وقوله : « وغاية كلِّ شيء أن يزولا » كلامٌ فيه حذف ، تقـديره وغايةُ كلِّ شيءٍ قدِّر عليه الزوال أن يزول ؛ لأنّ من الأشـياء ما لا يزول . والعرب تحذف الصفة التي لا يتم المعنى إلّا بها ، اتكالا على فهم السامع ؛ كما قال تعـالى : ﴿فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَـٰمَةِ وَزْنًا﴾ ، أي وزنا نافعا ؛ لأنه قد قال في موضع آخر : ﴿وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ﴾ ؛ فأثبت لأعمالهم ميزانا . ومنه قول لبيد :

* وكلُّ نعيمٍ لا مَحالَةَ زائلُ (١) *

أراد : وكلّ نعيمٍ كُتب عليه الزّوال زائلٌ .

الخـــوارزمى : يريد كسرنا عَطَشنا ، لكنّنا لم نَرْوَ .

٣٦ ﴿وَلَوْ لَمْ أَلْقَ غَيْرَكَ فِي اغْتِرَابِي لَكَانَ لِقَـاؤُكَ الْحَظَّ الْجَزِيلَا﴾

التـــبريزى : ... ...

البطليـــوسى : ... ...

الخـــوارزمى : في اغترابى ، أي في مدّة اغترابى .

٣٧ ﴿سَتَحْمِلُ نَاجِيَاتُ الْعِيسِ مِنِّي صَدِيقًا عَنْ وِدَادِكَ لَنْ يَحُولَا﴾ (٢)

التـــبريزى : يقال : حال عن العهد والوُدّ ، إذا تغيّر عنه ، يحول حُؤُولا .

---

(١) صـــدره :

* ألا كل شيء ما خلا الله باطل *

(٢) قبل هـذا البيت في النسخة المخطوطة من الخوارزمى فقط بيت لم نتمكن من قراءته ، وظننا أنه دخيل على القصيدة لأنه لم يروه أحد من الرواة . وهو بهذا الرسم :

ركبت حراك فارس من بلاد وقال النازلون بها هلا

البطليوسى : سيأتى .

الخوارزمى : فى تقديم قوله « عن ودادك » على قوله « لن يحولا » شىءٌ من النُّبُوَّة .

٣٨ (يُؤَمِّلُ فِيكَ إِسْعَافَ اللَّيَالِى وَيَنْتَظِرُ الْعَوَاقِبَ أَنْ تُدِيلَا)

التبريزى : ... ...

البطليوسى : الناجيات : الإبل السريعة . والعِيس : الإبل التى يخالط بياضَها حُمرة .

الخوارزمى : قوله « أن تديلا » بدل اشتمال من العواقب . يريد : ينتظر العواقب إدالتَها .

[انتهى القسم الثالث من شروح سقط الزند]

فهرس

قصائد هــذا القسم

فهرس قصائد هذا القسم

صفحة

رقم الايداع بدار الكتب ١٠٨٠٤/١٩٩٤
I.S.B.N. 977-01-4198-4